

النكت والعيون

تفسير الماوردي

أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الثاني

النكت والعيون



الجزء الثاني

الأعراف - مريم

نشر

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

التراث الإسلامي

-١١-

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

طباعة

مطابع مقهوي - الكويت

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم الدكتور/ علي حسين كرار

القاهرة



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
التراث الإسلامي
-١١-

النكت والعيون

تفسير الماوردي

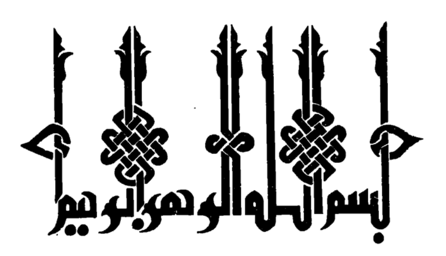
أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الثاني
الأعراف - مريم

حققه
خضر محمد خضر
مجاز في الشريعة من الأزهر

راجعه
الدكتور عبد الستار أبو غدة


النكت والعيون
تفسير الماوردي
الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

مكيـــة كلها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة: مكية إلا[1] خمس آيات وهى قوله: « واسألهم عن القرية» إلى آخر الخمس.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل (المـــص) فيه لأهل التأويل تسعة أقاويل :

أحدها – معناه أنا الله أُفصِّل ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

والثاني – أنه [حرف] هجاء [من] المصوِّر ، قاله السدى .

والثالث – أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

والرابع – أنه اسم السورة ومفتاح لها ، قاله الحسن .

والخامس – أنه اختصار من كلام يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس أيضا .

والسادس – هي حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن .

والسابع – هي من حساب الجُمّل المعدود استأثر الله بعلمه .

والثامن – هي حروف تحوى معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك .

والتاسع – هى حروف اسم الله الأعظم .

---

(١) الذى في المصاحف : الا من آيـة ١٦٣ الى آية ١٧٠ . وهـذه ثمانى آيـات تبـدأ من قوله تعالى : « واسـألهم عن القرية » . وقال القرطبى : وهى مكية الا ثمانى آيات وهي قـوله تعالى : « واسألهم عن القرية » . اى الى آخر الثمان . وروى النسائى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة المغرب بسورة الاعراف ، فرقها في ركعتين .

ويحتمل عندى قولا عاشرا ـ أن يكون المراد به : المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك . فحذف باقي الكلمة ترخيما وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب . وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر [1] :

قلت لها : قفى ، فقالت : قــاف

أى وقفتُ .

٢ ـ قوله عز وجل (كتابٌ أُنزِلَ إليكَ) يعنى القرآن .

• (فلا يكُنْ في صَدْرِك حَرَجٌ مِنْه) وفي الحرج ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه الضيق ، قاله الحسن ، وهو أصله . قال الشماخ بن ضرار :

ولو رَدَّت المعروف عندي رددتّها لحاجة لا العــالى ولا المتحرج

ويكون معناه : فلا يضق صدرك خوفا ألاّ تقوم بحقه .

والثاني ـ أن الحرج هنا الشك ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى قال الراجز :

آليْتُ لولا حرجٌ يعْروني ما جئت أغْزوك ولا تغزوني

ومعناه : فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أُنزل إليك لتنذر به .

والثالث ـ فلا يضق صدرك بأن يكذبوك ، قاله الفراء .

• ثم قال (لتُنْذِرَ به وذِكْرَى للمؤْمِنين) فجعله إنذارا للكافرين وذكرى للمؤمنين ليعود نفعه على الفريقين .

٤ ـ قوله عز وجل : (وكم مِنْ قريةٍ أهْلَكْناها) الآية . هذا إخبار من الله تعالى عن حال من أهلكه بكفره تحذيرا للمخاطبين به عن مثله . وقوله : « وكم » هى كلمة توضع للتكثير ، «ورُبَّ» موضوعة للتقليل . وذلك هو الفرق [٤] بين كم ورب ، قال الفرزدق :

(١) هو الوليد بن عقبــة .

كم عَمّةٍ لك يا جريرُ وخالةٍ   فدعاء قد حَلَبَتْ عليّ عِشاري[1]

فدل ذلك على تكثير العمات والخالات .

* وفي قوله (أهلَكناها فجاءها بأسُنا بَياتاً) وإنما الهلاك بعد مجيء البأس ، أربعة أوجه :

أحدها — معناه أهلكناها حكما فجاءها بأسنا فعلا.

والثاني — أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم .

والثالث — أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية .

والرابع — أن البأس والهلاك وقعا معا في حال واحدة ، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا ، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت ، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء ، قاله الفراء .

وقوله « بياتا » يعني في نوم الليل .

* (أو هُمْ قائلونَ) يعني في نوم النهار وقت القائلة .

فإن قيل : فلم جاءهم بالعذاب في وقت النوم دون اليقظة ؟

قيل : لأمرين :

أحدهما — لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ .

والثاني — لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه ، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ . والبأس : شدة العذاب . والبؤس : شدة الفقر .

٦ — قوله عز وجل (فَلَنَسألَنّ الذين أُرسِل إليهم ولنَسْألَنّ المُرْسَلِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها ، ولنسألن المرسَلين عن أداء الرسالة والأمانة فيها . (والثاني) لنسألن الذين أُرسل إليهم عن حفظ حرمات الرسل ، ولنسألن المرسَلين عن الشفقة على الأمم .

---

(١) سقط عجز البيت من ك . الفدعاء : المراة أصاب رجلها زيغ واعوجاج يريد من كثرة مشيها وراء الابل . والعشار جمع عشراء وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر . وفي التنزيل . واذا العشار عطلت (شرح شواهد ابن عقيل)

٨ – قوله عز وجل (والوزْنُ يومئذٍ الحقُّ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الوزن ها هنا هو القضاء بالحق ، أي بالعدل ، قاله مجاهـد . (والثاني) أنه موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة . (والثالث) أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان ، قاله الحسن وطائفة .

واختلف من قال بهذا في الذى يوزن على ثلاثة أقاويل :

أحدها – أن الذى يوزن هو الحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة ، قاله الحسن والسدى .

والثاني – أن الذى يوزن صحائف الأعمال ، فأما الحسنات والسيئات فهى أعمال ، والوزن إنما يمكن في الأجسام ، قاله عبد الله بن عمر .

والثالث – أن الذى يوزن هو الإنسان ، قاله عبيد بن عمير ، قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة.

* (فمن ثقُلَتْ موازينُهُ فأولئك هم المفْلِحُونَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) معناه فمن قُضي له بالطاعة . (والثاني) معناه فمن كانت كفة حسناته أثقل من كفة سيئاته (والثالث) معناه فمن زادت حسناته على سيئاته .

« فأولئك هم المفلحون » يعنى بما لهم من الثواب ، وبضده إذا خفّتْ .

١٠– قوله عز وجل (ولقد مَكّنّاكم في الأرْضِ) فيه وجهان :

أحدهما – سهلنا عليكم التصرف فيها حتى وصلتم إلى مرادكم منها .

والثاني – ملّكناكم إياها حتى صرتم أحق بها .

(وَجَعَلْنا لكم فيها مَعايِشَ) فيه وجهان :

أحدهما – ما تعيشون به من نبات وحيوان .

والثاني – ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زِراعة أو عمل .

١١- قوله عز وجل : (ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم) فيه لأهل التأويل أربعة أقاويل : (أحدها) ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء ، قاله عكرمة . (والثاني) ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره ، قاله مجاهد . (والثالث) خلقناكم نطفا في أصلاب الرجال وترائب النساء ، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام ، وهو معنى قول الكلبي . (والرابع) خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشَقّ السمع والبصر ، قاله معمر .

* (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلاّ لله تعالى ، فكيف أمر به لآدم عليه السلام ؟ قيل : فيه لأهل العلم قولان : (أحدهما) أنه أمرهم بالسجود له تكرمة وهو لله تعالى عبادة . (والثاني) أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالى .

فإن قيل : فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته ، فكيف قال: «ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا» ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنه صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة اسجدوا . (والثاني) معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم بأنا قلنا للملائكة اسجدوا . (والثالث) أن في الكلام تقديما وتأخيرا ، وتقديره : ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم .

وفيه جواب رابع أنكره بعض النحويين وهو أن «ثم» هنا بمعنى الواو ، قاله الأخفش .

١٣- قوله عز وجل (قال فاهبِطْ منها) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه أهبط من السماء لأنه كان فيها ، قاله الحسن . (والثاني) من الجنة . < (والثالث) أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي استحقها بطاعة الله إلى المنزلة الدنية التي استوجبها بمعصيته ، قاله ابن بحر > (١).

(فما يكونُ لكَ أن تتكبّرَ فيها) وليس لأحد من(٢) المخلوقين أن يتكبر

(١) سقط من ق .
(٢) من : ليست في ك

فيها ولا في غيرها، وإنما المعنى : فما لمن يتكبر أن يكون فيها وإنما المتكبر في غيرها .

ــ وفي التكبر وجهان : (أحدهما) تكبر عن أمر الله أن يمتثله . (والثاني) تكبر عن آدم أن يسجد له .

* (فاخْرُجْ) فيها قولان : (أحدهما) من المكان الذى كان فيه من السماء أو الجنة . (والثاني) من جملة الملائكة الذين كان منهم أو معهم .

* (إنّك من الصاغِرين) فيه وجهان : (أحدهما) بالمعصية في الدنيا لأن العاصى ذليل عند من عصاه . (والثاني) بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل بالعذاب .

وفي هذا القول من الله تعالى لإبليس وجهان : (أحدهما) أنه قال ذلك على لسان بعض [1] الملائكة . (والثاني) أنه أراه معجزة تدله[2] على ذلك .

١٤ــ قوله عز وجل (قال أَنْظِرني إلى يوم يُبْعَثُونَ) فيه قولان :

أحدهما ــ أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البَعث وهو يوم القيامة .

والثاني ــ أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يذوق الموت ، فأجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهى النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة ، قاله الكلبي .

فإن قيل : فكيف قدر الله مدة أجله وفي ذلك إغواؤه بفعل المعاصِي تعويلا على التوبة في آخر الأجل ؟

قيل : قد علم الله من حاله أنه لا يتوب من معصيته بما أوجبه من لعنته بقوله تعالى « وأنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين » فجاز مع علمه بهذه الحال أن يقدر له مدة أجله ولو كان كغيره ما قدرت له مدة أجله [3] .

---

(١) بعض : زيادة من ق .

(٢) تدله : في ك له .

(٣) ســقط من ق

فإن قيل : كيف أقدم إبليس على هذا السؤال مع معصيته ؟ قيل : كما ينبسط الجاهل في سؤال ما لا يستحقه .

فإن قيل : فكيف أجاب الله سؤاله مع معصيته ؟ قيل : في إجابة دعاء أهل المعاصى قولان :

أحدهما — لا تصح إجابتهم لأن إجابة الدعاء تكرمة للداعى وأهل المعاصى لا يستحقون الكرامة ، فعلى هذا إنما أنظره الله تعالى وإن كان عقيب سؤاله ابتداء منه لا إجابة له .

والثاني — أنه قد يجوز أن تجاب دعوة أهل المعاصى على وجه البلوى وتأكيد الحُجّة ، فتكون إجابة المطيعين تكرمة ، وإجابة العصاة بلوى.

فإن قيل : فهل ينظر غير إبليس إلى الوقت الذى سأل وقد قال من المنظرين ؟ قيل : نعم وهو من لم يقض الله تعالى عليه الموت من عباده الذين تقوم عليهم الساعة .

١٦— قوله عز وجل : ﴿ قال فبما أغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لهم صِراطَكَ المسْتَقِيمَ ﴾ اختلف أهل العربية في معنى قوله « فبما أغويتنى » على قولين : (أحدهما) أنه على معنى القسم وتقديره : فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم . (والثاني) أنه على معنى المجازاة ، تقديره : فلأنك أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

واختلف أهل العلم في قوله « أغويتنى » على أربعة[1] أقاويل :
أحدها — معناه أضللتنى ، قاله ابن عباس وابن زيد
والثاني — معناه خيبتنى من جنتك < ومنه قول الشاعر > [2] :

فمنْ يلْقَ خيرا يحمدِ الناسُ أمْرَهُ ومن يَغْوِ لا يعدمْ على الغيّ لائما

أى ومن يَخِب .

والثالث — معناه عذبتنى كقوله تعالى « فسوف يَلْقَوْن

(١) في ق ثلاثة .
(٢) سقط من ق . والشاعر هو المرقش الاصغر واسمه ربيعة بن سفيان وهو عم طرفة إبن العبد وابن اخى المرقش الاكبر . والاصغر اشعرهما واطولها عمرا.

غَيّاً(١) » أى عذابا ، قاله الحسن.

والرابع – معناه أهلكتني بلعنك لى ، يقال غوى الفصيل إذا أشفى(٢) على الهلاك بفقد اللبن ، قال الشاعر :

مُعطَّفَةُ الأثناءِ ليس فصيلُها   برازئها دَرّاً ولا ميّتٍ غَوَى(٣)

وقوله « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » أى على صراطك المستقيم ، وفيه تأويلان : (أحدهما) طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة ، قاله ابن مسعود . (والثاني) طريق الحق ليصدّ عنها بالإغواء ، قاله مجاهد .

١٧– قوله عز وجل (ثم لآتينّهم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم ...) الآية . فيه أربعة تأويلات :

أحدها – « من بين أيديهم » أى أشككهم في آخرتهم . « ومِنْ خَلْفِهِم » أرغبهم في دنياهم . « وعن أَيْمانِهِم » أى من قِبَل حسناتهم . « وعن شمائلهم » من قبل سيئاتهم ، قاله ابن عباس(٤) .

والثاني – «من بين أيديهم» : من قبل دنياهم . «ومن خلفهم» : من قبل آخرتهم . «وعن أيْمانهم» : الحقّ أشككهم فيه . «وعن شمائلهم» : الباطل أرغبهم فيه ، قاله السدى وإبراهيم .

والثالث – « من بين أيديهم » « وعن أيْمانهم » : من حيث ينظرون . « ومن خلفهم » « وعن شمائلهم » : من حيث لا يبصرون ، قاله مجاهد .

والرابع – أراد من كل الجهات التى يمكن الاحتيال عليهم منها . ولم

(١) آية ٥٩ مريم .

(٢) في ك : أشـغل والصواب ما اثبتناه

(٣) في ك مقطعة الابناء وهو تحريف . وقد أنشده صاحب اللسان (غوى) وكذا ابن السكيت في اصلاح المنطق ، وابن الانبارى في شرح القصائد السبع الطوال ، ولم يذكروا قائله وقال في اللسان : ان غَوًى مصدر . ثم قال : يعنى القوس وسهما رمى به عنها ، وهذا من اللغز .

(٤) في ك : هـذا قول ابن عامر

يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تصده ، ولا من تحت أرجلهم لما فيه من التنفير ، قاله بعض المتأخرين .

< ويحتمل تأويلا خامسا — «من بين أيديهم» : فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة ، «ومن خلفهم» : فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية. « وعن أيْمانهم » : من قبل غناهم فلا ينفقونه في مشكور . « وعن شمائلهم » : من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور .

ويحتمل سادسا — « من بين أيديهم » : بسط أملهم « ومن خلفهم » : تحكيم جهلهم . « وعن أيمانهم » : فيما يُيسّر لهم . « وعن شمائلهم » : فيما تعسّر عليهم> [١] .

• ثم قال : (ولا تجدُ أكثَرَهـُم شاكرين) يحتمل وجهين : (أحدهما) شاكرين لنعمك . (والثاني) مقيمين على طاعتك .

فإن قيل : فكيف علم إبليس ذلك ؟ فعنه جوابان :

أحدهما — أنه ظن ذلك فصدق ظنه ، كما قال تعالى : «ولقد صدّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه»[٢] وسبب ظنه أنه لما أغوى آدم واستزله قال : ذرية هذا أضعف منه ، قاله الحسن .

والثاني — أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله.

١٨— قوله عز وجل : (قال اخرُجْ منها) يحتمل وجهين : (أحدهما) من حيث كان من جنة أو سماء . (والثاني) من الطاعة ، على وجه التهديد .

• (مذؤوما مدْحورا) في قوله « مذؤوما[٣] » خمسة تأويلات : (أحدهما) يعني مذموما ، قاله ابن زيد . وقرأ الأعمش « مذوما [٤] ». (والثاني) لئيما قاله الكلبي . (والثالث) مقيتا ، قاله ابن عباس . (والرابع) منفيا ، قاله مجاهد . (والخامس) أنه شدة العيب وهو أسوأ حالاً من المذموم ، قاله الأخفش[٥] . قال عامر بن جذامة :

---

(١) من قوله : ويحتمل تأويلا خامسا الى هنا سقط من ق .
(٢) آية ٢٠ سبأ .
(٣) في ك : ملموما ، وهو تحريف .
(٤) في الاصول ، ملموما والتصويب من تفسير القرطبي .
(٥) في ق : ابن الاخفش

جذامة لم يأخذوا الحق بـــل زاغت قلوبهم قبل القتال ذأمـــا

وأما المدحور ففيه قولان : (أحدها) المدفوع . (والثاني) المطرود قاله مجاهد والسدى .

١٩ــ قوله عز وجل (ويا آدمُ اسكُنْ أنْتَ وزَوْجُك الجَنّةَ) يعنى حوّاء . وفي الجنة التى أمر بسكناها قولان :

أحدهما ــ في جنة الخلْد التى وعد المتقون ، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثوابا فيخلد فيها ولا يخرج منها .

والثاني ــ أنها جنة من جنان الدنيا لا تكليف فيها وقد كان مكلفا .

• (فكُلا منْها حَيْثُ شِئْتُما) يحتمل وَجهين : (أحدهما) من حيث شئتما من الجنة كلها . (والثاني) ما شئتما من الثمار كلها لأن المستثنى بالنهى لمّا كان ثمرا كان المأمور به ثمرا.

• (ولا تَقْرَبا هذه الشجرة) قد ذكرنا [1] اختلاف الناس فيها < على ستة أقاويل : (أحدها) أنه البُرّ ، قاله ابن عباس . (والثاني) الكَرْم ، قاله السدى . (والثالث) التين ، قاله ابن جريج . (والرابع) شجرة الكافور ، قاله عليّ بن أبي طالب . (والخامس) شجرة العلم ، قاله الكلبي . (والسادس) أنها شجرة الخلد التى كانت تأكل منها الملائكة ، قاله ابن جدعان .

وحكى محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل ولا أعرف لهذا وجها [2] .

فإن قيل : فما وجه نهيهما عن ذلك مع كمال معرفتهما ؟

قيل : المصلحة في استدامة المعرفة ، والابتلاء بما يجب فيه الجزاء.

٢٠ــ قوله عز وجل (فوَسْوَسَ لهما الشيطانُ ليبْدِيَ لهما ...) أما الوسوسة

---

(١) ذكر ذلك في تفسير الاية ٣٥ من سورة البقرة غير أنه لم يذكر هناك القولين الرابع والخامس

(٢) سقط من ق . وورد في ك . وقد تركنا سطرا هنا لانه مضطرب لكن فحواه انهم قالوا ان الشجرة هي الحنظل للدلالة على مرارة أحوال الدنيا .

فهي إخفاء الصوت بالدعاء ، يقال وسوس له إذا أوهمه[١] النصيحة، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنى ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجّاج :

وَسْوَسَ يَدْعو مُخْلِصا رَبَّ الفَلَقْ سِرّا وقد أوَّنَ تأوين العُقُقْ

فإن قيل : فكيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو خارج عنها ؟

فعنه ثلاثة أجوبة هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل : (أحدها) أنه وسوس إليهما وهما في الجنة في السماء ، وهو في الأرض ، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم إلى الجنة ، قاله الحسن . (والثاني) أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه فيلقاهما هناك . (والثالث) أنه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها .

* (.. وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أنْ تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا من الخالدين) وهذا هو الذى ألقى به[٢] من الوسوسة إليهما استغواءً لهما بالترغيب في فضل المنزلة ونعيم الخلود .

فإن قيل : هل تصورا ذلك مع كمال معرفتهما ؟

قيل : إنما كملت معرفتهما بالله تعالى لا بأحكامه .

وفي قول إبليس ذلك قولان : (أحدهما) أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله جائز أن يقلب صورتهما إلى صور الملائكة وأن يخلدهما في الجنة . (والثاني) أنه أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب[٣] الصور لا يجوز .

٢١– قوله عز وجل (وقاسَمَهما إني لكُما لَمِنَ الناصِحِينَ) أى حلف لهما على صدقه في خبره ونصحه في مشورته، فقبلا قوله وتصورا صدقه لأنهما لم يعلما أن أحدا يجترىء على الحلف بالله كاذبا .

ويحتمل وجها آخر – أن يكون معنى قوله «وقاسَمَهما» أى قال لهما : إن كان ما قلته خيرا فهو لكما دوني وإن كان شرا فهو عليّ دونكما،

---

(١) سقطت من ك .
(٢) به من : سقط من ق .
(٣) سقطت من ق

ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما ، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور لتنتفى عنه التهمة ويسرع إليه القبول.

٢٢ــ قوله عز وجل (فدّلاهما بغُرورٍ) معناه فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية .

فإن قيل : فهل علما عند أكلها أنها معصية ؟

قيل : لا ، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر ، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور

• (فلمّا ذاقا الشجرةَ بَدَتْ لهما سَوْآتُهما) فإن قيل:فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟ — ففى ذلك (ثلاثة أجوبة) : [1] (أحدها) أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف السّتر عنهما بالمعصية . (والثاني) أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذلّ المهانة . (والثالث) أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكنى الجنة ، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة .

• (وطفِقا يَخصِفان عليهما مِنْ وَرَق الجَنّة) في « وطفقا » وجهان : (أحدهما) قاما يخصفان،قاله ابن بحر. (والثاني) جعلا يخصفان ، أى يقطعان.

« من ورق الجنة » وفيه قولان : (أحدهما) ورق الموز. (والثاني) ورق التين ، قاله ابن عباس .

٢٤ــ قوله عز وجل (قال اهبِطُوا بَعْضُكم لبعْضٍ عَدُوٌّ) فإن قيل : فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع من السجود لآدم ، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنه خبر عن هبوطهم مع تفرقهم وإن خرج مخرج الأمر ، قاله السدى . (والثاني) أنهم آدم وحواء والحية

(١) في الاصل جوابان احدهما وهو ســهم

فكانوا جماعة ، قاله أبو صالح . (والثالث) أنهم آدم وحواء والوسوسة، قاله الحسن .

< فهبط آدم بأرض الهند على جبل يقال له واسم ، وهبطت حواء بجدة ، وهبطت الحية بأصفهان .

وفي مهبط إبليس قولان : (أحدهما) بالأبلة . (والثاني) بالمدار.

وقيل : اسكنهما الجنة لثلاث ساعات خلت من يوم الجمعة ، واخرجهما لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم > [١] .

* (ولكم في الأرض مستقر ومتاعٌ إلى حِينٍ) أما المستقر ففيه وجهان: (أحدهما) أنه فِعْل الاستقرار (والثاني) أنه موضع الاستقرار[٢] ، قاله أبو صالح .

وأما المتاع فهو المنتفع به من عُروض الدنيا التى يستمتع بها .

وقوله «إلى حين» يعنى إلى انقضاء الدنيا ، والحين وقت مجهول القدر ينطلق على طويل الزمان وقصيره وإن كان موضوعا في الأغلب للتكثير . قال الشاعر:

وما مِزاحُك بعْدَ الحِلْمِ والدِّين وقد علاكَ مَشيبٌ حينَ لاحِين

أى وقت لا وقت .

٢٦– قوله عز وجل : (يا بَني آدمَ قدْ أنزَلْنا عليكم لِباساً يُوارِي سَوْآتِكمْ) نزلت هذه الآية في قوم[٣] من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون[٤] أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة .

(١) من فهبط آدم الى هنا سقط من ق .

(٢) سقط من ق والمراد من فعل الاستقرار انه مصدر ميمى ومن موضع الاستقرار انه اسم مكان .

(٣) في ق : ناس .

(٤) في ك : ويرو .

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان : (أحدهما) أن الثياب قد دنّستها المعاصى فخرجوا عنها . (والثاني) تفاؤلاً بالتعرى من الذنوب فقال الله تعالى : « قد أنزلنا عليكم لباسا » أى ما تلبسون من الثياب.

فإن قيل : فليس ذلك بمنزل [١]من السماء .

فعنه جوابان : (أحدهما) أنه لما كان ينبت من المطر الذى ينزل من السماء صار كالمنزل من السماء ، قاله الحسن . (والثاني) أن هذا من بركات الله [٢]، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء ، كما قال تعالى[٣] : « وأنزلنا الحديد »[٤] .

ثم قال : « يُوارِي سَوْآتِكم » أى يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبَها انكشافُها .

ثم قال (ورِيشاً) وهذه قراءة أهل الأمصار وكان الحسن يقرأ «ورِياشا». وفيه أربعة تأويلات :

أحدها — أنه المعاش ، قاله معبد الجهنى .

والثاني — أنه اللباس والعيش والنعيم ، قاله ابن عباس .

والثالث — أنه الجمال والزينة ، قاله ابن زيد . ومنه قول رؤبة :

إليك أشـــكو شدة المعيش وجهْد أعْوامٍ نَتَفْنَ ريشى

يريد : أذهبن جمالى وزينتى .

والرابع — أنه المال ، قاله ابن الزبير ومجاهد . قال الشاعر : [٥]

فريشيَ منكمُ وهَوايَ مَعْكم وإنْ كانت زيارتُكم لِماما

وفي الريش والرياش وجهان:(أحدهما) أن معناهما واحد وإن اختلف

---

(١) في ق بمنزلـه وفي ك منزل .

(٢) في ك : بركات الســماء

(٣) في ك : كقوله .

(٤) آية ٢٥ الحديد .

(٥) سـقط من ق . وهذا البيت لجرير بن عطية من قصيدة له يمـدح فيهـا هشام بـن عقيل شاهدا على تسكين عين « مـع » .

لفظهما . (والوجه الثاني) أن معناهما مختلف ، فالريش ما بطن والرياش ما ظهر .

• ثم قال (ولباسُ التَّقْوَى ذلك خَيْرٌ) وفي لباس التقوى سبعة[1] تأويلات : (أحدها) أنه الإيمان ، قاله قتادة والسدى . (الثاني) الحياة ، قاله معبد الجهنى (والثالث) أنه العمل الصالح ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنه السمت الحسن ، قاله عثمان بن عفان . (الخامس) خشية الله ، قاله عروة ابن الزبير . (السادس) ستر العورة للصلاة التى هى[2] التقوى ، قاله ابن زيد . < (السابع) لبس ما يتقى به الحر والبرد ، قاله ابن بحر >[3] .

وفي قوله « ذلك خير » وجهان :

أحدهما — أنه راجع إلى لباس التقوى ومعنى الكلام أن لباس التقوى خير من الرياش واللباس[4] ، قاله قتادة والسدى.

والثاني — أنه راجع إلى جميع ما تقدم من « قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتِكم ورِيشاً ولباسُ التقوى » ثم قال :«ذلك»الذى ذكرته هو«خير»كله.

٢٧— قوله عز وجل (يا بَنِي آدمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخرج أبَوَيْكُم من الجنة) وهذا خطاب توجه إلى مَنْ كان من العرب يطوف بالبيت عريانا ، فقيل لهم لا يفتننكم الشيطان بغروره كما فتن أبويكم من قبل حتى أخرجهما من الجنة. ليكون إشعارهم[5] بذلك أبلغ في الزجر من مجرد النهى .

(يَنزِعُ عنهما لِباسَهُما) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن لباسهما كان أظفارا تستر البدن فنزعت عنهما وتركت زينة وتبصرة[6] ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن لباسهما كان نورا ، قاله وهب بن منبه . (والثالث) أنه نزع عنهما لباسهما من تقوى الله وطاعته ، قاله مجاهد .

---

(١) في ق : ستة .
(٢) سقط من ق .
(٣) سقط من ق
(٤) سقطت من ك
(٥) في ك : اشعاره
(٦) في ق : وتذكرة

< (ليُرِيَهُما سَوْآتِهما) فيه قولان : أحدهما [سوأة] أجسادهما من العورة حين خرجا من لباسهما ، وهو مقتضى قول ابن عباس . (والثاني) سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله وطاعته ، وهو معنى قول مجاهد.

* (إنه يَراكُمْ هو وقَبيلُهُ مِن حيثُ لا ترَوْنَهم) فيه وجهان : (أحدهما) أن [قبيلَهُ] قومُه ، وهو قول الجمهور . (والثاني) جِيلُهُ ، قاله السدى .

« مِن حيث لا ترونهم » يحتمل وجهين : (أحدهما) من حيث لا تبصرون أجسادهم . (والثاني) من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم>. (١)

٢٨- قوله عز وجل (وإذا فَعَلوا فاحِشةً قالوا وجَدْنا عليها آباءَنا) في هذه الآية ثلاثة أقاويل (٢) :

أحدها - أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة ، والفاحشة التي فعلوها كشف العورة ، وهذا قول أكثر المفسرين.

والثاني - أنها في عبدة الأوثان ، والفاحشة التي فعلوها الشرك ، قاله الحسن .

والثالث(٣) - أنها اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله الكلبي .

٢٩- قوله عز وجل : (قل أمَرَ ربّي بالقِسْط) < فيه وجهان : (أحدهما) بالصدق . (والثاني)> (٤) بالعدل .

* (وأقيموا وُجوهَكم عِنْد كلِّ مَسْجِدٍ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها - معناه توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله مجاهد.

والثاني - معناه اجعلوا سجودكم خالصا لله تعالى دون ما سواه من الأوثان والأصنام ، قاله الربيع بن أنس .

(١) من « ليريهما سوآتهما » الى هنا سقط من ق .
(٢) في ق : قولان احدهما .
(٣) سقط من ق .
(٤) سقط من ق .

< والثالث – معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة [فهذا] أمر بالجماعة لها ندبا عند الأكثرين وحتما عند الأقلين .

والرابع – أن أي موضع أدركتَ فيه وقتَ الصلاة فصلِّ فيه فإنه مسجد ولا تؤخرها إلى حضور المسجد > [١] .

* (وادعوه مُخْلِصِينَ له الدِّين) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعني أقرّوا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة . (والثاني) ارغبوا إليه في الدعاء بعد [٢] إخلاصكم له الدين .

* (كما بدأكم تَعُودُون) فيه أربعة[٣] أقاويل :

أحدها – كما بدأكم شقيا وسعيدا كذلك تبعثون يوم القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني – كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم كذلك تبعثون يوم القيامة. روى أبو سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تبعث كل نفس على ما كانت عليه .

والثالث – كما خلقكم ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون بعد الفناء أحياء ، قاله الحسن وابن زيد .

والرابع – كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيامة .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يُكسَى إبراهيم عليه السلام. ثم قرأ « كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده وعْداً علينا إنا كنا فاعلين[٤] » .

٣١– قوله عز وجل (يا بني آدم خُذوا زينتكم عند كل مسجد) فيه أربعة أقاويل :

أحدها – أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره، قاله ابن عباس والحسن وعطاء وقتادة وسعيد بن جبير وإبراهيم .

---

(١) سقط من ق

(٢) سقطت من ك .

(٣) في ق ثلاثة

(٤) آية ١٠٤ الانبياء . وهذا الحديث رواه مسلم الى عراة غرلا ، عن عائشة . وفيه بعد ذلك فقلت يارسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : ياعائشة الامر اشد من أن ينظر بعضهم الى بعض . انظر الحديث رقم ١٩٥٠ مختصر صحيح مسلم .

والثاني – أنه وارد في ستر العورة في الصلاة ، قاله مجاهد والزجاج .

والثالث – أنه وارد في التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد .

والرابع – أنه أراد به المشط لتسريح اللحية.

• (وكُلُوا واشرَبُوا) يعنى ما أحله الله لكم .

ويحتمل أن يكون هذا أمرا بالتوسع في الأعياد .

• (ولا تُسْرِفوا إنه لا يُحبُّ المسْرِفِينَ) فيه ثلاثة [1] تأويلات :

أحدها – لا تسرفوا في التحريم ، قاله السدى .

والثاني – معناه لا تأكلوا حراما فإنه إسراف ، قاله ابن زيد .

والثالث – لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر . وقد جاء في الحديث : أصل كل داء البردة . يعنى التخمة .

ويحتمل تأويلا رابعا – لا تسرفوا في الإنفاق .

وقوله : «إنه لا يحب المسرفين» يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يحب أفعالهم في السرف (والثاني) لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف .

٣٢– قوله عز وجل (قل مَن حرّم زينَةَ اللهِ التى أَخرَجَ لعباده) يعنى ستر العورة ردا على من تركها من العرب في الطواف .

ويحتمل ثانيا – أن يريد زينتها في اللباس .

• ثم قال (والطيِّباتِ مِن الرِّزْقِ) فيه قولان : (أحدهما) أنهم كانوا يحرّمون في الإحرام أكل السمن واللبن ، قاله ابن زيد والسدى . (والثاني) أنها البحيرة والسائبة التى حرموها . على أنفسهم ، قاله الحسن وقتادة .

وفي طيبات الرزق قولان : (أحدهما) أنه المستلذ . (والثاني) أنه الحلال.

• (قل هي للذين آمَنُوا في الحياةِ الدنيا خالِصةً يومَ القيامةِ) يعنى

---

(١) في ق تأويلات احدهما .

أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا لهم الطيبات من الرزق خالصة يوم القيامة لأنهم في القيامة يختصون بها وفي الدنيا قد يشركهم الكفار فيها .

وفي قوله خالصة يوم القيامة وجهان (أحدهما) خالصة لهم من دون الكفار . (والثاني) خالصة من مضرة أو مأثم .

٣٣- قوله عز وجل (قل إنما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ) فيه وجهان : (أحدهما) أن الفواحش: الزنى خاصة، وما ظهر منها: المناكح الفاسدة ، وما بطن: الزنى الصريح . (والثاني) أن الفواحش: جميع المعاصي وما ظهر منها: أفعال الجوارح ، وما بطن: اعتقاد القلوب .

* (والإثْمَ والبَغْيَ بغيْرِ الحق) فيه وجهان : (أحدهما) أن الإثم الخيانة في الأمور ، والبغي : التعدى على النفوس . (والثاني) الإثم : الخمر والبغي : السكر. قال الشاعر :

شربتُ الإثم حتى ضَلَّ عَقْلي كذاكَ الإثمُ تَذْهبُ بالعُقولِ

وسمى الخمر بالإثم والسكر بالبغي لحدوثه عنهما .

٣٤- قوله عز وجل (ولكلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها - ولكل أمةٍ كتابٌ فيما قضاه الله عليهم من سعادة أو شقاوة، من عذاب أو رحمة، قاله جويبر .

الثاني - ولكلِّ نبيٌّ يدعوهم إلى طاعة الله وينهاهم عن معصيته ، قاله معاذ بن جبل .

والثالث - لكل أمةٍ أجلُ فيما قدره الله من حياة، وقضاه عليهم من وفاة .

ويحتمل رابعا - ولكل أمةٍ مدةٌ يبقون فيها على دينهم أن يحدثوا فيه الاختلاف .

* (فإذا جاء أجَلُهم) فيه قولان : (أحدهما) أجل موتهم . (والثاني) أجل عذابهم ، قاله جويبر .

* (لا يستأخِرونَ ساعةً ولا يستَقْدِمونَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص . (والثاني) لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر . [١]

٣٧ــ قوله عز وجل : (... أولئك ينالُهم نَصيبُهمْ مِن الكِتابِ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها ــ هو عذاب الله الذى أعده لمن أشرك ، قاله الحسن والسدى.

والثاني ــ ما سبق لهم من الشقاء والسعادة ، قاله ابن عباس .

والثالث ــ نصيب من كتابهم الذى كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التى عملوها في الدنيا من خير أو شر ، قاله قتادة .

والرابع ــ نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل ، قاله الربيع ابن أنس وابن زيد .

والخامس[٢] ــ نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ، قاله الضحاك .

* (حتى إذا جاءتهم رسلُنا يتوفَّوْنَهم) في تَوَفِّي الرسل لهم هنا قولان: (أحدهما) أنها وفاة الموت في الدنيا التى توبخهم عندها الملائكة . (والثاني) أنها وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة ، قاله الحسن .

٣٨ــ قوله عز وجل (... حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً) يعنى في النار أدرك بعضهم بعضا حتى استكملوا فيها .

* (قالت أخْراهم لأُولا هُمْ) يعنى الأتباع للقادة لأنهم بالاتّباع لهم متأخرون عنهم ، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع .

* (ربّنا هؤلاءِ أضَلُّونا فآتِهِمْ عَذاباً ضِعفاً مِنَ النارِ) يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر ، وبالآخر عذابهم على الإغواء.

ويحتمل هذا القول من الأتباع وجهين (أحدهما) تخفيف العذاب عنهم. (والثاني) الانتقام من القادة بمضاعفة العذاب عليهم .

(١) من : قل انما حرم الى هنا سقط من ق

(٢) سقط من ك وجاء رابعا في ق .

• فأجابهم الله (قال : لكلٍّ ضِعْفٌ) يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب ، لأن أحدهما بالكفر والآخر بالإغواء ، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب ، وهذا قول الجمهور . وإن ضعف الشيء زيادة مثله .

وفيه وجه ثان، قاله مجاهد ، أن الضعف من أسماء العذاب (١) .

٤٠ـ قوله عز وجل (إنّ الذين كَذَّبوا بآياتِنا واسْتَكْبَروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبْوابُ السماءِ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أي لا تفتح لأرواحهم لأنها لا تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن ، قاله ابن عباس والسدى. (والثاني) لا تفتح لدعائهم ، قالـه الحسن . (والثالث)(٢) لا تفتـح لأعمالهم ، قاله مجاهد وإبراهيم . (والرابع) لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء ، وهذا قول بعض المتأخرين . (والخامس) لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم(٣) قاله ابن بحر .

• (ولا يدخلون الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ) فيه قولان: (أحدهما) سم الخياط : ثقب الإبرة ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والسدى . (والثاني) أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي ثقبه(٤) .

وفي «الجمل» قراءتان : (إحداهما) وعليها الجمهور ؛ الجَمَل بفتح الجيم وتخفيف الميم وهو ذو القوائم الأربع . (والثانية) الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو القِلس الغليظ ، وهذه قراءة سعيد بن جبير وإحدى قراءتي ابن عباس ، وكان ابن عباس يتأول أنّه حبل السفينة .

---

(١) من : حتى اذا ادركوا الى هنا سـقط من ق .

(٢) سـقط من ق

(٣) في ق : لاتفتح لاوراقهم وأعمالهم ، قاله ابن جريج . وخير من هذه الاقوال كلها ما ورد في حديث عن البراء بن عازب وفيه عن قبض روح الكافر : ويخـرج منهـا ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الارض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هـذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون فلان بن فلان باقبح أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تفتح لهم أبواب السماء » الآية .
رواه أحمد وابو داود باسناد حسن . وذكره القرطبى في التذكرة .

(٤) في الاصول : الحفيه ولا معنى له .

< ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبدا كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبدا . وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفى ، والعرب تضرب هذا للمبالغة ، قال الشاعر :

إذا شابَ الغُرابُ أتيتُ أهْلي وعاد القارُ كاللّبنَ الحليبِ> (١)

٤١– قوله عز وجل (لهم مِنْ جهنّمَ مِهادٌ) قال الحسن : فراش من نار ، والمِهاد : الوطاء(٢) ، ومنه أخذ مهد الصبي .

• (ومِنْ فَوْقِهم غَواشٍ) فيها ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها اللحُف. (والثاني) اللباس . (والثالث) الظُلَل ، قاله الحسن .

<والمراد بذلك أن النار من فوقهم ومن تحتهم ، فعبر عما تحتهم بالمهاد، وعما فوقهم بالغَواشِ> .(٣)

٤٣– قوله عز وجل : (ونَزَعْنا ما في صُدورِهم مِن غِلٍّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) الأهواء والبدع ، قاله سهل بن عبد الله . (والثاني) التباغض والتحاسد (والثالث) الحقد . (والرابع) نُزِع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم.

وفي نزعه وجهان : (أحدهما) أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه. (والثاني) أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذى نزعه من صدورهم .

وفي هذا الغل قولان : (أحدهما) أنه غل الجاهلية ، قاله الحسن. (والثاني) أنهم لا يتعادَون ولا يتحاقدون بعد الإيمان . وقد روى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم : « ونزعنا ما في صدورهم من غل» .

وقيل: إنها نزلت في أهل بدر .

• ويحتمل قوله (وقالوا الحمْدُ لله الذى هَدانا لهذا) وجهين : (أحدهما) هدانا لنزع الغل من صدورنا . <(٤) (والثاني) هدانا لثبوت الإيمان في

(١) سقط من ق
(٢) الوطاء بفتح الواو ما يفترش .
(٣) سقط من ق
(٤) سقط من ك .

قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا > .

وفيه وجه ثالث ، قاله جويبر : هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة .

٤٦ــ قوله عز وجل (... وعلى الأعْرافِ رِجالٌ يعرفون كُلّاً بسيماهم) أما الأعراف فسور بين الجنة والنار ، قاله مجاهد والسدى . وهو جمع واحده عُرْف وهو ما ارتفع عن غيره ، ومنه عرف الديك وعرف الفرس قال الراجز :

كل كتابٍ لجمْعِه مُوافي كالعَلَم المُوفي على الأعْراف

وفي الذين على الأعراف خمسة أقاويل :

أحدها ــ أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم ، قاله الحسن ومجاهد ، قال أمية بن أبي الصلت :

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنة حفها الرمان والخضرُ

وهذا وإن كان شعرا جاهليا وحال الأعراف منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين : (أحدهما) أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية . (والثاني) أن يكون الله قد أنطق به أمية إلهاما لتصديق ما جاء به القرآن .

والثاني ــ أنهم ملائكة يرون في صور الرجال ، قاله أبو مجلز .

والثالث ــ أنهم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس ، قاله حذيفة .

والرابع ــ أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضى الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة ، قاله ابن مسعود .

والخامس ــ أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم قيل إنهم غزوا بغير إذنهم . وقد روى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال :

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم ، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ، ومنعهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة .

ومعنى قوله « يعرفون كلا بسيماهم » يعنى [يعرفون] أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها ، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم . قال الحسن البصرى : علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون .

<(١) فإن قيل في أصحاب الأعراف :إنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها ، ويرون عذاب النار فيفرحون بالخلاص منها .

وإن قيل:إنهم المفضولون وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة .

وإن قيل: إنهم الملائكة احتمل أمرهم ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن يؤمروا بذلك حمدا لأهل الجنة وذما لأهل النار وزيادة في الثواب والعقاب .

والثاني ــ أن يكونوا حفظة الأعمال في الدنيا الشاهدين بها عند الله في الآخرة أمروا بذلك،ما أدوه من الشهادة،تبشيراً لأهل الجنة وتوبيخا لأهل النار .

والثالث ــ أن يكونوا خزنة الجنة والنار ، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة ، ومنهم من أفرد لخزنة النار ، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين . والله أعلم بغيب ذلك .

وحكى ابن الأنبارى أن قوله « وعلى الأعراف رجال » معناه على معرفة أهل الجنة والنار رجال ، وأن قوله « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم » . الآية من قول أصحاب الأعراف ، وهو مخالف لقول جميع المفسرين > .

(١) من هنا الى "وهو مخالف لقول جميع المفسرين" سقط من ق

٤٨ــ وفي قوله (ونادَى) وجهان : (أحدهما) أنه بمعنى ينادى ، لأنه في المستقبل . (والثاني) أنه على الحذف وتقديره : إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الأعراف .

٥٠ــ قوله عز وجل : (... أنْ أفِيضوا علينا مِن الماءِ أو ممّا رَزَقَكم اللهُ) فيه وجهان : (أحدهما) من ماء الرحمة ومما رزقكم الله من القربة . (والثاني) من ماء الحياة ومما رزقكم الله من النعم .

٥٢ــ قوله عز وجل : (ولقد جئناهم بكتابٍ) يعنى القرآن .

* (فَصَّلْناه على عِلْمٍ) فيه وجهان : (أحدهما) بيّنا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة . (والثاني) ميزنا به الهدى من الضلالة على علم بالثواب والعقاب .

* (هُدىً ورحْمةً) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن الهدى البرهان . (والثاني) أن الهدى الإرشاد ، والرحمة[1] : اللطف.

٥٣ــ قوله عز وجل : (هل يَنْظُرون إلا تأويلَه) أى هل ينتظرون ، فعبر عن الانتظار بالنظر . « إلا تأويله » أى تأويل القرآن ، وفيه وجهان : (أحدهما) عاقبته من الجزاء ، قاله الحسن . (والثاني) ما فيه من البعث والنشور والحساب.

* (يومَ يأتي تأويلُه) فيه وجهان : (أحدهما) القضاء به ، قاله الحسن . (والثاني) عاقبة ما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة ، قاله الكلبي .

* (يقولُ الذين نَسُوه مِن قَبْلُ) فيه قولان : (أحدهما) معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسى ، قاله أبو مجلز . (والثاني) تركوا العمل به ، قاله الزجاج .

* (قد جاءت رسُلُ ربنا بالحق) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة . (والثاني) الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب والعقاب .

٥٤ــ قوله عز وجل (إنّ ربّكم اللهُ الذى خلَقَ السمواتِ والأرضَ

(١) من : أن افيضوا علينا الى هنا سقط من ق

في ستة أيام) وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة[١] أوجه :

أحدها — أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالا بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات،بما ينشئه من المخلوقات،تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته .

والثاني — أن ذلك لاعتبار الملائكة ، خلق شيئاً بعد شيء .

والثالث — أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها ، قاله مجاهد .

< والرابع — ليعلمنا بذلك الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر[٢] > .

• (ثم استوى على العرش) فيه قولان : (أحدهما) معناه استوى أمره على العرش ، قاله الحسن . (والثاني) استولى على العرش ، كما قال الشاعر[٣]

قد استوى بِشْرٌ على العـــراق   مِنْ غَيْرِ سيْفٍ ودمٍ مُهراق

وفي « العرش » ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة ، حكاه ابن بحر .

والثاني — أنه السموات كلها لأنها سقف ، وكل سقف عند العرب هو عرش ، قاله الله تعالى « خاوية على عروشها » أي على سقوفها .

والثالث — أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها ، محجوب عن ملائكة السماء .

• (يُغْشي الليلَ النهارَ) أي يغشى ظلمة الليل ضوء النهار .

---

(١) في ق ثلاثة .

(٢) سقط من ق

(٣) هو الاخطل كما في شرح القاموس

• (يَطْلُبُهُ حَثِيثا) لأن سرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه .

• (والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمْره) يحتمل وجهين : (أحدهما) مذللات بقدرته . (والثاني) جاريات بحكمه .

• (ألا له الخلْقُ والأمْرُ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه مالك الخلق وتدبيرهم . (والثاني) إليه إعادتهم وعليه مجازاتهم .

٥٥ـ قوله عز وجل (ادْعُوا ربكم تضرعا وخُفْيةً) فيه وجهان : (أحدهما) في الرغبة والرهبة ، قاله ابن عباس . (والثاني) التضرع : التذلل والخضوع. والخفية : إخلاص القلب .

ويحتمل أن التضرع بالبدن . والخفية إخلاص القلب .

• (إنه لا يُحِبُّ المعْتَدين) يعني في الدعاء . والاعتداء فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء ، قاله أبو مجلز. (والثاني) أن يدعو باللعنة والهلاك على من لا يستحق ، قاله مقاتل . (والثالث) أن يرفع صوته بالدعاء . روى أبو عثمان النهدى[1] عن أبي موسى الأشعرى قال : كنا[2] مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة «فأشرفوا على واد، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس اربَعُوا على أنفسكم،إنكم لا تدعون أصَمّ ولا غائبا إنكم تدْعون سميعا قريبا وهو معكم .

٥٦ـ قوله عز وجل : (ولا تُفْسِدوا في الأرضِ بَعْدَ إصْلاحِها) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان . (والثاني) لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل . (والثالث) لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة ، قاله الكلبي . (والرابع) لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه ، قاله الحسن .

---

(١) في الاصول الهندى وصوابها : النهدي .

(٢) في الاصول كان النبى .

(٣) ليس في مسلم : « فاشرفوا على واد » . بل « فجعل الناس يجهرون بالتكبير . انظر الحديث رقم ١٨٩٣ مختصر صحيح مسلم

* (وادْعُوه خَوْفاً وطمعاً) يحتمل وجهين : (أحدهما) خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه . (والثاني) خوفا من الرد وطمعا في الإجابة .

* (إنّ رحمةَ الله قريبٌ مِن المحْسِنينَ) فإن قيل : فلم اسقط الهاء من قريب والرحمة مؤنثة ؟

فعَن ذلك جوابان : (أحدهما) أن الرحمة من الله إنعام منه فذكر على المعنى وهو أن إنعام الله قريب من المحسنين ، قاله الأخفش . (والثاني) أن المراد به مكان الرحمة ، قاله الفراء ، كما قال عروة بن حزام :

عَشِيّةَ لا عفراءُ منك قريبةٌ فتدنو ولا عفراءُ منك بعيدُ

فأرادَ بالبعيد مكانها فاسقط الهاء ، وأرادها هي بالقريبة فأثبت الهاء.

٥٨ــ قوله عز وجل : (والبَلَدُ الطيّبُ) يعنى طيب التربة .

* (يَخْرُجُ نَبَاتُه بإذْنِ رَبّه) يعنى يخرج نباته حسنا جيدا .

* (والذى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً) فيه قولان : (أحدهما) أن النكد القليل الذي لا ينتفع به ، قاله السدى . والثاني أنه العسر بشدته المانع من خيره ، قال الشاعر :

واعط ما أعطيتــه طيّبــا لا خير في المنــكود والناكــد

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ، فجعل المؤمن كالأرض الطيبة والكافر كالأرض الخبيثة السبخة ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدى .

٦٩ــ قوله عز وجل (... وزادَكُمْ في الخلْقِ بَسْطَةً) فيها قولان : (أحدهما) القوة ، قاله ابن زيد . (والثاني) بسط البدن وطول الجسد . قيل إنه كان أقصرهم طولا اثنى عشر ذراعا .

* (فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ) معناه نعم الله، قال الشاعر :

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلَى

٧١ـ قوله عز وجل (قال قدْ وقعَ عليكم مِن ربكم رِجْسٌ وغَضَبٌ) في الرجس ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه العذاب ، قاله زيد بن أسلم . (والثاني) السخط ، قاله ابن عباس . (والثالث) أن >(١) الرجس والرجز بمعنى واحد إلا أن الزاى قلبت سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر :

ألا لحَى اللهُ بنِى السعــلاةِ عمرَو بنَ يربوع لئامَ النــاتِ

ليسوا بأعفــافٍ ولا أكْيــاتِ

يريد: الناس، وأكياس .

قوله عز وجل (... في أسماءٍ سميتموها) يعنى الأصنام ، وفي مراده بتسميتهم وجهان : (أحدهما) فيَ تسميتها آلهة يعبدونها . (والثاني) أنه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر ، والآخر أنه يأتيهم بالرزق ، والآخر أنه يشفى المريض ، والآخر أنه يصحبهم في السفر .

وقيل إنه ما أمرهم هود إلا بتوحيد الله والكف عن ظلم الناس فأبوا وقالوا: مَن أشد منا قوة فأهلكوا .

٧٣ـ قوله عز وجل (... هذه ناقةُ اللهِ لكم آيةً) في الآية هنا وجهان :

أحدهما ـ أن الآية الفرض كما قال تعالى : «وأنزلنا فيها آياتٍ» أى فروضا ، ويكون معنى : الكلام هذه ناقة الله عليكم فيها فرض أن تذروها «تأكلْ في أرضِ الله ولا تمسّوها بسوءٍ» أى لا تعقروها .

والثاني ـ أنها العلامة الدالة على قدرته .

والآية فيها آيتان :

إحداهما ـ أنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التى طلبوها .

(١) من : فاشرفوا على واد الى هنا سقط من ك وهو بمقدار ورقة من ق .

والثانية – أنه كان لها شِرْب يوم ، ولهم شِرْب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم . حكى ذلك عن أبي الطفيل والسدى وابن اسحاق .

٧٤– قوله عز وجل (... وبَوّأكم في الأرْضِ) فيه وجهان (أحدهما) يعني أنزلكم في الأرض وهي أرض الحجر بين الشام والمدينة . (والثاني) فيها من منازل تأوون إليها ، ومنه قولهم : بوأته منزلا ، إذا أمكنته منه ليأوى إليه ، قال الشاعر :

وبُوّئت في صميم معشرها فتم في قومها مُبَوَّؤُهـا

أى مكنت من الكرم في صميم النسب .

• (تتّخذُون مِنْ سُهولِها قُصُوراً) والقصور ما شيد وعلا من المنازل اتخذوها في سهول الأرض ليصيّفوا فيها .

• (وتَنحِتون الجبالَ بُيوتاً) لتكون مساكنهم في الشتاء لأنها أحصن وأبقى وأدفأ فكانوا طوال الآمال طوال الأعمار .

• (فاذكُروا آلاءَ الله) فيه ما قدّمنا أى نعمه أو عهوده .

• (ولا تَعْثَوْا في الأرض مُفْسِدِين) فيه وجهان : (أحدهما) لا تعملوا فيها بالمعاصي . (والثاني) لا تدعوا إلى عبادة غير الله .

وفي العَيْث[1] وجهان: (أحدهما) أنه السعى في الباطل . (والثاني) أنه الفعل المؤدي لضير فاعله .

٧٨– قوله عز وجل (فأخَذَتْهم الرّجْفَةُ) فيها ثلاثة[2] أقاويل : (أحدها) أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم . (والثاني) أنها الصيحة ، قاله مجاهد والسدى . (والثالث) أنها زلزلة أُهلكوا بها ، قاله ابن عباس .

• (فأصْبَحوا في دارِهم جاثمين) قال محمد بن مروان السدى : كل ما في القرآن من « دارهم » فالمراد به مدينتهم ، وكل ما فيه من « ديارهم »

---

(١) يقال عثي يعثى عثيا ، وعثا يعثوا عثوا ، وعاث يعيث عيثا وعيوثا وعيانا ، والاول لغة القرآن .

(٢) في ك قولان احدهما . وجعل الاول والثالث قولا واحدا

فالمراد به[1] مساكنهم . وفي الجاثم قولان : (أحدهما) أنه البارك على ركبتيه لأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال . (والثاني) معناه أنهم أصبحوا كالرماد الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم . < وقيل : إنه كان بعد العصر .

* (فتولى عنهم) أى خرج من بين أظهرهم . وقيل إن صالحا خرج عنهم إلى رملة[2] فلسطين بمن آمن معه من قومه وهم مائة وعشرة . وقيل إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها[3] > .

٨٢ـ < قوله عز وجل (... إنهم أناس يتطهرون) فيه وجهان : (أحدهما) من إتيان الأدبار . (والثاني) يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار . قال الشاعر :

قومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزِرَهم   دُونَ النساء ولو باتَتْ بأطهارِ

٨٣ـ (فأنجيناه وأَهْلَهُ) فيه وجهان (أحدها) فخلصناه . (والثاني) على نجوة من الأرض . وقيل إن أهله ابنتاه واسمهما زينا ورميا .

* (من الغابرين) فيه ثلاثة أوجه : (أحدهما) من الباقين في الهلكى . والغابر الباقي ، ومنه قول الراجز [4] :

فما وَنَى محمدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ   له الإلهُ ما مضى وما غَبَرْ

(والثاني) من الغابرين في النجاة ، من قولهم : قد غبر عنا فلان زمانا إذا غاب ، قال الشاعر[5] :

أفَبَعْدَنا أو بَعْدَهُـــم   يرجى لغـــابرنا الفـــلاح

(والثالث) من الغابرين في الغم ، لأنها لقيت هلاك قومها ، قاله أبو عبيدة>[6] .

---

(١) سـقط من ق .

(٢) الرملة : مدينة الى الشمال الغربى من القدس

(٣) سـقط من ق .

(٤) هو العجاج . من أرجـوزة له مطلعها : .

قد جبر الدين الاله فجبر   وعور الرحمن من ولى العور

انظر ص٤ و ص٢٨ من ديوان العجاج .

(٥) هو طرفة بن العبد

(٦) من : انهم اناس يتطهرون الي هنا سـقط من ق .

٨٦ـ قوله عز وجل (ولا تَقْعُدوا بكلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) الصراط : الطريق ، قال الشاعر[١] :

شَحَنّا أرْضَهم بالخيْل حتى تركناهم أذَلَّ مِن الصّراطِ [٢]

وفي المراد به ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .

والثاني ـ أنه نهاهم عن قطع الطريق ، قاله أبو هريرة .

والثالث ـ أنهم العشّارون نهاهم عن تعشير أموال الناس [٣].

• (وتصدّون عن سبيل الله مَنْ آمن به) يحتمل وجهين : (أحدهما) تصدون المؤمنين عن طاعة الله وعبادته . (والثاني) تصدون من أراد الإيمان بإغوائه ومخادعته .

• (وتَبْغُونَها عِوَجاً) قال قتادة : يعنى تبغون السبيل عوجا عن الحق.

والفرق بين العوج بالكسر وبالفتح أن العِوج بكسر العين ما كان في الدين ، ولا يرى ، والعَوج بفتح العين ما كان في العود، وما يرى .

• (واذكُرُوا إذ كنتم قليلاً فكَثَّركم) حكى الزجاج فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ كثّر عددكم بعد[٤] القلة ـ قال ابن عباس : وذلك أن مدين بن ابراهيم تزوج زينا بنت لوط وولد آل مدين [٥] منها .

والثاني ـ كثّركم بالغنى بعد الفقر .

والثالث ـ كثّركم بالقوة بعد الضعف .

---

(١) هو عامر بن الطفيل
(٢) سقط من ق .
(٣) سقط من ق .
(٤) سقط من ك .
(٥) سقط من ق .

< وذكر بعض المفسرين وجها رابعا – أنه كثرهم بطول الأعمار بعد قصرها من قبل[١] > .

٨٩– قوله عز وجل (قد افتَرَيْنا على الله كَذِباً إنْ عُدْنا في مِلَّتِكم بَعْدَ إذْ نجّانا اللهُ منها) < والفرق بين الملة والدين أن الملة ما شرعه الله ، والدين ما اعتقده الناس تقربا إلى الله ، فصار كل دين ملة وليس كل ملة دينا > [٢] .

فإن قيل : فالعود إلى الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه فهل كان شعيب على ملة قومه من الكفر حتّى يقول : «إن عُدنا في ملتكم» ؟

ففى الجواب عنه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن هذه حكاية عمن اتبع شعيبا من قومه الذين كانوا قبل اتباعه على ملة الكفر . (والثاني) أنه قال ذلك على التوهم أنه لو كان عليها لم يعد إليها . (والثالث) أنه يطلق ذكر العَود على المبتدىء بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله من قولهم : قد عاد عليّ من فلان مكروه وإن لم يسبقه بمثله كقول الشاعر :

لئن كانت الأيام أحسَنّ مرةً إليّ فقد عادت لهنّ ذُنوبُ
أتى دونَ حلو العيش شيءٌ أمَرُّهُ كروبٌ على آثارهن كروبُ

• ثم قال (وما يكونُ لنا أنْ نَعُودَ فيها إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ رَبُّنا) فيه قولان : (أحدهما) أن نعود في القرية إلاّ أن يشاء الله ، قاله بعض المتكلمين. (والثاني) . وهو قول الجمهور أن نعود في ملة الكفر وعبادة الأوثان .

فإن قيل فالله تعالى لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب ؟

فالجواب عنه من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه قد كان في ملتهم ما يجوز التعبد به . (والثاني) أنه لو شاء عبادة الوثن لكانت عبادته طاعة لأنه شاءه

---

(١) سقط من ق .

(٢) سقط من ق . والعبارة هكذا في ك والصواب ان يقال : ان كل ملة دين وليس كل دين ملة اذ ليس كل ما يتقرب به الي الله مشروعا فالجاهليون تقربوا الي الله بعبادة الاوثان.

كتعبده بتعظيم الحجر الأسود . (والثالث) أن هذا القول من شعيب على التبعيد والامتناع كقوله تعالى : «حتّى يلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط» وكقولهم : حتّى يشيب الغراب .

• ثم قال : (ربّنا افتَحْ بيننا وبَيْنَ قومِنا بالحقِّ وأنت خيرُ الفاتِحين) فيه وجهان : (أحدهما) اكشف بيننا وبين قومنا ، قاله قتادة . (والثاني) احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين . وذكر الفراء، أن [أهل] عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح . وقال غيره : إنه لغة مراد ، قال الشاعر :

ألا أبلغ بنى عُصُم رسولاً بأنّيَ عن فِتاحِكُمُ غَنِيُّ

وقد قال ابن عباس : كنت لا أدرى ما قوله «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» حتّى سمعت بنت ذى يزن تقول : تعالَيْ أفاتحك، يعنى أقاضيك . وقيل: انه سمي بذلك لأنه يفتح باب العِلم الذى قد انغلق على غيره .

فإن قيل : فما معنى قوله «بالحق» ومعلوم أن الله لا يحكم إلا بالحق؟

ففى الجواب عنه أربعة[1] أوجه: (أحدها) أنه قال ذلك صفة لحكمه لا طلبا له . (والثاني) أنه سأل الله أن يكشف [الحق] لمخالفه من قومه أنه على حق . (الثالث) أن معناه احكم بيننا [بالحكم] الذى هو الحق ، قاله ابن بحر . (الرابع) احكم في الدنيا بنصر المحق ، قاله السدى[2] .

٩٢– قوله عز وجل (الذين كذّبوا شُعَيْباً كأنْ لم يَغْنَوا فيها) فيه أربعة[3] تأويلات: (أحدها) كأن لم يقيموا فيها ، قاله ابن قتيبة . (والثاني) كأن لم يعيشوا فيها ، قاله الأخفش < (والثالث) كأن لم ينعموا فيها ، قاله قتادة. (والرابع) كأن لم يعمروا فيها ، قاله ابن عباس .

---

(١) في ق وجهان أحدهما .

(٢) سقط من ق .

(٣) في ق : تأويلان

* (الذين كذّبوا شُعيباً كانوا هم الخاسرين) فيه وجهان : (أحدهما) بالكفر . (والثاني) بالهلاك ، قاله ابن عباس[1] > .

٩٤ــ قوله عز وجل (وما أرْسَلْنا في قرْيةٍ من نَبيٍّ إلاّ أخَذْنا أهْلَها بالبَأساءِ والضرّاءِ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أن البأساء: القحط . والضراء الأمراض والشدائد ، قاله الحسن . (والثاني) أن البأساء الجوع . والضراء: الفقر ، قاله ابن عباس . (والثالث)[2] أن البأساء : البلاء . والضراء : الزمانة . (والرابع) أن البأساء: ما نالهم من الشدة في أنفسهم . والضراء : ما نالهم في أموالهم[3] ، حكاه عليّ بن عيسى.

ويحتمل قولا خامسا : أن البأساء الحروب .

* (لعلهم يضّرَّعون) فيه وجهان : (أحدهما) يتوبــون . (الثاني) يدعون ، قاله ابن عباس .

٩٥ــ قوله عز وجل : (ثم بَدّلنا مكانَ السّيئةِ الحَسَنَةَ) < فيه وجهان : (أحدهما) > مكان الشدة الرخاء ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد. < (والثاني) مكان الخير والشر > [4] .

* (حتى عَفَوْا) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ــ حتى كثروا ، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي ، قال لبيد:

وأناس بعْد قَتْل قد عَفَوْا   وكثير زال عنهم فانتقلْ[5]

---

(١) من : والثالث ، كان لم ينعموا الى هنا سقط من ق .
(٢) سقط من ق .
(٣) في ك : انفسهم ، وهو تكرار .
(٤) سقط من ق
(٥) البيت من قصيدة له كما في ديوانه ص١٥ . وكان عمر بن الخطاب يأمر بروايتها بمطلعها
ان تقوى ربنا خير نفل   وباذن الله ريثي وعجل

والثاني – حتى أعرضوا ، قاله ابن بحر .

والثالث – حتى سُرّوا ، قاله قتادة .

والرابع – حتى سمنوا ، قاله الحسن ، ومنه قول بِشْر بن أبي حازم:

فلمّا أنْ عفا وأصاب مـــالاً تسمّنَ معْرضاً فيه ازورارُ

< (وقالوا قد مَسّ آباءَنا الضّراءُ والسّرّاءُ) أى الشدة والرخاء ، يعنون ليس البأساء والضراء عقوبة على تكذيبك وإنما هى عادة الله في خلقه أن بعد كل خصب جدبا وبعد كل جدب خصباً [1] > .

٩٦– قوله عز وجل (... لفتحنا عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) لرزقناه ، قاله السدى . (والثاني) لوسّعنا .

* (بركاتٍ من السماء والأرض) بركات السماء : القطر . وبركات الأرض : النبات والثمار .

ويحتمل أن تكون بركات السماء قبول الدعاء . وبركات الأرض: تسهيل الحاجات .

١٠٠– وفي قوله تعالى (... فهُمْ لا يَسْمَعُون) أى لا يقبلون ، كما يقال في الصلاة: سمع الله لمن حمده ، أى قبل الله ممن حمده ، وقال الشاعر:

دعوْتُ الله حتى خِفْتُ ألاّ يكونَ اللهُ يسْمعُ ما أقــولُ

أى يقبل .

١٠١– قوله عز وجل (... ولقد جاءَتْهُم رسُلُهمْ بالبيّناتِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) بما بان أنه معجز وبرهان . (والثاني) بما بان أنه خير وصلاح .

---

(١) سقط من ق .

* (فما كانوا ليؤْمِنوا بما كذّبوا مِنْ قَبْلُ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ فما كانوا ليؤْمنوا بما كذبوا من قبل وقت أن أخذ الله ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم ، قاله السدى .

والثاني ــ فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق من علم الله أنهم يكذبون به يوم أخذهم من صلب آدم ، قاله أُبيٌّ بن كعب .

والثالث ــ فما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد هلاكهم بما كذبوا قبل هلاكهم ، كقوله تعالى : « ولو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه » ، قاله مجاهد.

١٠٢ــ قوله عز وجل (وما وَجَدْنا لأكثرِهم مِنْ عَهْد) في قوله « من عهد » قولان :

أحدهما ــ أن العهد الطاعة ، يريد : وما وجدنا لأكثرهم من طاعة لأنبيائهم ، لأنه قال بعده « وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » وتكون « مِنْ » في هذا الموضع على هذا التأويل زائدة .

والثاني ــ أنه محمول على ظاهر[1] العهد أى من وفاء بعهده .

وفي المراد بالعهد هنا ثلاثة أقاويل : (أحدها) الميثاق الذى أخذه الله عليهم في ظهر آدم قاله أبو جعفر الطبرى . (والثاني) ما جعله الله في عقولهم من وجوب شكر[2] النعمة ، وأن الله هو المنعم ، قاله على بن عيسى (والثالث) أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، قاله الحسن.

* (وإنْ وجَدْنا أكثَرَهم لفاسقين) في قوله « لفاسقين » وجهان : (أحدهما) خارجين عن طاعته . (والثاني) خائنين في عهده ،[3] وهذا يدل على أن العصاة أكثر من المطيعين .

---

(١) سقط من ق .
(٢) شكر : سقطت من ك .
(٣) سقط من ق .

١٠٥- قوله عز وجل (حقيقٌ علىَ ألاّ أقولَ على اللهِ إلاّ الحقَّ) في «حقيق» وجهان: (أحدهما) حريص، قاله أبو عبيدة. (والثاني) واجب، مأخوذ من وجوب الحق.

وفي قوله «إلاّ الحق» وجهان: (أحدهما) إلا الصدق. (والثاني) إلا ما فرضه الله عليّ من الرسالة.

١١١- قوله عز وجل (قالوا أرْجِهْ وأخاه) فيه قولان:

أحدهما - معناه أَخِّرْهُ، قاله ابن عباس والحَسن.

والثاني - احبسه، قاله قتادة والكلبي.

• (وأرسِلْ في المدائن حاشرين) قال ابن عباس: هم أصحاب الشُرَط وهو قول الجماعة أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا.

١١٧- قوله عز وجل (وأوْحَيْنا إلى موسى أنْ ألْقِ عَصاكَ) قال ابن عباس: العصا أول آيات موسى وكانت من آس الجنّة، طولها عشرة أذرع بطول موسى، قصد باب فرعون فألقى عليه الفزع، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه، فكان فرعون أول من خضب بالسواد.

• (فإذا هي تَلْقَفُ) معنى تلقف هو سرعة التناول إلا أن المراد هنا سرعة ابتلاعه بالفم. قال أبو حاتم: وهى في بعض القراءات تلقم بالميم والتشديد، قال الشاعر:

أنت عصا موسى التى لم تَزَلْ   تلقم ما يأفكه الساحرُ

• وفي قوله (ما يأفِكون) وجهان: (أحدهما) معناه يقلبون، ومنه المؤتفكات أى المنقلبات، قاله ابن عيسى. (والثاني) معناه يكذبون لأن الإفك هو الكذب، قاله مجاهد.

فإن قيل: فلم أمر موسى السحرة أن يلقوا وذلك منهم كفر لا يجوز أن يأمر به نبيّ؟

قيل عن ذلك جوابان : (أحدهما) أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا . (والثاني) القول على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل .

١١٨ــ قوله (فَوَقَعَ الحقُّ) أى ظهر الحق ، قاله الحسن ومجاهد .<وفي الحق الذى ظهر قولان : (أحدهما) ظهرت عصا موسى على حبال السحرة . (والثاني) ظهرت نبوءة موسى على ربوبية فرعون [1]> .

١٢١،١٢٠ــ قوله عز وجل (وأُلْقِيَ السحرةُ ساجدين) في سجودهم قولان : (أحدهما) أنهم سجدوا لموسى تسليما له وإيمانا به. (والثاني) أنهم سجدوا لله إقرارا بربوبيته ، لأنهم (قالوا آمنّا بربِّ العالمين . ربِّ موسى وهارون).

وفي سجودهم قولان:(أحدهما) أن الله ألهمهم ذلك لطفا بهم. (والثاني) أن موسى وهارون سجدا شكرا لله عند ظهور الحق على الباطل فاقتدوا بهما في السجود لله طاعة .

١٢٧ــ قوله عز وجل (وقال المَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ ...) الآية. « الملأ من قوم فرعون» فيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم أشرافهم . (والثاني) رؤساؤهم (والثالث) أنهم الرهط والنفر الذين آمنوا معهم.

والفرق بين الرهط والنفر من وجهين : (أحدهما) كثرة الرهط وقلة النفر . (والثاني) قوة الرهط وضعف النفر .

وفي تسميتهم بالملأ وجهان :

أحدهما ــ أنهم مليئون بما يراد منهم .

والثاني ــ لأنهم تملأ النفوس هيبتهم .

وفيه وجه ثالث ــ لأنهم يملؤون صدور المجالس .

فإن قيل : فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟ قيل:لأنهم رأوا منه خلاف عادته وعادة الملوك في السطوة بمن أظهر العناد وخالف ، وكان ذلك من لطف الله بموسى .

(١) سقط من ق . والمراد بربوبية فرعون اى المزعومة.

• وفي قوله (ليُفسدوا في الأرض) وجهان : (أحدهما) ليفسدوا فيها بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك . (والثاني) ليفسدوا فيها بالغلبة عليها وأخذ قومه منها .

• ثم قالوا (ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ) فإن قيل : فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدقوه على قوله: أنا ربكم الأعلى ؟

قيل الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه كان يعبد الأصنام وكان قومه يعبدونه ، قاله الحسن . (والثاني) أنه كان يعبد ما يستحسن من من البقر ولذلك أخرج السامري عِجْلا جسدا له خوار وقال هذا إلهكم وإله موسى ،وكان معبودا في قومه ، قاله السدى . (والثالث) أنها كانت أصناما يعبدها قومه تقربا إليه ، قاله الزجاج .

وقرأ ابن عباس : « ويَذَرَكَ وإلاهتَك » أى وعبادتك .

قال الحسن:وكان فرعون يَعبُد ويُعبَد. وعلى هذه القراءة يسقط السؤال .

وذكر ابن قتيبة في هذه القراءة تأويلا ثانيا : أن الإلاهة الشمس ، والعرب تسمى الشمس الإلاهة واستشهد بقول الأعشى :

ولم أذكر الرعب حتى انتفلت قبيل الإلاهة منها قريبا

يعنى الشمس،فيكون تأويل الآية:ويذرك والشمس حتى تعبد فعلى هذا يكون السؤال متوجها عنه ما تقدم .

• (قال سنُقَتِّلُ أبناءهم ونستحْيِي نساءهم) وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته وإما تصوره أنه مصروف عن قتله ، فعدل إلى قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بنى إسرائيل فيضعف عن فرعون . « ونستحيِي نساءهم » [1] فيه قولان : (أحدهما) أن

[1] اراد فرعون أن يطمئن قومه فكأنه يقول لهم لا تخافوا جانب بنى اسرائيل فسوف لا نبقي لهم رجالا .

نفتشَ أرحامهن فننظر ما فيهن من الولد ، مأخوذ من الحياء وهو اسم من أسماء الفرج ، حكاه ابن بحر (والثاني) الأظهر أن معناه : نستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة .

١٢٨ــ قوله عز وجل (قالَ موسى لقومِه استعينوا باللهِ واصْبروا) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة:استعنت بالله . (والثاني) أنه موعد منــه بأن الله سيعينهم على فرعون إن استعانوا به .

ثم قال «واصبروا» يحتمل وجهين : (أحدهما) واصبروا على ما أنتم فيه من الشدة طمعا في ثواب الله . (والثاني) أنه أمرهم بالصبر انتظارا لنصر الله.

• (إنّ الأرضَ لله يُورِثها مَنْ يشاءُ مِن عبادِه) فيه وجهان : (أحدهما) أنه قال ذلك تسلية لقومه في أن الدنيا لا تبقي على أحد فتبقي على فرعون لأنها تنتقل من قوم إلى قوم . (والثاني) أنه أشعرهم بذلك أن الله يورثهم أرض فرعون .

• (والعاقبةُ للمتّقين) يحتمل وجهين (أحدهما) يريد في الآخرة بالثواب. (والثاني) في الدنيا بالنصر .

١٢٩ــ قوله عز وجل (قالوا أوذينا مِن قبلِ أن تأتِيَنا ومِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنَا) . فيه أربعة[1] أقاويل :

أحدها ــ أن الأذى من قبل ومن بعد أخذ الجزية . قاله الحسن.

والثاني ــ أن الأذى من قبل : تسخيرهم بنى إسرائيل في أعمالهم لنصف النهار وإرسالهم في بقيته ليكيسبوا لأنفسهم. والأذى من بعد: تسخيرهم في جميع النهار بلا طعام ولا شراب ، قاله جويبر .

---

(١) في ق قولان احدهمـا

والثالث – أن الأذى الذى كان مِن قَبل:الاستعباد وقتل الأبناء ، والذى كان مِن بَعد:الوعيد بتجديد ذلك عليهم،< حكاه ابن عيسى .

والرابع – أن الأذى الذى كان من قبل أنهم كانوا يضربون اللبِن ويعطيهم التبن،والأذى من بعد أن صاروا يضربون اللبِن ويجعل عليهم التبن،قاله الكلبي .

وفي قولهم « مـــن قبل أن تأتينا ومن بعد مـــا جئتنا» قولان : (أحدهما) من قبل أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها ، قاله ابن عباس . (والثاني) من قبل أن تأتينا بعهد الله إليك أنه يخلصنا ومن بعد ما جئتنا به .

وفي هذا القول منهم وجهان : (أحدهما) أنه شكوى ما أصابهم من فرعون واستعانة بموسى. (والثاني) أنهم >[1] قالوه استبطاءً لوعد موسى ، حكاه ابن عيسى .

• (قال عَسى ربُّكم أنْ يُهلِك عَدُوَّكم) «عسى» في اللغة طمع وإشفاق. قال الحسن : عسى من الله واجبة . وقال الزجاج : « عسى » من الله يقين.

• (ويستخلفَكم في الأرض فينظرَ كيف تعملون) في قوله « فينظر » وجهان : (أحدهما) فيرى . (والثاني) فيعلم . وفي قول موسى ذلك لقومه أمران : (أحدهما) الوعد بالنصر والاستخلاف في الأرض . (والثاني) التحذير من الفساد فيها لأن الله تعالى ينظر كيف يعملون .

١٣٠– قوله عز وجل (ولقد أخَذْنا آلَ فِرْعونَ بالسنينَ) فيه قـــولان : (أحدهما) يعني بالجوع ، قاله مجاهد وقتادة . (والثاني) أن معنى السنين الجدوب ، قاله الحسن.

والعرب تقول: أخذتهم السنة إذا قحطوا وأجدبوا .

وقال الفراء : المراد بالسنين الجدب والقحط عاما بعد عام .

---

(١) سقط من ق

١٣١– قوله عز وجل (فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه وإنْ تُصِبْهم سيّئةٌ يَطَّيّروا بموسى ومَنْ مَعَه) في الحسنة والسيئة هنا وجهان : (أحدهما) أن الحسنة الخصب، والسيئة القحط . (والثاني) أن الحسنة الأمن ، والسيئة الخوف .

« قالوا لنا هذه» أى كانت حالنا في أوطاننا وقبل اتباعنا لك، جهلا منهم بأن الله تعالى هو المولي لها .

« وإن تصبهم سيئة يَطَّيّروا بموسى ومن معه » أى يتشاءموا بموسى ويقولون هذا من اتباعنا إياك وطاعتنا لك، على ما كانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذى يأتي من جهة الشمال ، وتتبرك بالسانح وهو الذى يأتي من جهة اليمين [١] . ثم قال ردا لقولهم :

* (ألا إنما طائرُهم عند الله) أى طائر البركة وطائر الشؤم [٢] .

١٣٣– قوله عز وجل : (فأرسَلْنا عليهم الطُوفانَ والجَرادَ ....) أما الطوفان ففيه ستة أقاويل :

أحدها – أنه الغرق بالماء الزائد ، قاله ابن عباس .

والثاني – أنه الطاعون ، قاله مجاهد .

والثالث – أنه الموت، قاله عطاء. وروت عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطوفان الموت .

والرابع – أنه أمر من الله طاف بهم، وهو مروى أيضا عن ابن عباس.

والخامس – أنه كثرة المطر والريح، واستدل قائل ذلك بقول الحسن بن عرفطة :

غيّر الجِدّةَ مِن عرفانه خُرُقُ الريح وطوفانُ المطرْ

والسادس – أنه عذاب من السماء، واستدل قائل ذلك بقول أبي النجم:

ومرّ طوفان فبتَّ شهـــرا فرداً شآبيب وشهراً مـــــدرا

(والقُمّلَ) فيه خمسة أقاويل :

(١) وقد نهى الاسلام عن الطيرة وقد روى عبدالله بن عمرو عن النبي (ص) قال : مَن رَجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك .

(٢) اى ما قدر لهم أو عليهم عند الله وبيده .

أحدها — أنه الدَّبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له .

والثاني — أنه السوس الذى في الحنطة قاله ابن عباس > (١) .

والثالث — البراغيث ، قاله ابن زيد .

والرابع — القِردان (٢) ، قاله أبوعبيدة.

والخامس — هو دواب سود صغار قاله الحسن وسعيد بن جبير ، وشاهده قول الأعشى :

قوما تعالج قمّلا أبناؤهم وسلاسلا أُجُداً وبابا مؤصدا

وواحد القُمّل قُمّلة (٣).

وأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو مشهور . وقيل أنه كان يوجد في فرشهم وآنيتهم ، ويدخل في ثيابهم فيشتد أذاه لهم .

وأما الدم ففيه قولان :

أحدهما — أن ماء شربهم كان يصير دما عبيطا ، فكان إذا غرف القبطى من الماء صار دما ، وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء .

والثاني — أنه رعاف كان يصيبهم ، قاله زيد بن أسلم .

* (آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) فيها قولان : (أحدهما) مبينات لنبوة موسى. (والثاني) مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد بل كانت تأتي شهرا بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار ، وكان بين كل آيتين شهر .

(فاستكبروا) فيه وجهان : (أحدهما) عن الانزجار بالآيات . (والثاني) عن الإيمان بموسى .

* (وكانوا قوْماً مُجْرِمين) فيه وجهان : (أحدهما) كافرين . (والثاني) متعدّين .

---

(١) من قوله تعالى (ويستخلفكم في الارض) الى هنا سقط من ك وهو نحو صفحة ويحتمل أنها سقطت من الميكروفيلم او من الاصل . الله أعلم .

(٢) القردان : واحده قراد وهى حشرة معروفة .

(٣) القمل بتشديد الميم غير القمل بتسكينها .

١٣٤ــ قوله عز وجل (ولمّا وَقَعَ عليهم الرِّجْزُ) فيه قولان : (أحدهما) . أنه العذاب ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد . (والثاني) هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان ، قاله سعيد بن جبير .

• (قالوا يا موسى ادْعُ لنا ربَّك بما عَهِدَ عندك) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك.(والثاني) ما هداك به أن تفعله في قومك ، قاله السدى . (والثالث) أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم .

• (لئن كشَفْتَ عنا الرِّجْزَ لنُؤْمِنَنَّ لك) هذا قول قوم فرعون ، ويحتمل وجهين : (أحدهما) لنصدقنك يا موسى أنك نبي . (والثاني) لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد .

١٣٧ــ قوله عز وجل (وأورَثْنا القومَ الذين كانوا يُسْتَضْعَفُون) يحتمل وجهين : (أحدهما) يُستقلون . (والثاني) يُستذلون وهم بنو إسرائيل .

• (مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يريد الشرق والغرب ، قاله ابن عيسى . (والثاني) أرض الشام ومصر ، قاله الحسن . (والثالث) أرض الشام وحدها شرقها وغربها ، قاله قتادة .

• (التي باركْنا فيها) فيه قولان : (أحدهما) بالخصب . (والثاني) بكثرة الأنهار والأشجار والثمار .

• (وتمّت كلمةُ ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبَرُوا) فيها قولان :

أحدهما ــ أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله «عسى ربكم أن يُهلِكَ عَدُوَّكُم ويستخلِفَكُم ».وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون .

والثاني – هي قوله تعالى « ونريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض ونجْعَلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين ونُمكّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعونَ وهامان وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون ».

وفي قوله « بما صبروا » وجهان : (أحدهما) بما صبروا على أذى فرعون . (والثاني) بما صبروا على طاعة الله .

١٣٩– قوله عز وجل (إنَّ هؤلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيه) < في« متبَّر »ثلاثة أوجه : (أحدها) باطل ، قاله الكلبي . (والثاني) ضلال ، حكاه ابو اليسع . (والثالث) >[1] مُهلَكٌ، ومنه التبر الذهب . وفي تسميته بذلك قولان : (أحدهما) لأن موسى يهلكه . (والثاني) لكسره ، وكل إناء مكسور متبّر قاله الزجاج . وقال الضحاك هي كلمة نبطية لما ذكرنا .

١٤١– قوله عز وجل : (وإذْ أنْجَيْناكُم مِن آلِ فِرعَوْنَ) قال هذا يذكر بالنعمة .

• (يسومونكم سُوءَ العذاب) أي أشَدَّ العذاب .

• (يُقَتِّلُون أبناءكم ويستحْيون نساءكم) أي يقتلونَ أبناءكم صغارا ويستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كبارا .

• (وفي ذلكم بَلاءٌ مِن ربكم عظيم) فيه ثلاثة تأويلات (أحدها): أن ما فعله فرعون بكم من قتل الأبناء واسترقاق النساء بلاء عليكم عظيم، قاله الكلبي . (والثاني) أنه ابتلاء لكم واختبار عظيم ، قاله الأخفش . (والثالث) أن في خلاصكم من ذلك بلاء عظيم ، أي نعمة عظيمة ، قاله ابن قتيبة .

١٤٢– قوله عز وجل (وواعَدْنا موسى ثلاثين ليلةً وأتمَمْناها بِعَشْر) فيها قولان : (أحدهما) أن الثلاثين ليلة شهرٌ أُمر بصيامه ، والعشر بعدها

(١) سقط من ق .

أجل لمناجاة ربه . (والثاني) أن الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه ، أجل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيدت عشرا بعدها . وقد قيل انه ذو القعدة وعشر من ذى الحجة حكى ذلك عن مجاهد وابن جريج ومسروق .

* (فتمّ ميقاتُ رَبِّه أربعين ليلة) يعنى أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة ليدل بذلك على أن العشر هى ليال وليست ساعات .

فإن قيل : فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين ، فمامعنى قوله : فتم ميقات ربه أربعين ليلة ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنه تأكيد في الذكر فلم يمتنع .(والثاني) كان وعده إلى الجبل الذى كلمه فيه . (والثالث) لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه .

فإن قيل : فلم زاد في أجل وعده بعد الثلاثين عشرا جعلها أجلا ثانيا فأخّر بها موعده ؟

قيل عن ذلك جوابان :

أحدهما — أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فـزاده الله لتأخرهم عنه أجلا ثانيا ليحضروه .

والثاني — لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلا ثانيا عقوبة لهم .

ويحتمل جوابا ثالثا — أن الله فعل ذلك به اختبارا لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب .

والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل ، والوقت قد لا يتقدر لعمل .

١٤٣— قوله عز وجل (... قال رَبِّ أرِني أنْظُرْ إليكَ) الآية . في سؤال موسى ذلك لربه ثلاثة أقاويل :

أحدها — ليرد عليه من جواب الله ما يحتج به على قومه حين قالوا

« لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرةً » مع علم موسى بأنه لا يجوز[1] أن يراه في الدنيا .

والثاني — أنه كان يعلم ذلك باستدلال فأحب أن يعلمه ضرورة .

والثالث — أنه جوّز ذلك وظنّهُ وأن رؤيته في الدنيا ممكنة ، قاله الحسن والربيع والسدى .

• فأجابه الله بأن (قال لن تراني) .

• ثم أظهر في الجواب ما يعلم به استحالة مسألته فقال : (ولكن انظُرْ إلى الجبل فإن استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني) لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان بذلك أولى .

• (فلما تجلّى ربُّه للجبلِ) معنى تجلى ظهر ، مأخوذ من جلاء العروس إذا ظهرت ، ومن جلاء المرآةِ إذا أضاءت .

وفي تجلّيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه ظهر بآياته التي أحدثها في الجبـــل لحاضري الجبل . (والثاني) أنه أظهر للجبل من ملكوته ما تدكدك به ، لأن الدنيا لا تقوم لما يبرز من ملكوت السماء . (والثالث) أنه أبرز قدر الخنصر من العرش . (والرابع) ظهر أمره للجبل .

(جَعَلَه دَكّاً) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) يعني مستويا بالأرض، مأخوذ من قولهم ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام ، قاله ابن قتيبة وابن عيسى . (والثاني) أنه ساخ في الأرض ، قاله الحسن وسفيان . (والثالث) أنه صار ترابا ، قاله ابن عباس . (والرابع) أنه صـــار قطعا .

---

(١) رؤية الله : مختلف فيها فاهل السنة يقولون انها جائزة في الدنيا وفي الآخرة . ويستدلون على جوازها في الدنيا بأن موسى ما كان ليسأل ربه أمرا هو يعلم عدم جوازه وبأن النبى (ص) رأى ربــه ليلة الاسراء والمعراج بعيني رأســه . ويستدلون على جواز الرؤية في الآخرة بقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة»(الايتان ٢٢و٢٣ القيامة) . أما المعتــزلة فيقولون بعدم جواز رؤية الناس الله ويستدلون بقوله تعالى : « لا تدركه الابصار وهــو يدرك الابصار»(آية ١٠٣ الانعام) . واهل السنة يردون هذا الاستدلال قائلين ان المعنى : لا تدركه الابصار ادراك احاطة وتحيز . والله أعلم بالصواب .

قال مقاتل : وكان أعظم جبـــل بمدين تقطع ست قطع تفرقت في الأرض ، صار منها بمكة ثلاثة أجبل: ثبير وغار ثور وحراء. وبالمدينة ثلاثة أجبل: رضوى وأُحد وورقان . والله أعلم .

• (وخَرَّ موسى صَعِقًا) فيه قولان : (أحدهما) ميتا ، قاله قتادة . (والثاني) مغشيا عليه ، قاله ابن عباس والحسن وابن زيد .

< (١) قال ابن عباس: أخذته الغشية عشية الخميس من يوم عرفة وأفاق عشية الجمعة ، وفيه نزلت عليه التوراة وهو يوم النحر العاشر من ذى الحجة ، وفيها عشر آيات أنزلها الله في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في ثماني عشرة من سورة بنى إسرائيل > .

• (فلمّا أفاق قال سُبحانك تُبْتُ إليك) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيهـــا . (والثاني) أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا . (والثالث) أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظيم قدرته .

• (وأنا أول المؤمنين) فيه قولان : (أحدهما) أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك، قاله ابن عباس والحسن . (والثاني) وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية (٢) .

١٤٥ـ قولـــه عز وجل (وكتبْنا لـــه في الألْواح ...) الآية < في «وكتبنا لـــه» قولان : (أحدهما) فرضنا ، كقوله تعالى : «كُتب عليكم الصيام» أى فرض (والثاني) أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه (٣) > .

واختلفوا في الألواح من أى شيء كانت على أربعة أقاويل : (أحدها) أنها كانت من زمرد أخضر ، قاله مجاهد . (والثاني) أنها كانت من ياقوت

---

(١) سـقط من ق وجاء مكانه : وهذا لم يثبت .

(٢) لم يذكر المؤلف رأيه في مســألة رؤية الله تعالى ، واكتفى بذكر آراء العلماء في ذلـك عند تفسير قـوله تعالى في سورة القيامة : «إلى ربها ناظرة» فنقل عن الحسن وعطيـه العوفي أو معناه : تنظر الى ربها في القيامة ، ونقل عن عكرمة أن معناه : تنتظر أمر ربها.

(٣) سـقط من ق .

قاله ابن جبير . (والثالث) أنها كانت من زبرجد ، قاله أبو العاليـــة . (والرابع) قاله الحسن كانت الألواح من خشب . واللوح مأخوذ من أن المعاني تلوح بالكتابة فيه .

• وفي قوله (من كل شيء) قولان : (أحدهما) من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والمباح والمحظور والواجب وغير الواجب (والثاني) كتب له التوراة فيها من كل شيء من الحكم والعبر .

• وفي قوله (مَوْعِظَةً وتفصيلاً ..) تأويلان :(أحدهما) أن الموعظة النواهي . والتفصيل : الأوامر ، وهو معنى قول الكلبي . (والثاني) الموعظة : الزواجر ،والتفصيل : الأحكام ، وهو معنى قول مقاتل . قال:وكانت سبعة ألواح .

• (فخُذْهَا بقوّةٍ) فيه أربعة[1] أقاويل : (أحدها) بجد واجتهـــاد قاله السدى . (والثاني) بطاعة، قاله الربيع بن أنس . (والثالث) بصحة عزيمة ، قاله على بن عيسى . (والرابع) بشكر ، قاله جويبر[2] .

• (وأْمُرْ قومَك يأخُذوا بأحْسَنِها) لم يقل ذلك لأن فيها غير حسن، وفيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن أحسنها:المفروضات ، وغير الأحسن: المباحات . (والثاني) أنه الناسخ دون المنسوخ . (والثالث) أن فعل ما أمر به أحسن من ترك ما نهى عنه لأن العمل أثقل من الترك وإن كان طاعة .

• (سأُرِيكم دارَ الفاسقِين) فيها أربعة أقاويل : (أحدها) هي جهنم، قلله الحسن ومجاهد . (والثاني) هي منازل من هلك بالتكذيب من عـــاد وثمود والقرون[3] الخالية ، لتعتبروا بها وبما صـــاروا إليه من النكال ، قاله قتادة . (والثالث) أنها منازل سكان الشام من الجبابرة والعمالقة . (والرابع) أنها دار فرعون[4] وهي مصر .

---

(١) في ق : ثلاثة .

(٢) ســقط من ق .

(٣) في ق : هى منازلهم ، والباقى سـقط منها .

(٤) أى سـأريكم اياها خاليــة عنهم ، وهذا القول مروي عن ســعيد بن جبير .

< وقرأ قسامة[1] بن زهير : « سأورثكم » .

١٤٦– قوله عز وجل (سأصْرِفُ عن آياتيَ الّذِين يَتكبّرونَ في الأرْضِ بغيْـر الحقِّ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) سأمنعهم من فهم القرآن، قاله سفيان ابن عيينة . (والثاني) سأجعل جزاءهم على كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق . (والثالث) سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم .

وفي « يتكبرون » وجهان (أحدهما) يحقرون الناس ويرون أن لهم عليهم فضلا . (والثاني) يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول .

* (وإنْ يَروْا كلّ آيةٍ لا يؤْمِنوا بها وإن يروْا سبيل الرُّشْد لا يتخذوه سبيلا وإن يَرَوْا سبيل الغَيِّ يتّخذوه سبيلاً) فيه وجهان : (أحدهما) أن الرشد الإيمان ، والغي : الكفر . (والثاني) أن الرشد الهداية . والغِي : الضلال .

* (ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فيه وجهان : (أحدهما) غافلين عن الإيمان . (والثاني) غافلين عن الجزاء > [2]

١٥٠– قوله عز وجل (ولمّا رَجَعَ مُوسى إلى قوْمِـهِ غَضْبانَ أسِفاً) في الأسِف خمسة أقاويل : (أحدها) أنه المتأسف على فوت ما سلف ، قاله على ابن عيسى . (والثاني) أنه الحزين ، قاله ابن عباس . (والثالث) هو الشديد الغضب ، قاله الأخفش (والرابع) المغتاظ ، قاله السدى . (والخامس) النادم ، قاله ابن قتيبة .

وفي غضبه وأسفه قولان : (أحدهما) غضبان على قومه من عبـادة العجل [أسِفا] على ما فاته من مناجاة ربه . (والثاني) غضبان على نفسه في ترك قومه حتّى ضلوا ، أسِفا على ما رأى في قومه من ارتكاب المعاصى.

وقال بعض المتصوفة أن غضبه للرجوع عن مناجاة الحق إلى مخاطبة الخلق .

(١) من هنا الى : غافلين عن الجزاء سـقط من ق

(٢) من وقرأ قسامة بن زهير الى هنا سـقط من ق .

• (قال بئْس ما خلَفْتُموني مِنْ بَعْدي) يعنى بعبادة العجل .

• (أَعَجِلْتُم أَمْرَ ربِّكم) فيه قولان : (أحدهما) يعنى وعد ربكم الذى وعدني به من الأربعين ليلة ، وذلك أنهم قدروا أنه قد مات لمّا لم يأت على رأس الثلاثين ليلة ، قاله الحسن والسدى . (والثاني) وعد ربكم بالثواب على عبادته حتّى عدلتم إلى عبادة غيره ، قاله بعض المتأخرين .

والفرق بين العجلة والسرعة إن العجلة: التقدم بالشيء قبل وقته ، والسرعة: عمله في أقل أوقاته .

• (وألقَى الألْواحَ) وفي سبب إلقائها قولان : (أحدهما) غضبا حين رأى عبادة العجل ، قاله ابن عباس (والثاني) أنه ألقاها لما رأى فيها فضائل غير قومه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم خير أمة أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . قال: رب فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد، فاشتد عليه فألقاها ، قاله قتادة .

وكانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح فتكسرت رفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذى قال الله «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء» وبقي الهدى والرحمة في السبُع الباقي ، وهو الذى قال الله «أخَذَ الألواح وفي نسختها هُدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم يَرْهَبُون».

وقال ابن عباس : ألقى موسى الألواح فتكسرت ورفعت إلا سدُسَها.

• (وأخَذَ برأس أخيه يَجُرُّه إليْه) فيه قولان : (أحدهما) أنه أخذ بإذنه . (والثاني) أخذ بجملة رأسه .

فإن قيل : فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له ؟

فعن ذلك جوابان : (أحدهما) أن هذا الفعل مما قد يتغير حكمه بالعادة

فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن من الهوان . (والثاني) أن ذلك منه كقبض الرجل منا الآن على لحيته وعضه على شفته .

• (قال ابْنَ أُمَّ) فيــه وجهان : (أحدهما) أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه ، قاله الحسن . (والثاني) أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافا بالرحم ، كما قال الشاعر :

ياابن أُمّي ويا شقيق نفسي أنت خليتني لأمرٍ شــديد

• (فلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْداءَ) يعني من خالفه في عبادة العجل لأنهم قد صاروا لمخالفتهم له أعداء .

• (ولا تَجْعَلْنِي مع القومِ الظالمين) أي لا تغضَبْ عليّ كغضبك عليهم ولست منهم .

• فأدركته الرقة : (قال ربِّ اغفِرْ لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرْحَمُ الراحمين).

١٥٣ـ قوله عز وجل (والذين عَمِلوا السيئاتِ ثم تابوا مِنْ بَعْدِها وآمنوا) أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف والعزم على ألاّ يفعــل مثلها. فإن قيل فالتوبة إيمان فما معنى قوله « ثم تابوا من بعدها وآمنوا » فالجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني أنهم تابوا من المعصية واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة (والثاني) يعني أنهم تابوا بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة . (والثالث) وآمنوا بأن الله قابل التوبة .

١٥٥ـ قوله عز وجــل (واختار موسى قوْمَه سَبْعين رجُلاً لميقاتنا) < وفي الكلام محذوف وتقديره : واختار موسى من قومه سبعين رجلا> (١) .

وفي قوله : « لميقاتنا » قولان : (أحدهما) أنه الميقات المذكور في سؤال الرؤية . (والثاني) أنه ميقات غير الأول وهو ميقات التوبة من عبادة العجل.

(١) ســقط من ك

• (فلمّا أخَذَتْهم الرجْفَةُ) وفيها ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها الزلزلة، قاله الكلبي . (والثاني) أنه الموت . قال مجاهد : ماتوا ثم أحياهم . (والثالث) أنها نار أحرقتهم فظن موسى أنهم قد هلكوا ولم يهلكوا ، قاله الفـــراء.

• (قال رَبِّ لو شِئتَ أهْلَكْتَهُم مِن قبْلُ وإيّايَ) وفي سبب أخذها لهم قولان : (أحدهما) لأنهم سألوا الرؤية ، قاله ابن اسحاق . (والثاني) لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل قاله ابن عباس .

• (... أتُهْلِكُنا بما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا) فيه قولان :

أحدهما — أنه سؤال استفهام خوفا من أن يكون الله قد عمهم بانتقامه كما قال تعالى : « واتقوا فِتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

والثاني — أنه سؤال نفي ، وتقديره : إنك لا تعذب إلاّ مذنبا فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا.

فحكى أن الله أمات بالرجفة السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، لا موت فناء ولكن موت ابتلاء ليثبت به من أطاع وينتقم به ممن عصى وأخذت موسى غشية ثم أفاق موسى وأحيا الله الموتى ، فقال :

• (إنْ هي إلاّ فِتْنَتُك تُضِلُّ بها من تشاءُ وتَهْدي مَنْ تشاءُ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المراد بالفتنة العذاب ، قاله قتادة . (والثاني) أن المراد بها الابتلاء والاختبار .

١٥٦— قوله عز وجـــــل (واكْتُبْ لنا في هذه الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ) في الحسنة هنا ثلاثة [١] أقاويل: (أحدها) أنها النعمة سميت حسنة لحسن موقعها في النفوس (والثاني) [٢] أنها الثناء الصالح . (والثالث) أنها مستحقات الطاعة .

• (إنّا هُدْنا إليك) فيه ثلاثة أقاويل[٣] : (أحدها) معناه تبنا إليك،

---

(١) في ق : قولان احدهما

(٢) ســقط من ق

(٣) في ق : قولان احدعما

قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وإبراهيم . (والثاني) رجعنا بالتوبة إليك ، لأنه من هاد يهود إذا رجع ،قاله علي بن عيسى . < (والثالث) يعني تقربنا بالتوبة إليك من قولهم : ما له عند فلان هوادة ، أي ليس له عنده سبب يقربه منه ، قاله ابن بحر[1] > .

* (قال عذابي أُصِيبُ به مَنْ أشاءُ) فيه قولان :

أحدهما — من أشاء مِن خلقي كما أصيب به قومك .

الثاني — من أشاء في التعجيل والتأخير .

* (ورَحْمَتِي وسِعتْ كُلَّ شيءٍ) فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها — أن مخرجها عام ومعناها خاص ، تأويل ذلك:ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « فسأكتبها للذين يتقون » الآية . قاله ابن عباس .

والثاني — أنها على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة ، وتأويل ذلك:ورحمتي وسعت في الدنيا البر والفاجر ، وفي الآخرة هي للذين اتقوا خاصة ، قاله الحسن وقتادة .

والثالث — أنها التوبة[2] ، وهي على العموم ، قاله ابن زيد .

* (فسأكتُبها للذين يتّقون) فيه قولان : (أحدهما) يتقون الشرك ، قاله ابن عباس . (والثاني) يتقون المعاصي ، قاله قتادة .

* (ويُؤْتون الزكاة) فيها قولان : (أحدهما) أنها زكاة أموالهم لأنها من أشق فرائضهم ، وهذا قول الجمهور . (والثاني) معناه أي يطيعون الله ورسوله ، قاله ابن عباس والحسن،وذهبا إلى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال .

---

(١) سقط من ق .

(٢) في ق : التوراة ، والسياق يأبى ذلك . وقد سقطت عبارة:وهي على العموم .

فأما المكنّى عنه بالهاء التي في قوله « فسأكتبها» فقد قيل إن موسى لما انطلق بوفد بني إسرائيل كلّمه الله وقال : إني قد بسطت لهم الأرض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمّام، وجعلت السكينة في قلوبهم ، وجعلتهم يقرؤون التوراة عن ظهر ألسنهم، قال فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل ، فقالوا لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت،ولا نقرأ التوراة إلا نظرا،ولا نصلى إلا في الكنيسة ، فقال الله تعالى : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » يعني ما مضى من السكينة والصلاة والقراءة . ثم بين من هم فقال :

١٥٧ـ (الذين يتّبعون الرسولَ النبيّ الأُمّيَّ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفي تسميته بالأميّ ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه لا يكتب . (الثاني) لأنه من أم القرى وهي مكة . (الثالث) لأن من العرب أمة أمية .

• (الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) لأن في التوراة < في السفر الخامس >[1] أني سأقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيته به. وفيها: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا جدا وسأدخره لأمة عظيمة .

وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع : يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله .

وفيها قول المسيح للحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط [2]روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه ، إنه نذيركم يجمع بين الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لى . فهذا تفسير « يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل » .

• ثم قال (يأمرهم بالمعروف) وهو الحق .

---

(١) سقط من ق .

(٢) الفارقليط في اللغة اليونانيــة تعنى محمدا (ص) وقد ذكر اسم محمد صراحة في انجيــل برنابا . انظر نور اليقين ص ٢٣ للشيخ محمد الخضرى

* (وينهاهم عن المنكر) وهو الباطل وإنما سمى الحق معروفا لأنه معروف الصحة في العقول ، وسمى الباطل منكرا لأنه منكر الصحة في العقول .

* ثم قال (ويُحِلُّ لهم الطيِّباتِ) يعنى ما كانت الجاهلية تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1] .

* (ويُحرِّمُ عليهم الخبائثَ) يعنى ما كانوا يستحلونه من لحم الخنزير والدماء .

* (ويَضَعُ عنهم إصْرهم) فيه تأويلان : (أحدهما) أنه عهدهم الذى كان الله تعالى أخذه على بنى إسرائيل . (والثاني) أنه التشديد على بنى إسرائيل الذى[2] كان في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة ، قاله قتادة .

* (والأغلالَ التى كانت عليهم) فيها تأويلان : (أحدهما) أنه الميثاق الذى أخذه عليهم فيما حرمه عليهم ، قاله ابن أبي طلحة . (والثاني) يعنى ما بينه الله تعالى في قوله « غُلَّتْ أَيْدِيهم » .

* (فالذين آمنوا به وعَزَّرُوه...) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى عظموه، قاله على بن عيسى . (والثاني) منعوه من أعدائه ، قاله أبو جعفر الطبرى . ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعه من العود إلى مثله .

* (واتَّبَعُوا النورَ الذى أُنْزِلَ معه) يعنى القرآن ، آمنوا به من بعده . فروى قتادة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : أيّ الخلْق أعْجَبُ إليكم إيمانا ؟ قالوا : الملائكة ، فقال نبى الله : الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون ، فقالوا : النبيون، فقال: يوحى إليهم فما لهم لا يؤمنون ، قالوا: نحن يا نبى الله ، فقال : أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون، فقالوا: يا نبى الله فمن هم ؟ قال : هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به . فهو معنى قوله « واتبعوا النور الذى أُنزل معه » .

---

(١) ويمكن ان يحمل لفظ الطيبات على العموم فيشمل جميع الطيبات وكذا الامر بالنسبة الى لفظ الخبائث اي جميع الخبائث دون تخصيص .

(٢) سقط من ق

١٥٩ــ قوله عز وجل (ومِن قومِ موسى أُمّةٌ يَهْدُونَ بالحق) فإن قيل : فهذا يدل على أن في اليهود من هم على حق .

الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم الذين تمسكوا بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم ، ولا يدل هذا على استدامة حاله على الأبد. (والثاني) أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام ، قاله ابن عباس والسدى . (والثالث) أنهم من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرهما ، قاله الكلبي .

١٦١ــ قوله عز وجل (وإذْ قيل لهم اسكُنُوا هذه القريةَ) اختلف في المأخوذ منه تسمية القرية على وجهين : (أحدهما) لأن الماء يقرى إليها أي يجمع ، من قولهم قرى الماء في حوضه إذا جمعه . (والثاني) لأن الناس يجتمعون إليها كما يجتمع الماء إلى الحوض .

واختلف في هذه القرية على قولين : (أحدهما) أنها بيت المقدس قاله قتادة . (والثاني) هى أرض[1] الشام ، قاله الحسن.

فإن قيل : فكيف سمى المأوى مسكنا والإنسان في مسكنه متحرك؟ قيل لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكنا وإن كان في بعضها متحركا .

١٦٣ــ قوله عز وجل (واسألْهم عن القرية التى كانت حاضِرةَ البَحْرِ) فيها خمسة أقاويل : (أحدها) أنها أيلة ، قاله ابن عباس وعكرمة والسدى. (والثاني) أنها بساحل مدين ، قاله قتادة . (والثالث) أنها مدين[2] قريــة بين أيلة والطور ، حكاه أبو جعفر الطبرى . (والرابع) أنها قرية يقال لها مقتا بين مدين وعينونا ، قاله ابن زيد . (والخامس) ما قاله ابن شهاب أن القرية التى كانت حاضرة البحر طبرية ، والقرية التى قال فيها : «واضرب لهم مثلا أصحاب القرية» أنطاكية .

(١) هذا القول مرجوح لان أرض الشـام كلهـا لا تسـمى قرية ، والقول الاول هو الارجح.
(٢) في ك انها ثمانين يعنى قرية ...

وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية .

• (إذ يَعْدُون في السبت) هو تعديهم فيه بفعل ما نُهوا عنه .

• (إذ تأتيهم حيتانُهم يوم سبْتهم شُرَّعا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن معنى « شرَّعا » أى طافية على الماء ظاهرة ، قاله ابن عباس ، ومنه شوارع البلد لظهورها . (والثاني) أنها تأتيهم من كل مكان ، قاله عطية العوفي . (والثالث) أنها شرَّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض <رافعة رؤوسها ، حكاه بعض المتأخرين> [1] فتعدّوا فأخذوها في السبت، قاله الحسن .

١٦٥ــ قوله عز وجل (فلمّا نَسُوا[2] ما ذُكِّرُوا به) نسوا يعنى تركوا ، والذى ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر .

• (أنجيْنا الذين يَنْهَوْن عن السُّوء) وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

• (وأخذنا الذين ظلموا) وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر.

• (بعذاب بَئِيس) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) شديد ، قاله مجاهد . (والثاني) رديء ، قاله الأخفش . (الثالث) أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس .

وأما الفرقة الثالثة التى لم تنهَ ولم تفعل ففيها قولان : (أحدهما) أنها نجيت مع الذين نُهوا . (والثاني) ما قاله ابن عباس : لا أدرى ما فعل بها [3] .

١٦٧ــ قوله عز وجل (وإذ تأذّنَ ربُّك) فيه قولان :

(١) سقط من ق .
(٢) من هنا الى ما فعل بها سقط من ق
(٣) من فلما نسوا ما ذكروا به سقط من ق

أحدهما - أنه تفعَّل من الإذن ومعناه أَعْلَم ، قاله الحسن ، ومنه قول الأعشى :

آذَنَ القومُ جيرتي بخلوفٍ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مألوفِ

والثاني - معناه نادى وأقسم ، قاله الزجاج .

* (لَيَبْعَثَنَّ عليهم) يعني على اليهود .

* (إلى يوم القيامة مَنْ يَسُومُهم سوءَ العذابِ) والمبعوثون هم العرب، وسوء العذاب هو الذلة وأخذ الجزية ، قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة :

ويقال إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسى ، فجبى الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة ثم أمسك إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال سعيد بن المسيب : أُستحب أن أبعث في الجزية الأنباط . ولا أعلم لاستحبابه ذلك وجها إلا أن يكون لأنهم من قوم بختنصر فهم أشد انتقاما، أو لأنها قد كانت تؤخذ منهم على استيفائها لأجل المقابلة أحرص .

١٦٨- قوله عز وجل (وقطّعْناهم في الأرْضِ أُمَماً ...) أي فرقناهم فيها فرقا . وفي تفريقهم فيها ثلاثة أوجه : (أحدها) زيادة في الانتقام منهم. (والثاني) ليذهب تعاونهم . (والثالث) ليتميز الصالح من المفسد لقوله تعالى، (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) .

* ثم قال : (وبلوْناهم بالحسنات والسيئات) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بالثواب والعقاب . (والثاني) بالنعم والنقم . (والثالث) بالخصب والجدب.

١٦٩- قوله عز وجل (فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ) معناه فخلفهم خلف ، والخَلْف بتسكين اللام مستعمل في الذم ، وبفتح اللام مستعمل في الحمد. وقال أبو عبيدة : معناهما [واحد] مثل الأثَر والإثْر ، والأول أظهر وهو في قول الشعراء أشهر ، قال بعضهم :

خلفت خلفـــا ليت بهم　　　　كان ، لا ، بِلـَكَ التلـــفُ

وفي الخلف وجهان : (أحدهما) القرن،قاله الفراء . (والثاني) أنه جمع خالف .

* (وَرِثوا الكِتابَ) يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف < وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم من خلف اليهود من أبنائهم ، والكتاب الذى ورثوه التوراة لانتقالها لهم . (والثاني) أنهم النصارى ، لأنهم خلف من اليهود . والكتاب الذى ورثوه:الإنجيل لحصوله معهم ، قاله مجاهد >[1] .

* (يأخذون عرَضَ هذا الأدنى) يعنى الرشوة على الحكم ، في قول الجميع < وسماه عرضا لقلة بقائه . وفي وصفه بالأدني وجهان : (أحدهما) لأخذه في الدنيا الدانية . (والثاني) لأنه من المحرمات الدنية > [2] .

* (ويقولون : سيغفر لنا) يحتمل وجهين : (أحدهما) انه مغفور ، لا نؤاخذ به (والثاني) أنه ذنب لكن الله قد يغفره لنا تأميلا منهم لرحمته .

* (وإنْ يأتِهم عَرَضٌ مثلُه يأخُذوه) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم أهل إصرار على الذنوب ، قاله مجاهد وقتادة والسدى . (والثاني) أنهم لا يشبعهم شيء،فهم لا يأخذونه لحاجة ، قاله الحسن .

* (ألَمْ يُؤْخَذْ عليهم ميثاقُ الكتابِ ألاّ يقولوا على اللهِ إلا الحقّ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ألاّ يقولوا على الله إلاالحق في تحريم الحكم بالرشا. (والثاني) في جميع الطاعات والمعاصى والأوامر والنواهى .

* (ودَرَسُوا ما فيه) فيه تأويلان : (أحدهما) تركوا ما فيـــه أن يعملوا به حتى صارَ دارسا . (والثاني) أنهـــم قد تلوه ودرسوه فهم لايجهلون ما فيه ويقدمون على مخالفته مع العلم به .

١٧١ـ قوله عز وجل (وإذْ نَتَقْنا الجبلَ فوقهم....) فيه ثلاثة أوجه :

---

(١) سقط من ق

(٢) سقط من ق .

أحدها – زعزعناه ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول العجاج :

قد جرّبوا أخلاقنا الجلائلا   ونتقوا أحلامنا الأثاقلا

والثاني – بمعنى جذبناه ، والنتق : الجذب ومنه قيل للمرأة الولود ناتق ، قال النابغة :

لم يُحْرَموا حُسْنَ الغذاء وأمُّهمْ   طَفَحَتْ عليك بناتقٍ مِذْكارِ

واختلف في سبب تسميتها ناتقاً ،فقيل لأن:خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل:لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولدا .

والثالث – معناه ورفعناه عليهم من أصله .

قال الفراء : رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ .

قال مجاهد : وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة ، فوعظهم موسى فلم يقبلوا ، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم : إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : فأخذوه بقوة ثم نكثوا بعد .

< واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاما منهم أو إنعاما عليهم؟على قولين:(أحدهما) أنه كان انتقاما بالخوف الذى دخل عليهم. (والثاني) كان إنعاما لإقلاعهم به عن المعصية [1] >.

• (...وظَنّوا أنّه واقعٌ بهم) فيه قولان:(أحدهما) أنه غلب في نفوسهم أنه واقع بهم على حقيقة الظن . (والثاني) أنهم تيقنوه لما عاينوا من ارتفاعه عليهم ، قاله الحسن .

• (خذوا ما آتيْناكم) يعني التوراة .

• (بقُوَّةٍ) يحتمل وجهين : (أحدهما) بجد واجتهاد . (والثاني) بنية صادقة وطاعة خالصة .

١٧٢– قوله عز وجل (وإذ أخذ ربُّك من بني آدم مِنْ ظُهورِهم ذرِّيتَهم) اختلف في الذين أخرجهم وأخذ ذلك عليهم على قولين :

---

(١) سقط من ق .

أحدهما ـــ أنه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمت به من خاطبها . واختلف من قال بهذا هل كان ذلك قبل نزوله إلى الأرض على قولين : (أحدهما) أنه كان في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض . (والثاني) أنه فعل ذلك بعد هبوطه إليها .

والقول الثاني ـــ في الأصل أنه خلق الأرواح والأجساد معاً وذلك في الأرض عند جميع من قال بهذا التأويل .

فعلى هذا فيه قولان : (أحدهما) أنه أخرجهم كالذر وألهمهم هذا فقالوه ، قال الكلبي ومقاتل : وذلك أن الله مسح ظهر آدم بين مكة والطائف فخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية كالذر بيض،فهم أصحاب الميمنة . وخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية كالذر سود،فهم أصحاب المشأمة، فلما شهدوا على أنفسهم جميعا من آمن منهم ومن كفر أعادهم .(والثاني) أنه أخرج الذرية قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر .

• وفي (وأشْهَدهم على أنفسهم ألست بربكم) قولان : (أحدهما) هو أنه دلهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته ، قاله بعض المتكلمين . (والثاني) هو إشهادهم على أنفسهم بما اعترفوا من ربوبيته ووحدانيته .

وفيه على هذا التأويل قولان :

أحدهما ـــ أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ليعلمهم أنه خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا ، كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت لهم الحجة ، قاله ابن بحر .

والقول الثاني ـــ أنه قال ذلك للذرية حين أخذهم من ظهور آبائهم، وهذا قول الأكثرين .

فعلى هذا فيه قولان (أحدهما) أنه قال لهم « ألست بربكم » عـــلى لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم . (والثاني) أنه جعل لهم عقولا علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم .

وفي أصل الذرية قولان : (أحدهما) لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر . (والثاني) أنه مأخوذ من ذَرَأَ الله الخلْقَ إذا أحدثهم وأظهرهم.

١٧٥– قوله عز وجل (واتْلُ عليهم نبأ الذى آتيْناه آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنه بلعام بن باعوراء ، واختلفوا فيه فقيل كان من اليمن، وقيل كان من الكنعانيين ، وقيل من بني صـــال بن لوط ، قاله ابن عباس وابن مسعود .

والثاني – أنه أمية بن أبي الصلت الثقفى ، قاله عبد الله بن عمرو .

والثالث – أنه مَن أسلم من اليهود والنصارى ونافَقَ ، قاله عكرمة .

وفي الآيات التى أوتيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه اسم الله الأعظم الذى تجاب به الدعوات ، قاله السدى وابن زيد . (والثاني) أنها كتاب من كتب الله ، قاله ابن عباس. (والثالث) أنه أُوتِيَ النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه ، قاله مجاهد < وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفى لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته > [1] .

<وفي قوله « فانسلخ منها » وجهان : (أحدهما) فانسلخ من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية . (والثاني) أنه انسلخ منها أى من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكى أن بلعام رُشِي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا >. [2]

• (فأتْبَعَهُ الشيطانُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الشيطان صيره لنفسه تابعا بإجابته له حين أغواه . (والثاني) أن الشيطان متبع من الإنس على

(١) سـقط من ق .
(٢) سـقط من ق

ضلالته من الكفر . (والثالث) أن الشيطان لحقه فأغواه ، يقال أتْبَعْتُ القوم إذا لحقتهم ، وتبعتهم إذا سرت خلفهم ، قاله ابن قتيبة .

* < فكان مِنَ الغاوين) فيه وجهان : (أحدهما) من الهالكين . (الثاني) من الضالّين .

* قوله عز وجل (ولو شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى لأمَتّناه فلم يكفر . (والثاني) لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة [المرفوعة][1] معصوما ، قاله مجاهد .

* (ولكنّه أخْلَدَ إلى الأرْض) أى ركن إليها . وفي ركونه إليها وجهان : (أحدهما) أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه. (والثاني) أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله ، وقد بين ذلك قوله تعالى (واتّبَعَ هواه) .

* ثم ضرب مثله بالكلب(...إنْ تَحمِلْ عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يلْهَثْ) وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان : (أحدهما) لدناءته ومهانته . (الثاني) لأن لهث الكلب ليس بنافع له .

١٧٩- قوله عز وجل (ولقد ذرأْنا لجهنّمَ كثيراً من الجنّ والإنْسِ) «ذرأنا لجهنم» أى خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته .

و«كثيرا من الجن والإنس» فيه قولان :

أحدهما - أراد أولاد الزنى لأنهم من النطف الخبيثة مخلوقون، فهم أكثر الناس إسراعا إلى الكفر والمعصية فيصيرون جامعين بين[سوء] المعتقد وخبث المولد .

والقول الثاني - أنه على العموم في أولاد الزنى والرِشدة فيمن ولد من

(١) من معنى عبارة ق حيث جاء فيها : حتى يصير مرفوع المنزلة .
(٢) من هنا الى : كنا يسلم بعضنا ، سقط من ك

نكـــاح أو سفاح لأنهم مؤاخذون على أفعالهم لا على مواليدهم التي خبثت بأفعال غيرهم .

* (لهمْ قلوبٌ لا يفقهونَ بها) الحق .

* (ولهم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرونَ بها) الرشد .

* (ولهم آذانٌ لا يسمعونَ بها) الوعظ ، فصاروا بترك استعمالها بمثابة مَن عَدِمها ، قال مسكين الدارمي :

أَعْمَى إذا ما جارتي خرَجَتْ   حتى يُوارى جارتي الجُدرُ

وأصم عمـــا كان بينهمـــــا   سمعي وما في سمعيَ الوَقْرُ

١٨٠– قوله عز وجل (ولله الأسماءُ الحُسْنَىٰ فادْعُوهُ بها) قال ابن عباس : كل أسمائه حسنى .

وفي المراد بالحسنى هاهنا وجهان : (أحدهما) ما مالت إليه القلوب من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة . (والثاني) اسماؤه التي يستحقها لنفسه ولفعله ومنها صفات هي طريق المعرفة به ، وهي تسعة : القديم الأول قبل كل شيء . والباقي بعد فنـــاء كل شيء . والقادر الذى لا يعجزه شيء . والعالم الذى لا يخفى عليه شيء . والحي الذى لا يموت . والواحد الذى ليس كمثله شيء . والسميع البصير الذى لا يعزب عنه شيء . والغني بنفسه عن كل شيء .

وفي دعائه بها وجهان : (أحدهما) نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب . (والثاني) تعظيمه بها تعبدا له بذكرها .

* (وذَرُوا الذين يُلْحِدونَ في أسمائه) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) معناه يكذبون ، قاله ابن عباس . (والثاني) يشركون ، قاله قتادة . (والثالث) يجوّرون ، قاله الأخفش .

وفي إلحادهم فيها قولان (أحدهما) اشتقاقهم آلهتهم من أسماء الله، كما سموا بعضها باللات اشتقاقا من الله ، وبعضها بالعزى اشتقاقا من العزيز ،

قاله ابن عباس ومجاهد . (والثاني) تسميتهم الأوثانَ آلهةً والله عز وجل أبا المسيح وعزير .

١٨١– قوله عز وجل (وممّنْ خلَقْنا أُمّةٌ يَهْدُون بالحَقّ) فيهم قولان : (أحدهما) العلماء . (والثاني) أنهم هذه الأمة . روى ذلك قتادة وابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٢– قوله تعالى (والذين كذّبوا بآياتنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ من حَيْثُ لا يَعْلمونَ) والاستدراج أن تنطوى على حالة منزلة بعد منزلة . وفي اشتقاقه قولان : (أحدهما) أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء . (والثاني) أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة.

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان : (أحدهما) استدراجهم إلى الهلكة . (والثاني) الكفر .

وقوله « من حيث لا يعلمون » يحتمل وجهين . (أحدهما) لا يعلمون بالاستدراج . (والثاني) لا يعلمون بالهلكة .

١٨٦– قوله عز وجل : (مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فلا هاديَ له) فيه قولان : (أحدهما) معنى يضله يحكم بضلالته في الدين. (والثاني) يضله عن طريق الجنة إلى النار.

• (ويَذَرُهُم في طغيانهم يَعْمَهون) والطغيان إفراط العدوان .

وفي « يعمهون » وجهان : (أحدهما) يتحيرون ، والعمه في القلب كالعمى في العين . (والثاني) يترددون ، قاله قطرب واستشهد بقول الشاعر :

متى يَعْمَهْ الى عثمان يَعْمَهْ الى ضخم السُرادق والقطار

١٨٧– قوله عز وجل (يسألونكَ عن الساعةِ) فيه قولان : (أحدهما) أن السائل عنها اليهود ، قاله ابن عباس . (والثاني) أن السائل عنها قريش ، قاله الحسن وقتادة .

• (أيّان مُرْساها) أما « أيان » فمعنى متى ، ومنه قول الراجز :

أيّان تَقْضِي حاجتي أيّانا أما ترى لنُجْحها أوَانا

وأما «مُرساها» ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) قيامها ، قاله السدى . (والثاني) منتهاها ، قاله ابن عباس . (والثالث) ظهورها ، قاله الأخفش .

• (قل إنما عِلمُها عند ربّى لا يُجلّيها لِوَقْتِها إلاّ هو) لا يعلم وقتها إلاّ هو ، نفيا أن يعلمها غير الله .

• (ثَقُلَتْ في السموات والأرض) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) كبر على أهل السموات والأرض مجيء الساعة ، قاله الحسن . (والثاني) ثقل عليهم قيام الساعة ، قاله السدى . (والثالث) معناه [عظم] وصفها على أهل السموات والأرض ، قاله ابن جريج .

• (لا تأتيكم إلا بَغْتَةً) يعني على غفلة لأنه لا يعلمها غير الله ، ولم ترد الأخبار عنها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال الشاعر(١) :

وأنكأ شيء حينَ يَفْجؤك البَغْتُ (٢)

• (يسألونكَ كأنّكَ حَفِيٌّ عنها) فيه تأويلان : (أحدهما) معناه عالِمٌ بها ، قاله مجاهد والضحاك وابن زيد ومعمر . (والثاني) معنى الكلام يسألونك عنها كأنك حفِيٌّ بهم ، على التقديم والتأخير ، أى كأن بينك وبينهم مودة توجب برّهم ، من قوله «إنه كان بي حفيا»(٣) ، قاله ابن عباس.

١٨٨ـ قوله عز وجل (قُلْ لا أَمْلِكُ لنفسى نَفْعاً ولا ضَرّاً) أى لا أملك القدرة عليهما من غير مانع ولا صادّ .

• (إلا ما شاءَ اللهُ) أن يملكنى إياه فأملكه بمشيئته .

• (ولو كنتُ أعلم الغَيْبَ لاستكثَرْتُ من الخير) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) لاستكثرت من العمل الصالح ، قاله الحسن وابن جريج. (والثاني)

(١) هو يزيد بن ضبة الثقفى من مواليهم من اهل الطائف ، نسب الى امه ضبة ، واسم ابيه مقسم ، وهو من شعراء العصر الاموى مات نحو سنة ١٣٠هـ .

(٢) هذا عجز البيت ، وصدره كما في اللسان (بغت) : ولكنهم ماتوا ولم أدر بغتة

(٣) آية ٤٧ مريم

لأعددت من السَّنَة المخصبة للسنة المجْدِبة ، قاله الفراء . (والثالث)، وهو شاذ: لاشتريت في الرخص وبعْت في الغلاء .

* (وما مَسَّنِيَ السُّوءُ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) ما بي جنون كما زعم المشركون ، قاله الحسن . (والثاني) ما مسنى الفقر لاستكثارى من الخير . (والثالث) ما دخلت على شبهة .

١٨٩ـ قوله عز وجل (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم.

* (وجَعَلَ منها زوْجَها) يعنى حوّاء .

* (لِيَسْكُنَ إليها) فيه وجهان : (أحدهما) معناه ليأوى إليها ، قاله أبو جعفر الطبرى. (والثاني) معناه ليأنس ويميل إليها وينعطف عليها ، قاله علي بن عيسى .

* (فلمّا تغشّاها) يعنى بالإفضاء والإصابة[1] .

* (حَمَلَتْ حَمْلا خفيفا) يعنى الماء الذى من نطفة آدم ، وكان خفيفا عليها .

* (فمَرّت به) فيه قولان : (أحدهما) معناه واستمرت به إلى حال الثقل ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة . (والثاني) شكّت فيه أحَمَلَتْ أم لا، قاله ابن عباس.

* (فلمّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ ربَّهما) يعنى آدم وحواء .

* (لئن آتيتَنا صالحاً لنكونَنَّ من الشاكرين) فيه تأويلان : (أحدهما) غلاما سويا ، قاله الحسن . (والثاني) بشرا سويا ، لأنهما أشفقا أن يكون بهيمة لأن إبليس قال لهما ذلك ، قاله أبو صالح.

١٩٠ـ (فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شُركاءَ فيما آتاهما) وذلك أن إبليس قال لحوّاء سَمّيه : عبد الحارث،يعنى نفسه لأن اسمه فيالسماء كان"الحارث"،

---

(١) اى الوقاع .

فسمته عبد الله فمات ، ثم حملت ولدا ثانيا فقال لها ذلك فلم تقبل ، فمات ، ثم حملت ثالثا فقال لها ولآدم : أتظنان الله تارك عبده عندكما ؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخَرَيْن فسمياه بذلك فعاش ، فهذا معنى قوله « جعلا له شركاء فيما آتاهما » أي في الاسم ، فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض .

وقال الحسن وقتادة : إن المكنّى عنه بقوله « جعلاله شركاء فيما آتاهما » ابن آدم وزوجته وليس براجع إلى آدم وحواء .

١٩٥ـ قوله عز وجل (أَلَهُم أَرْجلٌ يَمْشُونَ بها) يعني الأصنام ، يعني أرجل يمشون بها في مصالحكم .

* (أم لهم أَيْدٍ يبْطِشونَ بها) يعني في الدفع عنكم .

* (أمْ لهم أعْيُنٌ يُبْصِرونَ بها) يعني مضاركم من منافعكم .

* (أم لهم آذانٌ يَسْمَعون بها) دعاءكم وتضرعكم .

فإن قيل فلم أنكر عبادة من لا رِجل له ولا يد ولا عين ؟

قيل عنه جوابان : (أحدهما) أن من عبد جسما لا ينفع كان ألوم ممن عبد جسما ينفع . (والثاني) أنه عرفهم أنهم مفضلون عليها ، فكيف يعبدون من هم أفضل منه .

١٩٩ـ قوله عز وجل (خُذ العفْوَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) العفو من أخلاق الناس وأعمالهم ، قاله ابن الزبير والحسن ومجاهد . (والثاني) خذ العفو من أموال المسلمين ، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها ، قاله الضحاك والسدي وأحد قولي ابن عباس . (والثالث) خذ العفو من المشركين ، وهذا قبل فرض الجهاد ، قاله ابن زيد .

* (وأْمُرْ بالعُرْفِ) فيه قولان : (أحدهما) معناه بالمعروف ، قاله عروة وقتادة . (والثاني) ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل حين نزلت عليه هذه الآية « خذ العفو وأمر بالعرف » : يا جبريل

ما هذا ؟ قال لا أدرى حتى أسألَ العالِم ،قال : ثم عاد جبريل فقال : يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك،وتعطي من حرمك،وتعفو عمن ظلمك ، قاله ابن زيد .

• (وأعْرِضْ عَن الجاهِلين) فإن قيل فكيف أمر بالإعراض مع وجوب الإنكار عليهم ؟

قيل : إنما أراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم . وهذا وإن كان خطابا لنبيه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه .

٢٠٠ــ قوله عز وجل : (وإمّا يَنْزَغَنّكَ من الشيطانِ نَزْغٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن النزغ الانزعاج . (والثاني) الغضب . (والثالث) الفتنة ، قاله مقاتل .

• (فاسْتَعِذْ باللهِ إنّه سميعٌ عليمٌ) سميع بجهل من جهل ، عليم بما يزيل عنك النزغ .

٢٠١ــ قوله عز وجل (إن الذين اتّقَوْا إذا مَسّهُم طائفٌ من الشيطان) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة «طائف» ، وقرأ الباقون «طيْفٌ» واختلف في هاتين القراءتين على قولين :

أحدهما ــ أن معناهما واحد وإن اختلف اللفظان ، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على أربعة تأويلات : (أحدها) أن الطيف اللمَم كالخيال يلم بالإنسان (والثاني) أنه الوسوسة ، قاله أبو عمرو بن العلاء . (والثالث) أنه الغضب ، وهو قول مجاهد[1] . (والرابع) أنه الفزع ، قاله سعيد بن جبير .

والقول الثاني ــ أن معنى الطيف والطائف مختلفان ، فالطيف اللمَم ، والطائف كل شيء طاف بالإنسان.

• (تذكّرُوا فإذا هم مُبْصِرونَ) فيه وجهان : (أحدهما) علموا فإذا هم منتهون . (والثاني) اعتبروا فإذا هم مهتدون .

---

(١) في الاصول وهو قول سعيد بن والتصويب من القرطبي

٢٠٣ـ قوله عز وجل (وإذا لم تأتِهم بآيةٍ قالوا لولا اجْتَبَيْتَها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه هلا أتيتنا بها من قِبَل نفسك ، وهذا قول مجاهد وقتادة . (والثاني) معناه هلا اخترتها لنفسك . (والثالث) معناه هلا تقبلتها من ربك ، قاله ابن عباس .

٢٠٤ـ قوله عز وجل (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له) أى لقراءته .

* (وأنْصِتوا) أى لا تقابلوه بكلام ولا إعراض (لعلكم تُرْحمون) .

واختلفوا في موضع هذا الإنصات على ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنها نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت ولا يقرأ، قاله مجاهد.

والثاني ـ أنها نزلت في خطبة الجمعة ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم ، قالته عائشة وعطاء[1].

والثالث ـ ما قاله ابن مسعود: كنا يسلّم بعضنا على بعض في الصلاة: سلام على فلان ، سلام على فلان . فجاء القرآن من « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنْصِتوا » .

٢٠٥ـ قوله عز وجل (واذكرْ ربّك في نَفْسِك) وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه ذكر القراءة في الصلاة خلف الإمام سرا في نفسه ، قاله قتادة . (والثاني) أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتّى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته . (والثالث) ذكره باللسان إما رغبة إليه في دعائه أو تعظيما له بالآية.

وفي المخاطب بهذا الذكر قولان : (أحدهما) أنه المستمع للقرآن إما في الصلاة أو الخطبة ، قاله ابن زيد . (والثاني) أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه عام في جميع المكلفين .

* ثم قال (تضرُّعاً وخِيفةً) أما التضرع فهو التواضع والخشوع . وأما الخيفة فمعناه مخافة منه .

* (ودُونَ الجهْرِ مِن القوْلِ) يعنى أسرّ القول إما بالقلب أو باللسان على ما تقدم من التأويلين .

(١) قال النقاش : الآية مكية ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة . اقول والصحيح ان هذا الانصات عام فيما يجهر به الامام وفي غيره

* ثم قال تعالى (بالغدوِّ والآصالِ) فيه وجهان: (أحدهما) بالبُكر والعشيّات. (والثاني) أن الغدو آخر الفجر صلاة الصبح ، والآصال آخر العشى صلاة العصر ، قاله مجاهد ونحوه عن قتادة .

* (ولا تكن من الغافلين) يحتمل وجهين : (أحدهما) عن الذكر . (والثاني) عن العمل .

٢٠٦ــ قوله عز وجل (إنّ الذين عِنْد ربّك) يعني الملائكة .

* (لا يَسْتكْبرون عن عبادته) فيه تأويلان : (أحدهما) عن الصلاة له والخضوع فيها ، قاله الحسن . (والثاني) عن طاعته في كل أوامره ونواهيه : قاله الجمهور .

* (ويُسَبّحُونه وله يَسْجُدونَ) وهذه أول سجدات التلاوة في القرآن . وسبب نزولها ما قاله كفار مكة : «وما الرحمن أنسْجُد لما تأمُرنا وزادهم نُفورًا» فأنزل الله تعالى هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا على هذه الحال في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولى . والله أعلم بالصواب .

(١) في ك هذه الفقرة « تم الثلث الاول من تفسير القاضي الماوردى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »
أما في ق فقد جعلت سورة الاعراف في الجزء الثاني من تجزئة رباعية ،

سورة الأنفال

مدنيـــة في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء[1] ، وقال ابن عباس : إلا سبع آيات من قوله عز وجل : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ... » إلى آخرِ سبع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله عز وجل : ﴿ يَسْأَلونَكَ عن الأنفـــالِ قُلِ الأنفالُ للهِ والرّسولِ ﴾ وهذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال .

وفي هذه الأنفال التى سألوه عنها خمسة أقاويل :

أحدها ـ أنها الغنائم ، وهذا قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك.

الثاني ـ أنها السرايا التى تتقدم الجيش ، وهذا قول الحسن .

الثالث ـ الأنفال ما ندّ مِن المشركين إلى المسلمين بغير قتـــال من دابة أو عبد ، وهذا أحد قولي ابن عباس .

الرابع ـ أن الأنفال الخمُسُ من الفيء والغنائم التى جعلها الله تعالى لأهل الخمس ، وهذا قول مجاهد .

الخامس ـ أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما قد يراه من الصلاح .

والأنفال جمع نفَل، وفي النفل قولان :

أحدهما ـ أنه العطية ، ومنه قيل للرجل الكثير العطاء بنوفل ، قال الشاعر[2] :

(١) وقال هؤلاء انها بدرية أيضا اى انها في غزوة بدر الكبرى انظر تفسير القرطبى ٣٦٠/٧ .
(٢) هو أعشي باهلة .

يأتي الظلامة منه النوفل الزُّفَرُ(١)

فالنوفل : الكثير العطاء . والزفر : الحمّال للأنفال ، ومنه سمي الرجل زفر.

والقول الثاني — : أن النفل الزيادة من الخير ومنه صلاة النافلة . قال لبيد بن ربيعة :

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نفَل   وبإذن الله رَيْثي وعَجَــل

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقاويل :

أحدها — ما رواه ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مــن صنعَ كذا وكذا فله كذا وكذا . فسارع إلــيه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما فتح الله تعالى عليهم جاؤوا يطلبون ما جعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءًا لكم،فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأنفال(٢) .» الآية.

الثاني — ما روى محمد بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قُتل أخي عمير، وقتلتُ سعيد بن العاص بن أميةَ وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هبه لى يا رسول الله، فقال اطرحه في القبَض فطرحته ورجعت وبي من الغم ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي ، قال:فما تجاوزت إلا قريبا حتّى نزلت عليه سورة الأنفال فقال : .اذهب فخذ سيفك (٣) .

الثالث — أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا فاختلفوا وكانوا أثلاثا فنزلت «يسألونك عن الأنفال» الآية . فملّكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله ، قاله عكرمة والضحاك وابن جريج .

(١) هذا عجز البيت ، وصدره : اخو رغائب يعطيها ويسالها
انظر اللسان مادة زفر .
(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس وذكره السيوطى في أسباب النزول ص ١٠٦ .
(٣) رواه أحمد في المسند ١٨٠/١

الرابع ـ أنهم لم يعلموا حكمها وشكّوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ثم اختلف أهل العلم في نسخ هذه الآية على قولين :

أحدهما ـ أنها منسوخة بقوله تعالى. « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » . الآية ، قاله عكرمة ومجاهد والسدى .

والقول الثاني ـ أنها ثابتة الحكم ومعنى ذلك : قل الأنفال لله،وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة ، والرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها ، قاله ابن زيد.

• (فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينِكم) فيه وجهان:(أحدهما) أن يرد أهل القوة على أهل الضعف . (الثاني) أن يسلّموا لله وللرسول ليحكما في الغنيمة بما شاء الله .

٢ ـ قوله عز وجل (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم) فيه وجهان : (أحدهما) خافَتْ . (الثاني) رَقَّتْ .

• (وإذَا تُلِيَتْ عليهم آياتُه) يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي .

• (زادتْهم إيمَاناً) فيه وجهان : (أحدهما) تصديقا . (الثاني) خشية.

• (وعلى ربهم يتوكلون) يحتمل وجهين : (أحدهما) فيما يخافونه من الشدة في الدنيا . (الثاني) فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة .

٥ ـ قوله عز وجل (كما أخْرَجَكَ ربُّك من بيتِك بالحقِّ) فيه قولان:

أحدهما ـ كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهة فريق من المؤمنين كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق

(والثاني) كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق .

وفي قوله « بالحق » وجهان : (أحدهما) أنك خرجت ومعك الحق . (الثاني) أنه أخرجك بالحق الذى وجب عليك .

* (وإنّ فريقاً مِن المؤْمنينَ لكَارِهونَ) فيه وجهان : (أحدهما) كارهون خروجك . (الثاني) كارهون صرف الغنيمة عنهم لأنهم لم يعلموا أن الله تعالى قد جعلها لرسوله دونهم .

٦ – قوله عز وجل (يُجادِلونَكَ في الحَقّ بَعْدَ ما تَبَيّنَ) يعنى في القتال يوم بدر .

و« بعدَمَا تبيّنَ » يحتمل وجهين : (أحدهما) بعد ما تبين لهم صوابه. (الثاني) بعد ما تبين لهم فرضه .

وفي المجادل له قولان : (أحدهما) أنهم المشركون ، قاله ابن زيد. (الثاني) أنهم طائفة من المؤمنين ، وهو قول ابن عباس وابن اسحاق . لأنهم خرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أُمروا بالقتال فجادلوا طلبا للرخصة وقالوا ما تأهبنا في الخروج لقتال العدو ، فأنزل الله تعالى (كأنما يُساقُونَ إلى الموتِ) يعنى كأنهم في قتال عدوهم يساقون إلى الموت ، رعبا وأسفاً لأنه أشد لحال من سيق إلى الموت أن يكون ناظرا له وعالما به .

٧ – قوله عز وجل (وإذْ يَعِدُكم اللهُ إحدَى الطائفتينِ أنها لكم) الآية . وسبب ذلك أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لأخذها ، وسار فبلغ ذلك قريشا فخرجت للمنع عنها ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروجها شاور أصحابه ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وقال :سيروا

على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم [1] . فذلك معنى قولـــه : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » يعنى العير التى مع أبي سفيان أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها .

* (وتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشوْكةِ تكونُ لكم) أى غير ذات الحرب وهى العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن ، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج.

وفي الشوكة التى كنى بها عن الحرب وجهان : (أحدهما) أنها الشدة فكنى بها عن الحرب لما فيها من الشدة ، وهذا قول قطرب . (والثاني) أنها السلاح ، وكنى بها عن الحرب لما فيها من السلاح ، من قولهم رجل شاك في السلاح ، قاله ابن قتيبة .

* (ويريدُ الله أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ) فيه قولان : (أحدهما) إظهار الحق بإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من وعده . (والثاني) أن يحق الحق في أمره لكم أن تجاهدوا عدوكم .

وفي صفة ذلك وجهان لأصحاب الخواطر : (أحدهما) يحق الحق بالإقبال عليه ويبطل الباطل بالإعراض عنه . (الثاني) يحق الحق بالقبول ويبطل الباطل بالرد .

٨ – (لِيُحِقَّ الحقَّ) معناه ليظهر الحق يعنى الإسلام .

* (ويُبطلَ الباطلَ) أى يذهب بالباطل يعنى الشرك .

قال الحسن : هذه الآية نزلت قبل قوله « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » وهى في القراءة بعدها .

روى سمـــاك عن عكرمة قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عليك بالعير ليس دونها شيء ، فقال له العباس وهو أسير في أيديهم:

(١) رواه البخارى في المغازي ٣٦٩/٧ ومسلم في الجهاد رقم ١٨١٥ والترمذى في التفسـير رقم ٣٠٨١ ، وأحمد في المسند ٢٢٩/١و٣١٤و٣٢٦ .

ليس لك ذلك ، فقال : لم ؟ فقال لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك [١].

٩ ـ قوله عز وجل (إذ تستغيثون ربكم) فيه وجهان : (أحدهما) تستنصرون (الثاني) تستجيرون .

والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر: طالب الظفر، والمستجير: طالب الخلاص .

والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث: المسلوب القدرة ، والمستعين: الضعيف القدرة .

• (فاستجاب لكم) أى فأعانكم .

والفرق بين الاستجابة والإجابة أن الإجابة ما لم يتقدمها امتناع .

• (أَنِّي مُمِدُّكم بِأَلْفٍ من الملائكة مُرْدِفِينَ) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها ـ مع كل مَلَك مَلَك، وهو قول ابن عباس فتكون الألف ألفين. قال الشاعر [٢] :

إذا الجوزاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطمة [٣] الظُّنونا

الثاني ـ معناه متتابعين ، قاله السدى وقتادة .

الثالث ـ معنى مردفين أى ممدّين ، والإرداف إمداد المسلمين بهم، قاله مجاهد .

١٠ ـ (وما جعله الله الاّ بُشْرَىٰ) فيه وجهان :

---

(١) اخرجه الترمذى وابن حبان وأحمد والحاكم من رواية اسرائيل عن سماك من عكرمة عن ابن عباس .

(٢) الشاعر هو خزيمة بن مالك بن نهد كما ذكر القرطبى.

(٣) هى فاطمة بنت يذكر بن عنزة أحد القارظين انظر تفسير القرطبى ١٣/٢٣٠.
ويقول احد الشعراء : فرجّي الخير وانتظرى ايابى اذا ما القارظ العنزي آبا
اما القارظ الآخر فهو رحم بن عامر . والقارظ الذى يطلب القرظ وهو ورق السلم يدبغ.

أحدهما – أن البشرى هي في مددهم بألف من الملائكة بشروهم بالنصر فكانت هي البشرى التي ذكرها الله تعالى .

والثاني – البشرى النصرة التي عملها الله لهم .

* (ولتطمئنّ به قلوبكم) فيه وجهان : (أحدهما) بالبشرى (والثاني) بالملائكة .

واختلفوا في قتال الملائكة معهم على قولين :

أحدهما – لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم ، وإلا فملَك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط .

الثاني – أن الملائكة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص ؟ قال : من قبل الملائكة ، فقال: هم غلبونا لا أنتم .

* وقوله (وما النصرُ إلا مِن عندِ الله) لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالى .

١١– قوله تعالى (إذ يُغَشِّيكُم النّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وكثيرا من أصحابه غشيهم النعاس ببدر .

قال سهل بن عبد الله : النعاس يحل في الرأس مع حياة القلب ، والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس ، فهوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ناموا فبشر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر فأخبر به أبا بكر.

وفي[1] امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان : (أحدهما) قواهم بالاستراحة على القتال من الغد . (الثاني) أن أمّنهم بزوال الرعب من قلوبهم ، كما يقال : الأمن مُنيم ، والخوف مسهر .

---

(١) من قوله : وفي امتنان ... الى : والخوف مسهر . نقله القرطبي حرفيا . انظر جـ ٣٧٢/٧ .

وقوله تعالى « أَمَنَةً منه » يعني به الدعة وسكون النفس من الخوف وفيه وجهان : (أحدهما) أمنة من العدو . (الثاني) أمنة من الله سبحانه وتعالى .

* (ويُنزِّل عليكم من السماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُم به) لأن الله تعالى أنزل عليهم ماء السماء معونة لهم بثلاثة أمور : (أحدها) الشرب وإن كانوا على ماء . (الثاني) وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن الرمل تلبد بالماء حتى أمكن المسلمين القتال عليه . (والثالث) ما وصفه الله تعالى به من حال التطهير .

وفي تطهيرهم به وجهان : (أحدهما) من وساوس الشيطان التي ألقى بها في قلوبهم الرعب ، قاله زيد بن أسلم (والثاني) من الأحداث والأنجاس التي نالتهم ، قاله الجمهور .

قال ابن عطاء : أنزل عليهم ماءً طهر به ظواهر أبدانهم، وأنزل عليهم رحمة نقّىٰ بها سرائر قلوبهم .

وإنما خصه الله تعالى بهذه الصفة لأمرين (أحدهما) أنها أخص صفاته. (والثاني) أنها ألزم صفاته .

* ثم قال : (ويُذهبَ عنكم رِجزَ الشيطانِ) فيه قولان :

أحدهما — وسوسته أن المشركين قد غلبوهم على الماء ، قاله ابن عباس.

والثاني — كيده وهو قوله: ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة ، قاله ابن زيد.

* (وليَربطَ على قلوبكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) ثقة بالنصر . < (والثاني) باستيلائهم على الماء .

* (ويثبّتَ به الأقدامَ) فيه قولان: (أحدهما) بالصبر >[1] الذى أفرغه الله تعالى حتى يَثبتوا لعدوهم ، قاله أبو عبيدة . (والثاني) تلبيد الرمل بالمطر الذى لا يثبت عليه قدم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك .

(١) سقط من ك

١٢ــ قوله عز وجل (إذ يُوحي ربُّك إلى الملائكة أَني معكم) معناه معينكم <ويحتمل أن يكون معناه اني معكم في نصرة الرسول>[١] ،فتكون الملائكة لتثبيت المؤمنين ، والله تعالى متولي النصر بما ألقاه من الرعب في قلوب المشركين .

• (فثبِّتوا الذين آمَنوا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) فثبتوهم بحضوركم معهم في الحرب . (والثاني) بقتالكم معهم يوم بدر ، قاله الحسن ، (والثالث) بإخبارهم أنه لا بأس عليهم من عدوهم .

• (سأُلْقِي في قُلوبِ الّذِين كَفَرُوا الرُّعْبَ) يعنى الخوف ، ويحتمل أحد وجهين : إما أن يكون إلقاء الرعب بتخاذلهم ، وإما أن يكون بتكثير المسلمين في أعينهم .

وفي ذلك وجهان : (أحدهما) أنه قال ذلك للملائكة معونة لهم .

(والثاني) أنه قال ذلك لهم ليثبتوا به الذين آمنوا .

• (فَاضْرِبوا فَوْق الأَعْنَاقِ) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ــ فاضربوا الأعناق ، وفوق صلة زائدة في الكلام ، قاله عطية والضحاك .

وقد روى المسعودى عن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أُبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بُعثت بضرب الأعناق وشد الوثاق .

والثاني ــ معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق ، قاله عكرمة .

والثالث ــ فاضربوا على الأعناق .

والرابع ــ فاضربوا على الأعناق[٢] .

والخامس ــ فاضربوا فوق جلدة الأعناق .

---

(١) هكذا في الاصول وقد جاء في تفسير القرطبى ٣٧٨/٧ ان المعنى انهم أبيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها . ولعل الصواب : أعلي الاعناق .

* (واضربوا منهم كل بَنان) يعني المفاصل من أطراف الأيدى والأرجل . والبنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين .

١٥- قوله عز وجل (ياأيها الذين آمَنوا إذا لقيتُم الذين كفروا زَحْفـاً) والزحف : الدنو قليلا قليلا .

* (فلا تُوَلُّوهم الأدْبَار) يعني بالهزيمة منهم والانصراف عنهم ، وفيه قولان : (أحدهما) أن هذا على العموم في تحريم الهزيمة بعد لقـاء العدو (والثاني) مخصوص وهو أن الله تعالى أوجب في أول الإسلام على كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم عنهم وذلك بقوله تعالى « إنْ يكُن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألْفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون»(١) .

وفيه وجهان : (أحدهما) لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من الإسلام . (الثاني) لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من القتال .

ثم نسخ ذلك عنهم بعد كثرتهم واشتداد شوكتهم فأوجب الله تعالى على كل رجل لاقى المشركين محاربا أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن يقف بإزاء عشرة تخفيفا ورخصة وذلك بقوله تعالى « الآنَ خَفّفَ اللهُ عنكم وعَلِم أن فيكم ضَعْفا(٢) » .

< قرىء بضم الضاد وفتحها،وفي اختلاف القراءتين وجهان: (أحدهما) أنهما لغتان ومعناهما واحد ، قاله الفراء (والثاني) معناهما مختلف.

وفي اختلافهما وجهان : (أحدهما) أنها بالفتح:الضعف في الأموال، وبالضم:الضعف في الأحوال . (الثاني) أنها بالفتح:الضعف في النيات ، وبالضم:الضعف في الأبدان . وقيل بعكس الوجهين في الوجهين> (٣) .

ثم قال « فإنْ يكُنْ منكم مائةٌ صابرةٌ يغْلِبوا مائتين وإنْ يكُنْ منكُم ألْفٌ يغْلبوا ألْفين بإذن الله والله مع الصابرين » (٤) فيه تأويلان : (أحدهما)

---

(١) آية ٦٥ من الأنفال وستأتى .

(٢) آية ٦٦ من هذه السورة

(٣) سقط من ق .

(٤) آية ٦٦ من هذه السورة ايضا

مع الصابرين على القتال في معونتهم على أعدائهم . (الثاني) مع الصابرين على الطاعة في قبول عملهم وإجزال ثوابهم ، فصار حتما على من لاقى عدوه من المشركين زحفا أن لا ينهزم مع القوة على المصابرة حتى يقضي الله من أمره ما شاء ، فأما الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإنْ قاتلَه أكثر من مثليــه جاز أن يُوَلّي عنهم منهزما، وإنْ قاتله مثلاه فمن دون حرم عليــه أن يولّي عنهم منهزما إلا على صفتين: إما أن يتحرّف لقتال وهو أن يَهرب ليَطلُب، ويفِر لِيكرّ فإن الحرب كر وفر ، وهرب وطلب ، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى ليقاتل معها،قربت الفئة أو بعدت ، وذلك ظاهر في قوله تعالى :

١٦ــ (ومن يُوَلّهم يومئــذٍ دُبُرَه إلاّ مُتَحَرِّفاً لقتالٍ أو مُتحيِّزًا إلى فئــةٍ فقد باءَ بغَضَبٍ مِن الله) أى صار بالمكان الذى يحق عليه غضب الله ، مأخوذ من المبْوَأ وهو المكان .

ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيه أن هذا على العموم ، محكوم به في كل مسلم لاقى عدواً ، وبه قال عبد الله بن عباس .

وحكى عن الحسن وقتادة والضحاك أن ذلك خاص في أهل بدر،وبه قال أبو حنيفة .

١٧ــ قوله عز وجل (فلَمْ تَقْتُلوهم ولكنّ (١) الله قَتَلَهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) ولكن الله قتلهم بسَوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم . (الثاني) ولكن الله قتلهم بمعونته لكم حين ألقى في قلوبهم الرعب وفي قلوبكم النصر.

وفيه وجه ثالث قاله ابن بحر : ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم .

< وقيــل لم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرماحهم > (٢) .

(١) ذكر القرطبي في تفسير هذه الاية ان المسلمين بعد انصرافهم من بدر أخذوا يتفاخـرون بما صنعوا في المعركة فنزلت الاية اعلاما بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الاشياء انظر تفسـير القرطبي ٧/٣٨٤

(٢) سـقط من ق

(وما رَميْتَ إذ رَميْتَ ولكنّ اللهَ رمى) فيه أربعة أقاويل :

أحدها — ما حكاه ابن عباس وعروة والسدّى أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال : « شاهت الوجوه » . أى قبحت ومنه قول الحطيئة :

أرى ليَ وجْهاً شوّه اللهُ خلْقَه   فقُبِّح مِن وجهٍ وقُبّح حامِلُه

فألقى الله تعالى القبضة في أبصارهم حتى شغلتهم بأنفسهم وأظفر الله المسلمين بهم ، فهو معنى قوله تعالى : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى».

الثاني — معناه وما ظفرت إذ رميت ولكن الله أظفرك ، قاله أبو عبيدة .

الثالث — وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ولكن الله ملأ قلوبهم رعبا .

والقول الرابع — أنه أراد رمى أصحابه بالسهم فأصاب رميهم[1] .

وقوله تعالى « ولكن الله رمى » يعنى بما أرسله من الريح المعينة لسهامهم حتى سددت وأصابت . والمراد بالرمي الإصابة لأن معنى الرمي محمول على الإصابة ، فإن لم يصب قيل رمى فأخطأ . وإذا قيل مطلقا : قد رمى ، لم يعقل منه إلا الإصابة ، ألا ترى إلى قول امرىء القيس :

فرماها في فرائصها

فاستغنى بذكر الرمى عن وصفه بالإصابة .

وقال ذو الرمة في الرأى :

رمى فأخطأ والأقدارُ غالبةٌ   فانصاعَ والويْلُ هِجّيراهُ والحرَبُ

* قوله عز وجل : (وَلِيُبْلِيَ المؤمنين مِنْهُ بَلاءً حَسَنا) قال أصحاب الخواطر : البلاء الحسن ما يورثك الرضا به والصبر عليه .

وقال المفسرون : البلاء الحسن هاهنا النعمة بالظفر والغنيمة .

(١) سقط من ق ، وهنا بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات .

١٩ــ قوله عز وجل (إن تَسْتَفْتِحوا فقد جاءكم الفَتْحُ) فيه قولان (أحدهما) إن تستنصروا الله ، فالفتح النصر ، فقد جاءكم فضل الله بنصرنا،حكاه ابن الأنبارى . (والثاني) معناه إن تستنصروا الله ، والفتح النصر ، فقد جاءكم نصر الله لنا عليكم .

وفي هذا الخطاب قولان :

أحدهما ــ أنه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا: اللهم أقطعنّا للرحم وأظلمنّا لصاحبه فانصره عليه، فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين عليهم .

* ثم قال (وإنْ تَنْتهوا فَهو خَيْرٌ لكم) لأن الاستنصار كان عليهم لا لهم .

* (وإن تَعُودُوا نَعُدْ) فيه وجهان : (أحدهما) وإن تعودوا إلى مثل هذا التكذيب نعد إلى مثل هذا التصديق . (والثاني) وإن تعودوا إلى مثل هذا الاستفتاح نعد إلى مثل هذا النصر .

والقول الثاني ــ أنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله تعالى يوم بدر حين استنصروه. «وإن تنتهوا فهو خير لكم» يعني عما فعلتموه في الأسرى والغنيمة. «وإن تعودوا نَعُدْ» فيه وجهان : (أحدهما) وإن تعودوا إلى الطمع نعد إلى المؤاخذة . (الثاني) وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد إلى الإنكار عليكم .

٢٢ــ قوله عز وجل (إنّ شرّ الدّوابّ عِنْد الله الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقِلون) أما الدواب فاسم لكل ما دبّ على الأرض من حيوانها لدبيبه عليها مشيا ، وكان بالخيل أخص . والمراد بِشَرِّ الدواب الكفار لأنهم شر ما دبّ على الأرض من الحيوان .

ثم قال «الصم» لأنهم لا يسمعون الوعظ . «البكم» والأبكم هو المخلوق أخرس ، وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله تعالى ولا بلوازم طاعته .

«الذين لا يعقلون» يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه . (والثاني) لا يَعتبرون اعتبار العقلاء.

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في بنى عبد الدار .

٢٣- قوله عز وجل (ولو علَم اللهُ فيهم خيرا) يحتمل وجهين : (أحدهما) اهتداء . (الثاني) اصغاءً .

(لأسمعهم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدهما) لأسمعهم الحجج والمواعظ سماعَ تفهيم وتعليم ، قاله ابن جريج وابن زيد . (الثاني) لأسمعهم كلام الذين طلبوا إحياءهم من قصى بن كلاب وغيره يشهدون بنبوتك ، قاله بعض المتأخرين . (والثالث) لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه ، قاله الزجاج .

* (ولو أسمعهم لتولَّوا وهم مُعْرِضُونَ) يحتمل وجهين :

أحدهما - ولو أسمعهم الحجج والمواعظ لأعرضوا عن الإصغاء والتفهم .

والثاني - ولو أجابهم إلى ما اقترحوه لأعرضوا عن التصديق .

٢٤- قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) يعنى أجيبوا الله والرسول ، قال كعب بن سعد الغنوى :

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيب إلى النّدَى فلم يسْتَجِبْهُ عِنْد ذاك مُجيبُ

وإجابة الله تعالى هى طاعة أمره ، وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها .

* (إذا دعاكم لما يُحييكم) فيه سبعة أقاويل : (أحدها) إذا دعاكم إلى الإيمان ، قاله السدى . (والثاني) إذا دعاكم إلى الحق ، قاله مجاهد . (والثالث) إذا دعاكم إلى ما في القرآن ، قاله قتادة . (والرابع) إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدوّ ، قاله ابن اسحاق . (والخامس) إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة ، ذكره علي بن عيسى . (والسادس) إذا

دعاكم إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا ، قاله الفراء. (والسابع) أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به .

روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُبيّ وهو قائم يصلي فصرخ به قال: يا أُبيّ ، قال فعجّل في صلاته ، ثم جاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني ؟ قال : يا رسول الله كنت أصلي،فقال : ألم تجد فيما أُوحي إليّ « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»؟ قال بلى يا رسول الله ، لا أعود .

* (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فيه لأهل التأويل سبعة أقاويل : (أحدها) يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك . (والثاني) يحول بين المرء وعقله فلا يدرى ما يعمل، قاله مجاهد . (والثالث) يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه ، قاله السدى . (والرابع) معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفَى عليه شيء من سره أو جهره فصار أقرب إليه من حبل الوريد، وهذا تحذير شديد ، قاله قتادة . (والخامس) معناه يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك فائت ، ذكره علي بن عيسى . (والسادس) يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء وطول العمر والظفر والنصر،حكاه ابن الأنبارى . (والسابع) يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب وخوف أو قوة وأمن ، فيأمن المؤمن من خوفه ، ويخاف الكافر عذابه .

٢٥- قوله عز وجل (واتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الذين ظَلَمُوا مِنكم خاصّةً) فيها أربعة أقاويل :

أحدها - أنه المنكَر،أمَرَ الله تعالى المؤمنين ألاّ يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب ، قاله ابن عباس .

والثاني - أنها الفتنة بالأموال والأولاد كما قال تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ » قاله عبد الله بن مسعود .

والثالث - أن الفتنة هاهنا البلية التى يبلى الإنسان بها ، قاله الحسن .

والرابع – أنها نزلت في النكاح بغير وليّ ، قاله بشر بن الحارث .

ويحتمل خامسا – أنها إظهار البدع .

وفي قوله تعالى : «لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» وجهان :

(أحدهما) لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا . (الثاني) لا يُصيبن عقابُ الفتنةِ ، فتكون لأهل الجرائم عقوبة ، ولأهل الصلاح ابتلاء .

وفيه (وجه ثالث) أنه دعاء للمؤمن أن لا تصيبه فتنة ، قاله الأخفش .

٢٦– قوله عز وجل : (واذكروا إذ كنتم قليلٌ مُسْتَضْعَفُون في الأرْضِ) يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة وذلتهم باستضعاف قريش لهم .

وفي هذا القول وجهان : (أحدهما) أن الله ذكّرهم بذلك نعمة عليهم . (والثاني) الإخبار بصدق وعده لهم .

• (تخافون أنْ يتَخَطّفكم الناسُ) فيه قولان :

أحدهما – يعنى بالناس كفار قريش ، قاله عكرمة وقتادة .
والثاني – فارس والروم ، قاله وهب بن منبه .

• ثم بيّن ما أنعم به عليهم فقال (فآواكم) وفيه وجهان : (أحدهما) أى جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين . (والثاني) فآواكم بالهجرة إلى المدينة ، قاله السدى .

• (وأيّدكم بنَصْرِه) أى قواكم بنصره لكم على أعدائكم يوم بدر.

• (ورَزَقَكم مِن الطّيِّباتِ) يعنى من الحلال . وفيه قولان :

(أحدهما) ما مكنكم فيه من الخيرات . (والثاني) ما أباحكم من الغنائم، قاله السدى .

وقال الكلبي ومقاتل : نزلت هذه الآية في المهاجرين خاصة بعد بدر.

٢٧– قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لا تخُونُوا اللهَ والرسولَ) فيه قولان :

أحدهما ــ لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم ، قاله الحسن والسدى .

والثاني ــ لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده في أموالكم .

<ويحتمل ثالثا ــ أن خيانة الله بمعصية رسوله ، وخيانة الرسول بمعصية كلماته[1] > .

* (وتخونوا أماناتِكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم . (الثاني) فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها . (والثالث) أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان .

* (وأنتم تعْلَمون) فيه قولان : (أحدهما) وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة ، (والثاني) وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل .

قال الكلبي ومقاتل : نزلت هذه الآية في أبي لُبابة بن عبد المنذر أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم سعد ، فاستشاروه وكان قد أحرز أولاده وأمواله عندهم فأشار عليهم أن لا يفعلوا وأومأ بيده إلى حلقه أنه الذبح ، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية إلى قوله :

* (واعلموا أنما أموالكم وأولادُكم فِتْنَةٌ وأنَّ اللهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عظيمٌ) يحتمل وجهين :

أحدهما ــ أن ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد .

والثاني ــ أن ما عند الله تعالى من أجر الحسنة التى يجازى عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التى لا يجازى عليها إلا بمثلها .

٢٩ــ قوله عز وجل (ياأيها الذينَ آمَنوا إن تَتَّقوا اللهَ يَجْعَلْ لكم فُرْقانا) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) معنى فرقانا أى هداية في قلوبكم

(١) سقط من ق

تفرقون بها بين الحق والباطل ، قاله ابن زيد وابن إسحاق (والثاني) يعني مخرجا في الدنيا والآخرة ، قاله مجاهد . (والثالث) يعني نجاة ، قاله السدى. (والرابع) فتحا ونصرا ، قاله الفراء .

ويحتمل خامسا : يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة .

٣٠– قوله عز وجل : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَو يَقْتُلُوكَ أَو يُخْرِجوكَ) وذلك أن قريشا تآمروا في دار الندوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام : قيّدوه واحبسوه في بيت نتربص به ريب المنون . وقال أبو البختري : أخرجوه عنكم على بعير مطرود تستريحوا منه ومن أذاه لكم . قال أبو جهل: ما هذا برأى ولكن اقتلوه وليجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية . فأوحى الله عز وجل بذلك إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الغارِ مع أبي بكر رضى الله عنه ثم هاجر منه إلى المدينة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

فهذا بيان قوله تعالى «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك».

وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ليثبتوك في الوثاق ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة . (والثاني) ليثبتوك في الحبس ، قاله عطاء وعبد الله ابن كثير والسدى . (والثالث) معنى يثبتوك أى يخرجوك ، كما يقال قد أثبته في الحرب إذا أخرجته ، قاله بعض المتأخرين .

«أو يخرجوك» فيه وجهان : (أحدهما) أو يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض كالنفي . (والثاني) أو يخرجوك على بعير مطرود حتى تهلك ، أو يأخذك بعض العرب فتقتلك فتريحهم منك ، قاله الفراء .

٣١– قوله عز وجل : (وإذا تتلى عليهم آياتُنا قالوا قد سَمِعْنا) يحتمل وجهين : (أحدهما) قد سمعنا هذا منكم ولا نطيعكم . (والثاني) قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناكم .

* (لو نشاءُ لقُلْنا مِثْلَ هذا) يحتمل وجهين : (أحدهما) مثل هذا في النظم والبيان معارضة له في الإعجاز . (والثاني) مثل هذا في الاحتجاج معارضة له في الاستدعاء إلى الكفر .

* (إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوّلينَ) < يعني أحاديث الأولين > [١] ويحتمل وجهين : (أحدهما) أنه قصص من مضى وأخبار من تقدم . (والثاني) أنه مأخوذ عمن تقدم وليس بوحي من الله تعالى .

وقيل إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة ، وقد قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرا في جملة ثلاثة من قريش : عقبة بن أبي معيط ، والمطعم بن عدى، والنضر بن الحارث وكان أسير المقداد، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل النضر قال المقداد: أسيرى يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أعنِ المقداد، فقال: هذا أردت . وفيه أنزل الله تعالى الآية التي بعدها .

٣٢— (وإذ قالوا اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ مِنْ عِنْدِك فأمْطِرْ علينا حِجارةً من السماءِ أو ائتِنا بعذابٍ أليمٍ) وفي هذا القول وجهان : (أحدهما) أنهم قالوا ذلك عنادا للحق وبغضا للرسول صلى الله عليه وسلم . (والثاني) أنهم قالوا ذلك اعتقادا أنه ليس بحق . وفيهم نزل قوله تعالى : «سأل سائل بعذاب واقع[٢]» ، وفيهم نزل قوله تعالى : «ربنا عجّل لنا قِطّنا»[٣] . قال عطاء: لقد نزلت في النضر بضع عشرة آية من كتاب الله تعالى .

٣٣— قوله عز وجل : (وما كان اللهُ ليُعذّبَهم وأنْتَ فيهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه قال ذلك إكراما لنبيه وتعظيما لقدره أن يعذب قوما هو بينهم تعظيما لحرمته . (والثاني) إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم .

* (وما كان اللهُ مُعَذِّبَهم وهم يستغْفرون) فيه خمسة أقاويل :

---

(١) سقط من ك

(٢) آية ١ المعارج

(٣) آية ١٦ صٓ

أحدها – وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون ، وهذا قول الضحاك وأبي مالك وعطية .

والثاني – لا يعذبهم في الدنيا وهم يستغفرون فيها فيقولون: غفرانك.

قال ابن عباس : كان المشركون بمكة يطوفون بالبيت ويقولون : لبّيك لبّيك لا شريك لك ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : قَدْ قَدْ ، فيقولون : إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك ، ويقولون غفرانك ، فأنزل الله تعالى « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » قاله أبو موسى ويزيد بن رومان ومحمد بن قيس .

والثالث – أن الاستغفار في هذا الموضع الإسلام ، ومعنى الكلام : وما كان الله معذبهم وهم يسلمون ، قاله عكرمة ومجاهد .

والرابع – وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام ، قاله ابن عباس .

والخامس – معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا استدعاء لهم إلى الاستغفار ، قاله قتادة والسدى وابن زيد .

والسادس[1] – وما كان الله معذبهم أى مهلكهم وقد علم أن لهم أولادا وذرية يؤمنون ويستغفرون .

٣٥– قوله عز وجل (وما كان صلاتُهم عِنْد البَيْت إلاّ مُكاءً وتَصْدِيةً) في المكاء قولان : (أحدهما) أنه إدخال أصابعهم في أفواههم ، قاله مجاهد. (والثاني) هو أن يشبك بين أصابعه ويصفر في كفه بفيه فيكون المكاء هو الصفير ، ومنه قول عنترة :

وحليل غانيةٍ تركتُ مُجَدّلا تمكو فريصته بشدْق الأعْلَمِ[2]

أى تصفر بالريح لمّا طعنته .

---

(١) يلاحظ ان المؤلف قال فيه خمسة أقاويل وقد ذكر ستة ولعل الصواب أن يقال فيه ستة أقاويل لكننا حافظنا على عبارة الاصل،كما تقتضي الامانة العلمية .

(٢) الحليل : الزوج . ويروى وخليل . والفريصة : الموضع الذى يرعد من الدابة والانسان اذا خاف . والاعلم : المشقوق الشفة العليا .

. وأما التصدية ففيها خمسة أقاويل :

أحدها — أنه التصفيق ، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدى ، ومنه قول عمرو بن الإطنابة :

وظلوا جميعا لهم ضجّةٌ مُكاء لدى البيت بالتصدية

والثاني — أنه الصد عن البيت الحرام ، قاله سعيد بن جبير وابن زيد .

والثالث — أن يتصدى بعضهم لبعض ليفعل مثل فعله ، ويصفر له إن غفل عنه ، قاله بعض المتأخرين .

الرابع — أنها تفعلة مِن صَدّ يصِد ، وهو الضجيج ، قاله أبو عبيدة ، ومنه قوله تعالى « إذا قومك منه يصِدّون » أى يضجون.

الخامس — أنه الصدى الذى يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله ، قاله ابن بحر .

فإن قيل : فلم سمىّ الله تعالى ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية صلاة وليس منها ؟

قيل عن ذلك جوابان : (أحدهما) أنهم كانوا يقيمون التصفيق والصفير مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة. (والثاني) أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة .

* (فذُوقوا العذابَ بما كنتم تكْفُرون) فيه قولان :

أحدهما — عذاب السيف يوم بدر ، قاله الحسن والضحاك وابن جريج وابن اسحاق .

والثاني — أنه يقال لهم في الآخرة « فذوقوا العذاب » وفيه وجهان : (أحدهما) فالقَوْا . (الثاني) فجربوا .

وحكى مقاتل في نزول هذه الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في المسجد الحرام قام من كفار بنى عبد الدار بن قصى رجلان عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم يصفران كما يصفر المكاء ، والمكاء طائر ،

ورجلان منهم عن يساره يصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته وقراءته ، فنزلت هذه الآية فيهم .

٣٦ـ قوله عز وجل : (إن الذين كفروا يُنْفِقون أموالهم ليَصُدُّوا عن سبيل الله) فيه قولان : (أحدهما) أنها نفقة قريش في قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، قاله الضحاك . (والثاني) أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومن كنانة ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من انحاز إليه من العرب ، قاله سعيد ومجاهد والحكم بن عيينة ، وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

وجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّعُ[1]

ثلاثةُ آلافٍ ونحن نصيّـــةٌ   ثلاثُ مئينٍ إنْ كَثُرْنا فأرْبعُ

• (فسيُنْفِقونها ثُمّ تكونُ عليهم حَسْرةً) يحتمل وجهين : (أحدهما) يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفاً عليها . (والثاني) تكون خيبتهم فيما أمّلوه من الظفر عليهم حسرة تحذرهم بعدها .

• (ثم يُغْلَبون) وعد بالنصر فحقق وعده .

٣٧ـ قوله عز وجل (ليَميزَ اللهُ الخبيثَ مِن الطيِّب) فيه وجهان : (أحدهما) الحلال من الحرام . (الثاني) الخبيث ما لم تخرج منه حقوق الله تعالى، والطيب : ما أخرجت منه حقوق الله تعالى .

ويحتمل ثالثا : أن الخبيث : ما أنفق في المعاصي ، والطيب : ما أنفق في الطاعات .

• (ويجعلَ الخبيثَ بعضَه علَى بعضٍ) أى يجمعه في الآخرة وإن تفرق في الدنيا .

---

(١) البيتان من قصيدة طويلة رد فيها كعب بن مالك على هبيرة بن أبى وهب المخزومى . ومطلع قصيدة كعب :

الاهل أتى غسان عنا ودونهم   من الارض خرق سيره متنعنع

والخرق : الفلاة الواسعة ، ومتنعنع : مضطرب . والحاسر . اللذى لادرع له ولا مغفر والمقنع : اللذى لبس المغفر على رأسه . والنصية : الخيار من القوم .
وقد جاءت في الاصول بقية . والتصويب من سيرة ابن هشام ١٤١/٣ .

• (فيَرْكُمَه جميعاً) أي يجعل بعضه فوق بعض ، ومنه قوله تعالى : «ثم يجعله رُكاما» .

• وفي قوله تعالى (فيجْعلَه في جهنم) وإن كانت الأموال لا تعذّب وجهان : (أحدهما) أن يجعلها عذابا في النار يعذبون بها ، كما قال تعالى: «يوم يُحمى عليها في نار جهنم» الآية . (الثاني) أنه يجعل أموالهم معهم في جهنم لأنهم استطالوا بها وتقووا على معاصى الله فجعلها معهم في الذل والعذاب كما كانت لهم في الدنيا عزا ونعيما .

٣٨ – قوله عز وجل (قل للذين كفَرَوا إنْ ينْتهوا يُغْفَرْ لهُمْ ما قَدْ سَلَفَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) إن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة . (والثاني) إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام .

• (وإنْ يَعُودوا فقد مَضَتْ سنّة ُالأوَّلين) تأويله على احتمال الوجهين الأولين :

فعلى الوجه الأول – تأويله: وإن يعودوا إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين فيمن قتل يوم بدر وأسر ، قاله الحسن ومجاهد والسدى .

وعلى الوجه الثاني – فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة فيما أخذهم الله به في الدنيا من عذاب الاستئصال .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وقال لهم : ما ظنكم بي وما الذى ترون أني صانع بكم ؟ قالوا : ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» فأنزل الله تعالى هذه الآية .

٤١ – قوله عز وجل (واعلموا أنَّ ما غنِمْتُم من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَهُ وللرسول ولذِى القربي واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيل) ذكر الله تعالى

الفيء في سورة الحشر والغنيمة في هذه السورة .

واختلفوا في الفيء والغنيمة على ثلاثة أقاويل :

(أحدها) أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرض، قاله عطاء بن السائب .

والثاني ــ أن الغنيمة ما أخذ عنوة، والفيء ما أخذ عن صلح ، قاله الشافعي وسفيان الثوري . والثالث ــ أن الفيء والغنيمة سواء وهو كل مال أخذ من المشركين ، وآية الفيء التي هي في سورة الحشر منسوخة بآية الغنيمة التي في سورة الأنفال، قاله قتادة .

وقوله تعالى : «من شيء» يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين .

* «فأنّ لله خُمُسَهُ» فيه قولان :

أحدهما ــ أنه استفتاح كلام ، فلله الدنيا والآخرة وما فيهما ، ومعنى الكلام فأن للرسول خمسه ، قاله الحسن وعطاء وقتادة وإبراهيم والشافعي، وروى نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرّية فغنموا خمّس الغنيمة فصرف ذلك الخمس في خمسه ثم قرأ : «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول» وإنما قوله «فأن لله خمسه» مفتاح كلام، ولله ما في السموات وما في الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا .

الثاني ــ أن سهم الله مستحق لبيته ، ومعناه فإن لبيت الله خمسه وللرسول وقد روى الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول ، وسهم لذى القربي ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل [1] .

وقوله تعالى «وللرسول» فيه قولان :

---

(١) رواه ابو داود في الجهاد . والنسائى ١٣١/٧ و ١٣٢

أحدهما ــ أنه مفتاح كلام اقترن بذكر الله وليس للرسول من ذلك شيء كما لم يكن لله من ذلك شيء ، وان الخمس مقسوم على أربعة أسهم، وهذا قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة .

والثاني ــ أن ذلك للرسول وهو قول الجمهور .

واختلفوا في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على خمسة أقاويل : (أحدها) أنه للخليفة بعده ، قاله قتادة . (والثاني) أنه لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم إرثا، وهذا قول من جعل النبي موروثا . (والثالث) أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم مردود على السهام الباقية ويقسم الخمس على أربعة.(والرابع) أنه مصروف في مصالح المسلمين العامة ، قاله الشافعي . (والخامس) أن ذلك مصروف في الكراع والسلاح ، وروى أن ذلك فعل أبي بكر وعمر ، رواه النخعي .

أما قوله تعالى «ولذى القربي» فاختلف فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنهم بنو هاشم ، قاله مجاهد .

والثاني ــ أنهم قريش كلها،روى سعيد المقبرى قال : كتب نجدة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذى القربي ، قال : فكتب إليه عبد الله بن عباس: كنا نقول إننا هم فأبي ذلك علينا قومنا وقالوا : قريش كلها ذوو قربى .

الثالث ــ أنهم بنو هاشم وبنو المطلب ، قاله الشافعي والطبرى .

واختلفوا في سهمهم اليوم على أربعة أقاويل : (أحدها) أنه لهم أبدا كما كان لهم من قبل ، قاله الشافعي . (والثاني) أنه لقرابة الخليفة القائم بأمور الأمة . (والثالث) أنه الى الإمام يضعه حيث شاء . (والرابع) أن سهمهم وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود على باقي السهام وهى ثلاثة ، قاله أبو حنيفة.

وأما «اليتامى» فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط :

أحدها ــ موت الأب وإن كانت الأم باقية ، لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات، ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء .

والثاني ــ الصغر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُتْمَ بعد حُلم » .

والثالث ــ الإسلام لأنه مال المسلمين .

والرابع ــ الحاجة لأنه معدّ للمصالح .

ثم فيهم قولان : (أحدهما) أنه لأيتام أهل الفيء خاصة . (والثاني) أنه لجميع الأيتام .

وأما « المساكين » فهم الذين لا يجدون ما يكفيهم .

وأماأ بناء السبيل فهم المسافرون من ذوى الحاجات ، والإسلام فيهم معتبر . وهل يختص بأهل الفيء ؟ على القولين . وقال مالك : الخمس موقوف على رأي الإمام فيمن يراه أحق به . وإنما ذكرت هذه الأصناف لصدق حاجتها في وقتها .

* قوله عز وجل : (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرقان يوم التقى الجمعان) وهو يوم بدر فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل .

٤٢ـ قوله عز وجل (إذ أنتم بالعُدْوة الدنيا) يعنى شفير الوادى ببدر ، الأدنى إلى المدينة .

* (وهم بالعدوة القصوى) يعنى شفير الوادى الأقصى إلى مكة . وقال الأخفش : عدوة الوادى هو ملطاط[1] شفيره الذى هو أعلى من أسفله ، وأسفل من أعلاه .

* (والرَّكْبُ أَسْفَلَ منكم) يعنى عير أبي سفيان أسفل الوادى . قال الكلبي : على شاطىء البحر بثلاثة أميال .

* (ولو تواعدْتم لاختلفتم في الميعاد ....) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ ولو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد ، بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان من غير قصد لذلك .

(١) الملطاط : حافة الوادى او حرف من أعلى الجبل .

والثاني ــ ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوّكم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، قاله ابن إسحاق .

والثالث ــ ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم من غير معونة الله لكم لأخلفتم،بالقواطع والعوائق،في الميعاد .

* قوله عز وجل (... ليَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيّنةٍ ويَحْيا من حَيَّ عن بَيِّنةٍ) فيه وجهان (أحدهما) ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة ، وليبقى من بقي عن قدرة . (والثاني) ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا ، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم.

٤٣ـ قوله عز وجل (إذ يريكَهُمُ اللهُ في منامِك قليلاً) فيه وجهان :

أحدهما أن الله أرى نبيه صلى الله عليه وسلم قلة المشركين عيانا ، وقوله « في منامك » يريد في عينيك التي هي محل النوم ، قاله الحسن .

والثاني ــ أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه ، وهو الظاهر،وعليه الجمهور .

وإنما أراه ذلك على خلاف ما هو به لطفا أنعم به عليه وعلى أمته،ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم على لقاء عدوهم ، ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم .

* (ولو أراكهم كثيراً لَفشِلتم...) فيه وجهان (أحدهما) لاختلفتم في لقائهم أو الكف عنهم (والثاني) لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم .

* (...ولكنّ اللهَ سَلّمَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) سلّم من الفشل. (والثاني) لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم ولكن الله سلم من العدوّ . وفيه (ثالث) ولكن الله سلم أمره فيهم حتى نفذ ما حكم فيهم به من هلاكهم .

٤٦ـ قوله عز وجل (... ولا تنازعوا فتفشلوا) والفشل هو التقاعد عن

القتال جبنا .

* (وتَذهَبَ رِيحُكمْ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يريد بالريح القوة،وضرَب الريح لها مثلا . (والثاني) يريد بالريح الدولة ، ومعناه فتذهب دولتكم ، قاله أبو عبيدة . (والثالث) يريد ريح النصر التى يرسلها الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه ، قاله قتادة وابن زيد .

ويحتمل رابعا : أن الريح الهيبة ، وريح القوم هيبتهم التى تتقدمهم كتقدم الريح ، ويكون معنى الكلام : فتذهب ريحكم وهيبتكم .

٤٧- (ولا تكونوا كالذين خرَجوا مِن ديارِهم بَطَرًا [1] ورِئاءَ الناسِ) هم قريش حين خرجوا في حماية العير فنجا بها أبو سفيان ، فقال لهم أبو جهل: لا نرجع حتى نرِد بدراً وننحر جزورا ونشرب خمرا وتعزف علينا القيان، فكان من أمر الله فيهم ما كان .

٤٧ – قوله عز وجل (وإذ زَيّن لهم الشيطـانُ أعمالَهم) قال المفسرون : ظهر لهم في صورة سراقة [بن مالك] بن جعشم من بنى كنانة فزين للمشركين أعمالهم .

يحتمل وجهين : (أحدهما) زين لهم شركهم . (والثاني) زين لهم قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيه وجه ثالث : أنه زين لهم قوتهم حتى اعتمدوها .

* (وقال : لا غالبَ لكم اليومَ مِن الناسِ) يعنى أنكم الغالبون دون المؤمنين.

* (وإني جارٌ لكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعنى أني معـكم. وفي جواركم ينالنى ما نالكم . (الثاني) مجير لكم وناصر . فيكون على الوجه الأول من الجوار ، وعلى الوجه الثاني من الإجارة .

* (فلمّا تراءَت الفئتان) يحتمل وجهين : (أحدهما) فئة المسلمين وفئة المشركين . (والثاني) المسلمون ومن أمدوا به من الملائكة، فكانوا فئتين.

* (نكَصَ على عَقِبَيْه) والنكوص أن يهرب ذليلا خازيا ، قال الشاعر :

(١) البطر في اللغة التقوية بنعم الله وما ألبسه من العافية على المعاصي ، وهو مصدر في موضع الحال أى خرجو مرائين صادين ، وصدهم: اضلال الناس .

ومَا ينفع المستأخرين نكوصُهم ولا ضَرّ أهلَ السابقاتِ التقدمُ

* (وقال إني بريء منكم إني أرَى ما لا تَرَوْنَ) يعني من الملائكة الذين أمد الله بهم رسوله والمؤمنين .

* (إني أخافُ اللهَ) وإنما ذكر خوفه من الله تعالى في هذا الموضع ولم يذكره في امتناعه من السجود لآدم لأنه قد كان سأل الإنظار إلى قيام الساعة فلما رأى نزول الملائكة ببدر تصور قيام الساعة فخاف فقال« إني أخاف الله والله شديد العقاب » > (١) .

٤٩ـ قوله عز وجل (إذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فيهم(٢) ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة ، قاله ابن عباس ومجاهد . (والثاني) أنهم المشركون، قاله الحسن. (والثالث) أنهم قوم مرتابون لم يظهروا العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف المنافقين .

والمرض في القلب كله هو الشك ، وهو مشهور في كلام العرب ، قال الشاعر :

ولا مرضا أتقيه إني لصائن لعِرْضي ولي في الأليّةِ مَفْخَرُ

* وقوله تعالى (غرّ هؤلاء) يعني المسلمين .

* (دينُهم) يعني الإسلام ، لأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليقدموا عليهم، وقلل المسلمين في أعين المشركين ليستهينوا بهم حتى أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا .

٥٠ـ قوله عز وجل (ولو ترى إذ يَتَوَفّى الذين كفروا الملائكةُ يَضربونَ وجوهَهم وأدْبارَهم) فيه قولان : (أحدهما) يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم ، قاله مقاتل . (والثاني) قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر .

« يضربون وجوههم وأدبارهم » تأويله على القول الأول : يضربون وجوههم يوم القيامة إذا واجهوهم ، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار .

(١) مابين الزاويتين سقط من ق

(٢) أى في الذين في قلوبهم مرض ، أما المنافقون فهم الذين يظهرون خلاف ما يضمرون من الكفر .

وتأويله على القول الثاني يحتمل وجهين : (أحدهما) يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا ، وأدبارهم لما انهزموا . (والثاني) أنهم جاءوهم من أمامهم وورائهم ، فمن كان من أمامهم ضرب وجوههم ، ومن كان من ورائهم ضرب أَدْبارهم .

٥٣ـ قوله عز وجل (ذلك بأنّ اللهَ لم يكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أنعمَها على قومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنْفُسِهم) يحتمل خمسة أوجه :

أحدها ـ لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، من الثقة به والتوكل عليه .

والثاني ـ لم يك مغيرا نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته .

والثالث ـ لم يك مغيرا نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالى منه .

والرابع ـ لم يك مغيرا نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان .

والخامس ـ لم يك مغيرا نغمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد .

٥٧ـ قوله عز وجل (فإما تَثْقَفَنَّهم في الحرب) فيه وجهان : (أحدهما) تصادفهم . (والثاني) تظفر بهم .

• (فشَرِّدْ بهم مَنْ خلْفَهم) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أنذر بهم من خلفهم ، قال الشاعر من هذيل :

أطَوِّفُ في الأباطح كلَّ يومٍ مخافةَ أن يُشرِّد بي حكيمُ[1]

(١) سقط من ق ، وذكرت نسخة الاصل ك وجها واحدا من الاوجه الثلاثة . وقال ابوعبيد : شرد بهم : سمع بهم . وقال الضحاك:نكل بهم . وقال الزجاج : افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم . والبيت اطوف .. يتفق مع قول الزجاج هذا .

٥٨— قوله عز وجل (وإما تخافَنّ مِنْ قَوْمٍ خيانةً) يعنى في نقض العهد .

• (فانبِذْ إليهم على سَوَاءٍ) أى فألقِ إليهم عهدهم حتّى لا ينسبوك إلى الغَدر بهم . والنبذ هو الإلقاء . قال الشاعر :

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وفي قوله تعالى « على سواءٍ » خمسة أوجه :

أحدها — على مهل، قاله الوليد بن مسلم .

والثاني — على محاجزة مما يفعل بهم ، قاله ابن بحر .

والثالث — على سواء في العلم حتّى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك .

والرابع — على عدل من غير حيف ، واستشهد بقول الراجز :

فاضربْ وُجوهَ الغُدَّرِ الأَعْداءِ حتّى يُجيبوكَ إلى السّواء

أى إلى العدل .

والخامس — على الوسط واستشهد قائله بقول حسان :

يا ويْحَ أنصارِ النبي ورهْطِه بعْد المغيَّب في سواءِ الملْحَدِ

وذكر مجاهد أنها نزلت في بنى قريظة .

٦٠ — قوله عز وجل (وأَعِدُّوا لهم ما استَطَعْتُم مِن قُوّةٍ ومِنْ رِباطِ الخيل) فيه خمسة[1] أقاويل : (أحدها) أن القوة ذكور الخيل ، ورباط الخيل إناثها ، وهذا قول عكرمة . (والثاني) القوة السلاح ، قاله الكلبي . (والثالث) القوة التصافي واتفاق الكلمة . (والرابع) القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه . (والخامس) القوة الرمى . روى يزيد بن أبي حبيب عن أبي علي الهمداني[2] عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا ان القوة الرمى. قالها ثلاثا .

« ومن رباط الخيل » على قول عكرمة إناثها خاصة ، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث . وقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

(١) في ك قولان وذكر الاول منها والاخير فقط

(٢) أبو على الهمدانى هو ثمامة بن شفى الهمداني . قال القرطبى وليس له في الصحيح غير هذا الحديث انظر تفسير القرطبى ٣٥/٨. وهذا الحديث رواه مسلم (انظر مختصر صحيح مسلم رقم ١١٠٢) وفيه كررت عبارة:الا ان القوة الرمي،ثلاث مرات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتبطوا الخيل فإنّ ظهورها لكم عز ، وأجوافها لكم كنز .

• (تُرْهِبون به عدُوَّ اللهِ وعدوَّكم) فيه وجهان : (أحدهما) عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة . (والثاني) عدو الله هو عدوكم لأن عدو الله عدو لأوليائه . والإرهاب : التخويف .

• (وآخَرِينَ مِن دُونِهم لا تعلَمونهم اللهُ يَعْلَمُهم) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) هم بنو قريظة ، قاله مجاهد . (والثاني) أهل فارس والروم قاله السدى . (والثالث) المنافقون ، قاله الحسن وابن زيد . (والرابع) الشياطين [1] ، قاله معاذ بن جبل (والخامس) كل من لا تعرفون عداوته ، قاله بعض المتأخرين .

٦١ــ قوله عز وجل (وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) وإن مالوا إلى الموادعة فمِلْ إليها (والثاني) وإن توقّفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم (والثالث) وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم .

وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالى «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»[2] ، قاله الحسن وقتادة وابن زيد . (والثاني) أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية . (والثالث) أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم .

٦٤ــ قوله عز وجل (يا أيها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ ومَن اتَّبَعَكَ مِن المؤْمنين) فيه وجهان : (أحدهما) حسْبك وحسْب من اتبعك من المؤمنين الله ، قاله الكلبي ومقاتل . (والثاني) حسبك الله أن تتوكل عليه والمؤمنون أن تقاتل بهم .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال .

---

(١) في ق الجن وهو اختيار الطبرى

(٢) الآية ٥ من سورة التوبة

٦٥، ٦٦ – قوله عز وجل (يأيها النبي حَرِّضِ المؤْمنين على القتال إنْ يَكُنْ منكم عشرون صابرونَ يَغْلبوا مائتين وإنْ يَكُنْ منكم مائةٌ يغلبوا ألْفاً) يعني يقاتلوا ألفا . قال مجاهد : وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فَشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: (الآن خَفَّف اللهُ عنكم) .

< وقال ابن بحر : معناه أن الله تعالى ينصر كل رجل من المسلمين على عشرة من المشركين ، وقد مضى تفسير هاتين الآيتين من قبل> (١) .

٦٧– قوله عز وجل : (ما كان لنبيٍّ أن يكونَ له أَسْرَى حتى يُثْخِنَ في الأرْضِ) وهذا نزل في أسرى بدر حين استقر رأى النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بعد مشاورة أصحابه على الفداء بالمال ، كل أسير بأربعة آلاف درهم، فأنكر الله تعالى ذلك عليه وأنه ما كان له أن يفادى الأسرى .

« حتى يُثخن في الأرض » فيه وجهان :

أحدهما – هو الغلبة والاستيلاء ، قاله السدى .

والثاني – هو كثْرة القتل ليعز به المسلمون ويــذل به المشركون ، قاله مجاهد .

- (تريدون عَرَضَ الدنيا) يعني المال ، سماه عرضا لقلة بقائه .
- (والله يُريدُ الآخرة) يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة .

٦٨– (لولا كتابٌ مِن الله سبَق لمَسَّكُم فيما أخَذْتم عَذابٌ عظيمٌ) يعنى ما أخذتموه من المال في فداء أسرى بدر .

وفي قوله « لولا كتاب من الله سبق » أربعة أقاويل :

أحدها – لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن [لا](٢) يعذبهم لمسّهم

(١) سقط من ق . وقد اورد المؤلف تفسير هذه الاية ضمن الاية ١٥ من هذه السورة .
(٢) زيادة اقتضاها السياق وقد اخذتها من تفسير القرطبي .

فيما أخذوه من فداء أسرى بدر [عذاب][1] عظيم، قاله مجاهد وسعيد [بن جبير][2] .

والثاني — لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها من أهل بدر عذاب عظيم ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة.

والثالث — لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بعمل أتاه على جهالة لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، قاله ابن اسحاق .

والرابع — لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن الذى آمنتم به المقتضى غفران الصغائر لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أبا بكر وعمر في أسرى بدر فقال أبو بكر : هم قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم ، وقال عمر: هم أعداء الله وأعداء رسوله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم . فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه عنهم إلى قول أبي بكر وأخذ فداء الأسرى ليتقوى به المسلمون ، وقال : أنتم عالة[3]. يعني المهاجرين، فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر لما نجا غيرك .

٦٩— ثم إن الله تعالى بيّن تحليل الغنائم والفداء بقوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيّبا) .

٧٠— قوله عز وجل (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسْرى إنْ يَعْلَمِ اللهُ في قلوبكم خيراً يؤْتِكم خيراً مما أُخِذ منكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أحل مما أخذ منكم . (الثاني) أكثر مما أخذ منكم .

قيل إن هذه الآية نزلت لما أسر العباس بن عبد المطلب مع أسرى بدر وأخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء نفسه وابني أخويه عقيل ونوفل

---

(١) من تفسير القرطبى .

(٢) زيادة من تفسير القرطبى .

(٣) اخرج هذا الحديث مسلم من حديث ابن عباس وعمر بن الخطاب

فقال : يا رسول الله كنت مسلما وأخرجت مكرها ولقد تركتنى فقيرا أتكفف الناس . قال : فأين الأموال التى دفعتها إلى أم الفضل عند خروجك[1] ؟ فقال : إن الله ليزيدنا ثقة بنبوتك . قال العباس : فصدق الله وعده فيما آتاني وإن لى لعشرين مملوكا كل مملوك يضرب بعشرين ألفا في التجارة فقد أعطاني الله عز وجل خيرا مما أخذ منى يوم بدر .

٧ـ قوله تعالى : (إنّ الذين آمنوا) يعنى بالله .

• (وهاجَروا) يعنى هاجروا وتركوا ديارهم في طاعة الله .

• (وجاهَدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمجاهدة بالمال : النفقة، والمجاهدة بالنفس : القتال . وهؤلاء هم المهاجرون مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

• ثم قال (والذين آوَوْا ونَصَروا) يعنى الأنصار الذين آووا المهاجرين في منازلهم ونصروا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروهم .

• (أولئك بَعْضُهم أولياءُ بعض) فيه تأويلان : (أحدهما) أولئك بعضهم أعوان بعض ، قاله الجمهور . (والثاني) أولئك بعضهم أولى بميراث بعض. قال ابن عباس : جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام .

ثم قال تعالى (والذين آمنوا ولم يُهاجِروا مالكم من وَلايتهم من شىء حتى يهاجروا) يعنى مالكم من ميراثهم من شىء حتى يهاجروا فكانوا يعلمون ذلك حتى أنزل الله تعالى «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» يعنى في الميراث فنسخت التى قبلها وصار التوارث لذوى الأرحام، قاله مجاهد وعكرمة والحسن والسدى .

(١) أخرجه ابن اسحاق في المغازى ، والحاكم من طريقه . ورواه ابو نعيم في الدلائل ، وابن مردويه . وضعفه السيوطى وقال : فيه محمد بن حميد الرازى وهو ضعيف

٧٣– قوله عز وجل (والذين كَفَروا بَعْضُهم أَوْلياءُ بَعْضٍ) فيه وجهان :

أحدهما – بعضهم أنصار بعض ، قاله قتادة وابن إسحاق .

والثاني – بعضهم وارث بعض ، قاله ابن عباس وأبو مالك .

* (إلاّ تَفْعَلوه تكُنْ فِتْنَةٌ في الأرْضِ ...) فيه تأويلان :

أحدهما – إلاّ تناصروا أيها المؤمنون «تكن فتنة في الأرض» يعني بغلبة الكفار . «وفسادٌ كَبير» بضعف الإيمان ، قاله ابن إسحاق وابن جرير.

والثاني – إلاّ تتوارثوا بالإسلام والهجرة «تكن فتنة في الأرض» باختلاف الكلمة «وفساد كبير» بتقوية الخارج على الجماعة ، قاله ابن عباس وابن زيد. والله أعلم[1] .

---

(1) هذه السورة خمس وسبعون آية الا أن المؤلف رحمه الله لا يفسر الا الايات الغامضة.

ســورة التوبة

مدنية عند جميعهم . روى عن ابن عباس أن سورة براءة تسمى على عهد رسول الله صلى عليه وسلم « الفاضحة » لأنها فضحت المنافقين .

وحكى محمد بن إسحاق أنها كانت تسمى في زمن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم « المبعثرة » لما كشفته من أسرار الناس . وهى مدنية عند جميعهم .

قال مقـــاتل وحده : إلا آيتين من آخرها « لقد جاءكم رسول من أنفسكم» نزلتا بمكة .

١ ـ قوله عز وجل (براءةٌ مِن اللهِ ورسولِه إلى الّذِين عاهَدْتُم مِن المشْرِكين) .

في ترك افتتاح هذه السورة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » قولان :

أحدهما ـ أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولى في ذكر العهود ، والثانية في رفع العهود ، وهذا قول أبي بن كعب قال ابن عباس : وكانتا تدعيان القرينتين ، ولذلك وضعتا في السبع الطول . وحكاه عن عثمان بن عفان .

الثاني ـ أن « بسم الله الرحمن الرحيم » أمان ، وبراءة نزلت برفع الأمان، وهذا قول ابن عباس ، ونزلت سنة تسع فأنفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على بن أبي طالب رضى الله عنه ليقرأها في الموسم بعد توجه أبي بكر رضى الله عنه إلى الحج ، وكان أبو بكر صاحب الموسم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم < « لا يبلغ عنى إلا رجل منى » حكى ذلك الحسن وقتادة ومجاهد > (٣) .

< وحكى الكلبي أن الذى أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) > من سورة التوبة عشر آيات من أولها .

---

(١) رواه الترمذى في تفسير سورة التوبة ، وأحمد في المسند ١/٣
(٢) سقط من ق .
(٣) سقط من ك

وحكى مقاتل أنها تسع آيات تقرأ في الموسم ، فقرأها على رضى الله عنه في يوم النحر على جمرة العقبة .

وفي قوله تعالى « براءةٌ من الله ورسولِه » وجهان : (أحدهما) أنها انقطاع العصمة منهما . (والثاني) أنها انقضاء عهدهما .

٢ — ثم قال تعالى (فسيحوا في الأرض أرْبَعَةَ أشْهُرٍ) وهذا أمان .

وفي قوله « فسيحوا في الأرض » وجهان : (أحدهما) انصرفوا فيها إلى معايشكم . (والثاني) سافروا فيها حيث أردتم .

وفي السياحة وجهان : (أحدهما) أنها السير على مهل . (والثاني) أنها البعد على وجل .

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة الأَشهُر على أربعة أقاويل:

أحدها — أن الله تعالى جعلها أجلا لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب ، فأما من لا أمان له فهو حرب ، قاله ابن إسحاق .

والثاني — أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها، ومن كان عهده أقل منها رفع إليها، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى « فإذا انسلخ الأشهر الحُرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » قاله ابن عباس والضحاك وقتادة .

والثالث — أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة، المعاهد منهم وغير المعاهد ، قاله الزهرى ومحمد بن كعب ومجاهد .

والرابع — أن الأربعة الأشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ولا أمان . فأما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم، قاله الكلبي .

واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الاشهر على ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر ، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر ، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدى .

والثاني — أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة وا لمحرم، قاله الزهرى.

والثالث — أن أولها يوم العشرين من ذى القعدة ، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول ، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذى الحجة وفيها حجة الوداع ، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء ، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم فيه حتّى نزل تحريم النسيء وقال : إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.

• (واعلموا أنكم غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ) أى لا تعجزونه هربا ولا تفوتونه طلبا .

• (وأنّ اللهَ مُخْزِى الكافرين) يحتمل وجهين : (أحدهما) بالسيف لمن حارب ، والجزية لمن استأمن . (والثاني) في الآخرة بالنار .

٣ — قوله عز وجل (وأذانٌ من اللهِ ورسولِه إلى النـاسِ) في الأذان هاهنـا ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه القصص ، وهذا قول تفرد به سليمان بن موسى النشابي . (والثاني) أنه النداء بالأمر الذى يسمع بالأذن ، حكاه على بن عيسى . (والثالث) أنه الإعلام ، وهذا قول الكافة .

• وفي (يومَ الحج الأكبرِ) ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنه يوم عرفة ، قاله عمر بن الخطاب وابن المسيب وعطاء. وروى ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة وقال : هذا يوم الحج الأكبر (١).

والثاني — أنه يوم النحر ، قاله عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي .

(١) رواه البخارى في الحج ١٣٢ ، وابو داود في المناسك ٦٦ ، والترمذى في الفتن ٢ ، وابن ماجه في المناسك ٧٦ .

وروى مرة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الحمراء وقال : أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر .

والثالث — أنها أيام الحج كلها ، فعبر عن الأيام باليوم ، قاله مجاهد وسفيان . قال سفيان : : كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ، أى أيامه كلها.

واختلفوا في تسميته يوم الحج الأكبر على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ، ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى ، قاله الحسن . < (والثاني) أن الحج الأكبر القِران ، والأصغر الإفراد ، قاله مجاهد [1] > (والثالث) أن الحج الأكبر هو الحج ، والأصغر هو العمرة ، قاله عطاء والشعبي .

٥ — قوله عز وجل (فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرمُ) الآية . في الأشهر الحرم قولان :

أحدهما — أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد ، وهذا قول الجمهور .

والثاني — أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالى أن يسيحوا فيها آمنين وهى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر ، قاله الحسن .

• (فاقْتُلوا المشْرِكين حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فيه قولان : (أحدهما) في حِلٍّ أو حرم . (والثاني) في الأشهر الحرم وفي غيرها . والقتل وإن كان بلفظ الأمر فهو على وجه التخيير لوروده بعد حظر اعتبارا بالأصلح .

• (وخُذوهمْ) فيه وجهان : (أحدهما) على التقديم والتأخير ، وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم. (والثاني) أنه على سياقه من غير تقديم ولا تأخير ، وتقديره: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم.

• (واحصُروهم) على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين .

---

(١) سقط من ق .

وفي قوله «واحصروهم» وجهان : (أحدهما) أنه استرقاقهم . (والثاني) أنه الفداء بمال أو شراء .

• (واقعدوا لهم كل مَرْصَدٍ) فيه وجهان : (أحدهما) أن يُطلبوا في كل مكان فيكون القتل إذا وجدوا، والطلب إذا بعدوا . (والثاني) أن يفعل بهم كل ما أرصده الله تعالى لهم فيما حكم به تعالى عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة أو مَنّ ليعتبر فيها فعل الأصلح منها .

• ثم قال تعالى (فإنْ تابوا) أى أسلموا ، لأن التوبة من الكفر تكون بالإسلام .

• (وأقاموا الصلاة) فيه وجهان : (أحدهما) أى اعترفوا بإقامتها ، وهو مقتضى قول أبي حنيفة ، لأنه لا يقتل تارك الصلاة إذا اعترف بها . (الثاني) أنه أراد فعل الصلاة ، وهو مقتضى قول مالك والشافعى ، لأنهما يقتلان تارك الصلاة وإن اعترف بها .

• (وآتَوُا الزكاةَ) يعنى اعترفوا بها على الوجهين معا ، لأن تارك الزكاة لا يقتل مع الاعتراف بها وتؤخذ من ماله جبرا ، وهذا إجماع .

٦ – قوله عز وجل (وإن أَحدٌ من المشْرِكينَ استجارَك ...) الآية . وفي كلام الله وجهان أى إن استأمنك فأمِّنه .

أحدهما – أنه عنى سورة براءة خاصة ليعلم ما فيها من حكم المقيم على العهد وحكم الناقض له والسيرة في المشركين والفرق بينهم وبين المنافقين.

الثاني – يعنى القرآن كله ، ليهتدي به من ضلاله ويرجع به عن كفره.

• (ثم أَبْلِغْه مأمَنَهُ) يعنى إن أقام على الشرك وانقضت مدة الأمان .

• (ذلك بأنهم قوم لا يَعْلَمون) يحتمل وجهين : (أحدهما) الرشد من الغيّ . (والثاني) استباحة رقابهم عند انقضاء مدة أمانهم .

٧ – قوله عز وجل (كيف يكونُ للمشركين عَهْدٌ عِنْدَ الله ...) الآية يحتمل وجهين : (أحدهما) إذا لم يعطوا أمانا . (الثاني) إذا غدروا وقاتلوا.

• وفي قوله (إلاّ الذين عاهدْتُم عِنْد المسْجِد الحرام) أربعة أقاويل: (أحدها) أنهم قوم من بني بكر بن كنانة ، قاله ابن إسحاق . (والثاني) أنهم قريش ، وهو قول ابن عباس . (والثالث) خزاعة ، قاله مجاهد . (والرابع) بنو ضمرة ، قاله الكلبي .

• (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه ، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم وحلّتْ دماؤهم .

٨ ــ قوله عز وجل (كيف وإنْ يَظْهَرُوا عليكم) يعني يَقْوَوا حتى يقدروا على الظفر بكم . وفي الكلام محذوف وتقديره : كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم .

• (لا يَرْقُبُوا فيكم) فيه وجهان : (أحدهما) لا يخافوا ، قاله السدى. (الثاني) لا يراعوا .

• (إلاًّ ولا ذِمّةً) وفي الإلّ سبعة تأويلات :

أحدها ــ أنه العهد ، وهو قول ابن زيد .

والثاني ــ أنه اسم الله تعالى ، قاله مجاهد . < ويكون معناه لا يرقبون الله فيكم > [1] .

والثالث ــ أنه الحِلْف ، وهو قول قتادة .

والرابع ــ أن الإلّ اليمين ، والذمة العهد، قاله أبو عبيدة ، ومنه قول ابن مقبل :

أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الإلَّ وأعراقَ الرَّحِم

والخامس ــ أنه الجوار ، قاله الحسن .

والسادس ــ أنه القرابة، قاله ابن عباس والسدى ، ومنه قول حسان :

وأُقسِمُ إنّ إلّك مِن قريشٍ كإلّ السّقْبِ مِن رَألِ النعام

والسابع ــ أن الإل العهد والعقد والميثاق واليمين ، وأن الذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له ، قاله بعض البصريين .

---

(١) سقط من ق .

(٢) السقب : ولد الناقة . والرال : ولد النعام .

« ولا ذمة » فيها ثلاثة أوجه : (أحدها) الجوار ، قاله ابن بحر . (الثاني) أنه التذمم ممن لا عهد له ، قاله بعض البصريين . (والثالث) أنه العهد وهو قول أبي عبيدة .

* (يُرضونكم بأفواههم وتأبَىٰ قلوبُهم) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) يرضونكم بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر . (والثاني) يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية . (والثالث) يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضيه من المشركين إلا الإيمان .

* (وأكثرهم فاسقون) فيه وجهان : (أحدهما) في نقض العهد وإن كان جميعهم بالشرك فاسقا . (والثاني) وأكثرهم فاسق في دينه وإن كان كل دينهم فسقا .

٩ — قوله عز وجل (اشتَرَوْا بآياتِ الله ثمناً قليلاً) في آيات الله تعالى هاهنا وجهان : (أحدهما) حججه ودلائله . (والثاني) آيات الله التوراة التى فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثمن القليل : ما جعلوه من ذلك بدلا . وفي صفته بالقليل وجهان : (أحدهما) لأنه حرام ، والحرام قليل . (والثاني) لأنها من عروض الدنيا التى (٤) بقاؤها قليل .

وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما — أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه ، وهذا قول مجاهد ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالى .

والثاني — أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة .

* (فصَدُّوا عن سبيله) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) عن دين الله تعالى في المنع منه . (والثاني) عن طاعة الله في الوفاء بالعهد . (والثالث) عن قصد بيت الله حين أحصر بالحديبيّة.

١٢ـ قولـه عـز وجل (وإنْ نكثوا أيْمانَهم منْ بَعْدِ عَهْدِهم) أى نقضوا عهدهم الذى عقدوه بأيمانهم .

* (وطَعَنُوا في دِينكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) إظهار الذم له. (والثاني) إظهار الفساد فيه[1] .

* (فقَاتِلوا أئمةَ الكُفْر) فيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم رؤساء المشركين . (والثاني) أنهم زعماء قريش ، قاله ابن عباس (والثالث) أنهم الذين كانوا قد همّوا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله قتادة.

* (إنهم لا أيْمانَ لهم) قراءة الجمهور بفتح الألف ، من اليمين لنقضهم إياها . وقرأ ابن عامر : «إنهم لا إيمان لهم» بكسر الألف ، وهى قراءة الحسن . وفيها إذا كسرت وجهان : (أحدهما) أنهم كفرة لا إيمان لهم . (والثاني) ـ أنهم لا يُعْطَوْن أمانا .

١٦ـ قوله عز وجل (... ولم يتّخِذوا من دُون اللهِ ولا رسولِه ولا المؤمنين وَليجةً) فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنها الخيانة ، قاله قتادة .

والثاني ـ أنهم البطانة ، قاله قطرب ومقاتل ، ومنه قول الشاعر :

وجعلت قومك دون ذاك وليجةً ساقوا إليك الخير غير مشوب

والثالث ـ أنه الدخول في ولاية المشركين ، من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه ، قال طرفة بن العبد[2] :

رأيت القوافي يَتَّلجْن موالجاً تضايقُ عنها أنْ تَولّجها الإبَرْ

١٧ـ قوله عز وجل (ما كان للمشركين أن يَعمُروا مساجدَ اللهِ) يعنى المسجد الحرام . وفيه وجهان : (أحدهما) ما كان لهم أن يعمروها بالكفر

(١) استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين اذ هو كافر .
(٢) البيت من قصيدة له في ديوانه صفحة ٤

لأن مساجد الله تعالى تعمر بالإيمان . (والثاني) ما كان لهم أن يعمروه بالزيارة له والدخول إليه .

* (شاهِدِينَ على أنْفسهم بالكفر) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – أن فيما يقولونه أويفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم ، فكأن ذلك منهم هو شهادتهم على أنفسهم ، قاله الحسن .

والثاني – يعني شاهدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر لأنهم كذبوه وأكفروه وهو من أنفسهم ، قاله الكلبي .

والثالث – أن النصراني إذا سئل ما أنت ؟ قال: نصراني ، واليهودى إذا إذا سئل قال: يهودى ، وعابد الوثن يقول: مشرك ، وكل هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر ، قاله السدى .

١٨– ثم قال تعالى (إنما يَعْمُرُ مساجدَ الله مَن آمَنَ باللهِ) في هذه المساجد قولان :

أحدهما – أنها مواضع السجود من المصلي ، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) بالمحافظة على إقامة الصلاة . (والثاني) بترك الرياء. (والثالث) بالخشوع والإعراض عما ينهى .

والقول الثاني – أنها بيوت الله تعالى المتخذة لإقامة الصلوات ، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالى . (والثاني) إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى. (والثالث) إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى .

* (واليومِ الآخِرِ وأقام الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولمْ يَخْشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) فيه وجهان (أحدهما) أنه قال ذلك لهم تحذيرا من فعل ما يخالف هدايتهم . (والثاني) أن كل « عسى » من الله واجبة وإن كانت من غيره ترجيا ، قاله ابن عباس والسدى .

١٩– قولــه عــز وجل (أجَعَلْتُم سِقايةَ الحاجّ(١) وعمارةَ المسجد الحرام) يعني بعمارته السدانة والقيام به .

• (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهَدَ في سبيل الله لا يستوون عند الله) لأن قريشا فضلت ذلك على الإيمان بالله ، فردّ الله تعالى ذلك عليهم وأعلمهم أنهما لا يستويان ، وأن ذلك مع الكفر محبط .

وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب ، وهو صاحب السقاية ، وفي شيبة بن عثمان وهو صاحب السدانة وحاجب الكعبة أُسرا يوم بدر فعيّرا بالمقام على الكفر بمكة وأغلظ لهما المهاجرون ، فقالا نحن أفضل منكم أجرا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، فنزل هذا فيهم .

٢٤– قوله عز وجل (قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها) يعني اكتسبتموها .

• (وتجارةٌ تَخْشَوْنَ كسادَها) فيها وجهان :

أحدهما – أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها وكسد سوقها .

والثاني – أنهن البنات الأيامى إذا كسدْن عند آبائهن ولم يخطبن .

• (ومساكنُ ترضَوْنَها ...) وهذا نزل في قوم أسلموا بمكة فأقاموا بها ولم يهاجروا إشفاقاً على فراق ما ذكره الله تعالى ميلا إليه وحبّا له فذمهم الله تعالى على ذلك وقال :

• (...فتربّصوا حتى يأتيَ اللهُ بأمره) فيه وجهان : (أحدهما) أنه فتح مكة ، قاله مجاهد . (والثاني) حتى يأتي الله بأمره من عقوبة عاجلة أو آجلة، قاله الحسن .

٢٦– قوله عز وجل (ثم أنزَلَ اللهُ سكينته على رسوله ...) الآية . وفي

(١) التقدير : اجعلتم أصحاب سقاية الحاج مثل من آمن بالله وجاهد في سبيله ، ويصح ان يقدر الحذف في « من آمن » اى جعلتم عمل سقى الحاج كعمل من آمن (انظر تفسير القرطبى ٦١/٨)

السكينة ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها الرحمة ، قاله على بن عيسى (والثاني) أنها الأمن والطمأنينة . (والثالث) أنها الوقار ، قاله الحسن .

• (وأنزل جنودًا لم تروْها) فيه وجهان : (أحدهما) الملائكة . (والثاني) أنه تكثيرهم في أعين أعدائهم ، وهو محتمل .

• (وعذب الذين كفروا) فيه وجهان : (أحدهما) بالخوف والحذر. (والثاني) بالقتل والسبي .

٢٨ـ قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنهم أنجاس الأبدان كنجاسة الكلب والخنزير ، قاله عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وقال الحسن مثله وأوجب الوضوء على من صافحهم.

والثاني ـ أنه سماهم أنجاسا لأنهم يجنبون ولا يغتسلون ، فصاروا لوجوب الغسل عليهم كالأنجاس وإن لم تكن أبدانهم أنجاسا ، قاله قتادة.

والثالث ـ أنه لما كان علينا أن نتجنبهم كما نتجنب الأنجاس ونمنعهم من مساجدنا كما نمنعها من الأنجاس ، فصاروا بالاجتناب في حكم الأنجاس. وهذا قول كثير من أهل العلم .

والرابع ـ أن النجس هاهنا بمعنى الأخباث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر ، وخبث الباطن بالعداوة ، قاله مقاتل .

• (فلا يقربوا المسجد[1] الحرام بعد عامهم هذا) فيه قولان (أحدهما) يعني سنة تسع من الهجرة وهو العام الذى حج بالناس فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه . (والثاني) سنة عشر وهى حجة الوداع ، قاله قتادة .

ثم في منع المشركين منه قولان : (أحدهما) أن جميعهم ممنوع منه من حربي وذمى ، قاله الجمهور . (والثاني) أنهم ممنوعون منه إلا الذمى والعبد المملوك لمسلم ، قاله جابر بن عبد الله وقتادة .

---

(١) قال أهل المدينة : الآية عامة في سائر المشركين وسائر المساجد ، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله . وقال ابو حنيفة واصحابه : لا يمنع اليهودى والنصرانى من دخول المسجد الحرام ولا غيره .

• (وإنْ خِفتُم عَيْلةً) < فيه وجهان : (أحدهما) ضيعة من تقُوتونه من العيال . (والثاني) يعني بالعيلة الفقر والفاقة بمنع المشركين من الحرم . قال الشاعر > (١) :

وما يَدرِي الفقير متى غِناه   وما يَدْرِى الغنيُّ متى يَعيلُ

وهى في قراءة ابن مسعود «عائلة» يعنى خصلة شاقة ، يقـال عالني الأمر إذا شق واشتد .

• وفي قوله تعالى (فسوف يُغْنيكم اللهُ من فَضْلِه) ثلاثة أقاويل : (أحدها) بالمطر والنبات . (والثاني) بالجزية المأخوذة منهم ، قاله مجاهد وقتادة. (والثالث) أنه على العموم في كل ما يغنى .

• وقوله تعالى (إنْ شاءَ) يعلمهم أن الغنى لا يكون بالاجتهاد والسعى وإنما هو من الله سبحانه في إغناء من شاء حثا على طاعته وتحذيرا من معصيته.

٢٩ـ قوله عز وجل : (قاتِلوا الذين لا يُؤْمِنون بالله ولا باليوم الآخِرِ) فإن قيل : فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر فكيف قال ذلك فيهم ؟

ففيه جوابان :

أحدهما ــ أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه ، فكانوا بترك الإقرار بحقوقه كمن لم يقرّ به .

والثاني ــ أنه ذمّهم ذمّ من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته ، وهم في الذم بالكفر كغيرهم .

• (ولا يُحَرِّمون ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُه) فيه وجهان : (أحدهما) أنه ما أمر الله سبحانه وتعالى بنسخه من شرائعهم . (والثاني) ما أحـله لهم وحرمه عليهم .

(١) هو احيحة كما في اللسان . وقد سقط ما بين الزاويتين من ق .

* (ولا يَدينون دِينَ الحقِّ) والحق هنا هو الله تعالى . وفي المراد بدينه في هذا الموضع وجهان : (أحدهما) العمل بما في التوراة من اتباع الرسول، قاله الكلبي . (والثاني) الدخول في دين الإسلام لأنه ناسخ لما سواه من الأديان، وهو قول الجمهور .

* (مِنَ الذين أُوتوا الكتَابَ) (فيه وجهان) : (أحدهما) يعني من آباء الذين أُوتوا الكتاب . (الثاني) من الذين أوتوا الكتاب بين أظهرهم لأنهم في اتباعه كآبائهم .

(حتى يُعطُوا الجزْيةَ) فيه تأويلان : (أحدهما) حتى يضمنوا الجزية وهو قول الشافعي لأنه يرى أن الجزية تجب بانقضاء الحول وتؤخذ معه . (والثاني) حتى يدفعوا الجزية .

وفي الجزية وجهان : (أحدهما) أنها من الأسماء المجملة لا يوقف على علمها إلا بالبيان . (والثاني) أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خص بالدليل .

* ثم قال تعالى (عن يدٍ) وفيه أربعة[1] تأويلات : (أحدها) عن غنى وقدرة (والثاني)[2] أنها من عطاء لا يقابله جزاء ، قاله أبو عبيدة. (والثالث) أن يروا أن لنا في أخذها منهم يدا عليهم بحقن دمائهم بها . (والرابع)[3] يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم كما يفعله المتكبرون .

* (وهم صاغرون) فيه خمسة[4] أقاويل : (أحدها) أن يكونوا قياما والآخذ لها جالسا ، قاله عكرمة . (والثاني) أن يمشوا بها وهم كارهون ، قاله ابن عباس . (والثالث) أن يكونوا أذلاء مقهورين ، قاله الطبري .

---

(١) في ق فيه تاويلان : احدهما .

(٢) سقط من ق

(٣) سقط من ق .

(٤) في ق فيه اربعة تاويلات

(والرابع) أن دفعها هو الصَّغار بعينه . < (والخامس) أن الصَّغار أن تجرى عليهم أحكام الإسلام> [١] ،قاله الشافعي .

٣٠- قوله عز وجل (وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ) الآيــة . أما قــول اليهود ذلك فسببه أن بختنصر لما أخرب بيت المقدس أحرق التوراة حتى لم يبق بأيديهم شيء منها ، ولم يكونوا يحفظونها بقلوبهم ، فحزنوا لفقدها وسألوا الله تعالى ردها عليهم ، فقذفها الله في قلب عزير ، فحفظها وقرأها عليهم فعرفوها فلأجل ذلك قالوا إنه ابن الله .

.واختلف فيمن قال ذلك على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن ذلك كان قول جميعهم ، وهو مروى عن ابن عباس . (والثاني) أنه قول طائفة من سلفهم . (والثالث) أنه قول جماعة ممن كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف فيهم على قولين : (أحدهما) أنه فنحاص وحده ، ذكر ذلك عبيد بن عمير وابن جريج . (والثاني) أنهم جماعة وهم سلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف [٢] ، وهذا مروى عن ابن عباس .

فإن قيل : فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم ؟

قيل : لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره ، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم .

• (وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله) وهذا قول جميعهم [٣] . واختلف في سبب قولهم لذلك على قولين : (أحدهما) أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا إنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك . (الثاني) أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتى وأبرأه من المرضى.

---

(١) سقط من ق

(٢) ذكر القرطبي انهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

(٣) قال ابن عطية : ويقال ان بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة

* (ذلك قولهم بأفْواهِهم) معنى ذلك – وإن كانت الأقوال كلها من الأفواه – أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان ، فصار قولا لا يتجاوز الفم فلذلك خص به .

* (يضاهِئون قوْلَ الذين كفروا مِنْ قبلُ) أى يشابهون ، مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذا لم تَحِضْ تشبيها بالرجال . ومنه ما جاء في الحديث : أجرأ الناس على الله تعالى الذين يضاهئون خلقه . أى يشبهون به.

وفيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن قولهم ذلك يضاهى قول عبدة الأوثان في اللاتَ والعزّى ومناة وأن الملائكة بنات الله ، قاله ابن عباس وقتادة. (والثاني) أن قول النصارى المسيح ابن الله يضاهى قول اليهود عزير ابن الله، قاله الطبرى . (والثالث) أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم ، قاله الزجاج .

* (قاتَلَهم اللهُ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس < ومنه قول عبيد بن الأبرص :

قاتلها الله تلحاني وقد علمت أني لنفسيَ إفسادى وإصلاحى[2] >.

والثاني – معناه قتلهم الله ، قاله بعض أهل العربية .

والثالث – أن الله تعالى فيما أعده لعذابهم وبينه من عداوتهم التى هى في مقابلة عصيانهم وكفرهم كأنه مقاتل لهم .

* (أنّى يُؤفَكُون) معناه كيف يُصرفون عن الحق إلى الإفك وهو الكذب .

٣١– قولــه عز وجــل : (اتّخذوا أحْبــارَهم ورُهْبانهم أرْباباً مِن دونِ الله) أما الأحبار فهم العلماء ، واحدهم حَبْر سمى بذلك لأنه يحبر المعاني أى يحسنها بالبيان عنها .

(١) نسبه القرطبى إلى أبان بن تغلب .
(٢) سقط من ق

وأما الرهبان فجمع راهب ، مأخوذ من رهبة الله تعالى وخشيته ، غير أنه صار بكثرة الاستعمال يتناول نُسّاك النصارى .

وقوله « أربابا من دون الله » يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحلونه لهم ، فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب ، وقد روى مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٢– قوله عز وجل (يريدون أن يُطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم) وفي نوره قولان : (أحدهما) أنه القرآن والإسلام ، قاله الحسن وقتادة . (والثاني) أنه آياته ودلائله لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار .

وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرنا أنه ليس يقترن بقولهم دليل .

* (ويأبَى اللهُ إلاّ أنْ يُتِمَّ نورَه) وليس يريد تمامه من نقصان لأن نوره لم يزل تاما . ويحتمل المراد به وجهين : (أحدهما) إظهار دلائله . (والثاني) معونة أنصاره .

٣٣– قوله عز وجل (هو الذى أرسَلَ رسولَه بالهُدى ودِين الحقِّ) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى خلقه بالهدى ودين الحق .

وفيها أربعة (1) تأويلات : (أحدهما) أن الهدى البيان ، ودين الحق الإسلام ، قاله الضحاك . (والثاني) أن الهدى الدليل ، ودين الحق المدلول عليه . (والثالث) معناه بالهدى إلى دين الحق . (والرابع) أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيدا لتغاير اللفظين .

* (ليُظْهِرَه على الدينِ كلِّه) فيه ستة تأويلات :

أحدها – يعني عند نزول عيسى عليه السلام فإنه لا يعبد الله تعالى إلاّ بالإسلام ، قاله أبو هريرة .

---

(1) في ق ثلاثة تأويلات وقد سقط منها التأويل الاول

والثاني – معناه أن يعلمه شرائع الدين كله ويطلعه عليه، قاله ابن عباس.

والثالث – ليظهر دلائله وحججه ، وقد فعل الله تعالى ذلك ، وهذا قول كثير من العلماء .

والرابع – ليظهره برغم المشركين من أهله .

والخامس – أنه وارد على سبب،وهو أنه كان لقريش رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن والعراق فلما أسلموا انقطعت عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه : « ليظهره على الدين كله » يعني في بلاد الرحلتين وقد أظهره الله تعالى فيهما .

والسادس[1]– أن الظهور الاستعلاء ، ودين الإسلام أعلى الأديان كلها وأكثرها أهلا ، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر . فروى الربيع بن أنس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يؤيّد دينه بأقوام ما لهم في الآخرة من خلاق[2] .

٣٤– قوله عز وجل : (ياأيها الذين آمنوا إنّ كثيراً من الأحْبار والرهْبانِ ليأكُلونَ أمْوالَ الناسِ بالباطِل) الآية . فيه قولان : (أحدهما) أنه أخذ الرشا في الحكم ، قاله الحسن . (والثاني) أنه على العموم في أخذه بكل وجه محرم .

وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون ، وقد يطلق على أثمان المأكول اسم الأكل ، كما قال الشاعر :

ذَرِ الآكلينَ الماءَ فما أرى ينالون خيراً بَعْدَ أكْلهم الماءَ

أى ثمن الماء .

* (ويَصُدُّون عن سبيل اللهِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشا . (والثاني) أنه منعهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم .

---

(١) سقط من ق

(٢) روى ببعض اختلاف في اللفظ عند البخارى في الجهاد ، وكما رواه مسلم في الايمان ، والدارمي في السنن ، وأحمد في المسند ٣٠٩/٢

• (والذين يكْنِزون الذّهبَ والفضّةَ ولا يُنْفقونها في سبيلِ اللهِ فبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ) وفي هذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن الكنز كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدّ زكاتُه ، سواء كان مدفونا أو غير مدفون ، قاله ابن عمر والسدى والشافعي والطبرى .

والثاني — أن الكنز ما زاد على أربعة آلاف درهم ، أديت منه الزكاة أم لم تؤد ، قاله عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقد قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .

والثالث — أن الكنز ما فضل من المال عن الحاجة إليه . روى عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزل قوله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة... »الآية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : تباً للذهب والفضة (١) ، قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : فأى المال نتخذ ؟ فقال عمر بن الخطاب : أنا أعلم لكم ذلك ، فقال يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا : فأى المال نتخذ ؟ فقال : لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه .

وروى قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة (٢) صدي بن عجلان قال : مات رجل من أهل الصفّة فوجد في مئزره دينار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كية (٣) ، ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيتان (٣) .

والكنز في اللغة هو كل شيء مجموع بعضه إلى بعض سواء كان ظاهرا على الأرض أو مدفونا فيها ، ومنه كنز البُرّ ، قال الشاعر :

---

(١) رواه ابن ماجه واحمد ؛ وابو نعيم في الحلية

(٢) هكذا في الاصول ، والذى في سيرة ابن هشام أن ابا امامة الباهلي هو أسعد بن زرارة أحد النقباء . وقد ورد هذا الحديث عنه في تفسير القرطبى (١٣١/٨) وفيه « فوجد في بردته » بدل مئزره . وقد اسند الطبرى هذا الحديث الى ابى امامه الباهلى.

(٣) في ق « كنز » . ومنها ايضا « كنزان » وهو تحريف

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أطْعَمْتُ نازِلهم   قِرْفَ الحَتِيِّ وعندي البُرُّ مكنوزُ

[قرف] الحَتِيّ : سَوِيق المقل(١). يعني وعندي البُرّ مجموع.

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة » فذكر جنسين ثم قال « ولا ينفقونها » والهاء كناية ترجع إلى جنس واحد ، ولم يقل « ولا ينفقونهما » لترجع الكناية إليهما .

فعن ذلك جوابان : (أحدهما) أن الكناية راجعة إلى الكنوز ، وتقديره : ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله . (والثاني) أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه ، كما قال تعالى : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضّوا إليها وتركوك قائما » ولم يقل إليهما ، وكقول الشاعر(٢) :

إنّ شرخ الشبابِ والشَّعَرَ الأسْـــوَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنونا

ولم يقل يعاصيا .

ثم إن الله تعالى غلّظ حال الوعيد بما ذكره بعد هذا من قوله :

* (يوم يُحْمَى عليها في نارِ جهنم فتُكْوَى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم هذا ما كنزْتم لأنفسكم فذُوقوا ما كنتم تَكْنِزون) وإنما غلظه بهذا الوعيد لما في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظُ الوعيد إخراجَها في الحقوق .

٣٦- قوله عز وجل (إنّ عِدّةَ الشُّهورِ عِنْدَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً) يعني شهور السنة . وإنما كانت اثْنيْ عشر شهرا لموافقة الأهلّة ولنزول الشمس والقمر في اثني عشر برجا يجريان فيها على حساب متفق كما قال الله تعالى : « الشمسُ والقمرُ بحُسْبان (٣) » .

* (... منها أربعةٌ حُرُمٌ) يعني أن من الاثني عشر شهرا أربعة حرم، يعني بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها ، وهو ما رواه صدقة بن يسار عن ابن عمر

---

(١) المقل : ثمر شجر الدوم ينضج ويؤكل . يريد الشاعر أنه نزل بقوم فكان قراه عندهم سويق المقل وهو الحتي ، فلما نزلوا به قال هو : لادر دري . البيت

(٢) هو حسان بن ثابت

(٣) آية ٥ الرحمن وفي الاصول : والشمس ... وهو خطأ من الناسخ

قال : خطب رسول الله صلىّ الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في وسط أيام التشريق فقال : أيهـــا الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، أولهن رجب مُضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم(١) .

• (ذلك الدّين القيّـم) فيه وجهان : (أحدهما) أى ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوفي ، قاله ابن قتيبة . (والثاني) يعني القضاء الحق المستقيم ، قاله الكلبي .

• (فلا تـَظْلِـمُوا فيهنّ أَنفُسَكم) فيه أربعة(٢) أوجه : (أحدها) فلا تظلموها بمعاصى الله تعالى في الشهور الاثنى عشر كلها ، قاله ابن عباس . (والثاني) فلا تظلموهـــا بمعاصى الله في الأربعـــة الأشهر ، قاله قتـــادة . (والثالث) فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالى لها ، قاله الحسن وابن إسحاق . (والرابع) فلا تظلموا فيها أنفسكم أى تركوا فيها قتال عدوكم ، قاله ابن بحر(٣) .

فإن قيل : فلم جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض ؟

قيل : ليكون كفهم فيها عن المعاصى ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عباده ولطفا بهم .

٣٧ـ قوله عز وجل (إنما النسِيءُ زيادةٌ في الكفْر ...) أما النسيء في الأشهر فهو تأخيرها ، مأخوذ من بيع النَسيئة ، ومنه قوله تعالى : « ما ننسَخْ مِن آية أو ننسها(٤) » أى نؤخرها .

وفي نَسْء الأشهر قولان : (أحدهما) أنهم كانوا يؤخرون السنة أحد عشر يوما حتى يجعلوا المحرم صفرا ، قاله ابن عباس (والثاني) أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهرا .

(١) رواه البخارى في تفسير سورة التوبة ، وابو داود في المناسك
(٢) في ق : ثلاثة اوجه
(٣) هذا الوجه سقط من ق
(٤) آية ١٠٦ البقرة

قال مجاهد : فحج المسلمون في ذى الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، ثم في ذى القعدة عامين الثاني منهما حجة أبي بكر قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذى الحجة فذلك حين يقول : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وكان المنادى بالنسيء في الموسم من بنى كنانة على ما حكاه أبو عبيدة ، وقال شاعرهم عمير بن قيس[1] :

أَلسْنا الناسئين على مَعَــدٍّ   شهورَ الحِلِّ نجعلُها حَراما

واختلف في أول من نسأ الشهور منهم ، فقال الزبير بن بكار : أول من نسأ الشهور نعيم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة .

وقال أيوب بن عمر الغفارى : أول من نسأ الشهور القَلَمّس الأكبر وهو عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، وآخر من نسأ الشهور أبو ثمامة جنادة بن عوف[2] إلى أن نزل هذا التحريم سنة عشر وكان ينادى إني أنسأ الشهور في كل عام ألا أن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ، فحرم الله سبحانه بهذه الآية النسيء وجعله زيادة في الكفر[3].

* ثم قال تعالى :(...لِيُواطئوا عِدّةَ ما حَرَّمَ اللهُ) أى ليوافقوا [أى لم يحلوا شهرا إلا حرموا شهرا] فحرموا أربعة أشهر كما حرم الله تعالى أربعة أشهر .

* (زُيِّن لهم سُوءُ أعْمالهم) فيه وجهان : (أحدهما) أن الله تعالى زينها بالشهرة لها والعلامة المميزة بها لتجتنب . (الثاني) أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها ، وهو معنى قول الحسن.

وفي «سوء أعمالهم » ها هنا وجهان : (أحدهما) أنه ما قدمه من إحلالهم

---

(١) هو عمير بن قيس جذل الطعان وهو من كنانة سمي جذل الطعان لثباته في الحرب (انظر سيرة ابن هشام ٤٦/١)

(٢) وهو الذى ادركه النبى (ص) على ما حكاه الكلبى وابن هشام في السيرة .

(٣) هذه الفقرة من قوله واختلف مضطربة في الاصول وقد بذلت الجهد في ضبطها من كتب التفسير بحيث لم أخرج عن مضمون كلام المؤلف .

ما حرم الله تعالى وتحريمهم ما أحله الله . (الثاني) أنه الرياء ، قاله جعفر بن محمد .

٣٨ـ قوله عز وجل : (ياأيهـا الذين آمنوا مـا لكم إذا قيل لكم انفِروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرضِ) قال الحسن ومجاهد : دُعوا إلى غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم .

وفي قوله « اثّاقلتم إلى الأرض » ثلاثة[1] أوجه : (أحدها) إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم . (والثاني) إلى الأرض حين أخرجت الثمر والزرع. قال مجاهد : دعوا إلى ذلك أيام إدراك النخل ومحبـة القعـود في الظـل . (الثالث[2]) اطمأننتم إلى الدنيا ، فسماها أرضا لأنها فيهـا ، وهذا قـول الضحاك .

* وقد بيّنه بقوله تعالى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني بمنافع الدنيا بدلا من ثواب الآخرة .

والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضا لما مضى ، والإرادة لما يأتي .

* (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل) لا نقطاع هذا ودوام ذاك .

٣٩ـ قوله عز وجل (إلاّ تَنفِروا) يعني في الجهاد .

* (يُعَذّبْكُم عذاباً أليماً) قال ابن عباس : احتباس القطر عنهم هو العذابِ الأليم الذى أوعدهم .

و يحتمل أن يزيد بالعذاب الأليم أن يظفربهم أعداوهم .

* (ويستبدلْ قوْماً غيْرَكم) يعني ممن ينفر إذا دُعي ويجيب إذا أُمر .

* (ولا تَضُرُّوه شيئاً) فيه وجهان : (أحدهما) ولا تضرّوا الله بترك النفير ، قاله الحسن . (والثاني) ولا تضرّوا الرسول ، لما تكفل الله تعالى به من نصرته ، قاله الزجاج .

---

(١) في ق : وجهان احدهما .
(٢) سقط من ق .

٤٠ـ قولـــه تعـــالى (إلاّ تنْصُروهُ فقدْ نَصَرَهُ اللهُ) يعنى إلاّ تنصروا أيها الناس النبي صلى الله عليه وسلم بالنفير معه وذلك حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله .

* (إذ أخْرَجَهُ الذين كَفَروا) يعنى من مكة ولم يكن معه من يحامى عنه ويمنع منه إلا الله تعالى ، ليعلمهم بذلك أن نصره نبيه ليس بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم ، وإنما هو من قبل الله تعالى فلم يضره قعودهم عنه.

وفي قوله « فقد نصره الله» وجهان: (أحدهما) بإرشاده إلى الهجرة حتى أغناه عن معونتهم . (والثاني) بما تكفل به من إمداده بملائكته .

* (ثانيَ اثنين) أى أحد اثنين ، وللعرب في هذا مذهب أن تقول خامس خمسة أى أحد خمسة .

* (إذ هما في الغار) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غارا في جبل ثور ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم .

والغـــار عمق في الجبل يدخل إليه .

قال مجاهد : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار مع أبي بكر ثلاثا .

قال الحسن : جعل الله على باب الغار < ثمامة وهى شجرة صغيرة. وقال غيره : ألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار> (١).

< وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلى أن قوله تعالى « إذ هما في الغار» أى في غيرة على ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار على دين ربه.وهو خلاف ما عليه الجمهور > (٢)

* (إذ يقولُ لصاحبه لا تَحْزَنْ...) يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لصاحبه أبي بكر لا تحزن ، فاحتمل قوله ذلك له وجهين : (أحدهما) أن

(١) ســقط من ك .
(٢) ســقط من ق .

يكون تبشيرا لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن . (والثاني) أن يكون قد ظهر منه حزن فقال له ذلك تخفيفا وتسلية . وليس الحزن خوفا وإنما هو تألم القلب بما تخيله من ضعف الدين بعد الرسول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحزن إن الله معنا » أي ناصرنا على أعدائنا .

• (... فأنزل الله سكينته عليه) فيها قولان :(أحدها) على النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله الزجاج . (والثاني) على أبي بكر لأن الله قد أعلم نبيه بالنصر .

وفي السكينة أربعة أقاويل : (أحدها) أنها الرحمة ، قاله ابن عباس. (والثاني) أنها الطمأنينة ، قاله الضحاك . (والثالث) الوقار ، قاله قتادة. (والرابع) أنها شيء يسكّن الله به قلوبهم ، قاله الحسن وعطاء .

• (وأيّده بجنود لم تـَرَوْها) فيه وجهان : (أحدهما) بالملائكة . (والثاني) بالثقة بوعده واليقين بنصره .

وفي تأييده وجهان : (أحدهما) إخفاء أثره في الغار حين طلب . (والثاني) المنع من التعرض له حين هاجر .

• (وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى) يحتمل وجهين : (أحدهما) بانقطاع الحجة .

• (وكلمةُ الله هي العليا) بظهور الحجة . (والثاني) جعل كلمة الذين كفروا السفلى بذُلّ الخوف ، وكلمة الله هي العليا بعز الظفر .

٤١– قوله عز وجل (انْفِروا خِفافاً وثِقالاً) فيه عشرة تأويلات:

أحدها – يعني شبابا وشيوخا ، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد .

والثاني – في اليسر والعسر فقراء وأغنياء ، قاله أبو صالح .

والثالث – مشاغيل وغير مشاغيل ، قاله الحكم .

والرابع – نِشاطا وغير نشاط ، قاله ابن عباس وقتادة .

والخامس – ركبانا ومشاة ، قاله أبو عـَمْرو الأوزاعي .

والسادس – ذا صنعة وغير ذي صنعة ، قاله ابن زيد .

والسابع – ذا عيال وغير ذي عيال ، قاله زيد بن أسلم .

والثامن – أصحاء وغير أصحاءَ ومرضى ، قاله جويبر .

والتاسع – على خفة البعير وثقله ، قاله على بن عيسى والطبرى .

والعاشر – خفافا إلى الطاعة وثقالا عن المخالفة .

ويحتمل حادى عشر – خفافا إلى المبارزة ، وثقالا في المصابرة .

• (وجاهِدوا بأمْوالِكم وأنْفسكم في سبيل الله) أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعينا .

واما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر على الجهاد بنفسه ، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب قوم إلى أن بذل المال يلزم بدلا عن نفسه . وقال جمهورهم : لا يجب لأن المال في الجهاد تبع النفس إلا سهم سبيل الله في الزكاة .

• (ذلكم خير لكم) فيه وجهان : (أحدهما) أن الجهاد خير لكم من تركه إلى ما أُبيحَ من القعود عنه . (والثاني) معناه أن الخير في الجهاد لا في تركه .

• (إن كنتم تعلمون) فيه وجهان : (أحدهما) إن كنتم تعلمون صدق الله تعالى فيما وعد به من ثوابه وجنته . (والثاني) إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد .

ويحتمل وجها ثالثا – إن كنتم تعلمون أن الله تعالى يريد لكم الخير .

٤٢– قولــه عــز وجل (لو كان عَرَضاً قريباً) أى لو كان الذى دُعيتم إليه عرضا قريبا . وفيه وجهان : (أحدهما) يعنى بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة . (والثاني) يعنى الغنيمة .

• (وسفَراً قاصِداً) أى سهلا مقتصدا .

• (لاتّبعُوك) يعنى في الخروج معك .

• (ولكن بَعُدتْ عليهم الشُّقّةُ) والشقة هى القطعة من الأرض التى يشق ركوبها على صاحبها لبعدها .

• (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) يحتمل وجهين: (أحدهما) لو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا. (والثاني) لو استطعنا مالاً نستمده ونفقةً نخرج بها لخرجنا معكم في السفر الذى دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك.

ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله عنهم من أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً لقوله تعالى وتصحيحاً لرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم.

• (يُهلِكون أنفُسَهم) يحتمل وجهين: (أحدهما) يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة. (والثاني) يهلكون أنفسهم بالتأخر عن الإجابة.

٤٦ــ قوله عز وجل (ولو أرادوا الخروجَ لأعدّوا له عُدّةً) فيه وجهان: (أحدهما) صدق العزم ونشاط النفس. (والثاني) الزاد والراحلة في السفر، ونفقة الأهل في الحضر.

• (ولكنْ كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُم فثبّطَهم) وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل بتخاذلهم كعبد الله بن أبي بن سلول، والجد بن قيس.

• (وقيل اقعُدوا مع القاعدين) فيه وجهان: (أحدهما) مع القاعدين بغير عذر، قاله الكلبي. (والثاني) مع القاعدين بعذر من النساء والصبيان، حكاه على بن عيسى.

وفي قائل ذلك قولان: (أحدهما) أنه النبي صلى الله عليه وسلم، غضبا عليهم، لعلمه بذلك منهم. (والثاني) أنه قول بعضهم لبعض.

٤٧ــ قوله عز وجل (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبَالاً) يعني اضطرابا حكاه ابن عيسى. (والثاني) فسادا، قاله ابن عباس.

فإن قيل: فلمْ يكونوا في خبال فيزدادوا بهؤلاء الخارجين خبالا،

قيل هذا من الاستثناء المنقطع، وتقديره: ما زادوكم قوة، ولكن أوقعوا بينكم خبالا.

• (ولأوْضَعوا خِلاَلَكم يَبْغُونكم الفِتْنَةَ) أما الإيضاع فهو إسراع السير ، ومنه قول الراجز [١] :

يا ليتني فيها جَذَعْ أخُبّ [٢] فيها وأضَعْ

وأما الخلال فهو من تخلل الصفوف وهي الفُرَج تكون فيها،ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : تراصّوا في الصفوف ولا يتخللكم [الشياطين] كأولاد الحذف [٣] يعني الشياطين .

والخلال هو الفساد ، وفيه هاهنا وجهان : (أحدهما) لأسرعوا في إفسادكم . (والثاني) لأوضعوا الخلف بينكم .

وفي الفتنة التي يبغونها وجهان : (أحدهما) الكفر . (والثاني) اختلاف الكلمة وتفريق الجماعة .

• (وفيكم سمّاعون لهم) وفيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم ، قاله قتادة وابن إسحاق . (والثاني) وفيكم عيون منكم ينقلون أخباركم إليهم ، قاله مجاهد وابن زيد . (والثالث) وفيكم عيون منهم ينقلون إلى المشركين أخباركم ، قاله الحسن .

٤٨– قوله عز وجل (لقد ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) يعني إيقاع الخلاف وتفريق الكلمة .

• (وقَلّبوا لك الأُمورَ) يحتمل أربعة أوجه : (أحدها) معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن . (والثاني) قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم . (والثالث) توقع الدوائر وانتظار الفرص . (والرابع) حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم .

• (حتّى جاء الحقُّ) يعني النصر .

• (وظهر أمر اللهِ) يعني الدين .

• (وهم كارهون) يعني النصر وظهور الدين .

٤٩– قوله عز وجل (ومنهم مَنْ يقولُ ائْذَنْ لي) يعني في التأخر عن الجهاد .

---

(١) هو دريد بن الصمة كما في اللسان

(٢) الماضي خب من باب نصر ومصدره الخبب وهو ضرب من الجرى ، وخب الفرس واختب في عدوه اذا راوح بين يديه ورجليه

(٣) الحذف : غنم سود صغار تكون باليمن وبالحجاز . والحديث أخرجه بالفاظ مشابهة أحمد (نيل الاوطار ٢١٤/٣) .

• (ولا تَفْتِنِّي) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة ، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج . (والثاني) لا تصرفني عن شغلي ، قاله ابن بحر . (والثالث) أنها نزلت في الجد بن قيس قال ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر[1] فاني مشتهر بالنساء ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد .

• (ألا في الفتنة سَقَطوا) فيها وجهان : (أحدهما) في عذاب جهنم لقوله تعالى : «وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين» . (والثاني) في محنة النفاق وفتنة الشقاق .

٥٠ـ قوله عز وجل (إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُم) يعني بالحسنة النصر .

• (وإنْ تُصِبْكَ مُصِيبةٌ يقولوا قد أَخَذْنا أمْرَنا مِنْ قبلُ) أي أخذنا حذرنا فسلمنا .

• (ويتوَلّوْا وهم فرِحون) أي بمصيبتك وسلامتهم .

قال الكلبي : عنى بالحسنة النصر يوم بدر ، وبالمصيبة النكبة يوم أُحد .

٥١ـ قوله عز وجل (قل لن يُصيبَنا إلاّ ما كَتَبَ اللهُ لنا) فيه وجهان :

أحدهما ـ إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه يصيبنا من خير أو شر ، لا أن ذلك بأفعالنا فتذمّ أو تحمد ، وهو معنى قول الحسن .

والثاني ـ إلا ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا.

• (هو مَوْلانا) فيه وجهان : (أحدهما) مالكنا . (والثاني) حافظنا وناصرنا .

• (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي على معونته وتدبيره .

---

(١) قال المهدوي : والاصفر رجل من الحبشة كانت له بنات لم يكن في وقتهن اجمل منهن ، وكان ببلاد الروم . اراد الجد بن قيس انه لا يصبر عندما يرى النساء الجميلات والحق ان استئذانه كان نفاقا .

٥٢– قوله عز وجل (قل هل تَرَبَّصُون بنا إلا إحْدى الحُسنيَيْن) يعنى النصر أو الشهادة ، وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين ، وفي الشهادة الجنة .

• (ونحن نتربّص بكم أنْ يُصيبكم اللهُ بعذابٍ مِنْ عِنده) يحتمل وجهين : (أحدهما) عذاب الاستئصال في الدنيا . (والثاني) عقاب العصيان في الآخرة

• (أو بأيْدينا) يعنى بقتل الكافر عند الظفر والمنافق مع الإذن فيه.

٥٥– قوله عز وجل (فلا تُعْجبكَ أمْوالُهم ولا أولادُهم...) فيه خمسة أقاويل :

أحدها – فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم وتأخير.

والثاني – إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم ، يعنى المنافقين . وهذا قول الحسن .

والثالث – ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم أولادهم ، قاله ابن زيد.

والرابع – ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم ، يعنى المشركين، قاله بعض المتأخرين .

والخامس – يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها، وكل هذا عذاب .

• (وتزْهَقَ أنْفُسُهم) أى تهلك بشدة ، من قوله تعالى : «وقل جاء الحق وزهق الباطل» .

٥٧– قوله عز وجل (لو يَجِدُون مَلْجأ أو مَغارات...) الآية . أما الملجأ ففيه [1]أربعة أوجه : (أحدها) أنه الحرز ، قاله ابن عباس . (والثاني) الحصن ، قاله قتادة . (والثالث) الموضع الحريز من الجبل ، قاله الطبرى (والرابع) [2] المهرب ، قاله السدى . ومعاني هذه كلها متقاربة .

(١) في ق ثلاثة اوجه .
(٢) سقط من ق

وأما المغارات ففيها وجهان : (أحدهما) أنها الغيران في الجبال ، قاله ابن عباس . (والثاني) المدخل الساتر لمن دخل فيه ، قاله علي بن عيسى .

وأما المدَّخل ففيه وجهان : (أحدهما) أنه السرب في الأرض ، قاله الطبرى . (والثاني) أنه المدخل الضيق الذى يدخل فيه بشدة .

* (لولَّوْا إليه) يعني هرباً من القتال وخذلانا للمؤمنين.

* (وهم يجْمَحون) أى يسرعون ، قال مهلهل :

لقد جمحتْ جماحاً في دمائهم   حتى رأيت ذوى أحسابهم خمدوا

٥٨– قوله عز وجل (ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصَّدقاتِ...) الآية . < فيه قولان :

أحدهما – أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول : إنما يعطى محمد من يشاء ويتكلم بالنفاق فإن أعطي رضى وإن منع سخط ، فنزلت > [١] فيه الآية .

الثاني – ما روى الزهرى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدرى قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى [٢] فقال : اعدلْ يا رسول الله ، فقال : ويْلك ومَن يعدل إن لم أعدل ؟ [٣] فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه ، فقال : دعه . فأنزل الله تعالى « ومنهم من يلمزك في الصدقات » الآية .

وفي معنى يلمزك ثلاثة أوجه : (أحدها) يروزك [٤] ويسألك ، قاله مجاهد . (والثاني) يغتابك ، قاله ابن قتيبة . (والثالث) يعيبك . قال رؤبة:

قاربت بين عَنَقى وجَمْزى   في ظل عصرى باطلى ولمزى

٦٠– قوله عز وجل : (إنما الصَّدَقاتُ للفقراء والمساكينِ) اختلف أهل العلم فيها على ستة أقاويل :

---

(١) سقط من ق .
(٢) اسمه حرقوص بن زهير ، وهو أصل الخوارج .
(٣) رواه البخارى في الادب عن ابى سعيد الخدرى .
(٤) يروزك : يمتحنك .

أحدها — أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة . والمسكين : المحتاج السائل ، قاله ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد والزهرى ومجاهد وزيد.

والثاني — أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم منهم ، قاله قتادة .

والثالث — أن الفقراء هم المهاجرون، والمساكين : غير المهاجرين ، قاله الضحاك بن مزاحم وابراهيم .

والرابع — أن الفقير من المسلمين ، والمسكين : من أهل الكتاب ، قاله عكرمة .

والخامس — أن الفقير الذى لا شيء له لأن الحاجة قد كسرت فقاره، والمسكين الذى له ما لا يكفيه لكن يسكن إليه ، قاله الشافعى .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليس المسكين الذى لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب . قال ابن عليّة : الأخلق المحارف عندنا < وقال الشاعر :

لما رأى لُبَدُ النُّسور تطايرت رَفَعَ القوادمَ كالفقير الأعزل> (١).

والسادس — أن الفقير الذى له ما لا يكفيه ، والمسكين : الذى ليس له شيء يسكن إليه ، قاله أبو حنيفة .

* ثم قال : (والعاملينَ عليها) وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها < قال الشاعر :

إنّ السُّعاةَ عَصَوْكَ حينَ بعثْتَهم لم يفعلوا مما أمَرْتَ فتيلا(٢) >

وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم .

وفي قدر نصيبهم منها قولان : (أحدهما) الثُّمُن ، لأنهم أحد الأصناف

(١) سقط من ق والبيت للبيد
(٢) سقط من ق .

الثمانية ، قاله مجاهد والضحاك[١] . (والثاني) قدر أجور أمثالهم ، قاله عبد الله ابن عمر[٢] .

* (والمؤَلَّفةِ قلوبُهم) وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية ، وهم صنفان : مسلمون ومشركون ،

فأما المسلمونَ فصنفان :[٣] صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم ، كعقبة بن زيد وأبي سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ، وصنف آخر منهم كانت نياتهم في الإسلام حسنة فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين مثل عدي بن حاتم . ويعطى كلا الصنفين من سهم المؤلفة قلوبهم .

وأما المشركون فصنفان : صنف يقصدون المسلمين بالأذى فيتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية .

وفي تألفهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسهم المسمى لهم من الصدقات قولان : (أحدهما) يُعطَوْنه ويُتألفون به ، قاله الحسن وطائفة. (والثاني) يُمنعون منه ولا يُعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم ، قاله جابر ، وكلا القولين محكي عن الشافعي .

وقد روى حسان بن عطية قال : قال عمر رضي الله عنه وأتاه عُيينة ابن حصن يطلب من سهم المؤلفة قلوبهم فقال قد أغنى الله عنك وعن ضربائك « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »، أي ليس اليوم مؤلفة .

* (وفي الرِّقاب) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم المكاتبون ، قاله علي بن

---

(١) وهو قول الشافعي .

(٢) وهو قول مالك وأبى حنيفة واصحابه.وفي ك :ابن عمرو بن العاص وهو تحريف مخالف لما في كتب التفسير

(٣) في ق : فاما المسلمون فقوم كانت ...

أبي طالب رضي الله عنه والشافعي . (والثاني) أنهم عبيد يُشترون بهذا السهم، قاله ابن عباس ومالك .

* (والغارمينَ) وهم الذين عليهم الدَّيْن يلزمهم غرمه ، فإن ادّانوا في مصالح أنفسهم لم يعطوا إلا مع الفقر ، وان ادّانوا في المصالح العامة أعطوا مع الغنى والفقر .

واختلف فيمن ادّان في معصية على ثلاثة أقاويل :

أحدها — لا يعطى لئلا يعان على معصية .

والثاني — يعطى لأن الغرم قد وجب ، والمعصية قد انقضت .

والثالث — يعطى التائب منها ولا يعطى إن أصر عليها .

* (وفي سبيل الله) هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله يعطون سهمهم من الزكاة مع الغنى والفقر .

* (وابن السبيـــل) فيه قولان : (أحدهما) هو المسافر لا يجد نفقة سفره ، يعطى منها وإن كان غنيا في بلده ، وهو قول الجمهور . (والثاني) أنه الضيف ، حكاه ابن الأنباري .

٦١— قوله عز وجل (ومنهم الذين يُؤْذُونَ النبيَّ ويقولون هو أُذُنٌ) أي يصغي إلى كل أحد ، فيسمع منه ، قال عدى بن زيد :

أيها القلب تعلّلْ بدَدَنْ[1]   إنّ هَمّي في سماعٍ وأَذَنْ

* (قُلْ أُذُنُ خيرٍ لكم) أي يسمع الخير ويعمل به ، لا أذن شر يفعله إذا سمعه .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه ما لا يجوز ، فنزلت هذه الآية فيهم.

(١) الددن : اللهـو واللعب .

وفي تأويلها وجهان : (أحدهما) أنهم كانوا يعيبونه بأنه أذن يسمع جميع ما يقال له ، فجعلوا ذلك عيبا فيه . (والثاني) أنهم عابوه فقال أحدهم : كفوا فإني أخاف أن يبلغه فيعاقبنا ، فقالوا:هو أذن إذا أجبناه وحلفنا له صدقنا، فنسبوه بذلك إلى قبول العذر في الحق والباطل ، قاله الكلبي ومقاتل .

وقيل إن قائل هذا نفيل بن الحارث .

٦٣ــ قوله عز وجل (ألم يَعْلموا أنه مَن يحادِدِ اللهَ ورسولَه فأنَّ له نارَ جهنمَ) فيها ثلاثة أقوال[1] : (أحدها) من يخالف الله ورسوله ، قاله الكلبي . (والثاني) مجاوزة حدودهما ، قاله علي بن عيسى . (والثالث) أنها معاداتهما مأخوذ من حديد السلاح لاستعماله في المعاداة، قاله ابن بحر .

« فأنَّ له نارَ جهنم » وهذا وعيد . وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر ، فسميت نار الآخرة جهنم لبعد قعرها ، قاله ابن بحر .

٦٤ــ (يَحْذَرُ المنافقون ....) الآية . فيه وجهان : (أحدهما) أنه إخبار من الله تعالى عن حذرهم ، قاله الحسن وقتادة . (والثاني) أنه أمر من الله تعالى لهم بالحذر ، وتقديره ليحذر المنافقون ، قاله الزجاج .

• وفي قوله تعالى (... تُنبّئُهم بما في قلوبهم) وجهان :

أحدهما ــ ما أسرّوه من النفاق .

والثاني ــ قولهم في غزوة تبوك : أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ؟ هيهات هيهات . فأطلع الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، قاله الحسن وقتادة .

• (قل استهزئوا) هذا وعيد خرج مخرج الأمر للتهديد .

• (إنّ اللهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرون) يحتمل وجهين : (أحدهما) مظهر ما تُسِرّون. (والثاني) ناصر من تخذلون .

(١) في ق : فيها وجهان احدهما

٦٧- قوله عز وجل (المنافقونَ والمنافقاتُ بَعْضُهم مِنْ بَعْضٍ) يحتمل وجهين: (أحدهما) أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق. (والثاني) أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعضٍ. وقال الكلبي: بعضهم على دِين بعض.

* (يأمُرون بالمنْكَرِ ويَنْهَوْن عن المعْروفِ) في المنكر والمعروف قولان:

أحدهما - أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشرك، والمعروف: كل ما عرفه العقل من الخير[1].

والثاني - أن المعروف في كتاب الله تعالى كله الإيمان، والمنكر في كتاب الله تعالى كله الشرك، قاله أبو العالية.

* (ويَقْبِضون أيْديَهم) فيه أربعة أقاويل: (أحدهما) يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد. (والثاني) يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة. (والثالث) يقبضونها عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم، قاله بعض المتأخرين (والرابع) يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى.

* (نَسُوا الله فنَسِيَهم) أي تركوا أمره فترك رحمتهم[2].

قال ابن عباس: كان المنافقون بالمدينة من الرجال ثلاثمائة، ومن النساء سبعين ومائة امرأة.

وروى مكحول عن أبي الدرداء أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة المنافق فقال: «إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد

---

(١) في ق تعليق يقول: هذا اعتقاد المعتزلة، والذى عليه جميع أهل السنة والجماعة ان ان المنكر ما أنكره الشرع، والمعروف كل ما عرفه الشرع.
اقول: وهذا شبيه باختلافهم في تعريف الحسن والقبح.

(٢) وقيل تركهم الله في الحرمان والخذلان. وقال قتادة: نسيهم أي من الخير، فأما من الشر فلم ينسهم

أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد نقض ، لا يأتي الصلاة إلا دبرا ولا يذكر الله إلا هجرا [1] .

٦٩– قوله عز وجل (..فاستمتعوا بخلاقهم...) .

قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا .

ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم .

وفيه وجه ثالث : أنه استمتاعهم بدينهم الذى أصروا عليه .

* (وخُضْتُم كالذى خاضوا) فيه وجهان : (أحدهما) في شهوات الدنيا . (والثاني) في قول الكفر .

وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم فارس والروم . (والثاني) أنهم بنو إسرائيل .

٧٢– قوله عز وجل (..ومساكنَ طيّبةً في جناتِ عَدْنٍ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المساكن الطيبة قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر . (الثاني) أنها المساكن التى يطيب العيش فيها ، وهو محتمل .

وأما جنات عدن ففيها خمسة أوجه :

أحدها – أنها جنات خلود وإقامة ، ومنه سمى المعدن لإقامة جوهره فيه ، ومنه قول الأعشى :

فإنْ تستضيفوا إلى حِلمِه تضافوا إلى راجح قد عدَنْ

يعنى ثابت الحلم . وهذا مروى عن ابن عباس .

والثاني – أن جنات عدن هى جنات كروم وأعناب بالسريانية ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا .

والثالث – أن عدن اسم لبطنان الجنة أى وسطها ، قاله عبد الله بن مسعود

(١) رواه البخارى ومسلم في الايمان .

والرابع – أن عدن اسم قصر في الجنة ، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن .

والخامس – أن جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد أو إمام عدل . وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوى إليها أرواح المؤمنين رواه معاذ بن جبل مرفوعا[1] .

٧٣– قوله عز وجل (يا أيها النبيّ جاهِدِ الكفّارَ والمنافِقين) أما جهاد الكفار فبالسيف ، وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – جهادهم بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهر في وجوههم ، قاله ابن مسعود .

والثاني – جهادهم باللسان ، وجهاد الكفار بالسيف ، قاله ابن عباس.

والثالث – أن جهاد الكفار بالسيف ، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم ، قاله الحسن وقتادة . وكانوا أكثر من يصيب الحدود .

• (واغلُظ عليهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) تعجيل الانتقام منهم (والثاني) ألاّ يصدق لهم قولا ، ولا يبر لهم قسما .

٧٤– قوله عز وجل (يَحلِفون باللهِ ما قالوا) فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنه الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقا فنحن شر من الحمير ، ثم حلف أنه ما قال ، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق .

والثاني – أنه عبد الله بن أبي بن سلول . قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجَنّ الأعزّ منها الأذلّ ، قاله قتادة .

والثالث – أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك ، قاله الحسن .

• (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ما أنكروه مما قدمنا ذكره تحقيقا لتكذيبهم فيما أنكروه . وقيل بل هو قولهم إن محمدا ليس بنبي .

---

(١) في ق جاء مكان الوجه الخامس قوله : انه اسم نهر في الجنة

• (وكفروا بعد إسلامهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) كفروا بقلوبهم بعد أن آمنوا بأفواههم . (والثاني) جرى عليهم حكم الكفر بعد أن جرى عليهم حكم الإيمان .

• (وهمُّوا بما لم ينالُوا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن المنافقين هموا بقتل الذى أنكر عليهم ، قاله مجاهد . (والثاني) أنهم هموا بما قالوه « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ » وهذا قول قتـــادة. (والثالث) أنهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مروى عن مجاهد أيضا. وقيل إنه كان ذلك في غزوة تبوك .

٧٥، ٧٦– قوله عز وجل (ومنهم من عاهَدَ الله لئن آتانا مِن فَضْلِه...) الآية والتى بعدها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصارى . وفي سبب نزولها قولان: (أحدهما) أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه ، فلما قدم عليه بخل به ، قاله الكلبى . (والثاني) أن مولى لعمر قتل رجلا لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها ، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرجه ، قاله مقاتل .

وقيـــل إن ثعلبة لما بلغه ما نزل فيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته [1] فقال : إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقتك. فجعل يحثى على رأسه التراب ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه فلم يقبلها منه ، ثم أتى عمر فلم يقبلها منه ثم أتى عثمان فلم يقبلها منه .

٧٩– قوله عز وجل (الذين يَلْمِزونَ المطَّوِّعينَ من المؤْمنينَ في الصدقات والذين لا يجِدُون إلاّ جُهْدَهم) قرىء بضم الجيم وفتحها وفيه وجهان : (أحدهما) أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما ، قاله البصريون. (والثاني) أن معناهما مختلف ، فالجهد بالضم الطاقة ، وبالفتح المشقة ، قاله بعض الكوفيين .

---

(١) المراد بالصدقة هنا الزكاة .

وقيل: كان ذلك في غزاة تبوك نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعاصم ابن عدى وأبي عقيل الأراشي ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة ليتجهز للجهاد ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال هذا شطر مالى صدقة ، وجاء عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر وقال : اني آجرت نفسى بصاعين فذهبت بأحدهما إلى عيالى وجئت بالآخر صدقة ، فقال قوم من المنافقين حضروه :أما عبد الرحمن وعاصم فما أعطيا إلا رياءً ، وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه ، فنزلت فيهم هذه الآية .

• (فيسخرون منهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنهم أظهروا حمدهم واستبطنوا ذمهم . (والثاني) أنهم نسبوا إلى الرياء وأعلنوا الاستهزاء.

• (سَخِرَ اللهُ منهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه ما أوجبه عليهم من جزاء الساخرين . (والثاني) بما أمهلهم من المؤاخذة .

قال ابن عباس : وكان هذا في الخروج إلى غزاة تبوك .

٨٠ — قوله عز وجل (استغْفِر لهم أو لاتستَغْفِرْ لهم إنْ تستغْفِرْ لهم سبعين مرّةً فلن يغْفِرَ اللهُ لهم) وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر ، ومعناه انك لو طلبتها لهم طلبَ المأمور بها أو تركتها تَرْكَ المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالى لا يغفر لهم .

وقوله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة» ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع وبالسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة ، ولذلك قالوا للأسد سبُع أى قد ضوعفت قوته سبع مرات ، وهذا ذكره على بن عيسى .

وحكى مجاهد وقتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سوف استغفر لهم أكثر من سبعين مرة . فأنزل الله تعالى : « سواءٌ عليهم أَستغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم[1]» فكفّ .

---

(١) آية ٦ المنافقون .

٨١ـ قوله عز وجل (فَرِحَ المُخَلَّفون) أي المتروكون .

• (بمقعدهم خِلافَ رسولِ الله) فيه وجهان : (أحدهما) يعني مخالفة رسول الله صلى الله على وسلم وهذا قول الأكثرين . (والثاني) معناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطبُ بينهن حصيرا[1]

أي بعدهم .

• (وقالوا لا تنفِروا في الحر) فيه وجهان (أحدهما) هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا (والثاني) أنهم قالوه للمؤمنين ليقعدوا معهم . وهؤلاء المخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك وكانوا أربعة وثمانين نفسا.

٨٢ـ قوله عز وجل : (فلْيَضْحَكوا قليلاً) هذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر ، وفي قلة ضحكهم وجهان : (أحدهما) أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل ، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد .

(الثاني) أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل ، لأن الفاني قليل.

• (وَلْيَبْكُوا كثيراً) فيه وجهان . (أحدهما) في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وهم فيه يبكون ، فصار بكاؤهم كثيرا ، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم . (الثاني) في النار على التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه ، وهذا قول السدى .

ويحتمل أن يريد بالضحك السرور ، وبالبكاء الغم .

٨٣ـ قوله عز وجل (... إنكم رَضِيتم بالقُعود أوّلَ مَرّةٍ) فيه قولان :

(أحدهما) أول مرة دعيتم . (الثاني) يعني قبل استئذانكم .

• (فاقْعُدوا مَعَ الخالِفين) فيهم قولان :

أحدهما ـ أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن وقتادة .

الثاني ـ هم الرجال الذين تخلفوا بأعذار وأمراض ، قاله ابن عباس .

---

(1) في ق :عقد الربيع ، وفي ك : عقب الربيع . والتصويب من تفسير القرطبى ٣٠١/١٠ وفيه : شطبت المراة الجريد اذا شقته لتعمل منه الحصر ، قال أبو عبيد ثم تلقيه الشاطبة الى المنقية .

ويحتمل ثالثا ــ أنهم الذين خالفوه من المنافقين .

٨٤ــ قوله عز وجل (ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبَدًا) لما احتضر عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنُه النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسأله أن يصلي عليه وأن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه وهو عرق فكفنه فيه وحضره ، فقيل إنه أدركه حيا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أهلكك حُبُّ اليهود فقال : يا رسول الله لا تؤنبني واستغفر لي ، فلما مات ألبسه قميصه وأراد الصلاة عليه فجذبه عمر رضي الله عنه وقال يا رسول الله أليس الله قد نهاك عن الصلاة عليهم ؟ فقال : يا عمر خيّرني ربي فقال « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إنْ تستغفرْ لهم سبعين مَرَّةً فلَنْ يَغْفرَ اللهُ لهم » لأزيدن على السبعين . فصلى عليه ، فنزلت « ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا » الآية . فما صلى بعدها على منافق(١) ، وهذا قول ابن عباس وابن عمر وجابر وقتادة .

وقال أنس بن مالك : أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه وقال : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » .

* (ولا تَقُمْ على قبره) يعني قيام زائر ومستغفر .

٨٥ــ قوله عز وجل (ولا تُعْجِبْكَ أمْوالُهم وأوْلادُهم إنما يُرِيدُ اللهُ أن يعذّبَهم بها في الدنيا) يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها ــ يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها .

والثاني ــ يعذبهم بما يلحقهم منها من النوائب والمصائب .

والثالث ــ يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بما في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها .

وحكى ابن الأنباري وجها رابعا ــ أنه على التقديم والتأخير ، وتقديره : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا انما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم

٨٦ــ قوله عز وجل : (وإذا أُنْزِلَتْ سُورةٌ أنْ آمِنوا بالله) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) استديموا الإيمان بالله . (والثاني) افعلوا فعل مَن آمن بالله .(والثالث) آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بأفواهكم ، ويكون خطابا للمنافقين .

• (وجاهِدوا مع رسولِه أستأذنك أُولو الطَوْلِ منهم) فيه وجهان : (أحدهما) أهل الغنى ، قاله ابن عباس وقتادة (والثاني) أهل القدرة . وقال محمد بن اسحاق . نزلت في عبد الله بن أُبي بن سلول والجد بن قيس .

٨٧ــ قوله عز وجل : (رَضُوا بأنْ يكونوا مَعَ الخَوالِف) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) مع المنافقين ، قاله مقاتل . (والثاني) أنهم خِساس الناس وأدناهم مأخوذ من قولهم فلان خالفه أهله إذا كان دونهم ، قاله ابن قتيبة . (والثالث) أنهم النساء ، قاله قتادة والكلبي .

٨٨ــ قوله عز وجل (وأولئك لهم الخَيْراتُ) وهو جمع خَيْرة ، وفيها أربعة أوجه : (أحدها) أنها غنائم الدنيا ومنافع الجهاد . (والثاني) فواضل العطايا . (والثالث) ثواب الآخرة . (والرابع) حُور الجنان ، من قوله تعالى : « فيهن خيرات حسان[1] » .

٩٠ــ قوله عز وجل : (وجاء المعَذِّرُون مِن الأَعراب ليُؤْذَنَ لهم) فيها وجهان :

أحدهما ــ أنهم المعتذرون بحق اعتذروا به فعُذِروا ، قاله ابن عباس وتأويل قراءة من قرأها بالتخفيف .

والثاني ــ هم المقصّرون المعتذرون بالكذب ،قاله الحسن وتأويل من قرأها بالتشديد ،لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر ، وإذا شدد مأخوذ من التعذير ، والفرق بينهما أن العذر حق والتعذير كذب .

وقيل إنهم بنو أسد وغطفان .

٩١ــ قوله عز وجل : (ليس على الضعفاء ولا على المرْضَى) الآية . وفي الضعفاء هاهنا ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم الصغار لضعف أبدانهم .(الثاني)

(١) آية ٧٠ الرحمن .

المجانين لضعف عقولهم . (الثالث) العميان لضعف بصرهم ، كما قيل في تأويل قوله تعالى في شعيب : « إنّا لنراك فينا ضعيفا » أى ضريرا .

• (إذا نصَحوا لله ورسولِه) فيه وجهان : (أحدهما) إذا برئوا من النفاق . (الثاني) إذا قاموا بحفظ المخلفين من الذرارى والمنازل .

فإن قيل بالتأويل الأول كان راجعا إلى جميع من تقدم ذكره من الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون .

وإن قيل بالتأويل الثاني كان راجعا إلى الذين لا يجدون ما ينفقون خاصة[١] .

وقيل إنها نزلت في عائذ بن عمرو وعبد الله بن مُغَفَّل.

• (ولا على الذين إذا ما أَتَوْكَ لِتَحملَهم قُلْتَ لا أَجدُ ما أَحْمِلُكم عليه) فيه وجهان : (أحدهما) أنه لم يجد لهم زادا لأنهم طلبوا ما يتزودون به ، قاله أنس بن مالك . (والثاني) أنه لم يجد لهم نِعالا لأنهم طلبوا النعال ، قاله الحسن .

< [٢]روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الغزاة وهي تبوك: أكثروا من النعال فإنّ الرجل لا [٣]يزال راكبا ما كان منتعلا >.

وفيمن نزلت فيه خمسة أقاويل : (أحدها) في العِرباض بن سارية، قاله يحيى بن أبي المطاع . (والثاني) في عبد الله بن الأزرق وأبي ليلى ، قاله السدى . (والثالث) في بنى مقرّن من مُزينة ، قاله مجاهد . (والرابع) في سبعة من قبائل شتّى ، قاله محمد بن كعب . (والخامس) في أبي موسى وأصحابه، قاله الحسن .

---

(١) ذكر القرطبى ٢٢٩/٨ انها نزلت في بنى مقرن — وعلى هذا جمهور المفسرين — وكانوا سبعة اخوة وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبدالله وعبد الرحمن اولاد مقرن (بوزن محدث) . ولم يكن في الصحابة سبعة اخوة غيرهم .

(٢) سقط من ق .

(٣) رواه مسلم وابو داود في اللباس .

٩٣ــ قوله عز وجل : (إنما السبيلُ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) في السبيل هاهنا وجهان : (أحدهما) الإنكار . (الثاني) الإثم .

وقوله تعالى « يستأذنونك» يعنى في التخلف عن الجهاد. «وهم أغنياء» يعنى بالمال والقدرة .

• (رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالِفِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم الذرارى من النساء والأطفال . (الثاني) أنهم المتخلفون بالنفاق .

٩٧ــ قوله عز وجل (الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْرا ونفاقاً) فيه وجهان : (أحدهما) أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن . (الثاني) أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفى طباعا وأغلظ قلوبا .

• (وأَجْدرُ ألاّ يَعْلَموا حُدودَ ما أنزل اللهُ) ومعنى أجدر أى أقرب ، مأخوذ من الجدار الذى يكون بين مسكنى المتجاورين .

وفي المراد بحدود الله ما أنزل الله وجهان : (أحدهما) فروض العبادات المشروعة . (الثاني) الوعد والوعيد في مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخلف عن الجهاد .

٩٨ــ قوله عز وجل : (ومِن الأَعرابِ مَنْ يتّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً) فيه وجهان : (أحدهما) ما يدفع من الصدقات . (الثاني) ما ينفق في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم مغرما، والمغرم التزام ما لا يلزم، ومنه قوله تعالى : « إنّ عذابها كان غراما» أى لازما. قال الشاعر :

فما لك مَسْلوبَ العَزاءِ كأنّما ترى هَجْرَ ليلى مَغْرماً أَنْتَ غارِمُه

• (ويَتَربّصُ بكم الدّوائرَ) جمع دائرة وهى انقلاب النعمة إلى ضدها، مأخوذة من الدور .

ويحتمل تربصهم الدوائر وجهين : (أحدهما) في إعلان الكفر والعصيان (والثاني) في انتهاز الفرصة بالانتقام .

• (عليهم دائرة السَّوْء) ردا لما أضمروا وجزاء لما مكروا .

٩٩– قوله عز وجل (ومِنَ الأعراب مَنْ يُؤْمن بالله واليوم الآخِر) قال مجاهد : هم بنو مقرّن مِن مزينة .

• (ويتخذُ ما يُنْفِقُ قُرُبات عِند الله) يحتمل وجهين . (أحدهما) أنها تقربه من طاعة الله ورضاه . (الثاني) أن ثوابها مذخور لهم عند الله تعالى فصارت قربات عند الله .

• (وصلوات الرسول) فيها وجهان : (أحدهما) أنه استغفاره لهم ، قاله ابن عباس . (الثاني) دعاؤه لهم ، قاله قتادة .

• (ألا إنها قُرْبَةٌ لهم) فيه وجهان: (أحدهما) أن يكون راجعا إلى إيمانهم ونفقتهم أنها قربة لهم . (الثاني) إلى صلوات الرسول أنها قربة لهم.

١٠٠– قوله عز وجل : (والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار) فيهم أربعة[1] أقاويل : (أحدها) أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو موسى الأشعرى وسعيد بن المسيب . (الثاني) أنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، قاله الشعبي وابن سيرين . < (الثالث)[2] أنهم أهل بدر ، قاله عطاء . (الرابع) أنهم السابقون بالموت والشهادة من المهاجرين والأنصار سبقوا إلى ثواب الله تعالى وحسن جزائه . (ويحتمل) خامسا أن يكون السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين آمنوا بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إليهم> .

---

(١) في ق فيهم قولان احدهما

(٢) سقط من ق .

• (والذين اتَّبَعوهم بإحْسان) يحتمل وجهين : (أحدهما) في الإيمان . (الثاني)[1] في الأفعال الحسنة .

• (رضيَ الله عنهم ورَضُوا عنه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) رضى الله عنهم بالإيمان ، ورضوا عنه بالثواب ، قاله ابن بحر[2] . (الثاني) رضى الله عنهم في العبادة ، ورضوا عنه بالجزاء ، حكاه علي بن عيسى . (الثالث)[3] رضى الله عنهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضوا عنه بالقبول .

١٠١– قوله عز وجل : (وممَّن حَوْلكم مِن الأَعْراب منافقون) يعني حول المدينة . قال ابن عباس : مزينة وجهينة وأسلم وغِفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون كما كان في الأنصار لدخول جميعهم تحت القدرة فتميزوا بالنفاق وإن عَمَّتْهم الطاعةُ .

• (ومن أهْل المدينة مَرَدوا على النفاق) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أقاموا عليه ولم يتوبوا منه ، قاله عبد الرحمن بن زيد . (الثاني) مردوا عليه أي عتوا فيه ، ومنه قوله عز وجل : «وإنْ يَدْعُون إلاّ شيطاناً مريدا[4]» (الثالث) تجردوا فيه وظاهروا به ، مأخوذ من تجرد[5] خد الأمرد لظهوره وهو محتمل .

• (لا تَعْلَمُهم نحن نَعْلَمهم) فيه وجهان : (أحدهما) لا تعلمهم حتى نعلمك بهم . (الثاني) لا تعلم أنت عاقبة أمورهم وإنما نختص نحن بعلمها ، وهذا يمنع أن يحكم على أحد بجنة أو نار .

• (سنعذّبهم مرتين) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين ، والآخر عذاب القبر ، قاله ابن عباس (والثاني) أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب الآخرة ، قاله قتادة.

---

(١) سقط من ق
(٢) سقط من ق .
(٣) سقط من ق
(٤) آية ١١٧ النساء .
(٥) ويقال غصن امرد اي مجرد لا ورق عليه ، ورملة مرداء أي لا نبت فيها .

(والثالث) أن أحدهما الأسر والآخر القتل ، قاله ابن قتيبة . (والرابع) أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذى يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذابا ، قاله الحسن .

* (ثم يُردّون إلى عذاب عظيم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه عذاب النار في الآخرة . (الثاني) أنه إقامة الحدود في الدنيا . (الثالث) إنه أخذ الزكاة منهم[1] .

١٠٢— قوله عز وجل (وآخَرون اعتَرفوا بذنوبهم) فيهم قولان :

أحدهما — أنهم سبعة من الأنصار منهم أبو[2] لبابة بن عبد المنذر ، وأوس ابن ثعلبة ، ووديعة بن حزام ، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك ، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سوارى المسجد ليطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنْ عفا عنهم ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم وكانوا على طريقه فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال : لا أعذِرهم ولا أُطلِقهم حتى يكون الله تعالى هو الذى يعذرهم ويطلقهم فنزلت هذه الآية فيهم فأطلقهم ، وهذا قول ابن عباس .

الثاني — أنه أبو لبابة وحده قال لبنى قريظة حين أرادوا النزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه ، قاله مجاهد.

* (خَلَطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيّئاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الصالح:الجهاد ، والسيِّىء:التأخر عنه ، قاله السدى . (الثاني) أن السيِّىء:الذنب والصالح:التوبة ، قاله بعض التابعين . (والثالث) ما قاله الحسن : ذنبا وسوطا ، لا ذاهباً فروطا ، ولا ساقط سقوطا[3] .

١٠٣— قوله عز وجل (خُذْ مِن أمْوالهم صَدَقةً) قال ابن عباس : لما نزل في أبي لبابة وأصحابه «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» الآية . ثم تاب الله عليهم

---

(١) وقع اختلاف بين نسختي ق وك في ترتيب هذه الاوجه الا ان المضمون واحد وقد اعتمدنا ك اذ هى الأم.

(٢) هو انصارى واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل مبشر ، وقيل بشير . وهو أحد النقباء ، عاش الى خلافة علي (انظر الاستيعاب والروض الانف) .

(٣) هكذا في ك وقد سقط من ق فليتأمل .

قالوا يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا ، قال : لا أفعل حتى أؤمر . فأنزل الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة» وفيها وجهان : (أحدهما) أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعا ، قاله ابن زيد . (والثاني) أنها الزكاةالتي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضا ، قاله عكرمة . ولذلك قال: « من أموالهم » لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها.

* (تطهّرهم وتزكيهم بها) أى تطهر ذنوبهم وتزكى أعمالهم .

* (وصَلِّ عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) استغفر لهم ، قاله ابن عباس. (الثاني) ادع لهم ، قاله السدى .

* (إنّ صلاتَك سَكَنٌ لهم) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) قربة لهم ، قاله ابن عباس في رواية الضحاك . (الثاني) رحمة لهم ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضا . (الثالث) وقار لهم ، قاله قتادة . (الرابع) تثبيت لهم ، قاله ابن قتيبة . (الخامس) أمن لهم ، ومنه قول الشاعر :

يا جارة الحى كنتِ لى سكَناً إذ ليس بعضُ الجيران بالسكنِ

وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم ستة أوجه: (أحدها) يجب على الآخذ الدعاء للمعطى اعتبارا بظاهر الأمر (الثاني) لا يجب ولكن يستحب لأن جزاءها على الله تعالى لا على الآخذ . (والثالث) إن كانت تطوعا وجب على الآخذ الدعاء ، وإن كانت فرضا استحب ولم يجب . (والرابع) إن كان آخذها الوالى استحب له الدعاء ولم يجب عليه ، وإن كان آخذها الفقير وجب عليه الدعاء له ، لأن الحق في دفعها إلى الوالى معيّن ، وإلى الفقير غير معيّن . (والخامس) إن كان آخذها الوالى وجب ، وإن كان الفقير استحب ولم يجب لأن دفعها إلى الوالى إظهار طاعة فقوبل عليها بالشكر وليس كذلك الفقير . (والسادس) إن سأل الدافع الدعاء وجب ، وإن لم يسأل استحب ولم يجب .

روى عبد الله بن أبي أوفى قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات قومى فقلت يا رسول الله صل عليّ ، فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى (١) .

(١) رواه البخارى في الدعوات ٣٢ . وابو داود في الزكاة ٧ . والنسائى في الزكاة ١٣ . وابن ماجه في الزكاة ٨ . واحمد في المسند ٣٥٢/٤ .

١٠٦ــ قوله عز وجل : (وآخرون مُرْجَوْنَ لأمرِ اللهِ) وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، وهم هلال بن أُمَيّة،ومرارة بن الربيع،وكعْب ابن مالك .

«مرجون لأمر الله» أى مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم .

• (إمّا يُعَذّبُهم) فيه وجهان : (أحدهما) يميتهم على حالهم ، قاله السدى . (الثاني) يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم .

• (وإما يتوبُ عليهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يعلم صدق توبتهم فيطهر ما فيهم . (الثاني) أن يعفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم .

• (والله عليم حكيم) أى عليم بما يؤول إليه حالهم ، حكيم فيما فعله مِن إرجائهم .

١٠٧ــ قوله عز وجل (والذين اتّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وكُفْراً) هؤلاء هم بنو عمرو بن عوف وهم اثنا عشر رجلا من الأنصار المنافقين ، وقيل : هم خِذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب ابن قُشَيْر ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعباد بن حُنَيْف أخو سهْل بن حُنَيف، وجارية بن عامر،وابناه مُجمِّع وزيد ابنا جارية، ونَبْتَل بن الحارث ، وبجاد ابن عثمان،ووديعة بن ثابت ، وبحزَج وهو جد عبد الله بن حنيف ، وله قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويلك يا بَحْزَج ماذا أردت بما أرى ؟ فقال يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى ، وهو كاذب ، فصدّقه . فبنى هؤلاء مسجد الشقاق والنفاق قريبا من مسجد قباء .

(ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) يعنى ضرارا بالرسول،وكفرا بالله،وتفريقاً بين المؤمنين أن لا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء فتجتمع كلمتهم، ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم ، ويختلفوا بعد ائتلافهم .

(وإرصادا لمن حارَبَ اللهَ ورسوله) وفي الإرصاد وجهان : (أحدهما) انه انتظار سوء يتوقع . (الثاني) الحفظ المقرون بفعل .

وفي محاربة الله تعالى ورسوله وجهان : (أحدهما) مخالفتهما .(الثاني) عداوتهما . والمراد بهذا الخطاب أبو عامر [١] الراهب والد حنظلة بن الراهب كان قد حزّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خاف فهرب إلى الروم وتنصر واستنجد هرقلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم،فبنوا هذا المسجد له حتى إذا عاد من [عند] هرقل صلى فيه ، وكانوا يعتقدون أنه إذا صلى فيه نُصِر، وكانوا ابتدؤوا بنيانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارج إلى تبوك ، فسألوه أن يصلى لهم فيه فقال : إنا على سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم وصلينا لكم فيه. فلما قدم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، وقالوا قد فرغنا منه ، فأتاه[٢] خبر المسجد وأنزل الله تعالى فيه ما أنزل .

وحكى مقاتل أن الذى أمّهم فيه مُجمّع بن جارية وكان قارئا ،ثم حسن إسلامه بعد ذلك فبعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الكوفة يعلمهم القرآن ، وهو علم ابن مسعود بقية القرآن .

* (وليَحْلِفُنَّ إنْ أردْنا إلاّ الحُسْنى) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) [طاعة] الله تعالى . (والثاني) الجنة . (والثالث) فعل التى هى أحسن،من إقامة الدين والجماعة والصلاة . وهى يمين تحرُّج .

* (واللهُ يشهَدُ إنهم لكاذبون) يحتمل وجهين : (أحدهما) والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم خائنون في أيمانهم . (والثاني) والله يعلمك أنهم لكاذبون خائنون ، فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم .

١٠٨- (لا تَقُمْ فيه أبداً) أى لا تصلِّ فيه أبدا ، يعنى مسجد الشقاق والنفاق فعند ذلك أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم وعاصم ابن عدى فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه . فذهبا إليه وأخذا سعفا وحرقاه . وقال ابن جريج : بل انهار المسجد في يوم الاثنين ولم يُحرَّقْ.

(١) اسمه عبد عمرو بن صيفي أحد بني ضبيعة كان يلقب في الجاهلية بالراهب فسماه رسول الله (الفاسق) وهو والد حنظلة الغسيل الذى استشهد في أحد وكان قد خرج الى المعركة جنبا فأخبر النبى (ص) ان الملائكة غسلته . انظر سيرة ابن هشام ٩/٣ وتفسير القرطبى ٢٥٧/٨٨ ، والاستيعاب لابن عبد البر .

(٢) وقد دعا النبى (ص) مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة وقال : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وقد أخرج هذا الحديث ابن مردويه وذكره الواحدي والسيوطى في أسباب النزول .

• (لَمَسجدٌ أُسس على التقوى مِن أَوّل يومٍ أحَقّ أنْ تَقومَ فيه) وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قاله أبو سعيد الخدرى ورواه مرفوعا . (الثاني) أنه مسجد قباء ، قاله الضحاك وهو أول مسجد بني في الإسلام ، قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد ابن جبير وقتادة والضحاك . (الثالث) أنه كل مسجد بنى في المدينة أسس على التقوى ، قاله محمد بن كعب .

• (فيه رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يتطهّروا) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) في المسجد الذى أسس على التقوى رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب والله يحب المتطهرين منها بالتوبة ، قاله أبو العالية . (والثاني) فيه رجال يحبون أن يتطهروا من البول والغائط بالاستنجاء بالماء ، والله يحب المتطهرين بذلك.

روى أبو أيوب الأنصارى وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار عند نزول هذه الآية : يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيرا في الطهور (1) فما طهوركم هذا ؟ قالوا يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهل مع ذلك غيره ؟ قالوا لا ، غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجى بالماء ، فقال : هو ذاك فعليكموه . (الثالث) أنه عنى المتطهرين عن إتيان النساء في أدبارهن ، وهو مجهول ، قاله مجاهد .

١٠٩ــ قوله عز وجل : (أفمن أَسّسَ بُنْيانَه على تقْوى مِن اللهِ ورضوانٍ خيرٌ) يعنى مسجد قباء ، والألف في « أفمن» ألف إنكار .

< ويحتمل قوله « على تقوى من الله ورضوان » وجهين : (أحدهما) أن التقوى اجتناب معاصيه ، والرضوان فعل طاعته . (الثاني) أن التقوى اتقاء عذابه ، والرضوان طلب ثوابه .

وكان عمر بن شبة يحمل قوله تعالى « لمسجدٌ أُسّسَ على التقوى» على مسجد المدينة . ويحمل « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان» على

(1) رواه ابن مردويه من طريق ابن عباس كما ذكر ابن حجر في تخريج احاديث تفسير الكشاف كما رواه ابن ماجه في الطهارة ٢٨

مسجد قباء ، فيفرق بين المراد بهما في الموضعين >(١) .

* (أمْ مَنْ أسَّسَ بُنْيانَه على شفا جُرُفٍ هارٍ) يعني شفير جرف وهو حرف الوادى الذى لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأكل الماء له . « هار » يعنى هائر ، والهائر : الساقط . وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد الضرار .

ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين : (أحدهما) أنه لم يبق بناؤهم الذى أسس على غير طاعة الله حتى سقط كما يسقط ما بنى على حرف الوادى . (الثاني) أنه لم يخف ما أسَرُّوه من بنائه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بنى على حرف الوادى بالسقوط .

* (فانْهارَ به في نارِ جَهَنَّمَ) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم ببنيانهم له سقطوا في نار جهنم . (الثاني) أن بقعة المسجد مع بنائها وبُناتها سقطت في نار جهنم ، قاله قتادة والسدى .

قال قتادة : ذكر لنا أنه حفرت منه بقعة فرئي فيها الدخان .

وقال جابر بن عبد الله : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار < حين انهار >(٢) .

١١٠– قوله عز وجل (لا يزالُ بُنْيانُهم الذى بَنَوْا) يعنى مسجد الضرار.

* (رِيبةً في قلوبهم) فيه قولان : (أحدهما) أن الريبة فيها عند بنائه. (الثاني) أن الريبة عند هدمه .

فإن قيل بالأول ففى الريبة التى في قلوبهم وجهان : (أحدهما) غطاء على قلوبهم ، قاله حبيب بن أبي ثابت . (الثاني) أنه شك في قلوبهم ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ، ومنه قول النابغة الذبياني :

حلَفْتُ فلم أتْرُكْ لنفْسِكَ رِيبَةً وليْس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

ويحتمل وجها ثالثا – أن تكون الريبة ما أضمروه من الإضرار برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

---

(١) سقط من ق .
(٢) من ق .

وإن قيل بالثاني «أن الريبة بعد هدمه» ففيها وجهان : (أحدهما) أنها حزازة في قلوبهم ، قاله السدى . (الثاني) ندامة في قلوبهم ، قاله حمزة.

ويحتمل وجها ثالثا ــ أن تكون الريبة الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين .

• (إلّا أنْ تَقَطَّعَ قُلوبُهم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) إلاّ أن يموتوا ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . (الثاني) إلاّ أن يتوبوا ، قاله سفيان . (والثالث) إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم ، قاله عكرمة . وكان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها : ولو تقطعت قلوبهم .

١١١ــ قوله عز وجل (إنَّ اللهَ اشْتَرى مِن المؤْمنين أنفُسَهم وأموالَهم)[١] اشترى أنفسهم بالجهاد ، «وأموالهم» يحتمل وجهين : (أحدهما) نفقاتهم في الجهاد . (والثاني) صدقاتهم على الفقراء .

• (بأنَّ لهم الجَنَّةَ) قال سعيد بن جبير : يعني بالجنة . وهذا الكلام مجاز معناه أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة ، فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوّض ، فصار في معناه ، ولأن حقيقة الشراء لما لا يملكه المشترى .

• (يُقاتِلون في سبيل الله) لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه .

• (فيَقْتُلون ويُقْتَلون) يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتَلوا أو قُتلوا . فروى جابر بن عبد الله الأنصارى أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فكبّر الناس ، فأقبل رجل من الأنصار ثانيا طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال : يا رسول الله أنزلتْ هذه الآية؟ فقال : نعم ، فقال الأنصارى : بَيْعٌ ربيح لا نقيلُ ولا نستقيلُ[٢].

وقال بعض الزهاد : لأنه اشترى الأنفس الفانية بالجنة الباقية .

(١) نزلت هذه الآية في البيعة الثانية وهى بيعة العقبة الكبرى وهى التي اناف فيها رجال الانصار على السبعين .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى عن محمد بن كعب .

١١٢–قوله عز وجل (التائبونَ) يعني من الذنوب .

ويحتمل أن يراد بهم الراجعون إلى الله تعالى في فعل ما أمر واجتناب ما حظر لأنها صفة مبالغة في المدح ، والتائب هو الراجع ، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين[1] .

• (العابدونَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) العابدون بتوحيد الله تعالى، قاله سعيد بن جبير . (والثاني) العابدون بطول الصلاة ، قاله الحسن .(والثالث) العابدون بطاعة الله تعالى ، قاله الضحاك .

• (الحامدونَ) فيه وجهان : (أحدهما) الحامدون لله تعالى على دين الإسلام ، قاله الحسن . (الثاني) الحامدون لله تعالى على السراء والضراء، رواه سهل بن كثير .

• (السائحونَ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها — المجاهدون روى أبو أمامة أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال : إن سياحة أمّتي الجهاد في سبيل الله [2] .

والثاني— الصائمون ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس ، وروى أبو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سياحة أمّتي الصوم .

الثالث — المهاجرون ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

• الرابع — هم طلبة العِلم ، قاله عكرمة .

• (الراكعونَ الساجدونَ) يعني في الصلاة .

(الآمرونَ بالمعروفِ) فيه وجهان : (أحدهما) بالتوحيد ، قاله سعيد ابن جبير (الثاني) بالإسلام .

---

(١) سقط من ق

(٢) رواه أبو داود في الجهاد ٦ .
اما حديث : سياحة امتي الصوم فلم اجده .

(٣) سقط من ك ، واثباته ضروري لصحة المعنى .

* (والناهونَ عن المنكرِ) فيه وجهان : (أحدهما) عن الشرك ، قاله سعيد ابن جبير . (الثاني) أنهم الذين لم ينهوا عنه حتّى انتهوا قبل ذلك عنه ، قاله الحسن .

* (والحافظون لحُدود الله) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) القائمون بأمر الله تعالى . (والثاني) الحافظون لفرائض الله تعالى من حلاله وحرامه ، قاله قتادة. (والثالث) الحافظون لشرط الله في الجهاد ، قاله مقاتل بن حيان .

* (وبَشِّر المؤْمنين) فيه وجهان : (أحدهما) يعني المصدقين بما وعد الله تعالى في هذه الآيات ، قاله سعيد بن جبير . (والثاني) العاملين بما ندب الله إليه في هذه الآيات ، وهذا أشبه بقول الحسن .

< وسبب نزول هذه الآية ما روى ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » الآية . أتى رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر ؟ فأنزل الله تعالى: « التائبون العابدون الحامدون » الآية > [1] .

١١٣– قولــه عز وجل : (ما كان للنبيّ والذين آمَنــوا أنْ يَسْتَغْفِروا للمُشْرِكين ولو كانوا أُولي قُرْبى) اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها – ما روى مسروق عن ابن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فاتبعناه ، فجاء حتّى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ، ثم قام ، فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدعاه ثم دعانا فقال : ما أبكاكم ؟ قلنا : بكينا لبكائك ، قال : إن القبر الذى جلست عنده قبر آمنة وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لى ، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لى ، وأنزل الله علىّ : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربي » الآية . فأخذني ما يأخذ الولد للوالد ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوزوها فإنها تذكركم الآخرة[2] .

والثاني – أنها نزلت في أبي طالب ، روى سعيد[3] بن المسيب عن

(١) سقط من ق .

(٢) أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود .

(٣) الحديث بتمامه رواه مسلم . انظر مختصر صحيح مسلم الحديث رقم ٣

أبيه قال : لما حضرتْ أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية [بن المغيرة] فقال صلى الله عليه وسلم: أي عمِّ قل لا إله إلاّ الله كلمة أُحاج(١) لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فكان آخر شيء كلمهم به أن قال : أنا (١) على ملة عبد المطلب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن(١) لك ما لم أنه عنك . فنزلت «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» الآية .

والثالث ـ أنها نزلت فيما رواه أبو الخليل عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبويه ، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين(٢)» .

١١٤ـ قوله عز وجل : (وما كان استغفارُ إبراهيمَ لأبيه إلا عَنْ مَوْعِدةٍ وعَدَها إيّاه) الآية . عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام في استغفاره لأبيه مع شِرْكه لسالف موعده ورجاء إيمانه .

وفي موعده الذي كان يستغفر له من أجله قولان : (أحدهما) أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمَن . (والثاني) أن ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له لما كان يرجوه أنه يؤمن .

* (فلما تبيّن له أنّه عدوٌّ لله) وذلك بموته على شِرْكه وإياسه من إيمانه
* (تبرّأ منه) أي من أفعاله ومن استغفاره له ، فلم يستغفر له بعد موته.

* (إنّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ) فيه عشرة تأويلات :

أحدها ـ أن الأوّاه : الدعّاء ، أي الذي يُكثر الدعاء ، قاله ابن مسعود .

(١) الذي في صحيح مسلم : ياعم . وفيه : اشهد لك . وفيه : هو على ملة . وفيه : اما والله لاستغفرن.
(٢) اخرجه الترمذي وحسنه الحاكم .

الثاني – أنه الرحيم ، قاله الحسن .

الثالث – أنه الموقن ، قاله عكرمة وعطاء .

الرابع – أنه المؤمن ، بلغة الحبشة ، قاله ابن عباس .

الخامس – أنه المسبِّح ، قاله سعيد بن المسيب .

السادس – أنه الذى يكثر تلاوة القرآن ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا .

السابع – أنه المتأوّه ، قاله أبو ذر .

الثامن – أنه الفقيه ، قاله مجاهد .

التاسع – أنه المتضرع الخاشع ، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

العاشر – أنه الذى إذا ذكر خطاياه استغفر منها ، قاله أبو أيوب.

وأصل الأوّاه (من) التأوه وهو التوجع ، ومنه قول المثقب العبدى:

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بليْلٍ   تأوَّهُ آهةَ الرجل الحزين

١١٥– قوله عز وجل (وما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قوْماً بَعْد إذ هَداهم) الآية. سبب نزولها أن قوما من الأعراب أسلموا وعادوا إلى بلادهم فعملوا بما شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمله من الصلاة إلى بيت المقدس وصيام الأيام البيض ، ثم قدموا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلى إلى الكعبة ويصوم شهر رمضان ، فقالوا : يا رسول الله [أضلنا] الله بعدك بالصلاة.. إنك[1] على أمر وإنا على غيره فأنزل الله تعالى هذه الآية .

١١٧– قوله عز وجل : (لقد تاب اللهُ على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسْرة) الآية . هى غزوة تبوك قِبَلَ الشام، كانوا في عسرة من الظهر ، كان الرجلان والثلاثة على بعير وفي عسرة من الزاد ، قال قتادة حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون

(١) أى انهم لم يعلموا بنسخ التوجه في الصلاة الى بيت المقدس كما لم يعلموا بفرض صيام رمضان فظلوا يتعبدون حسب هذين الحكمين المنسوخين فظنوا أن عبادتهم غير مقبولة فنزلت الاية المذكورة تبين أن الله قبل منهم عبادتهم وقد هداهم الى الايمان به .

التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء ، ثم يمصها الآخر ،وفي عسرة من الماء ، وكانوا في لهبان الحر وشدته .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل : وأصابهم يوما عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها . قال عمر بن الخطاب فأمطر الله السماء بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فعِشنا .

< وفي هذه التوبة من الله على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار وجهان محتملان : (أحدهما) استنقاذهم من شدة العسر . (الثاني) أنها خلاصهم من نكاية العدوّ. وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحالة الأولى >[1] .

• (مِن بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم) فيه وجهان : (أحدهما) تتلف بالجهد والشدة . (والثاني) تعدِل عن الحق في المتابعة والنصرة، قاله ابن عباس .

• (ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم) وهذه التوبة غير الأولى ، وفيها قولان: (أحدهما) أن التوبة الأولى في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع. (والقول الثاني) أن الأولى في السفر، والثانية بعد العود إلى المدينة .

فإن قيل بالأول ، أن التوبة الثانية في الرجوع ، احتملت وجهين : (أحدهما) أنها الإذن لهم بالرجوع إلى المدينة . (الثاني) أنها بالمعونة لهم في إمطار السماء عليهم حتى حيوا ، وتكون التوبة على هذين الوجهين عامة.

وإن قيل إن التوبة الثانية بعد عودهم إلى المدينة احتملت وجهين : (أحدهما) أنها العفو عنهم في ممالأة من تخلف عن الخروج معهم . (الثاني) غفران ما همّ به فريق منهم من العدول عن الحق ، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة .

١١٨– قوله عز وجل : (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا) يعني وتاب على الثلاثة الذين خلّفوا ، وفيه وجهان :

(١) سقط من ق .

أحدهما – خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب الله عليهم ، أى على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة ، قاله الضحاك وأبو مالك.

الثاني – خلفوا عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله عكرمة.

وهؤلاء الثلاثة هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك.

* (حتى إذا ضاقت عليهم الأَرضُ بما رَحُبَتْ) لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم .

* (وضاقت عليهم أنْفُسُهم) بما لقوه من الجفوة لهم .

* (وظَنُّوا أنْ لا مَلْجأ مِنَ اللهِ إلاّ إليه) أى تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه .

* (ثم تاب عليهم) قال كعب بن مالك : < بعد خمسين ليلة من [1] > مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك .

* (ليتوبوا) قال ابن عباس ليستقيموا لأنه قد تقدمت توبتهم وإنما امتحنهم بذلك استصلاحا لهم ولغيرهم .

١١٩– قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتـّقُوا الله وكُونوا مع الصادقين) في هذه الآية قولان :

أحدهما – أنها في أهل الكتاب ، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسى ، ومن النصارى بعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فآمِنوا به، وكونوا مع الصادقين يعنى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جهاد المشركين ، قاله مقاتل بن حيّان .

الثاني – أنها في المسلمين ، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من المسلمين اتقوا الله .

وفي المراد بهذه التقوى وجهان :

أحدهما – اتقوا الله في الكذب ، قال ابن مسعود : إن الكذب لا

(١) بياض في ك .

يصلح في جدٍ ولا هزل ، اقرؤوا إن شئتم «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وهي في قراءة ابن مسعود هكذا : من الصادقين .

والثاني — اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوّه .

«وكونوا مع الصادقين» فيهم أربعة أقاويل : (أحدها) مع أبي بكر وعمر ، قاله الضحاك . (الثاني) مع الثلاثة الذين خلفوا حين صَدقوا النبي صلى الله عليه وسلم عن تأخرهم ولم يكذبوا ، قاله السدى . (والثالث) مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته ، قاله قتادة . (والرابع) مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن جريج .

١٢٢— قوله عز وجل (وما كان المؤمنون ليَنْفِروا كافّةً) فيه وجهان :

أحدهما — وما كان عليهم أن ينفروا جميعا لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ لقوله تعالى : «انفروا خفافا وثقالا» قاله ابن عباس .

والثاني — معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَريّة أن يخرجوا جميعا فيها ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة حتّى يقيم معه بعضهم ، قاله عبد الله بن عبيد بن عمير .

قال الكلبي : وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيّروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوه وحده بالمدينة ، فنزل ذلك فيهم .

* (فلولا نَفَرَ مِن كلٍّ فِرْقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين) فيه قولان : (أحدهما) لتتفقه الطائفة الباقية إما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده ، وإما مهاجرة إليه في إقامته ، قاله الحسن. (الثاني) لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله عن النفور في السرايا ، ويكون معنى الكلام : فهلاّ إذا نفروا أن تقيم من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين، قاله مجاهد .

وفي قوله تعالى «ليتفقهوا في الدين» تأويلان : (أحدهما) ليتفقهوا في أحكام الدين ومعالم الشرع ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ وينذروا به قومهم

إذا رجعوا إليهم . (الثاني) ليتفقهوا فيما يشاهدونه من نصر الله لرسوله وتأييده لدينه وتصديق وعده ومشاهدة معجزاته ليقوى إيمانهم ويخبروا به قومهم.

١٢٣— قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذين يَلُونكم مِن الكفار) فيهم أربعة أقاويل : (أحدها)[1] أنهم الروم قاله ابن عمر . (الثاني) أنهم الديلم ، قاله الحسن . (الثالث) أنهم العرب ، قاله ابن زيد . (الرابع) أنه على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ، قاله قتادة .

١٢٤— قوله عز وجل (وإذا ما أُنْزِلتْ سُورةٌ فمنهم مَنْ يقولُ : أيُّكم زادتْه هذه إيماناً) هؤلاء هم المنافقون . وفي قولهم ذلك عند نزول السورة وجهان: (أحدهما) أنه قول بعضهم لبعض على وجه الإنكار ، قاله الحسن . (الثاني) أنهم يقولون ذلك لضعفاء المسلمين على وجه الاستهزاء .

• (فأما الذين آمَنوا فزادتْهم إيمانا) فيه تأويلان : (أحدهما) فزادتهم خشية ، قاله الربيع بن أنس . (الثاني) فزادتهم السورة إيمانا لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها ، قاله الطبرى .

١٢٥— (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك .

• (فزادتهم رِجْساً إلى رِجْسِهم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إثما إلى إثمهم ، قاله مقاتل . (الثاني) شكّاً إلى شكّهم ، قاله الكلبي. (الثالث) كفراً إلى كفرهم ، قاله قطرب.

١٢٦— قوله عز وجل (أَوَلا يَرَوْنَ أنّهم يُفْتَنون في كلّ عامٍ مَرّةً أو مرّتين) الآية . في معنى الافتتان هنا ثلاثة أوجه : (أحدها) يبتلون ، قاله ابن عباس. (الثاني) يضلّون ، قاله عبد الرحمن بن زيد (الثالث) يختبرون ، قاله أبو جعفر الطبرى .

وفي الذى يفتنون به أربعة أقاويل : (أحدها) أنه الجوع والقحط ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه الغزو والجهاد في سبيل الله ، قاله قتادة ، (الثالث) ما يلقونه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،قاله حذيفة بن اليمان . (الرابع) أنه ما يظهره الله تعالى من هتك أستارهم وسوء نياتهم ، حكاه على ابن عيسى .

(١) سقط من ك

وهي في قراءة ابن مسعود : أولا ترى أنهم يفتنون . خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٢٨– قوله عز وجل (لقد جاءكم رسولٌ مِن أنْفُسِكم) فيه قراءتان :

إحداهما : من أنفَسكم بفتح الفاء ويحتمل تأويلها ثلاثة أوجه :

أحدها – من أكثركم طاعة لله تعالى .

الثاني – من أفضلكم خلقا .

الثالث – من أشرفكم نسبا .

والقراءة الثانية : بضم الفاء ، وفي تأويلها أربعة أوجه :

أحدها – يعني من المؤمنين لم يصبه [1] شيء من شرك ، قاله محمد بن علي .

الثاني – يعني من نكاح لم يصبه من ولادة الجاهلية ، قاله جعفر بن محمد. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح [2] .

الثالث – ممن تعرفونه بينكم ، قاله قتادة .

الرابع – يعني من جميع العرب لأنه لم يبق بطن من بطون العرب إلا إلا قد ولدوه ، قاله الكلبي .

• (عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) شديد عليه ما شق عليكم ، قاله ابن عباس . (الثاني) شديد عليه ما ضللتم ، قاله سعيد ابن أبي عروبة . (الثالث) عزيز عليه عنت مؤمنكم ، قاله قتادة .

• (حريصٌ عليكم) قال الحسن : حريص عليكم أن تؤمنوا .

• (بالمؤمنين رؤوف رحيم) فيه وجهان : (أحدهما) بما يأمرهم به من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح (الثاني) بما يضعه عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات ، وهو محتمل .

١٢٩– قوله عز وجل : (فإن تَوَلَّوْا) فيه وجهان : (أحدهما) عن طاعة الله ، قاله الحسن . (الثاني) – عنك ، ذكره عليّ بن عيسى.

• (فقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إله إلاّ هو عليه توكّلْتُ) يحتمل وجهين :

(١) الضمير في يصبه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) لم أجده بهذه الالفاظ لكن هناك أحاديث بمعناه منها قوله صلى الله عليه وسلم : ما ولدتني بغي قط منذ كنت في صلب آدم (سيرة ابن هشام ١١٥/١) .

(أحدهما) حسبي الله معينا عليكم . (الثاني) حسبي الله هاديا لكم .

• (وهو رَبُّ العرش العظيم) يحتمل وجهين : (أحدهما) لسعته.
(الثاني) لجلالتــه .

روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أن آخر ما أُنزل من القرآن هاتان الآيتان «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» . وهذه الآية . وقال أُبي بن كعب : هما أحدث القرآن عهدا بالله . وقال مقاتل : تقدم نزولهما بمكة. والله أعلم .

سورة يونس

هي مكية كلها عند الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس إلاّ ثلاث آيات[1] من قوله تعالى : « فإنْ كُنْتَ في شكٍّ » إلى آخرهن .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل : (الر) فيه أربعة تأويلات :

أحدها – معناه أنا الله أرَى ، قاله ابن عباس والضحاك .

والثاني – هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن ، قاله سعيد بن جبير والشعبي . وقال سالم بن عبد الله : « الر » و« حم » و« ن » للرحمن مقاطع .

الثالث – هو اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

الرابع – أنها فواتح افتتح الله بها القرآن ، قاله ابن جريج .

• (تلك آيات الكتاب الحكيم) يعني بقوله « تلك آيات » أي هذه آيات ، كما قال الأعشى :

تلك خَيْلِي منه وتلك رِكابي ... هُنّ صُفْرٌ أولادُها كالزبيب

أي هذه خيلي .

وفي الكتاب الحكيم ها هنا ثلاثة أقاويل: (أحدها) ، التوراة والإنجيل، قاله مجاهد . (الثاني) الزبور ، قاله مطر . (الثالث) القرآن ، قاله قتادة.

وفي قوله « الحكيم » تأويلان : (أحدهما) أنه بمعنى محكم ، قاله أبو عبيدة . (الثاني) أنه كالناطق بالحكمة ، ذكره علي بن عيسى.

---

(١) الآيات الثلاث هي ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وعلى هذا سارت المصاحف المتداولة كما اعتبرت الآية ٤٠ مدنية أيضا وهي قوله تعالى : « ومنهم من يؤمن به » نزلت في يهود المدينة وهو قول الكلبي .

٢ – قوله عز وجل : (أكان للناس عَجَباً أنْ أوْحَيْنا إلى رجُلٍ منهم أنْ أنذِرِ الناسَ) قال ابن عباس : سبب نزولها أن الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أنكر العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ، فنزلت هذه الآية .

وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار والتعجب من كفر مَن كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه جاءهم رسول منهم ، وقد أرسل الله إلى سائر الأمم رسلا منهم .

• ثم قال : (وبَشِّر الذين آمَنوا أنَّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عِنْد رَبِّهِمْ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها – أن لهم ثوابا حسنا بما قدموا من صالح الأعمال ، قاله ابن عباس .

الثاني – سابق صدق عند ربهم أي سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضا .

الثالث – أن لهم شفيع صدق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع لهم ، قاله مقاتل بن حيان .

الرابع – أن لهم سلف صدق تقدموهم بالإيمان ، قاله مجاهد وقتادة.

والخامس – أن لهم السابقة بإخلاص الطاعة ، قال حسان بن ثابت :

لنا القدَمُ العليا إليك وخَلْفُنا لأوَّلِنا في طاعةِ اللهِ تابعُ

ويحتمل سادسا – أن قدم الصدق أن يوافق الطاعة صدق الجزاء،ويكون القدم عبارة عن التقدم، والصدق عبارة عن الحق .

٣ – قوله عز وجل : (يُدَبِّرُ الأمْرَ) فيه وجهان : (أحدهما) يقضيه وحده ، قاله مجاهد . (الثاني) يأمر به ويمضيه .

• (ما مِن شفيع إلاّ مِن بَعْد إذنه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ما من شفيع يشفع إلا من بعد أن يأذن الله تعالى له في الشفاعة . (الثاني) ما من أحد

يتكلم عنده إلا بإذنه، قاله سعيد بن جبير (الثالث) [1] لا ثاني معه ، مأخوذ من الشفع الذى هو الزوج لأنه خلق السموات والأرض وهو واحد فرد لا حي معه ، ثم خلق الملائكة والبشر .

وقوله « إلا مِن بعد إذنه » يعنى من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، قاله ابن بحر .

٤ – قوله عز وجل : (... إنه يَبْدأُ الخَلْقَ ثم يُعيدُه) فيه وجهان : (أحدهما) أنه ينشئه ثم يفنيه . (الثاني) ما قاله مجاهد : يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم يحييه .

٧ – قوله عز وجل : (إنّ الّذين لا يَرْجُونَ لِقاءَنا) فيه تأويلان : (أحدهما) لا يخافون عقابنا ، ومنه قول الشاعر :

إذا لَسَعَتْه النّحلُ لمْ يَرْجُ لسْعَها وخالَفَها في بيتِ نُوبٍ عواملِ [2]

(الثاني) لا يطمعون في ثوابنا ، ومنه قول الشاعر :

أيرجو بنو مروان سَمْعي وطاعتي وقوْمي تميمٌ والفلاةُ ورائيا

٩ – قوله عز وجل : (إنّ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ يَهْديهم ربُّهُم بإيمانِهم) فيه أربعة أوجه :

أحدها – يجعل لهم نورا يمشون به ، قاله مجاهد .

الثاني – يجعل عملهم هاديا لهم إلى الجنة ، وهذا معنى قول ابن جريج.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يتلقى المؤمن عمله في أحسن صوره فيؤنسه ويهديه ، ويتلقى الكافر عمله في أقبح صورة فيوحشه ويضله [3] .

الثالث – ان الله يهديهم إلى طريق الجنة .

---

(١) سقط من ق

(٢) البيت لابى ذؤيب الهذلى . ومعنى خالفها جاء الى عسلها وهى غائبة ترعى . والنوب : النحل لانها ترعى ثم تنوب الى موضعها والعوامل : التى تعمل العسل والشمع (انظر شرح ديوان ابي ذؤيب) .

(٣) رواه ابن ابى شيبة.

الرابع – أنه وصفهم بالهداية على طريق المدح لهم .

• (تجْرِى مِن تحتهم الأنهارُ) فيه وجهان : (أحدهما) من تحت منازلهم قاله أبو مالك (الثاني) تجرى بين أيديهم وهم يرونها من علو لقوله تعالى [على لسان فرعون] «أليس لى مُلْك مِصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى» يعنى بين يدى .

وحكى أبو عبيدة عن مسروق أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود.

١٠– قوله عز وجل : (دعْواهم فيها سبْحانَكَ اللّهُمَّ) فيه وجهان:

أحدهما – أن أهل الجنة إذا اشتهوا الشيء أو أرادوا أن يدعوا بالشيء قالو : سبحانك اللهم فيأتيهم، ذلك الشيء ، قاله الربيع وسفيان.

الثاني – أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في دعاء يدعونه كان دعاؤهم له : سبحانك اللهم ، قاله قتادة .

(وتحيّتُهم فيها سلامٌ) فيه وجهان :

أحدهما – معناه وملكهم فيها سالم . والتحية الملك ، ومنه قول زهير بن جناب الكلبي :

ولَكُلُّ ما نال الفتى قد نِلتُه إلا التحيه

الثاني – أن تحية بعضهم لبعض فيها : سلام ، أى سلمت وأمنت مما بلى به أهل النار ، قاله ابن جرير الطبرى .

• (وآخِرُ دعْواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين) فيه وجهان :

أحدهما – أن آخر دعائهم : الحمد لله رب العالمين ، كما كان أول دعائهم : سبحانك اللهم ، ويشبه أن يكون هذا قول قتادة .

الثاني– أنهم إذا أجابهم فيما دعوه وآتاهم ما اشتهوا حين طلبوه بالتسبيح قالوا بعده : شكرا لله والحمد لله رب العالمين .

١١– قوله عز وجل (ولو يُعجّل اللهُ للناس الشرَّ استعجالَهم بالخير لقُضي إليهم أجَلُهم) فيه وجهان :

أحدهما ـ ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة ، قاله ابن اسحاق.

الثاني ـ معناه أن الرجل إذا غضب على نفسه أو ماله أو ولده فيدعو بالشر فيقول : لا بارك الله فيه وأهلكه الله ، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب منه الخير لقضي إليهم أجلهم أى لهلكوا .

فيكون تأويلا على الوجه الأول خاصا في الكافر ، وعلى الوجه الثاني عاما في المسلم والكافر .

* (فَنَذَرُ الذين لا يَرْجُون لِقاءَنا) قال قتادة : يعنى مشركى أهل مكة .

* (في طُغْيانِهِم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في شركهم، قاله ابن عباس . (الثاني) في ضلالهم ، قاله الربيع بن أنس . (الثالث) في ظلمهم، قاله عليّ بن عيسى .

* (يَعْمَهون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يترددون ، قاله ابن عباس وأبو مالك وأبو العالية . (الثاني) يتمادون ، قاله السدى . (الثالث) يلعبون ، قاله الأعمش .

١٢ـ قوله عز وجل (وإذا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنْبِهِ أو قاعداً أو قائماً)< فيه وجهان: (أحدهما) أنه إذا مسه الضر دعا ربه في هذه الأحوال . (الثاني) دعا ربه [في جميع الأحوال] فيكون محمولا على عموم الدعاء في جميع أحواله > [1] .

١٥ـ قوله عز وجل (وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بيِّناتٍ) يعنى آيات القرآن التى هى تبيان كل شيء .

(١) سقط من ق

• (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني مشركي أهل مكة .

• (ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّلْه) والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه ، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه :

أحدها — أنهم سألوه الوعد وعيدا ، والوعيد وعدا ، والحلال حراما ، والحرام حلالا ، قاله ابن جرير الطبري .

الثاني — أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، قاله ابن عيسى .

الثالث — أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور ، قاله الزجاج .

• (قُلْ ما يكونُ لي أنْ أُبدِّلَه مِنْ تلقاءِ نفْسي) أي ليس لي أن أتلقاه بالتبديل والتغيير كما ليس لي أن أتلقاه بالرد والتكذيب .

• (إنْ أتبِعُ إلاَّ ما يُوحَىٰ إليَّ) فيما أتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم أو أمر أو نهي .

• (إني أخاف إنْ عَصَيْتُ ربِّي) في تبديله وتغييره .

• (عذابَ يومٍ عظيمٍ) يعني يوم القيامة .

١٦— قوله عز وجل (قُلْ لو شاءَ اللهُ ما تلوْتُه عليكم) يعني القرآن .

• (ولا أدْراكم به) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ولا أعلمكم به ، قاله ابن عباس . (الثاني) ولا أنذركم به ، قاله شهر بن حوشب . (الثالث) ولا أشعركم به ، قاله قتادة .

• (فقد لَبِثْتُ فيكم عُمُراً من قَبْلِه) فيه وجهان :

أحدهما — أنه أراد ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه لأن عمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت .

الثاني ـ أنه أربعون سنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعد الأربعين وهو المطلق من عمر الإنسان ، قاله قتادة .

* (أفلا تَعْقِلون) اني لم أدّع ذلك بعد أنْ لبثت فيكم عمرا حتى أُوحيَ إليّ ، ولو كنتَ افتريته لقدّمته.

١٨ـ قوله عز وجل (... قل أتنبّئون الله بما لا يعْلَم في السموات ولافي الأرض) فيه وجهان :

أحدهما ـ أتخبرونه بعبادة من لا يعلم ما في السموات ولا ما في الأرض.

الثاني ـ اتخبرونه بعبادة غيره وليس يعلم له شريكا في السموات ولا في الأرض .

١٩ـ قوله عز وجل (وما كان الناسُ إلاّ أُمّةً واحدةً) في الناس هاهنا أربعة أقاويل : (أحدها) أنه آدم عليه السلام ، قاله مجاهد والسدى. < (الثاني) أنهم أهل السفينة ، قاله الضحاك . (الثالث) انهم من كان على عهد إبراهيم عليه السلام،قاله الكلبي >(١) (الرابع) أنهم بنو آدم ، قاله أبي بن كعب .

وفي قوله تعالى « إلا أمّةً واحدةً» ثلاثة أوجه : (أحدها) على الإسلام حتى اختلفوا، قاله ابن عباس وأبي بن كعب . (الثاني) على الكفر حتى بعث الله تعالى الرسل ، وهذا قول قد روى عن ابن عباس أيضا . (الثالث) على دين واحد ، قاله الضحاك .

* (فاختَلَفوا) فيه وجهان : (أحدهما) فاختلفوا في الدين فمؤمن وكافر ، قاله أبي بن كعب . (الثاني) هو اختلاف بنى آدم حين قتل قابيل أخاه هابيل ، قاله مجاهد .

* (ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ لقُضِيَ بينهم فيما فيه يختلفون) فيه وجهان :

---

(١) سقط من ق

أحدهما ــ ولولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم في تعجيل العذاب في الدنيا ، قاله السدى .

الثاني ــ ولولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعاما منه يبتليهم به لقضي بينهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل ، قاله عليّ بن عيسى .

٢١ــ قوله عز وجل : (وإذا أَذَقْنا الناسَ رحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) رخاء بعد شدة . (الثاني) عافية بعد سقم . (الثالث) خصبا بعد جدب ، وهذا قول الضحاك (الرابع) إسلاما بعد كفر وهو المنافق ، قاله الحسن .

(إذا لهم مَكْرٌ في آياتنا) فيه وجهان : (أحدهما) أن المكر هاهنا الكفر والجحود ، قاله ابن بحر [(١)] . (الثاني) انه الاستهزاء والتكذيب ، قاله مجاهد .

< ويحتمل ثالثا : أن يكون المكر هاهنا النفاق لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر > [(٢)] .

• (قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) يعني أسرع جزاء على المكر . وقيل إن سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبعَ سنينَ كسِنِي يوسفَ إجابة لدعوته ، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجدب فأجدبنا فادْعُ الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك ، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأخصبوا ، فنقضوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم ، وهو معنى قوله « إذا لهم مكر في آياتنا » [(٣)] .

٢٤ــ قوله عز وجل (... فَجَعَلْناها حَصيداً) فيه وجهان (أحدهما) ذاهبا [(٤)] (الثاني) يابسا .

---

(١) في ق ابن اسحاق .

(٢) سقط من ق

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود . انظر الحديث في جامع الاصول ٢٠٦/٦ .

(٤) ذاهبا : هكذا في الاصول واللغة لا تشهد لهذا التفسير فان حصيدا المراد بها مستأصلة كالزرع الذى حصد من اصله .

* (كأنْ لم تَغْنَ بالأمس) فيه أربعة تأويلات :

أحدها — كأن لم تعمر بالأمس[1] ، قاله الكلبي .

الثاني — كأن لم تعِشْ بالأمس ، قاله قتادة ، ومنه قول لبيد :

وغَنِيتُ سَبْتاً[2] بعد مجرى داحِسٍ   لو كان للنفس اللجوج خُلودُ

الثالث — كأن لم تقم بالأمس ، من قولهم غنى فلان بالمكان إذا أقام فيه ، قاله عليّ بن عيسى .

الرابع — [3] كأن لم تنعم بالأمس، قاله قتادة أيضا .

٢٥— قوله عز وجل (واللهُ يدْعو إلى دار السّلام) يعني الجنة. وفي تسميتها دار السلام وجهان : (أحدهما) لأن السلام هو الله ، والجنة داره . (الثاني) لأنها دار السلامة من كل آفة ، قاله الزجاج .

* (ويَهْدِي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مُسْتَقِيم) في هدايته وجهان : (أحدهما) بالتوفيق والمعونة . (الثاني) بإظهار الأدلة وإقامة البراهين.

وفي الصراط المستقيم أربعة تأويلات : (أحدها) أنه كتاب الله تعالى ، روى على بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الصراط المستقيم كتاب الله تعالى. (الثاني) أنه الإسلام، رواه النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثالث) أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر ، قاله الحسن وأبو العالية . (الرابع) أنه الحق ، قاله مجاهد وقتادة .

روى جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله يوما فقال رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجليّ ، فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا ، فقال : اسمع ، سمعت أذنك ، واعقل ، عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة

---

(١) سقط من ق

(٢) سبتا : في الاصول دهرا والتصويب من شرح المعلقات لابى بكر الانبارى ص ٥١٧ . ومعنى سبتا برهة من الدهر

(٣) سقط من ق .

ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل مما فيها. ثم تلا قتادة ومجاهد «والله يدعو إلى دار السلام»[1].

٢٦ــ قوله عز وجل (للذين أحْسَنوا) يعني عبادة ربهم.

• (الحُسْنَى وزيادةٌ) فيه خمسة تأويلات:

أحدها ــ أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى[2]، وهذا قول أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعرى.

والثاني ــ أن الحسنى واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس.

والثالث ــ أن الحسنى حسنة مثل حسنة، والزيادة مغفرة ورضوان، قاله مجاهد.

والرابع ــ أن الحسنى الجزاء في الآخرة، والزيادة ما أُعطوا في الدنيا، قاله ابن زيد.

والخامس ــ أن الحسنى الثواب، والزيادة الدوام، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادسا ــ أن الحسنى ما يتمنونه، والزيادة ما يشتهونه[3].

• (ولا يَرْهَقُ وُجوهَهم قَتَرٌ) في معنى يرهق وجهان: (أحدهما) يعلو. (الثاني) يلحق، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال.

وفي قوله تعالى «قتر» أربعة أوجه: (أحدها) أنه سواد الوجوه، قاله ابن عباس. (الثاني) أنه الحزن، قاله مجاهد. (الثالث) أنه الدخان ومنه قتار اللحم وقتار العود وهو دخانه، قاله ابن بحر. (الرابع) أنه الغبار في محشرهم إلى الله تعالى، ومنه قول الشاعر[4]:

---

(١) رواه الترمذى رقم ٢٨٦٤ في الامثال

(٢) هذا ينفى تهمة الاعتزال التى رمى بها المؤلف لانه ذكر هذا القول ولم ينفه والمعتزلة يقولون بعدم رؤية الله في الدنيا ولا في الاخرة.

(٣) سقط من ق

(٤) هو الفرزدق.

مُتَوَّجٌ برداء المُلْك يتبعــه مَوْجٌ ترى فوقه الرايات والقَتَرَا

• (ولا ذِلّةٌ) فيها ها هنا وجهان : (أحدهما) الهوان . (الثاني) الخيبة .

٣٠ـ قوله عز وجل (هنالك تبلو كلُّ نفسٍ ما أَسْلَفَتْ) فيه قراءتــان :

إحداهما : بتاءين قرأ بها حمزة والكسائي ، وفي تأويلها ثلاثة أوجه (أحدها) تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا، قاله السدى ، ومنه قول الشاعر:

ان المريبَ يَتْبَعُ المريبــا كما رأيت الذيب يتلو الذيبــا

(الثاني) تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها ، من التلاوة . (الثالث) تعاين كل نفس جزاء ما عملت .

والقراءة الثانية : وهى قراءة الباقين تبلو بالباء وفي تأويلها وجهان : (أحدهما) تسلم كل نفس [ما عليها من الحقوق إلى أربابها]. (الثاني) تختبر كل نفس ، قاله مجاهد .

• (ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحقِّ) أى مالكهم ، ووصف تعالى نفسه بالحق ، لأن الحق منه ، كما وصف نفسه بالعدل ، لأن العدل منه .

. فإن قيل[1] فقد قال تعالى: «وإن الكافرين لا مَوْلى لهم» فكيف صار هاهنا مولى لهم ؟

قيل ليس بمولى لهم في النصرة والمعونة ، وهو مولى لهم في الملكية .

• (وضَلَّ عنهم ما كانوا يَفْتَرون) أى بطل عنهم ما كانوا يكذبون .

٣٦ـ قوله عز وجل (وما يَتّبع أكثَرُهم إلاّ ظناً) هم رؤساؤهم .

(إنّ الظنَّ لا يغني مِن الحقِّ شيئاً) في الظن وجهان : (أحدهمــا) أنه منزلة بين اليقين والشك ، ليست يقينا وليست شكاً . (الثاني) أن الظن ما تردد بين الشك واليقين وكان مرة يقينا ومرة[1] شكاً .

٣٧ـ قوله عز وجل : (وما كان هذا القرآنُ أنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ) يعنى أن يختلق ويكذب .

• (ولكنْ تَصْديقَ الذى بيْن يَدَيْه) فيه وجهان:

(١) هذا السؤال نقله القرطبى عن المؤلف لكنه قال وهو مولى لهم في الرزق وادرار النعم بدل الملكية .

(أحدهما) شاهد بصدق ما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور (الثاني) لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب .

ويحتمل ثالثا أن يكون معناه : ولكن يصدقه الذى بين يديه من الكتب السالفة بما فيها من ذكره فيزول عنه الافتراء.

٣٩ـ قوله عز وجل : (بَل كذَّبوا بما لم يُحيطوا بعِلْمِه) فيه وجهان (أحدهما) لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم لشكهم فيه . (الثاني) لم يحيطوا بعلم ما فيه من وعد ووعيد لإعراضهم عنه .

• (ولمّا يأتِهم تأويلُه) فيه وجهان : (أحدهما) علم ما فيه من البرهان. (الثاني) ما يؤول إليه أمرهم من العقاب .

٤٢ـ قوله عز وجل : (ومنهم مَن يَستمِعون إليْكَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) يستمعون الكذب عليك فلا ينكرونه . (الثاني) يستمعون الحق منك فلا يَعُونَه .

• (أفأنت تُسْمِع الصُّمَّ ولو كانوا لا يَعْقِلونَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن من لا يعى ما يسمع فهو كمن لا يعقل . (الثاني) معناه أنه كما لا يعى من لا يسمع كذلك لا يفهم من لا يعقل .

والألف التى في قوله تعالى « أفأنت » لفظها لفظ[1] الاستفهام ومعناها معنى النفى .

٤٥ـ قوله تعالى : (ويَوْمَ يَحْشُرُهم كأنْ لم يلْبَثوا إلا ساعةً من النهار) فيه وجهان : (أحدهما) كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار [لهول ما استقبلوا] . (الثاني) كان لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار لقربه.

• (يتعارفون بَيْنَهم) فيه وجهان : (أحدهما) يعرف بعضهم بعضا. قال الكلبي : يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة . (الثاني) يعرفون أن ما كانوا عليه باطل[2]

(١) اي ان الغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو النفي
(٢) من قوله : ويحتمل ثالثا الى هنا سقط من ق

٤٧ـ قوله عز وجل : (ولِكُلِّ أُمَّةٍ رسولٌ) يعنى نبيًا يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالإيمان .

• (فإذا جاء رسولُهم قُضِي بيْنهم بالقِسْطِ وهم لا يُظلَمون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضى بينهم ليكون رسولهم شاهدا عليهم ، قاله مجاهد . (الثاني) فإذا جاء رسولهم يوم القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضى الله تعالى بينهم وبين رسولهم في الآخرة ، قاله الكلبي (الثالث) فإذا جاء رسولهم في الدنيا داعيا بعد الأذن له في الدعاء عليهم قضى الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم ، قاله الحسن .

٥٣ـ قوله عز وجل : (ويَسْتَنْبِئونَكَ) أى يستخبرونك، وهو طلب النبأ .

• (أَحَقٌّ هو) فيه وجهان : (أحدهما) البعث ، قاله الكلبي.[1] (الثاني) العذاب في الآخرة .

• (قل إي وربي إنّه لَحَقٌّ) فأقسم مع إخباره انه حق تأكيدا .

• (وما أنتم بمعجِزين) فيه وجهان : (أحدهما) بممتنعين .

(الثاني) بسابقين [2] ، قاله ابن عباس .

٥٤ـ قوله عز وجل : (وأَسَرُّوا النّدامَةَ لمّا رأَوُا العذابَ) فيه وجهان : (أحدهما) أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم ، وقيل بل كتمها الرؤساء عن أتباعهم . (الثاني) أظهروها وكشفوها لهم .

وذكر المبرد فيه وجها ثالثا ـ أنه بدت بالندامة أَسِرّةُ [3] وجوههم وهى تكاسير الجبهة[4] .

• (وقُضِيَ بيْنهم) فيه وجهان : (أحدهما) قضى بينهم وبين رؤسائهم، قاله الكلبي . (الثاني) قضى عليهم بما يستحقونه من عذابهم .

---

(١) سقط من ق .

(٢) هكذا فيك ، وفي ق بمسابقين وفي تفسير القرطبى وغيره بفائتين عن العذاب .

(٣) اسرة : واحدها سرار

(٤) سقط من ق

٥٨ــ قوله عز وجل : (قل بفضْلِ اللهِ وبرحمته) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن فضل الله معرفته ورحمته توفيقه . (الثاني) أن فضل الله القرآن ، ورحمته الإسلام ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك . (الثالث) أن فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

• (فبذلك فلْيفْرحوا) يعني بالمغفرة والتوفيق على الوجه الأول ، وبالإسلام والقرآن على الوجهين الآخرين .

وفيه ثالث : فلتفرح قريش بأن محمدا منهم ، قاله ابن عباس [1] .

• (هو خيرٌ مما يَجْمعون) يعني في الدنيا .

روى ابان عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من هداه الله للإسلام وعلّمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه، ثم تلا «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» [2] .

٦٢ــ قوله عز وجل : (ألا إنّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) في أولياء الله هاهنا خمسة أقاويل : (أحدها) أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . (الثاني) هم (الذين آمَنوا وكانوا يتّقون) . (الثالث) هم الراضون بالقضاء ، والصابرون على البلاء ، والشاكرون على النعماء . (الرابع) هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق. (الخامس) هم المتحابون في الله تعالى .

روى جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله خبّرنا من هم وما أعمالهم فإنا نحبهم لذلك، قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [3] .

(١) سقط من ق .
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه واحمد في المسند
(٣) اخرجه الطبري وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي في الشعب

< وفيه وجهان : (أحدهما) لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لأن الله تعالى يعوضهم عنها ، وهو محتمل.
(الثاني) لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون عند الموت >[١] .

٦٤– قوله عز وجل : (لهم البُشْرَى في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ) فيه تأويلان :

أحدهما – أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت، وفي الآخرة الجنة ، قاله قتادة والضحاك . وروى على بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لخديجة بنت خويلد بيتا من قصب لا صخب فيه ولا نصب[٢] .

الثاني – أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له ، وفي الآخرة الجنة ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الدرداء وأبو هريرة وعبادة بن الصامت .

< ويحتمل تأويلا ثالثا : أن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح ، وفي الآخرة اعطاؤه كتابه بيمينه >[٣].

* (لا تبْديلَ لكلماتِ اللهِ) فيه وجهان : (أحدهما) لا خلف لوعده.
(الثاني) لا نسخ لخبره .

٧١– قوله عز وجل : (.. فأجْمِعوا أمْرَكم[٤] وشُركاءكم) فيه وجهان :
(أحدهما) فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لنصرتكم ، قاله الفراء.
(الثاني) فاجمعوا أمركم مع شركائكم على تناصركم ، قاله الزجاج .

وفي هذا الإجماع وجهان : (أحدهما) أنه الإعداد . (الثاني) أنه العزم.

* (ثم لا يكُنْ أمرُكم عليكم غُمّةً) فيه تأويلان : (أحدهما) أن الغمة ضيق الأمر الذى يوجب الغم (الثاني) أنه المغطى ، من قولهم : قد غم الهلال إذا استتر .

---

(١) سقط من ق
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذى واحمد
(٣) سقط من ق
(٤) هذا من كلام نوح لقومه

وفي المراد بالأمر هاهنا وجهان : (أحدهما) من يدعونه من دون الله تعالى . (الثاني) ما هم عليه من عزم .

* (ثم اقضوا إليَّ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ثم انهضوا ، قاله ابن عباس (الثاني) ثم اقضوا إليّ ما أنتم قاضون ، قاله قتادة . (الثالث) اقضوا إليّ ما في أنفسكم ، قاله مجاهد .

* (ولا تُنْظِرون) قال ابن عباس : ولا تؤخروني .

٧٢– قوله عز وجل : (فإنْ تولَّيْتُم) يعني عن الإيمان .

* (فما سألتُكم من أجْرٍ) يحتمل وجهين :

أحدهما – فما سألتكم من أجر تستثقلونه فتمتنعون من الإجابة لأجله ، « إن أجري إلا على الله » .

والثاني – فما سألتكم من أجر إن انقطع عني ثَقُلَ عليّ .

* (إن أجْرِيَ إلاّ على اللهِ) وقد حصل الأجر بالدعاء لكم إن أجبتم أو أبيتم .

* (وأُمِرْتُ أنْ أكونَ مِن المسْلمين) أي من المستسلمين لأمر الله بطاعته .

٧٣– قوله عز وجل (فنجّيناه ومَنْ مَعَه في الفُلْكِ) قال ابن عباس : كان في سفينة نوح عليه السلام ثمانون رجلا أحدهم جُرهم وكان لسانه عربيا ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس فكان أول ما حمل الذرّة وآخر ما حمل الحمار ودخل معه إبليس يتعلق بذنبه .

* (وجعلناهم خلائفَ) أي خلفا لمن هلك بالغرق .

* (وأغْرَقْنا الذين كذّبوا بآياتنا) حكىَ أبو زهير [1] أن قوم نوح عاشوا في الطوفان أربعين يوما . وذكر محمد بن إسحاق أن الماء بقي بعد الغرق مائة وخمسين يوما ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن غاض الماء ستة أشهر وعشرة أيام وذلك مائة وتسعون يوما .

---

(١) هو ابو زهير النميري واسمه يحيى بن نفير وهو صحابي كما ذكر ابن عبد البر

قال محمد بن إسحاق لما مضت على نوح أربعون ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل منها الغراب لينظر ما فعل الماء فلم يعد ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعا ، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حين أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم أن الماء قد قل عن الأرض ، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم تعد فعلم أن الأرض قد برزت ، وكان استواء السفينة على الجودى لسبع عشرة ليلة من الشهر السابع فيما ذكر ، والله أعلم .

٧٨– قوله عز وجل (قالوا أجئتنا لتَلْفِتَنا عمّا وَجَدْنا عليه آباءَنا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لتلوينا ، قاله قتادة . (الثاني) لتصدنا ، قاله السدى. (الثالث) لتصرفنا ، من قولهم لفته لفتاً إذا صرفه ومنه لفت عنقه أى لواها، قاله عليّ بن عيسى .

• (وتكونَ لكما الكبرياءُ في الأرض) فيه أربعة أوجه: (أحدها) المُلك، قاله مجاهد. (الثاني) العظمة ، حكاه الأعمش . (الثالث) العلو، قاله عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم . (الرابع) الطاعة ، قاله الضحاك .

٨٣– قوله عز وجل (فما آمَنَ لموسى إلاّ ذُرِّيّةٌ مِنْ قومِه) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن الذرية القليل ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنهم الغلمان من بنى إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى ، قاله زيد بن أسلم . (الثالث) أنهم أولاد الزمنى ، قاله مجاهد . (الرابع) أنهم قوم أمهاتهم من بنى إسرائيل وآباؤهم من القبط .

ويحتمل خامسا : أن ذرية قوم موسى نساؤهم وولدانهم .

• (على خوفٍ من فرعون ومَلَئِهم) يعنى وعظمائهم وأشرافهم .

• (أن يَفْتِنَهم) فيه وجهان : (أحدهما) أن يعذبهم ، قاله ابن عباس (الثاني) أن يكرههم على استدامة ما هم عليه .

• (وإنّ فِرْعوْنَ لعالٍ في الأرضِ) فيه وجهان : (أحدهما) أى متجبر ، قاله السدى . (الثاني) باغ طاغ ، قاله ابن إسحاق .

• (وإنه لمن المسرفين) يعنى في بغيه وطغيانه .

٨٥– قوله عز وجل (.. فقالوا على اللهِ توكّلْنا) يحتمل وجهين : (أحدهما) في الإسلام إليه . (الثاني) في الثقة به .

* (ربّنا لا تجعلْنا فِتْنةً للقوم الظالمين) فيه وجهان :(أحدهما) لاتسلطهم علينا فيفتنونا ، قاله مجاهد . (الثاني) لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم على حق ، قاله أبو الضحى وأبو مجلز .

٨٧– قوله عز وجل (وأوْحَيْنا إلى موسى وأخيه أنْ تَبَوَّآ لقوْمِكما بمصرَ بُيوتاً) يعنى تخيّرا واتخذا لهم بيوتا يسكنونها ، ومنه قول الراجز :

نحن بنو عدنانَ ليس شكُّ تبوّأ المجدُ بنا والمُلْكُ

وفي قوله « بمصر » قولان : (أحدهما) أنها الاسكندرية ، وهو قول مجاهد . (الثاني) أنه البلد المسمى مصر ، قاله الضحاك .

وفي قوله « بيوتا » وجهان : (أحدهما) قصورا ، قاله مجاهد .(الثاني) مساجد ، قاله الضحاك .

* (واجْعَلوا بُيوتَكم قِبْلةً) فيه أربعة أقاويل :

أحدها – واجعلوها مساجد تصلّون فيها ، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم ، قاله الضحاك وابن زيد والنخعي .

الثاني – واجعلوا مساجدكم قِبَل الكعبة،قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثالث – واجعلوا بيوتكم التى بالشام قِبلة لكم في الصلاة فهى قبلة اليهود إلى اليوم ، قاله ابن بحر .

الرابع – واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا ، قاله سعيد بن جبير .

* (وأقيموا الصلاة) فيه وجهان : (أحدهما) في بيوتكم لتأمنوا فرعون . (الثاني) إلى قبلة مكة لتصح صلاتكم .

* (وبشّر المؤمنين) قال سعيد بن جبير : بشرهم بالنصر في الدنيا ، وبالجنة في الآخرة .

٨٨– قوله عز وجل (... ربّنا اطمسْ علـى أمْوالهم) أى أهلكها ، قالـه قتادة . فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة ، قاله الضحاك.

* (واشددْ على قلوبهم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) بالضلالة ليهلكوا كفارا فينالهم عذاب الآخرة ، قاله مجاهد . (الثاني) بإعمائها عن الرشد . (الثالث) بالموت ، قاله ابن بحر . (الرابع) اجعلها قاسية .

* (فلا يؤْمِنوا حتى يَرَوُا العذابَ الأَليم) قال ابن عباس هو الغرق.

٨٩– قوله عز وجل (قال قد أُجيبتْ دَعْوتُكُما) قال أبو العاليـة والربيـع : دعا موسى وأمّن هارون < فسمي هارون وقد أمّن على الدعاء داعيا ، والتأمين على الدعاء أن يقول آمين > (١) .

واختلف في معنى آمين بعد الدعاء وبعد فاتحة الكتاب في الصلاة على ثلاثة أقاويل : (أحدها) معناه اللهم استجب ، قاله الحسن . (الثاني) أن آمين اسم من أسماء(٢) الله تعالى ، قاله مجاهد . قال ابن قتيبة وفيه حرف النداء مضمر وتقديره يا آمين استجب دعاءنا . (الثالث) ما رواه سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين » يعني أنها تمنع من وصول الأذى والضرر كما يمنع الخَتْم من الوصول إلى المختوم عليه .

وفرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال : معناه بعد الدعاء : اللهم استجب ، ومعناه بعد الفاتحة : كذلك فليكن .

قال محمد بن على وابن جريج : وأخّر فرعون بعد إجابة دعوتهما أربعين سنة (٣) .

* (فاستقيما) فيه وجهان : (أحدهما) فامضيا لأمرى فخرجا في قومهم ، قاله السدى . (الثاني) فاستقيما في دعوتكما على فرعون وقومه ، حكاه على ابن عيسى .

---

(١) سقط من ق

(٢) قال القرطبى : ولم يصح . انظر تفسير القرطبى ١٢٨/١٠

(٣) في ك يوما وقد نقل القرطبى هذا القول وقال : اربعين سنة .

وقيل إنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب[1].

٩٢- قوله عز وجل (فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) معنى ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض ، والنجوة المكان المرتفع .

وقوله تعالى « ببدنك » فيه وجهان : (أحدهما) يعنى بجسدك من غير روح ، قاله مجاهد . (الثاني) بدرعك ، وكان له درع من حديد يعرف بها ، قاله أبو صخر . وكان من تخلف من قوم فرعون ينكر غرقه .

وقرأ يزيد اليزيدى « ننحّيك » بالحاء غير معجمة وحكاها علقمة عن ابن مسعود . [والمعنى] أن يكون على ناحية من البحر حتى يراه بنو إسرائيل، وكان قصيرا أحمر كأنه ثور .

* (لتكون لمن خلْفَك[2] آيةً) يعنى لمن بعدك عبرة وموعظة .

٩٣- قوله عز وجل (ولقد بوّأنا بنى إسرائيل مُبَوّأَ صدْق) فيه قولان : (أحدهما) أنه الشام وبيت المقدس ، قاله قتادة. (الثاني) أنه مصر والشام ، قاله الضحاك .

وفي قوله تعالى « مُبَوّأَ صدْق » تأويلان : (أحدهما) أنه كالصدق[3] في الفضل . (والثاني) أنه تصدق به عليهم .

ويحتمل تأويلا ثالثا : أنه وعدهم إياه فكان وَعْدُه وعْد صدق .

* (وَرَزَقْناهم من الطيِّباتِ) يعنى وأحللنا لهم من الخيرات الطيبة.

* (فما اختلفوا حتى جاءهم العِلْمُ) يعنى أن بنى إسرائيل ما اختلفوا أن محمدا نبي .

(حتى جاءهم العِلْمُ) وفيه وجهان : (أحدهما) حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانوا يعلمون أنه نبي ، وتقديره حتى جاءهم المعلوم ، قاله ابن بحر وابن جرير الطبرى. (والثاني) حتى جاءهم القرآن، قاله ابن زيد.

---

(١) الجواب ان هذا الاذن بالدعاء لابد أن يكون قد وقع بان اخبر الله موسي ان فرعون وقومه لن يؤمنوا وانهم هالكون .

(٢) لقد ظل فرعون آية للناس منذ ثلاثة آلاف سنة حيث مازالت موميائه تعرض بالمتحف .

(٣) سقط من ك

٩٤– قوله عز وجل (فإن كُنْتَ في شَكٍّ ممّا أنزَلْنا إليك) هـذا خطـاب من الله لنبيه يقول : إن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك ، وفيه وجهان: (أحدهما) في شك أنك رسول . (الثاني) في شك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل .

• (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب مِن قبْلك) فيه وجهان : (أحدهما) أنه أراد مَنْ آمَن منهم مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، قاله ابن زيد. (الثاني) أنه عنى أهل الصدق والتقوى منهم، قاله الضحاك .

فإن قيل : فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكّا ؟ قيل قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا أشك ولا أسأل .

وفي معنى الكلام وجهان :

أحدهما – أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من أمته ، كما قال تعالى : « ياأيها النبي إذا طَلّقتم النساء[1] » الآية .

والثاني – أنه خطاب ورد على عادة العرب في توكيد القبول والتنبيه على أسباب الطاعة كقول الرجل لابنه : إن كنت ابنى فبرّني ، ولعبده إن كنت مملوكي فامتثل أمرى ، ولا يدل ذلك على شك الولد في أنه ابن أبيه ولا أن العبد شاك في أنه ملك لسيده .

• (فلا تكونَنَّ من الممترين) أى من الشاكّين .

٩٦– قوله عز وجل : (إن الذين حقّـت عليهـم كلمةُ ربِّك لا يؤمِنون) يحتمل وجهين : (أحدهما) إن الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبدا . (الثاني) إن الذين وقعت كلمته عليهم بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبدا .

٩٨– قوله عز وجل (فلولا كانت قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها) والمراد بالقرية أهل القرية .

• (إلاّ قومَ يونسَ...) وهم أهل نينوى من بلاد الموصل فإن يونس عليه السلام وعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فقالوا : انظروا يونس فإن خرج عنا فوعيده حق ، فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلى شيخ منهم فقال : توبوا

(١) آية ١ الطلاق

وادعوا وقولوا يا حي حين لا حي، ويا حي يا محيي الموتى ، ويا حي لا إله إلا أنت ، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها ، وخرجوا من قريتهم تائبين داعين فكشف الله تعالى عنهم العذاب كما قال تعالى :

* (... كَشَفْنا عنهم عذابَ الخِزْيِ في الحياةِ الدّنيا) وفيه وجهان : (أحدهما) أنهم تابوا قبل أن يروا العذاب فلذلك قبل توبتهم ، ولو رأوه لم يقبلها كما لم يقبل من فرعون إيمانه لما أدركه الغرق . (الثاني) أنه تعالى خصهم بقبول التوبة بعد[1] رؤية العذاب . قال قتادة : كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل .

* (ومتّعْناهم إلى حينٍ) فيه تأويلان : (أحدهما) إلى أجلهم ، قاله السدى . (الثاني) إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار ، قاله ابن عباس .

وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : إن الحذر لا يرد القدر ، وإن الدعاء يرد القدر ، وذلك أن الله تعالى يقول : « إلاّ قوم يونس لمّا آمَنوا كشفْنا عنهم عذاب الخزى » . قال علىّ رضى الله عنه وذلك يوم عاشوراء .

١٠٠- قوله عز وجل : (وما كان لنفْسٍ أنْ تؤْمِنَ إلا بإذنِ اللهِ) فيه ثلاثة أوجه[2] : (أحدها) معناه إلا بأمر الله تعالى ، قاله الحسن . (الثاني) إلا بمعونة الله . (الثالث) إلا بإعلام الله سبل الهدى والضلالات[3] .

* (ويجْعلُ الرّجْس على الذين لا يَعْقِلونَ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أن الرجس السخط ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه العذاب ، قاله الفراء . (الثالث) أنه الإثم ، قاله سعيد بن جبير . (الرابع) أنه ما لا خير فيه ، قاله مجاهد . (الخامس) أنه الشيطان ، قاله قتادة .

وقوله « على الذين لا يعقلون » يعنى لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه . ويحتمل أنهم الذين لا يعتبرون بحججه ودلائله .

---

(١) سقط من ق

(٢) في ق : فيه وجهان احدهما .

(٣) سقط من ق

١٠٥ـ قوله عز وجل (وأنْ أَقِمْ وجْهَكَ للدين حنيفاً) أى استقم بإقبال وجهك على ما أُمِرتَ به من الدين حنيفا ، وقيل إنه أراد بالوجه النفس .

و« حنيفا » فيه ستة تأويلات : (أحدها) أى حاجا، قاله ابن عباس والحسن والضحاك وعطية والسدى . (الثاني) متبعا ، قاله مجاهد . (الثالث) مستقيما ، قاله محمد بن كعب . (الرابع) مخلصا ، قاله عطاء . (الخامس) مؤمنا بالرسل كلهم ، قاله أبو قلابة < قال حمزة بن عبد المطلب :

حمدت الله حين هدى فؤادى من الإشراك للدين الحنيف > (١)

(السادس) سابقا إلى الطاعة ، مأخوذ من الحنف (٢) في الرجلين وهو أن تسبق إحداهما الأخرى .

١٠٨ـ قوله عز وجل : (قل ياأيها الناس قد جاءكم الحقُّ مِنْ ربِّكم) فيه وجهان : (أحدهما) القرآن . (الثاني) الرسول صلى الله عليه وسلم .

* (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) فيه وجهان محتملان : (أحدهما) فمن اهتدى لقبول الحق فإنما يهتدى بخلاص نفسه (٣). (الثاني) فمن اهتدى إلى معرفة الحق فإنما يهتدى بعقله .



(١) سقط من ق
(٢) وعلى هذا فالحنف يكون بمعنى الميل باعوجاج وقد يسمى معوج الرجلين حنيفا تفاؤلا بالاستقامة كما يقال للديغ سليم وللصحراء المهلكة مفازة
انظر تفسير القرطبي ٢/١٣٩،١٤٠

سورة هود [1]

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهى قوله « وأقِمِ الصَّلاةَ طرفي النهارِ وزُلَفاً مِن الليلِ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل (الر كتابٌ) يعنى القرآن .

* (أحْكِمَتْ آياتُه ثم فُصِّلَتْ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أحكمت آياته بالأمر والنهى ثم فصلت بالثواب والعقاب ، قاله الحسن . (الثاني) أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية ، وهذا قول قتادة . (الثالث) أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت ، وهذا معنى قول مجاهد . (الرابع) أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين. (الخامس) أحكمت آياته في القلوب ، وفصلت أحكامه على الأبدان.

* (مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ) فيه وجهان : (أحدهما) من عند حكيم في أفعاله ، خبير بمصالح عباده < (الثاني) – حكيم بما أنزل ، خبير بمن يتقبل .

٢ – قوله عز وجل (ألَّا تعبُدوا إلاَّ اللهَ) فيه وجهان : (أحدهما) أى كتبت في الكتاب « ألاّ تعبدوا إلا الله». (والثاني) أنه أمر رسوله أن يقول للناس « ألا تعبدوا إلا الله » .

---

(١) عن ابى جحيفة قال : قالوا يارسول الله نراك قد شبت ، قال : « شيبتنى هود وأخواتها » . واخواتها الواقعة والمرسلات والنبأ والتكوير .
وفي قول انها الحاقه والمعارج والقارعة والتكوير ، وانما تشيب هذه السور قارئها لما فيها من الوعيد والهول .

• (إِنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) قال ابن عباس : نذير من النار ، وبشير بالجنة < [١] .

٣ – قوله عز وجل (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) فيه وجهان :

أحدهما – استغفروه من[٢] سالف ذنوبكم ثم توبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم .

قال بعض الصلحاء : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين .

الثاني – أنه قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هى الغرض المطلوب والتوبة هى السبب إليها ، فالمغفرة أوّلٌ في الطلب وآخر في السبب .

• ويحتمل ثالثا – أن المعنى استغفروه من الصغائر وتوبوا إليه من الكبائر (يُمَتِّعْكُم مَتَاعاً حَسَناً) يعنى في الدنيا < وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه طيب النفس وسعة الرزق . (الثاني) أنه الرضا بالميسور ، والصبر على المقدور (الثالث) أنه ترْك الخلْق والإقبال على الحق ، قاله سهل بن عبد الله .

ويحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الحلال الكافي . (الثاني) أنه الذى لا كد فيه ولا طلب . (الثالث) أنه المقترن بالصحة والعافية> [٣] .

• (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إلى يوم القيامة ،قاله سعيد بن جبير . (الثاني) إلى يوم الموت ، قاله الحسن . (الثالث) إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى ، قاله ابن عباس .

• (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) فيه وجهان (أحدهما) يهديه إلى العمل الصالح ، قاله ابن عباس . (الثاني) يجازيه عليه في الآخرة ، على قول قتادة. ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا ، على قول مجاهد .

• (وَإِنْ تَوَلَّوْا) يعنى عما أمرتم به .

---

(١) سقط من ك من قوله الثانى – حكيم الى هنا .

(٢) نقل القرطبى هذا الكلام حرفيا انظر تفسيره ٣/٩

(٣) سقط من ق

* (فإني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ كبير) وفيه إضمار وتقدير : فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه .

٥ – قوله عز وجل (ألا إنهم يَثْنُونَ صُدورَهُم ليَسْتَخْفُوا مِنْه) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) يثنون صدورهم على الكفر < ليستخفوا من الله تعالى> (١) ، قاله مجاهد . (الثاني) يثنونها على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليخفوها عنه ، قاله الفراء والزجاج . (الثالث) يثنونها على ما أضمروه < من حديث النفس > (٢) ليخفوه عن الناس ، قاله الحسن . (الرابع) أن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي صلى الله عليه وسلم غطوا رؤوسهم و ثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم ، قاله أبو رزين . (الخامس) أن رجلا قال : إذا أغلقت بابي وضربت ستّري وتغشيت ثوبي وثنيت صدري فمن يعلم بي ؟ فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون .

* (ألَا حينَ يَسْتَغْشون ثِيابَهم) يعني يلبسون ثيابهم ويتغطون بها . ومنه قول الخنساء :

أرعى النجوم وما كُلّفتُ رعيتها ... وتارةً أتغشّى فضل أطماري

وفي المراد بـ « حين يستغشون ثيابهم » أربعة أقاويل :

أحدها – الليل يقصدون فيه إخفاء أسرارهم فيما يثنون صدورهم عليه. والله تعالى لا يخفى عليه ما يسرونه في الليل ولا ما يخفونه في صدورهم ، فكنى عن الليل باستغشاء ثيابهم لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون إذا استغشوا ثيابهم .

الثاني – أن قوما من الكفار كانوا لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذانهم حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه ، وهو معنى قول قتادة .

---

(١) سقط من ق

(٢) سقط من ك .

الثالث - أن قوما من المنافقين كانوا يظهرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم أنهم على طاعته ومحبته ، وتشتمل قلوبهم على بغضه ومعصيته ، فجعل ما تشتمل عليه قلوبهم كالمستغشى بثيابه .

الرابع - أن قوما من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء ، فبيّن الله تعالى أن المنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد وما أظهروه من قول وعمل .

* ثم بيّن ذلك فقال (يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم . (الثاني) ما يسرون من الإيمان وما يعلنون من العبادات . (الثالث) ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار ، قاله ابن عباس .

* (إنه عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ) قيل بأسرار الصدور .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي .

٦ - قوله عز وجل : (... ويَعْلَم مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَهَا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) مستقرها حيث تأوى ، ومستودعها حيث تموت . (الثاني) مستقرها في الرحم ، ومستودعها في الصلب ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) مستقرها في الدنيا ، ومستودعها في الآخرة .

ويحتمل رابعا :أن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار ، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان .

٧ - قوله عز وجل : (ليبْلُوَكم أيُّكم أحْسَنُ عَمَلاً) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يعنى أيكم أتم عقلا ، قاله قتادة . (الثاني) أيكم أزهد في الدنيا ، وهو قول سفيان . (الثالث) أيكم أكثر شكرا ، قاله الضحاك.(الرابع) ماروى كليب بن وائل عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيكم أحسن عملا : أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى ، وأسرع في طاعة الله.

٨ - قوله عز وجل : (ولئن أخّرْنا عنهم العذابَ إلى أُمّةٍ مَعْدودةٍ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني إلى فناء أمة معلومة ، ذكـره علي بن عيسى .

(الثاني) إلى أجل معدود، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين وتكون الأمة(١) عبارة عن المدة، وأصلها الجماعة فعبر بها عن المدة لحلولها في مدة.

• (ليقولنّ ما يحبسه) يعني العذاب. وفي قولهم ذلك وجهان: (أحدهما) أنهم قالوا ذلك تكذيبا للعذاب لتأخره عنهم. (الثاني) أنهم قالوا ذلك استعجالا للعذاب واستهزاء، بمعنى ما الذى حبسه عنا؟

١٧ـ قوله عز وجل (أفمَن كان على بيّنة من ربّه) فيه ثلاثة أقوال: (أحدها) أنه القرآن، قاله عبد الرحمن بن زيد. (الثاني) محمد صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد وعكرمة وأبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدى والضحاك. (الثالث) الحجج الدالة على توحيد الله تعالى ووجوب طاعته، قاله ابن بحر.

وذكر بعض المتصوفة قولا رابعا: أن البينة هى الإشراف على القلوب والحكمة على الغيوب.

• (ويتلوه شاهد منه) فيه خمسة أقاويل:

أحدها ـ أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول الأعشى:

فلا تحسبنّي كافرا لك نعمةً على شاهدى يا شاهد الله فاشهد

الثاني ـ أنه محمد صلى الله عليه وسلم شاهد من الله تعالى، قاله علىّ بن الحسين.

الثالث ـ أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس والنخعي وعكرمة والضحاك.

الرابع ـ أنه على بن أبي طالب رضى الله عنه، روى المنهال عن عباد ابن عبد الله قال: قال علىّ: ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال: «ويتلوه شاهد منه».

(١) الامة لفظ مشترك يجيء على ثمانية معان: فالامة بمعنى الجماعة كقوله تعالى: وجد عليه أمة من الناس يسقون. وبمعنى اتباع الانبياء. وبمعنى الرجل الجامع للخير الذى يقتدى به كقوله تعالى: ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا. والامة الدين والملة كقوله تعالى: انا وجدنا آباءنا على أمة. والامة الحين والزمان كهذه الاية. والامة قامة الانسان. والامة الرجل المنفرد بدينه كقوله عليه السلام: يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده. والامة: الام يقال هذه أمة زيد أي والدته.

الخامس ــ أنه ملك يحفظه ، قاله مجاهد وأبو العالية .

< ويحتمل قولا سادسا ــ ويتلوه شاهد من نفسه بمعرفة حججه ودلائله وهو عقله ووحدته ، قاله ابن بحر > [١] .

* (ومِنْ قَبْلِهِ كتابُ موسى) فيه وجهان : (أحدهما) ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة ، قاله ابن زيد . (الثاني) ومن قبل محمد كتاب موسى ، قاله مجاهد .

* (إماماً ورحمةً) فيه وجهان : (أحدهما) يعني متقدما علينا ورحمة لهم . (الثاني) إماما للمؤمنين لاقتدائهم بما فيه ورحمة لهم .

* (أولئك يؤمنون به) يعني من كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه.

* (ومَن يكفرْ به من الأحزاب) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم أهل الأديان كلها لأنهم يتحزبون. قاله سعيد بن جبير . (الثاني) هم المتحزبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمعون على محاربته .

وفي المراد بهم ثلاثة أوجه : (أحدها) قريش ، قاله السدى ، (الثاني) اليهود والنصارى ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) أهل الملل كلها .

* (فالنار مَوْعِدُهُ) أي أنها مصيره ، قال حسان بن ثابت :

أوْردْتموها حياض الموت ضاحيةً فالنارُ مَوْعِدُها والموتُ لاقيها

(فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مِنه) فيه وجهان : (أحدهما) في مرية من القرآن ، قاله مقاتل . (الثاني) في مرية من أن النار موعد الكفار ، قاله الكلبي .وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع المكلفين .

١٨ـ قوله عز وجل : (ومَنْ أظْلَمُ ممن افْتَرى على الله كَذِباً) معناه ومن أظلَمُ لنفسه ممن افترى على الله كذبا بأن يدعى إنزال ما لم ينزل عليه أو ينفي ما أنزل عليه .

(١) المراد العقل الذي خص الله به الانسان منفردا ليعرف به الدلائل والبراهين .
(٢) سقط من ق

* (أولئك يُعْرَضون على ربهم) وهو حشرهم إلى موقف الحساب كعرض الأمير لجيشه ، إلا أن الأمير يعرضهم ليراهم وهذا لا يجوز على الله تعالى لرؤيته لهم قبل الحشر .

* (ويقول الأَشهادُ هؤلاءِ الذين كَذَبوا على ربهم) والأشهاد جمع ، وفيما هو جمع له وجهان : (أحدهما) أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب (والثاني) جمع شهيد مثل شريف وأشراف .

وفي الأشهاد أربعة أقاويل : (أحدها) أنهم الأنبياء ، قاله الضحاك (الثاني) أنهم الملائكة ، قاله مجاهد . (الثالث) الخلائق ، قاله قتادة.(الرابع) أن الأشهاد أربعة : الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم .

١٩ــ قوله عز وجل : (الذين يَصُدّونَ عن سبيلِ اللهِ) يعنى قريشا .

وفي سبيل الله التي صدوا عنها وجهان : (أحدهما) أنه محمد صلى الله عليه وسلم صدت قريش عنه الناس ، قاله السدى . (والثاني) دين الله تعالى، قاله ابن عباس .

* (ويَبْغونَها عوجا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يعنى يؤمنون بملة غير الإسلام دينا ، قاله أبو مالك . (الثاني) يبغون محمدا هلاكا ، قاله السدى. (الثالث) أن يتأولوا القرآن تأويلا باطلا ، قاله عليّ بن عيسى.

٢٢ــ قوله عز وجل : (لاجَرَمَ أنهم في الآخرة هم الأَخْسرون) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن معنى لا جرم : لا بد .

الثاني ــ أن «لا» عائد إلى الكفار ، أى لا دافع لعذابهم ، ثم استأنف فقال : جرم ، أى كسب بكفره استحقاق النار ، ويكون معنى جرم : كسب ، أى بما كسبت يداه، قال الشاعر :

نَصَبْنا رأسَه في جــذع نخل بما جَرَمَت يداه وما اعتديْنــا

أى بما كسبت يداه .

الثالث ــ أن «لا» زائدة دخلت توكيدا ، يعنى حقا إنهم في الآخرةِ هم الأخسرون .

قال الشاعر [١] :

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَت فَزَارَةُ بَعْدَها أنْ يَغْضَبوا

أي أحقتهم الطعنة بالغضب .

٢٣ـ قوله عز وجل : (... وأَخْبَتوا إلى ربهم) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) يعني خافوا ربهم ،قاله ابن عباس . (الثاني) يعني اطمأنوا ، قاله مجاهد . (الثالث) أنابوا ، قاله قتادة . (الرابع) خشعوا وتواضعوا لربهم ، رواه معمر . (الخامس) أخلصوا إلى ربهم ، قاله مقاتل .

٢٧ـ قوله عز وجل : (وما نراك اتّبَعَك إلاّ الذين هم أراذِلُنا) الأراذل جمع أرذل ، وأرذل جمع رذل ، والرذل الحقير ، وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة .

* (باديَ الرأي) أي ظاهر الرأى ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إنك تعمل بأول [١] الرأى من غير فكر ، قاله الزجاج . (الثاني) أن ما في نفسك من الرأى ظاهر ، تعجيزا له ، قاله ابن شجرة (الثالث) يعني أن أراذلنا اتبعوك بأقل الرأى وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك ، حكاه[٢] ابن الأنباري.

* (وما نَرَى لكم علينا مِن فَضْل) يحتمل وجهين : (أحدهما) من فضل تفضلون به علينا من دنياكـــم . (والثاني) من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم .

٢٨ـ قوله عز وجل (قال يا قوم أرأيتُم إن كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ ربي) فيه وجهان : (أحدهما) يعني على ثقة من ربي ، قاله أبو عمران الجوني. (والثاني) على حجة من ربي ، قاله عليّ بن عيسى .

* (وآتاني رحمةً من عنده) فيها وجهـــان : (أحدهما) الإيمان (والثاني) النبوة ، قاله ابن عباس .

* (فعُمِّيَتْ عليكم) يعني البينة في قوله « إن كنت على بينة من ربي».

(١) هو أبو أسماء بن الضريبة يخاطب كرزا العقيلي الذي قتل حصن بن حذيفة الفزاري أبا عيينة ، والشاعر يرثي القتيل (اللسان ـ جرم)

(٢) ســقط من ق

(٣) هذا على قراءة من قرأ باديء بالهمزة من بدأ بمعنى فعل أولا .

وإنما قال « فعميت عليكم » وهم الذين عـَمُوا عنها ، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص « فعميت عليكم » بضم العين وتشديد الميم . وفي قراءة أبي « فعماها» وهى موافقة لقراءة من قرأ بالضم على ما لم يسم فاعله .

وفي الذى عماها على هاتين القراءتين وجهان : (أحدهما) أن الله تعالى عماها عليهم . (الثاني) بوسوسة الشيطان . وما زينه لهم من الباطل حتى انصرفوا عن الحق .

وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقومه أن يرد عليهم قولهم « وما نرى لكم علينا من فضل » ليظهر فضله عليهم بأنه على بينة من ربه وآتاه رحمة من عنده وهم قد سلبوا ذلك ، فأى فضل أعظم منه .

* ثم قال تعالى : (أنُلزِمُكمُوهَا وأنتم لها كارهون) فيها وجهان :

أنلزمكم الرحمة ، قاله مقاتل .

الثاني – أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون ، وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة عليها .

قال قتادة : والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك .

٢٩– قوله عز وجل : (... وما أنا بطاردِ الذين آمنوا) لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم ، فقال جوابا لهم وردا لسؤالهم : وما أنا بطارد الذين آمنوا .

* (إنهم ملاقو ربِّهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون قال ذلك على وجه الإعظام لهم بلقاءالله تعالى . (الثاني) على وجه الاختصام ،بأني لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله .

* (ولكنّي أراكم قَوْماً تَجْهَلونَ) فيه وجهان :

أحدهما – تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم .

الثاني ــ تجهلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم .

٣١ــ قوله عز وجل : (ولا أقول لكم عندى خزائنُ اللهِ ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ إني مَلَكٌ) احتمل هذا القول من نوح عليه السلام وجهين : (أحدهما) أن يكون جوابا لقومه على قولهم « ما نراك إلا بشرا مثلنا » (الثاني) أن يكون جوابا لهم على قولهم « وما نرى لكم علينا من فضل » . فقال الله تعالى له قل : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله » .

وفيها وجهان : (أحدهما) أنها الرحمة أى ليس بيدى الرحمة فأسوقها إليكم ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها الأموال ، أى ليس بيدى أموال فأعطيكم منها على إيمانكم . « ولا أعلم الغيب » فأخبركم بما في أنفسكم . « ولا أقول إني مَلَك » يعنى فأباين جنسكم .

(ولا أقول للذين تزدرى أعيُنُكم لن يؤتيَهمُ اللهُ خيْراً) والازدراء الاحتقار ، يقال ازدريت عليه إذا عبته ، وزريت عليه إذا حقرته ،

وأنشد المبرد :

يباعده الصديق وتزدريه حليلته وينهره الصغيرُ

« لن يؤتيهم الله خيراً » أى ليس لاحتقاركم لهم يبطل أجرهم أو ينقص ثوابهم ، وكذلك لستم لعلوكم في الدنيا تزدادون على أجوركم .

* (اللهُ أعلمُ بما في أنفسِهم) يعنى في أنه يجازيهم عليه ويؤاخذهم به

* (إني إذَنْ لَمِنَ الظالمين) يعنى إن قلت هذا الذى تقدم ذكره .

٣٥ــ قوله عز وجل (أمْ يقولون افتَرَاه) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم، افترى افتعل من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح وقومه .

* (قل إنِ افتريتُه فعَلَيَّ إجْرامي) وفي الإجرام وجهان : (أحدهما) أنه الذنوب المكتسبة ، حكاه ابن عيسى . (الثاني) أنها الجنايات المقصودة ، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر :

طريد عشيرةٍ ورهينُ جُرْمٍ بما جرَمتْ يدي وجنى لساني (١)

ومعناه : فعليّ عقاب إجرامي .

• (وأنا بريءٌ مما تُجْرِمون) أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنا بريء منه .

٣٦– قوله عز وجل (وأُوحيَ إلى نوح أنه لن يُؤْمِنَ من قَوْمِك إلا مَنْ قد آمَنَ) حقق الله تعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم ، قال الضحاك : فدعا عليهم لما أُخبر بهذا فقال: « رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين ديّارا. إنّك إن تذرهم يُضِلّوا عبادَك ولا يَلدوا إلاّ فاجرا كَفّارا».

• (فلا تَبْتَئِس بما كانوا يَفْعلون) فيه وجهان :

أحدهما – فلا تأسف ومنه قول يزيد بن عبد المدان : (٢)

فارسُ الخَيْلِ إذا ما ولْولتْ رَبّةُ الخِدْرِ بصَوْتٍ مُبْتَئِس

الثاني – فلا تحزن ، ومنه قول الشاعر :

وكم من خليلٍ أو حميم رُزئته فلم أبتئسْ والرزءُ فيه جَليلُ

والابتئاس : الحزن في استكانة ، وأصله من البؤس ، وفي ذلك وجهان : (أحدهما) فلا تحزن لهلاكهم (الثاني) فلا تحزن لكفرهم المفضي إلى هلاكهم.

٣٧– قوله عز وجل : (واصْنَع الفُلْكَ بأعيُنِنا) فيه ثلاثة أوجه :

(أحدها) بحيث نراك ، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية .

(الثاني) بحفظنا إياك حفظ من يراك (الثالث) بأعين أوليائنا من الملائكة.

ويحتمل وجها رابعا : بمعونتنا لك على صنعها .

(ووحيِنا) فيه وجهان (أحدهما) وأمرنا لك أن تصنعها . (الثاني) وتعليمنا لك كيف تصنعها .

---

(١) البيت للهبردان السعدي أحد لصوص بني سعد (من لسان العرب)

(٢) يزيد بن عبد المدان من بنى الحارث بن كعب من اليمن وهو شاعر شريف أقبل مع خالد بن الوليد ضمن وفد قومه على رسول الله (ص) في السنة العاشرة من الهجرة . له ذكر في الاغاني وفي سيرة ابن هشام ٤/٢٤٠ وفي الاصابه الترجمة رقم ٩٢٨٨ .

• (ولا تُخاطِبْني في الذين ظَلَموا إنّهم مُغرَقُون) نهاه الله عن المراجعة فيهم فاحتمل نهيه أمرين : (أحدهما) ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه. (الثاني) ليصرف عنه مأثم الممالأة للطغاة.

٣٨– قوله عز وجل (ويَصْنَعُ الفُلْكَ) قال زيد بن أسلم : مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ، ومائة سنة يعملها ، واختلف في طولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها – ما قاله الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت مطبقة .

الثاني – ما قاله ابن عباس : كان طولها أربعمائة ذراع ، وعلوها ثلاثون ذراعا . وقال خصيف [١] : كان طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعا ، وكان في أعلاها الطير ، وفي وسطها النـاس وفي اسفلها السباع . ودفعت من عين وردة في يوم الجمعة لعشر مضين من رجب ورست بباقردى[٢] على الجودى يوم عاشوراء . قال قتادة وكان بابها في عرضها .

• (وكلّما مرَّ عليه ملأٌ مِنْ قَوْمِه سَخِروا منْهُ) وفي سخريتهم منه قولان : (أحدهما) أنهم كانوا يرونَه يَبْني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون يا نوح صرت بعد النبوة نجارا . (الثاني) أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح : ما تصنع ؟ قال : أبني بيتا يمشي على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه .

• (قال إن تسْخَروا مِنّا فإنا نَسْخَرُ منكم كما تَسْخَرون) فيه قولان (أحدهما) إنْ تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم . (الثاني) إن تسخروا من فعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غدا عند الغرق.

والمراد بالسخرية هاهنا الاستجهال ، ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم

---

(١) هذا القول ذكره ابن قتيبة وقال انه قرأه في التوراة . واقول انه لا طائل تحت هـذا الخلاف ، وقال الفخر الرازى : اعلم ان هذه المباحث لا تعجبنى لانها أمور لا حاجـة الـى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصـلا

(٢) بباقردى : هكذا بالاصل ولعل باقردى اسم مكان على جبل الجودى والله أعـلم وسيأتى مزيد بيـان .

قال ابن عباس : ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه . قال : ومياه البحار بقية الطوفان .

فإن قيل : فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية ؟ قيل : لأنه ذمٌ جعله مجازاة على السخرية فجاء به على مزاوجة الكلام ، وكان الزجاج لأجل هذا الاعتراض يتأوله على معنى إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا .

٤٠ـ قوله عز وجل : (حتى إذا جاءَ أَمْرُنا وفارَ التنُّورُ) فيه ستة أوجه :

أحدها ـ وجه الأرض ، والعرب تسمى وجه الأرض تَنُّورًا ؛ قاله ابن عباس . وقيل لنوح عليه السلام : إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك .

الثاني ـ أن التنور العين التى بالجزيرة «عين وردة» ، رواه عكرمة .

الثالث ـ أنه مسجد الكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه .

الرابع ـ أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة.

الخامس ـ أنه التنور الذى يخبز فيه ، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد .

قال الحسن : كان تنورا من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح : وقال مقاتل : فارَ من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام ، قال أمية بن أبي الصلت :

فارَ تنورُهم وجـاشَ بمـاءٍ صار فوْقَ َ الجبال حتى علاها

السادس ـ أن التنور هو تنوير الصبح ، من قولهم : نور الصبح تنويرًا ، وهو مروي عن علي رضي الله عنه .

* (قلنا احمْـِلْ فيها مِنْ كلٍّ زَوْجَيْنِ اثنَيْنِ) يعنى من الآدميين والبهائم ذكرا وأنثى .

* (وأهْلَكَ) أى احمل أهلك .

• (إلا مَنْ سَبَقَ عليه القولُ) من الله تعالى انه يهلكهم وهو ابنه كنعان وامرأته كانا كافرين ، قاله الضحاك وابن جريج .

• (ومن آمَنَ) أى احمل من آمن .

• (وما آمَنَ مَعَه إلاّ قليلٌ)واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل : (أحدها) ثمانون رجلا منهم جرهم ، قاله ابن عباس (الثاني) ثمانية ، قاله ابن جريج . (الثالث) سبعة ، قاله الأعمش ومطر ، وكان فيهم ثلاثة بنين : سام وحام ويافث ، وثلاث كنات له ونوح معهم فصاروا سبعة .

وعلى القول الثاني : كانت فيهم امرأة نوح فصاروا ثمانية .

قال محمد بن عباد بن جعفر : فأصاب حام امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاء السودان .

٤١ـ قوله عز وجل : (وقال ارْكَبوا فيها باسم اللهِ مَجْرِيها ومُرْساها إنّ ربي لغفورٌ رحيمٌ) قال قتادة : ركب نوح عليه السلام في السفينة في اليوم العاشر من رجب ، ونزل منها في اليوم العاشر من المحرم وهو يوم عاشوراء، فقال لمن معه : من كان صائما فليتم صومه ، ومن لم يكن صائما فليصمه .

وقوله « بسم الله مجريها » أى مسيرها ، «ومُرساها» أى مثبتها ، فكان إذا أراد السير قال : بسم الله مجريها . فتجرى ، وإذا أراد الوقوف قال[1] : بسم الله مُرساها . فتثبت واقفة .

٤٣ـ قوله عز وجل : (قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء) [1] قال ذلك لبقائه على كفره تكذيبا لأبيه، وقيل إن الجبل الذى أوى إليه طور زيتا .

• (قال لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله إلاّ مَن رَحِمَ) فيه وجهان: (أحدهما) إلا مَن رحم الله وهم أهل السفينة . (الثاني) إلا من رحم نوح فحمله في سفينته . وقوله « لا عاصم » يعنى لا معصوم . « من أمر الله» يعنى الغرق .

(١) القائل هو ابن نوح كنعان .

٤٤ـ قوله عز وجل : (وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ) جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع ، ومعناه ابلعى الماء الذى عليك ، فروى الحسن والحسين عليهما السلام أن بعض البقاع امتنع أن يبلع ماءه فصار ماؤه مرا وترابه سبخا.

• (ويا سماءُ أقلِعِي) أى لا تمطرى ، من قولهم أقلعَ عن الشيء إذا تركه.

• (وغِيضَ الماءُ) أى نقص حتّى ذهبت زيادته عن الأرض .

• (وقُضِيَ الأمْرُ) يعنى بهلاك من غرق من قوم نوح .

• (واستَوَتْ) يعنى السفينة .

• (على الجوديّ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدهما) أنه جبل بالموصل ، قاله الضحاك . (الثاني) أنه جبل بالجزيرة ، قاله مجاهد . قال قتادة : هو بباقردى من أرض الجزيرة . (الثالث) أن الجودى اسم لكل جبل ، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل :

سبحانه ثم سُبحاناً يعود له وقَبْلنا سَبّحَ الجوديُّ والجَمَدُ

٤٥ـ قوله عز وجل : (ونادى نوحٌ ربّه فقال رَبِّ إنّ ابنى مِن أهْلِى) وإنما قال « من أهْلى » لأن الله تعالى وعده أن يُنَجيَ أهله معه .

• (وإنّ وعْدَكَ الحقُّ) يحتمل وجهين : (أحدهما) الذى يحق فلا يخلف (الثاني) الذى يلزم كلزوم الحق .

• (وأنت أحكمُ الحاكمين) يعنى بالحق . فاحتمل هذا من نوح أحد أمرين : إما أن يكون قبل علمه بغرق ابنه فسأل الله تعالى له النجاة ، وإما أن يكون بعد علمه بغرقه فسأل الله تعالى له الرحمة.

٤٦ـ قوله عز وجل : (قال يا نوحُ إنه ليس من أهْلِكَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه وُلد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة ، قاله الحسن ومجاهد. (الثاني) أنه ابن امرأته . (الثالث) أنه كان ابنه . قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك . قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط .

وقيل أن اسمه كان كنعان ، وقيل بل كان اسمه يام .

قال الحسن : وكان منافقا ولذلك استعجل نوح أن يناديه فعلى هذا يكون في تأويل قوله تعالى « إنه ليس من أهلك» وجهان (أحدهما) ليس من أهل دينك وولايتك ، وهو قول الجمهور . (الثاني) ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، قاله سعيد بن جبير .

• (إنه عَمَلٌ غيرُ صالحٍ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن مسألتك إياى أن أنجيه عمل غير صالح ، قاله قتادة وابراهيم وهو تأويل من قرأ عملٌ غير صالح بالتنوين . (والثاني) معناه أن ابنك الذى سألتنى أن أنجيه هـــو عملٌ غيرُ صالحٍ ، أى أنه لغير رشدة[1] ، قاله الحسن . (والثالث) أنه عملُ غيرِ صالحٍ ، قالهُ ابن عباس ، وهو تأويل من لم ينوّن .

• (فلا تسألنِ ما ليس لك به علمٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) فيما نسبته إلى نفسك وليس منك . (الثاني) في دخوله في جملة من وعدتك بإنجائهم من أهلك وليس منهم .

• (إني أعِظُكَ أن تكونَ مِن الجاهلين) يحتمل وجهين (أحدهما) من الجاهلين بنسبك . (الثاني) من الجاهلين بوعدى لك.

وفي قوله « إني أعظك » تأويلان : (أحدهما) معناه إني رافعك أن تكون من الجاهلين . (الثاني) معناه أني أحذرك ومنه قوله تعالى « يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا» أى يُحذّركم .

٥٢ــ قوله عز وجل : (يُرْسِلِ السماءَ عليكم مِدْرارًا) فيه وجهان : (أحدهما) أنه المطر في إبانه ، قاله هارون التيمى . (الثاني) المطر المتتابع ، قاله ابن عباس .

ويحتمل وجهين آخرين : (أحدهما) يُدِرُّه عند الحاجة. (والثاني) يُدِرُّ به البركة ، وهو مأخوذ من درور اللبن من الضرع .

---

(١) اى انه ابن زنى وهذا على تأويل من قال أن « خانتاهما » اى زنتا ولكن الراجح ان تلك الخيانة لم تكن الزنى فامرأة نوح كانت خيانتها في قولها عن نوح أنه مجنون ، وامراة لوط كانت خيانتها انها كانت تدل قوم لوط على اضياف زوجها.وعصمة الانبياء تقتضي عـــدم تلويث كرامتهم بزنى زوجاتهم وصدق ابن عباس اذ يقول : والله ما زنت امراة نبي قط .

• (وَيَزِدْكم قُوّةً إلى قُوَّتِكم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يعني شدة إلى شدتكم ، قاله مجاهد . (الثاني) خصبا إلى خصبكم، قاله الضحاك . (الثالث) عزا إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم ، قاله علي بن عيسى . (الرابع) أنه ولد الولد ، قاله عكرمة.

ويحتمل خامسا : يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم .

٥٦– قوله عز وجل : (... إنّ ربي على صِراطٍ مُسْتقيمٍ) فيه وجهان : (أحدهما) على الحق ، قاله مجاهد . (الثاني) على تدبير محكم ، قاله على بن عيسى .

ويحتمل ثالثا : أنه على طريق الآخرة في مصيركم إليه للجزاء وفصل القضاء .

٦١– قوله عز وجل (... هو أَنْشأكُمْ مِنَ الأرضِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض ، قاله السدى. (والثاني) معناه أنشأكم في الأرض . (والثالث) أنشأكم بنبات الأرض .

• (واستعمركم فيها) فيه ثلاثة أوجه .

أحدها – معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم ،قاله مجاهد ، من قولهم أعمر فلان فلانا داره فهي له عمرى .

الثاني – أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار ، قاله علي بن عيسى .

الثالث – أطال فيها أعماركم ، قال الضحاك . كانت أعمارهم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة .

٦٢– قوله عز وجل (قالوا يا صالحُ قد كُنْتَ فينا مَرْجُوّاً قَبْلَ هذا) فيه وجهان : (أحدهما) أى مؤملا برجاء خيرك . (الثاني) أى حقيرا من الإرجاء وهو التأخير ، فيكون على الوجه الأول عتبا ، وعلى الثاني زجرا .

٦٣– قوله عز وجل : (قال يا قوم أرأيْتم إنْ كُنْتُ على بيّنةٍ مِنْ ربي) يحتمل وجهين : (أحدهما) على حق بيّن . (الثاني) على حجة ظاهرة. وقال الكلبي على دِين من ربي .

• (وآتاني مِنْه رَحْمةً) قال ابن جرير الطبرى يعني النبوة والحكمة.

• (فمن ينصُرُني مِن الله إنْ عَصَيْتُه) أى فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم .

• (فما تزيدونني غير تخسير) فيه وجهان : (أحدهما) يعني ما تزيدونني في احتجاجكم باتباع آبائكم إلا خسارا تخسرونه أنتم ، قاله مجاهد . (الثاني) فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتم إلى ما سألتم إلا خسارا لاستبدال الثواب بالعقاب .

٦٧ــ قوله عز وجل (وأخَذَ الذين ظَلَمُوا الصَّيْحةُ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن جبريل عليه السلام صاح بهم . (الثاني) أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم . (الثالث) أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان.

• (فأصْبَحوا في ديارهم جاثِمِينَ) لأن الصيحة أخذتهم ليلا فأصبحوا منها هلكى .

• (في ديارهم) فيه وجهان : (أحدهما) في منازلهم وبلادهم ، من قولهم هذه ديار بكر وديار ربيعة . (الثاني) في دار الدنيا لأنها دار لجميع الخلق.

وفي «جاثمين» وجهان : (أحدهما) مبيَّتين ، لأن الصيحة كانت بياتاً في الليل ، قاله عبد الرحمن بن زيد . (الثاني) هلكى بالجثوم .

وفي الجثوم تأويلان : (أحدهما) أنه السقوط على الوجه . (الثاني) أنه القعود على الرُّكَب .

٦٨ــ قوله عز وجل (كأن لم يَغْنَوْا فيها) فيه وجهان : (أحدهما) كأن لم يعيشوا فيها . (الثاني) كأن لم يَنعموا فيها .

• (إلا إنَّ ثمود كفروا ربَّهم) فيه وجهان : (أحدهما) كذبوا وعيد ربهم (الثاني) كفروا بأمر ربهم .

• (ألا بُعْداً لثمودَ) فقضى عليهم بعذاب الاستئصال فهلكوا جميعا إلا رجلا منهم وهو أبو رغال كان في حرم الله تعالى فمنعه الحرم من عذاب الله تعالى .

٦٩- قوله عز وجل : (ولقد جاءت رسُلُنا إبراهيمَ بالبُشْرى) ، أما إبراهيم ففيه وجهان : (أحدهما) أنه اسم أعجمى ، قاله الأكثرون .وقيل معناه أب رحيم . (الثاني) أنه عربي مشتق من البرهمة وهى إدامة النظر.

والرسل جبريل ومعه ملكان قيل إنهما ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان المرسل مع جبريل اثنى عشر[1] ملكا .

وفي البشرى التى جاءوه بها أربعة أقاويل : (أحدها) بشروه بنبوّته، قاله عكرمة . (الثاني) بإسحاق ، قاله الحسن . (الثالث) بشروه بإخراج محمد صلى الله عليه وسلم من صلبه وأنه خاتم الأنبياء . (الرابع) بشروه بهلاك قوم لوط ، قاله قتادة .

* (قالوا سلاماً قال سلامٌ) فيه وجهان : (أحدهما) تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل على أن[2] السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعا . (الثاني) سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط .

وقوله «سلام» أى الحمد لله الذى سلّمنى ، فمعنى سلام : سلمت .

وقرأ حمزة والكسائي «سِلْم» بكسر السين وإسقاط الألف .

واختلف في السلم والسلام على وجهين : (أحدهما) أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة . (الثاني) أنهما بمعنى واحد ، قال الشاعر ، وقد أنشده الفراء لبعض العرب :

وقَفْنا فقلْنا إيه سِلْمٌ فسلّمَتْ ... كما اكْتَلَّ بالبرْقِ الغمامُ اللوائحُ

* (فما لَبِثَ أنْ جاء بعِجلٍ حنيذ) ظنّ رُسُلَ ربه أضْيافاً لأنهم جاؤوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ.

---

(١) من ق وقد سقط من ك . والبيت لذى الرمة غيلان بن عقبة . يقول وقفنا بديار المحبوبة فقلنا ايه حدثى واستأنسي ، فأمرنا سلم أي سلامة وأنس ، فسلمت علينا ولمعت ثناياها وغابت بسرعة كما لمع الغمام بلمعان البرق.. ومعنى اكتل .. لمع . واللوائح : الظواهر صفة للغمام لتعدده معنى . (من حاشية الكشاف للزمخشرى)

وفي الحنيذ قولان : (أحدهما) أنه الحار ، حكاه ابان بن تغلب عن علقمة النحوى . (الثاني) هو المشوى نضيجا وهو المحنوذ مثل طبيخ ومطبوخ وفيه قولان :

أحدهما – هو الذى حُفِر له في الأرض ثم غم فيها ، قال الشاعر :

إذا ما اعتبطنا اللحم للطالب القِرى حَنَذْناه حتى عَيِّن اللحم آكله

الثاني – هو أن يوقد على الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه ، قال طرفة بن العبد :

لهم راحٌ وكافورٌ ومِسْكٌ وعِقر الوحش شائلة حنوذ

٧٠– قوله عز وجل : (فلما رأى أَيْدِيَهُم لا تَصِلُ إليه نَكِرَهُم) في نكرهم وأنكَرَهُم وجهان : (أحدهما) أن معناهما مختلف ، فنكرهم إذا لم يعرفهم وأنكرهم إذا وجدهم على منكر . (الثاني) [أنهما] بمعنى واحد ، قال الأعشى :

وأنكَرَتْنِي وما كان الذى نَكِرت من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين : (أحدهما) أنهم لم يطعموا ، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شرا ، فنكرهم إبراهيم لذلك ، قاله قتادة . (والثاني) لأنه لم تكن لهم أيدى فنكرهم ، قاله يزيد بن أبي حبيب .

وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون .

* (وأَوْجَسَ منهم خِيفةً) فيه وجهان : (أحدهما) أضمر في نفسه خوفا منهم . (والثاني) أحسّ من نفسه تخوفا منهم ، كما قال يزيد بن معاوية :

جاءَ البريد بقرطاس يُخَبُّ به فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

* (قالوا لا تَخَفْ إنا أُرْسِلْنا إلى قوم لوط) يعنى لهلاكهم .

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان : (أحدهما) ليزول خوفه منهم. (والثاني) لأن ابراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول : ويحكم أنهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه .

٧١– (وامْرأَتُه قائمةٌ فضَحِكَتْ) وفي قيامها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم ، قاله وهب . (الثاني) أنها كانت قائمة تخدمهم،قاله مجاهد . (الثالث) أنها كانت قائمة تُصَلّى ، قاله محمد بن إسحاق .

« فضحكت » فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – يعني حاضت ، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت ، والضحك الحيض في كلامهم ، قال الشاعر :

وضِحْك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللّقا[1]

والثاني – أن معنى ضحكت : تعجبت ، وقد يسمى التعجب ضحكا لحدوث الضحك عنه ، ومنه قول أبي ذؤيب :

فجاءَ بمِزْجٍ لم ير الناس مثله هو الضحك[2] إلاّ انه عَمَلُ النحْلِ

الثالث – انه الضحك المعروف في الوجه ، وهو قول الجمهور .

فإن حمل تأويله على الحيض ففى سبب حيضها وجهان : (أحدهما) أنه وافق وقت عادتّها فخافت ظهور دمها وأرادت شدادة فتحيرت مع حضور الرسل . (والقول الثاني) ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته ، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع .

ويحتمل قولا ثالثا : أن يكون الحيض بشيرا بالولادة لأن من لم تحض لا تلد .

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجبت منه أربعة أقاويل :

(١) ذكره صاحب اللسان ولم ينسبه الى قائل

(٢) فسر الضحك هنا بالعسل . انظر مادة ضحك لسان العرب

(أحدها) أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكرمة لهم وهم لا يأكلون ، قاله السدى . (الثاني) تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم غافلون ، قاله قتادة . (الثالث) أنها تعجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها ، قاله وهب بن منبه . (الرابع) أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار ، قاله عون بن أبي شداد .

وإن حمل تأويله على ضحك الوجه ففيما ضحكت منه أربعة أقاويل: (أحدها) ضحكت سرورا بالسلامة . (الثاني) سرورا بالولد (الثالث) لمارأت ما بزوجها من الروع ، قاله الكلبي . (الرابع) أنها ضحكت ظنا بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط ، قاله محمد بن قيس .

« (فَبَشَّرْناها باسحـــاقَ ومِنْ وراءِ اسحاقَ يَعْقوبَ) وفي «وراء» ها هنا قولان : (أحدهما) أن الوراء ولد الولد ، قاله ابن عباس والشعبي . (الثاني) أنه بمعنى بعد ، قاله مقاتل ، وقال النابغة الذبياني :

حلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لنَفْسِك رِيبةً وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

فعجلوا لها البشرى بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب ، فاحتمل أن أن يكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالى هو المسمى لهما ، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماهما أبوهما .

فإن قيل : فلم خصت سارة بالبشرى من دون إبراهيم ؟ قيل عن هذا ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرى . (الثاني) أنهم كافؤوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها . (الثالث) لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سرورا وأكثر فرحا .

قال ابن عباس : سمي اسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به .

٧٢ـ قوله عز وجل : (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوزٌ وهذا بَعْلي شيخا) لم تقصد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخف عـــلى أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه ، وعجبت من ولادتها وهي عجوز

وكون بعلها شيخا لخروجه عن العادة ، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر

واختلف في سنها وسن إبراهيم حينئذ ، فقال مجاهد : كان لسارة تسع وتسعون سنة ، وكان لإبراهيم مائة سنة .

وقال محمد بن إسحاق : كانت سارة بنت تسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة .

وقال قتادة : كان كل واحد منهما ابن تسعين سنة .

وقيل إنها عرّضت بقولها «وهذا بعلي شيخا» عن ترك غشيانه لها. والبعل هو الزوج في هذا الموضع ، ومنه قوله تعالى : «وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك» (١) .

والبعل : المعبود ، ومنه قوله تعالى : «أتدْعون بَعْلاً»(٢) أى إلها معبودا.
والبعل السيد ، ومنه قول لبيد :

حاسرى الديباج عن أذْرُعِهمْ عند بعل حازم الرأى بَطَلْ

فسمى الزوج بعلا لتطاوله على الزوجة كتطاول السيد على المسود .

• (إن هذا لشيءٌ عجيب) أى منكر، ومنه قوله تعالى : «وعجبوا أنْ جاءهم مُنذِرٌ منهم» أى أنكروا . ولم يكن ذلك منها تكذيبا ولكن استغرابا له.

٧٤ـ قوله عز وجل : (فلما ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوعُ) يعنى الفزع ، والرُّوع بضم الراء النفْس ، ومنه قولهم ألقى في رُوعى أى في نفْسى.

• (وجاءَتْهُ البُشْرَى) أى بإسحاق ويعقوب .

• (يُجادِلُنا في قومِ لوطٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه جادل الملائكة بقوله : «إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله» ، قاله الحسن . (الثاني) أنهم سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين؟ قالوا لا ، قال : فإن كان فيها أربعون ؟ قالوا لا ، إلى أن أنزلهم إلى عشرة، فقالوا لا ، قاله قتادة . (الثالث) أنه سألهم عن عذابهم هل هو عذاب الاستئصال

(١) البقرة ، الآية ٢٢٨
(٢) الصافات ، الآية ١٢٥

فيقع بهم لا محالة على سبيل التخويف ليؤمنوا ، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالا لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض .

< قال أبو مالك >[١] : ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه رقية وهى الكبرى وعروبة [٢] وهى الصغرى .

٧٧— قوله عز وجل : (ولما جاءَتْ رُسلُنا لوطاً سيءَ بهم وضاقَ بهم ذرْعاً) قال ابن عباس ساء ظنه بقومه وضاق ذرعا بأضيافه .

< ويحتمل وجها آخر أنه ساء ظنه برسل ربه ، وضاق ذرعا بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم > [٣].

* (وقال هذا يومٌ عصيبٌ) أى شديد لأنه خاف على الرسل من قومه أن يفضحوهم < على قول ابن عباس . وعلى الاحتمال الذى ذكرته خافهم على نفسه فوصف يومه بالعصيب وهو الشديد ، قال الشاعر >[٤] :

وإنك إلاَّ تُرضِ بَكْرَ بن وائل يَكُنْ لك يومٌ بالعراق عَصيبُ

قال أبو عبيدة : وإنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر ، قال الكلبي : كان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ .

٧٨— قوله عز وجل : (وجاءَه قومُه يُهرَعون إليه) أى يسرعون ، والإهراع بين الهرولة والجمزى . قال الكسائي والفراء : لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة [٥].

وكان سبب إسراعهم إليه أن امرأة لوط أعلمتهم بأضيافه وجَمالهم، فأسرعوا إليهم طلبا للفاحشة منهم .

* (ومِنْ قبْلُ كانوا يعملون السّيئاتِ) فيه وجهان : (أحدهما) من قبل إسراعهم إليه كانوا ينكحون الذكور ، قاله السدى . (الثاني) أنه كانت

---

(١) زيادة من ك

(٢) في أكثر كتب التفسير زعوراء

(٣) سقط من ق

(٤) سقط من ق

(٥) قال مهلهل بن ربيعه :

فجاءوا يهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الانوف

اللوطية في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة ، قاله عمر بن أبي زائدة .

* (قال يا قوم هؤلاء بناتي هُنَّ أطْهَرُ لكم) قال لهم لوط ذلك ليفتدى أضيافه منهم .

« هؤلاء بناتي » فيهن قولان :

أحدهما — أنه أراد نساء أُمته ولم يرد بنات نفسه . قال مجاهد وكل نبي أبو أمّته وهم أولاده . وقال سعيد بن جبير : كان في بعض القرآن: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم .

الثاني — أنه أراد بنات نفسه وأولاد صلبه لأن أمْره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن ، وهو معنى قول حذيفة بن اليمان .

فإن قيل كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته ؟

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة ، وكان هذا في صدر الإسلام جائزا حتى نسخ ، قاله الحسن . (الثاني) أنه يزوجهم على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح. (الثالث) أنه قال ذلك ترغيبا في الحلال وتنبيها على المباح ودفعا للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا تعريض بخطبتهن ، قاله ابن أبي نجيح [1].

« هن أطهَر لكم » أى أحل لكم بالنكاح الصحيح .

* (فاتقوا الله ولا تُخزُونِ في ضيفى) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) لا تذلوني بعار الفضيحة ، ويكون الخزى بمعنى الذل . (الثاني) لا تهلكوني بعواقب فسادكم ، ويكون الخزي بمعنى الهلاك . (الثالث) أن معنى الخزي هاهنا الاستحياء ، يقال خزي الرجل إذا استحى ، قال الشاعر :

من البيض لا تخزى إذا الريح ألصقت   بها مرطها أو زايل الحلى جيدها

(1) والارجح من هذه الاقوال كلها ان لوطا عرض بناته عرضا غير جاد اعتمادا على انهم يستحيون منه ويكفوا كما تقول لرجل يضرب آخر وانت تحجزه عنه : دعه واضربنى أنا ، وقد أورد ذلك الفخر الرازى وابو السعود والاصفهانى وغيرهم من المفسرين .

والضيف: الزائر المسترفد ، ينطلق على الواحد والجماعة ، قال الشاعر :

لا تَعدمى الدهرَ شِفار الجازرِ للضيفِ والضيفُ أحقُّ زائرِ

* (أليس منكم رجلٌ رشيد) فيه وجهان : (أحدهما) أى مؤمن ، قاله ابن عباس . (الثاني) آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر ، قاله أبو مالك .

ويعنى : رجل رشيد ليدفع عن أضيافه ، وقال ذلك تعجبا من اجتماعهم على المنكر .

٧٩ـ قوله عز وجل : (قالوا لقد علِمْتَ ما لنا في بناتِك مِن حَقٍّ) فيه وجهان : (أحدهما) ما لنا فيهن حاجة ، قاله الكلبي . (الثاني) ليس [١] لنا بأزواج ، قاله محمد بن إسحاق .

* (وإنك لتَعْلَم ما نُريدُ) فيه وجهان : (أحدهما) تعلم أننا لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة ، قاله الكلبي . (الثاني) اننا نريد الرجال .

٨٠ـ قوله عز وجل : (قال لو أنّ لى بكم قُوَّةً) يعنى أنصارا . وقال ابن عباس : أراد الولد .

* (أوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يعنى إلى عشيرة مانعة . وروى أبو سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد[٢] . يعنى الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:فما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه .

قال وهب بن منبه : لقد وجدت الرسل على لوط وقالوا : إن ركنك لشديد .

---

(١) هكذا في الاصول ولعل الصواب : لسن لنا بازواج اى ان بناتك لسن زوجات لنا فكيف تدعونا اليهن .

(٢) نص الحديث : نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » ، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى . اخرجه البخارى ومسلم وهو برقم ١٦٠٨ في مختصر صحيح مسلم .

٨١- قوله عز وجل : (قالوا يا لوط إنّا رُسُلُ ربّك لَنْ يَصِلوا إليكَ) وفي اسمه وجهان : (أحدهما) أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين . (الثاني) أنه اسم عربي مأخوذ من قولهم : لطتُ الحوض إذا ملسته بالطين . وقيل إن لوطا كان قائما على بابه يمنع قومه من أضيافه ، فلما أعلَموه أنهم رسل ربه مكّن قومه من الدخول فطمس[1] جبريل عليه السلام على أعينهم فعميت، وعلى أيديهم فجفت .

• (فأسْرِ بأهْلِك) أى فسِرْ بأهلك ليلا ، والسُّرَىٰ سير الليل ، قال عبد الله بن رواحة :

عند الصباح يحمَد القوم السُّرَى   وتنجلي عنهم غيابات الكرَى

يقال سرى وأسرى وفيهما وجهان : (أحدهما) أن معناهما في سير الليل واحد (الثاني) أن معناهما مختلف ، فأسرى إذا سار من أول الليل ، وسرى إذا سار في آخره ، ولا يقال في النهار إلا سار ، قال لبيد :

إذا المرءُ أسرى ليله ظنَّ أنه   قضى عملاً ، والمرءُ ما عاش عامِلُ

• (بِقِطْعٍ من الليل) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) معناه سواد الليل،قاله قتادة . (الثاني) أنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين ، ومنه قول الشاعر [2] :

ونائحةٍ تنـــوح بقطع ليـــل   على رَجُلٍ بقارعةِ الصّعيد

(الثالث) أنه الفجر الأول ، قاله حميد بن زياد . (الرابع) أنه قطعةمن الليل ، قاله ابن عباس .

• (ولا يَلْتفِتْ منكم أحَدٌ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) لا ينظر وراءه منكم أحد ، قاله مجاهد . (الثاني) يعني لا يتخلف منكم أحد ، قاله ابن عباس . (الثالث) يعني لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع ، حكاه علي بن عيسى .

• (إلا امرأتَك إنّه مُصيبُها ما أصابَهم) فيه وجهان (أحدهما) أن قوله « إلا امرأتك » استثناء من قوله « فأسر بأهلك بقطع من الليل إلاامرأتك »

(١) يؤيد ذلك قوله تعالى : « ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم » آية ٣٧ القمر

(٢) هو مالك بن كنانة

وهذا قول من قرأ «إلا امرأتَكَ» بالنصب . (الثاني) أنه استثناء من قوله «ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك» وهو على معنى البدل إذا قرئ بالرفع.

«إنه مصيبها ما أصابهم» فذكر قتادة أنها خرجت مع لوط من القريـــة فسمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله عليها حجرا فأهلكها.

• (إنَّ مَوْعِدَهم الصبحُ أليْسَ الصُّبحُ بقريبٍ) فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أن لوطا لما علم أنهم رسل ربه قال : فالآن إذنْ فقال له جبريل عليه السلام : «إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع .

٨٢ــ قوله عز وجل : (فلمّا جاءَ أمرُنا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه أمر الله تعالى للملائكة . (الثاني) أنه وقوع العذاب بهم . (الثالث) أنه القضاء بعذابهم .

• (جعلنا عاليَها سافلَها) قال محمد بن كعب القرظى أن الله تعالى بعث جبريل إلى مؤتفكات[1] قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سِجّيل حتى أهلكها وما حولها ، وكنَّ خمسا : صبغة ومقرة وعمرة ودوما وسدوم وهى القرية العظمى[2] .

وقال قتادة : كانوا في ثلاث قرى يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف .

• (وأمطرْنا عليها حجارةً مِنْ سِجّيل) فيه ثمانية تأويلات :

أحدها ــ أنه فارسى معرب وهو «سنْك وكيل» فالسنك : الحجر ، والكيل الطين ، قاله ابن عباس .

---

(١) المؤتفكات : هي قرى قوم لوط سميت بذلك لانها كانت ذات افك ومنكر .

(٢) اضطربت اقوال المفسرين في اسماء هذه القرى ففى تفسير القرطبى انها : سدوم وعامورا ودادوما وضعوة وقتم . وفي نسخ اخرى منه انها : سدوم وقموارا ورادما وضعوة. وذكر غيره خلاف ذلك . لكن الجميع متفقون على اسم سدوم وهي القرية الكبرى ، لكن يبعد ان يكون بها اربعة آلاف الف كما يقول بعض المفسرين .
ولعل الصواب اربعة آلاف وكلمة الف الاخيرة زيادة من القصاص .

الثاني — أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرخاء ، ذكره ابن عيسى .

الثالث — أنه الحجارة الصلبة الشديدة ، قاله أبو عبيدة وأنشد قول ابن مقبل :

ورَجْلةٍ يَضربون البيْض عن عرَضٍ ضرْبا تواصى به الأبطال سُجِّينا

إلا أن النون قلبت لاما .

الرابع — من سجيل يعني من سماء اسمها سجيل ، قاله ابن زيد .

الخامس — من سجيل من جهنم واسمها سجّين فقلبت النون لاما.

السادس — أن السجيل من السجل وهو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل: «كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجّين كتاب مرقوم» .

السابع — أنه فِعّيل من السجل وهو الإرسال، يقال أسجلته أى أرسلته، ومنه سمى الدلو سجلا لإرساله [في البئر] فكان السجيل هو المرسل عليهم.

الثامن — أنه مأخوذ من السجل الذى هو العطاء ، يقال سجلت له سجلا من العطاء ، فكأنه قال سُجلوا البلاء أى أعْطوه .

* (مَنْضود) فيه تأويلان : (أحدهما) قد نُضِّد بعضه على بعض ، قاله الربيع [بن أنس] (الثاني) مصفوف ، قاله قتادة.

٨٣- قوله عز وجل : (مُسَوَّمَةً عند ربك) والمسومة : المعلّمة ، مأخوذ من السيماء وهى العلامة ، قال الشاعر :

غُلامٌ رماه اللهُ بالحُسْنِ يافعاً له سيمياءُ لا تَشُقُّ على البصر (١)

وفي علامتها قولان : (أحدهما) أنها كانت مختمة، على كل حجر منها اسم صاحبه (الثاني) معلمة ببياض في حمرة ، على قول ابن عباس . وقال قتادة : مطوقة بسواد في حمرة .

(١) البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة حين قاسمه ماله (انظر اللسان مادة سام) ومعنى لا تشق على البصر اى يفرح به من ينظر اليـه .

• (عندَ ربك) فيه وجهان : (أحدهما) في علم ربك ، قاله ابن بحر (الثاني) في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره .

• (وما هي من الظالمين ببعيد) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه ذكر ذلك وعيدا لظالمي قريش ، قاله مجاهد . (الثاني) وعيد لظالمي العرب ، قاله عكرمة. (الثالث) وعيد لظالمي هذه الأمة ، قاله قتادة . (الرابع) وعيد لكل ظالم، قاله الربيع .

وفي الحجارة التي أمطرت قولان : (أحدهما) أنها أمطرت على المدن حين رفعها . (الثاني) أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجا عنها .

٨٤ـ قوله عز وجل : (وإلى مَدْيَنَ أخاهم شُعَيْباً قال يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيرُه) ومدين هم قوم شعيب ، وفي تسميتهم بذلك قولان: (أحدهما) لأنهم بنو مدين بن إبراهيم ، فقيل مدين والمراد بنو مدين ، كما يقال مضر والمراد بنو مضر . (الثاني) أن مدين اسم مدينتهم فنسبوا إليها ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفا .

ثم فيه وجهان : (أحدهما) أنه اسم أعجمي . (الثاني) أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان : (أحدهما) أنه من قولهم مدن بالمكان إذا أقام فيه ، والياء زائدة ، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة . (الثاني) أنه مشتق من قولهم دَيَنْتُ أي ملكت والميم زائدة ، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل .

وأما شعيب فتصغير شِعب وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الطريق في الجبل . (الثاني) أنه القبيلة العظيمة . (الثالث) أنه مأخوذ من شَعْب الإناء المكسور .

• (ولا تَنْقُصوا المكيالَ والميزانَ) كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك ، وبالوفاء نهيا عن التطفيف .

• (إني أراكم بخير) فيه تأويلان : (أحدهما) أنه رخص السعر ، قاله ابن عباس والحسن . (الثاني) أنه المال وزينة الدنيا ، قاله قتادة وابن زيد.

ويحتمل تأويلا ثالثا : أنه الخصب والكسب .

• (وإني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ مُحيط) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) غلاء السعر ، وهو مقتضى قول ابن عباس والحسن . (الثاني) عذاب الاستئصال في الدنيا . (الثالث) عذاب النار في الآخرة .

٨٦- قوله عز وجل (بَقِيّةُ اللهِ خَيْرٌ لكم إنْ كنتم مؤْمِنين) فيها ستة أقاويل: (أحدها) يعني طاعة الله تعالى خير لكم ، قاله مجاهد . (الثاني) وصية الله، قاله الربيع . (الثالث) رحمة الله ، قاله ابن زيد . (الرابع) حظكم من ربكم خير لكم ، قاله قتادة . (الخامس) رزق الله خير لكم ، قاله ابن عباس (السادس) ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم، قاله ابن جرير الطبرى .

• (وما أنا عليكم بحفيظ) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) حفيظ من عذاب الله تعالى أن ينالكم . (الثاني) حفيظ لنعم الله تعالى أن تزول عنكم. (الثالث) حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم .

٨٧- قوله عز وجل (قالوا يا شُعيبُ أصلاتُك تأمُرُكَ أن نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤنا) في «صلاتك» ثلاثة أوجه : (أحدها) قراءتك، قاله الأعمش. (الثاني) صلاتك التي تصليها لله تعبّدا . (الثالث) دينك الذى تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع ، ومنه أخذ المصلي في الخيل .

« تأمرك » فيه وجهان : (أحدهما) تدعوك إلى أمرنا . (الثاني) فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام .

• (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) ما كانوا عليه من البخس والتطفيف . (الثاني) الزكاة ، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها ، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثورى . (الثالث) قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه ، قاله زيد بن أسلم .

• (إنك لأنت الحليمُ الرشيدُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم قالوا ذلك استهزاء به ، قاله قتادة . (الثاني) معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على

وجه النفي ، قاله ابن عباس . < (الثالث) أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه الحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِمَ تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله ، قاله ابن بحر > [١] .

٨٨ـ قوله عز وجل : (قال يا قومِ أرأيْتُم إنْ كُنْتُ على بيِّنةٍ مِنْ ربي) قد ذكرنا تأويله .

• (ورَزَقَني منه رِزْقا حَسَناً) فيه تأويلان . (أحدهما) أنه المال الحلال ، قاله الضحاك . قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال . (الثاني) أنه النبوة ، ذكره ابن عيسى . وفي الكلام محذوف وتقديره : أفأعدل مع[٢] ذلك عن عبادته .

• ثم قال : (وما أريدُ أنْ أُخالِفكم إلى ما أنْهاكم عنه) أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما أمرتكم به .

• (إنْ أريدُ إلاّ الإصْلاحَ ما استطعتُ) ومعناه ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت ، لأن الاستطاعة من شرط الفعل دون الإرادة .

• (وما توفيقى إلا بالله عليه توكَلْتُ وإليه أُنيب) فيه وجهان : (أحدهما) أنّ الإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع ، قاله مجاهد . (الثاني) أن الأنابة الدعاء ، ومعناه وإليه أدعو ، قاله عبيد الله بن يعلى .

٨٩ـ قوله عز وجل : (ويا قـومِ لا يَجْرِمَنَّكُم شِقاقي) في «يجرمنكم» تأويلان : (أحدهما) معناه لا يحملنكم ، قاله الحسن وقتادة . (والثاني) معناه لا يُكسبنكم[٣] ، قاله الزجاج .

وفي قوله «شقاقي» ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ إضراري ، قاله الحسن .

الثاني ـ عداوتي ، قاله السدي ومنه قول الأخطل :

---

(١) سقط من ق ، وقد نقله القرطبي وادعاه لنفسه . وشبيه به قول يهود بني قريظة لرسول الله (ص) حين قال لهم : يا أخوة القردة ! فقالوا يا محمد ما علمناك جهولا . انظر تفسير القرطبي ٨٧/٩

(٢) مع : سقطت من ك

(٣) اى لايكسبنكم شقاقي إصابتكم بالعذاب كما أصاب من كان قبلكم

ألا من مبلغ قيسا رسولا[1] فكيف وجدتم طعمَ الشقاقِ

الثالث — فراقي ، قاله قتادة .

* (أن يُصيبكم مثلُ مَا أصاب قومَ نوحٍ) وهم أول أمة أُهلكوا بالعذاب .

(أو قومَ هودٍ أو قومَ صالحٍ وما قومُ لوطٍ منكم ببعيدٍ) فيه وجهان :

أحدهما — يعني بعد الدار لقربهم منهم ، قاله قتادة .

الثاني — بعد العهد لقرب الزمان .

— ويحتمل أن يكون مرادا به قرب الدار وقرب العهد [معا] .

وقد أُهلك قوم هود بالريح العاصف ،وقوم صالح بالرجفة والصيحة ، وقوم لوط بالرجم[2] .

٩١— قوله عز وجل : (قالوا يا شعيبُ ما نَفْقَهُ كثيراً مما تَقُول) أي ما نفهم ، ومنه سمى عِلم الدين فقها لأنه مفهوم . وفيه وجهان : (أحدهما) ما نفقه صحة ما تقول من البعث والجزاء. (الثاني) أنهم قالوا ذلك إعراضا عن سماعه واحتقاراً لكلامه .

* (وإنا لنراك فينا ضَعيفاً) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) ضعيف البصر ، قاله سفيان . (الثاني) ضعيف البدن ، حكاه ابن عيسى . (الثالث) أعمى ، قاله سعيد بن جبير وقتادة . (الرابع) قليل المعرفة وحيدا ، قاله السدى . (الخامس) ذليلا مهينا ، قاله الحسن (السادس) قليل العقل . (السابع) قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها .

* (ولولا رهطُك) فيه وجهان (أحدهما) عشيرتك ، وهو قول الجمهور . (الثاني) لولا شيعتك ، حكاه النقاش .

---

(١) رسولا هنا بمعنى رسالة

(٢) المراد امطار حجارة السجيل عليهم بعد أن جعل الله قراهم عاليها سافلها .

• (لرجَمْناكَ) فيه وجهان : (أحدهما) لقتلناك بالرجم . (الثاني) لشتمناك بالكلام[1] ، ومنه قول الجعدى :

تراجمنا بمُرِّ القول حتى نصير كأننا فَرَسَا رِهان

• (وما أنتَ علينا بعزيزٍ) فيه وجهان : (أحدهما) بكريم . (الثاني) بممتنع لولا رهطك .

٩٢ــ قوله عز وجل : (قال يا قومِ أرَهْطي أعَزُّ عليكم من اللهِ) أى تراعون رهطى فيّ ولا تراعون الله فيّ .

• (واتخذْتموه وراءَكم ظِهْرِيّاً) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ اطّرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، قاله السدى ، ومنه قول الشاعر[2] :

... ... وجَدْنا بنِى البرصاءِ من وَلَدِ الظَّهْرِ

أى ممن لا يلتفت إليهم ولا يعتد بهم .

الثاني ــ يعنى أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم ، قاله السدى ، من قولهم حملت فلانا على ظهرى إذا أظهرت عناده .

الثالث ــ يعنى أنكم جعلتم الله ظهريا إن احتجتم استعنتم به ، وإن اكتفيتم تركتموه كالذى يتخذه الجمّال من جِماله ظهريا إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنى عنها تركها ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الرابع ــ ان الله تعالى جعلهم وراء ظهورهم ظهريا ، قاله مجاهد .

• (إنّ ربي بما تعملون محيط) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) حفيظ . (الثاني) خبير .. (الثالث) مُجازٍ .

(١) ومن معانى الرجم اللعن ومنه الشيطان الرجيم أى الملعون

(٢) هو ارطاة بن سهية ، وهذا عجز البيت ،
وصدره : فمن مبلغ ابناء مرة أننا ...
انظر اللسان مادة ظهر

٩٣– قوله عز وجل : (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) فيه وجهان : (أحدهما) على ناحيتكم ، قاله ابن عباس . (الثاني) على تمكنكم ، قاله ابن عيسى (١) .

وقوله « اعملوا» يريد ما وعدوه من إهلاكه، قال ذلك ثقة بربه.

* ثم قال جوابا لهم فيه تهديد ووعيد (إني عاملٌ سوف تعلمون) فيه وجهان : (أحدهما) تعلمون الإجابة . (الثاني) عامل في أمر من يأتي بهلاككم ليطهر الأرض منكم ، وسترون حلول العذاب بكم .

* (مَن يأتيه عذابٌ يُخْزِيه) قال عكرمة : الغرق . وفي « يخزيه » وجهان : (أحدهما) يذله . (الثاني) يفضحه .

* < (ومن هو كاذبٌ) فيه مضمر محذوف تقديره : ومن هو كاذب يَخْزَىٰ بعذاب الله ، فحذفه اكتفاء بفحوى الكلام .

* (وارْتَقِبوا) أى انتظِروا العذاب .

* (إني معكم رقيب) يحتمل وجهين : (أحدهما) إني معكم شاهد . (الثاني) إني معكم كفيل .

وفيه وجه ثالث : إني منتظر ، قاله الكلبي .

٩٩– قوله عز وجل (وأُتْبِعُوا في هذه لَعْنَةً ويومَ القيامةِ) فيه وجهان :

(أحدهما) أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة. (الثاني) أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق ، وبلعنة الآخرة النار ، قاله الكلبي ومقاتل .

* (بئْسَ الرِّفْدُ المرْفودُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بئس العون المعان، قاله أبو عبيدة . (الثاني) أن الرَّفد بفتح الراء : القدح ، والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب ، حكى ذلك عن الأصمعى فكأنه ذم بذلك ما يُسقونه في النار . (الثالث) أن الرفد الزيادة ، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النارُ ، قاله الكلبي > (٢).

---

(١) اى تمكنكم من الدنيا . وقيل على مكانتكم اى على موضعكم اذ المكانة والمكان بمعنى واحد

(٢) من قوله : ومن هو كاذب الى هنا سقط من ق

١٠٠ــ قوله عز وجل : ﴿ ذلك مِن أنْباءِ القُرى نَقُصُّه عليك ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) نخبرك . (الثاني) نتبع بعضه بعضا .

• ﴿ منها قائمٌ وحصيدٌ ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) أن القائم : العامرة ، والحصيد : الخاوية، قاله ابن عباس . (الثاني) أن القائم : الآثار، والحصيد : الدارس ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قائم وحصيــــــد

١٠١ــ قوله عز وجل : ﴿ وما زادوهم غير تَتْبيب ﴾ فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن التتبيب الشر ، قاله ابن زيد (الثاني) أنه الهلكة ، قاله قتادة . قال لبيد :

فلقد بَلِيتُ وكلُّ صاحب جِدّةٍ لِبلىً يعودُ وذاكم التتبيبُ

ومنه قول جرير :

عرابة من بقية قوم لوطٍ ألا تبا لما فعــلوا تبــــابا

(الثالث) التخسير ، وهو الخسران ، قاله مجاهد وتأول قوله تعالى : « تبت يدا أبي لهب » (١) أى خسرت .

١٠٥ــ قوله عز وجل : ﴿ يومَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بإذْنِه ﴾ فيـه ثلاثة تأويلات : (أحدها) لا تشفع إلا بإذنه . (الثاني) لا تتكلم إلاّ بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح . (الثالث) أن لهم في القيامة وقتا يمنعون فيه من الكلام إلا بإذنه .

• ﴿ فمنهم شقيٌّ وسعيد﴾ فيه وجهان : (أحدهما) محروم ومرزوق ، قاله ابن بحر . (الثاني) معذب ومكرَّم ، قال لبيد :

فمنهم سعيد آخِذٌ بنصيبه ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

ثم في الشقاء والسعادة قولان : (أحدهما) أن الله تعالى جعل ذلك جزاء على عملهما فأسعد المطيع وأشقى العاصى ، قاله ابن بحر . (الثاني) أن الله

---

(١) آيـة ١ المسد

ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء . وروى عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال : لما نزلت « فمنهم شقي وسعيد » قلت يا: رسول الله فعلام نعمل؟ أعلى شيء قد فرغ منه أم على ما لم يفرغ منه ؟ فقال : بلى على شيء قد فرغ منه،يا عمر،وجرَت به الأقلام ولكن كل شيء ميسر لما خُلِق له[١].

١٠٦– قوله عز وجل : (فأما الذين شَقُوا ففى النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن الزفير الصوت الشديد . والشهيق الصوت الضعيف ، قاله ابن عباس (الثاني) أن الزفير في الحلق من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفر ، والشهيق في الصدر ، قاله الربيع بن أنس . (الثالث) أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن ، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته ، والشهيق النفس الطويل الممتد ، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل ، قاله ابن عيسى . (الرابع) أن الزفير أول نُهيق الحمار ، والشهيق آخر نُهيقه ، قال الشاعر [٢] :

حشرج في الجوف سحيلا[٣] أو شَهَقْ   حتى يقال ناهق وما نَهقْ

* (خالدين فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلاّ ما شاءَ ربُّك) فيه ثمانية تأويلات :

أحدها – خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها ، حكاه ابن عيسى .

الثاني – ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ما شاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة ، قاله بعض المتأخرين .

الثالث – ما دامت السموات والأرض ، أي مدة لبثهم في الدنيا ، قاله ابن قتيبة .

الرابع – خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم منها بعد إدخالهم إليها ، قاله قتادة ، فيكونون

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) هو العجاج ، والبيت من قصيدة له يصف فيها المفازة مطلعها :

وقاتم الاعماق خاوى المخترق   مشتبه الاعلام لماع الخفق

(٣) السحل معناه الصوت الذى يدور في صدر الحمار . وجاءت في الاصول صهيلا وقد صوبناها من ديوان العجاج .

أشقياء في النار سعداء في الجنة ، حكاه الضحّاك عن ابن عباس . وروى يزيد ابن أبي حبيب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحممة أخرجوا منها وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون .

الخامس – إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها ، قاله أبو نضرة يرويه مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

السادس – إلا ما شاء ربك من كل من دخل النار من موحد ومشرك أن يخرجه منها إذا شاء ، قاله ابن عباس .

السابع – أن الاستثناء راجع إلى قولهم «لهم فيها زفير وشهيق» إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يُسم ولم يوصف ومما قد سمّي ووصف، ثم استأنف«ما دامت السموات والأرض» ، حكاه ابن الأنباري .

الثامن – أن الاستثناء واقع على معنى لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل ولكن الذى يريده ويشاؤه ويحكم به:تخليدُهم .

وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض وجهان :

أحدهما – أنها سموات الدنيا وأرضها ، ولئن كانت فانية فهى عند العرب كالباقية على الأبد فذكر ذلك على عادتهم وعرفهم كما قال زهير :

ألا لا أرى على الحوادث باقيـا ولا خالدا إلاّ الجبـال الرواسيا

والوجه الثاني – أنها سموات الآخرة وأرضها لبقائها على الأبد .

١٠٨– قوله عز وجل : (وأمّا الذين سُعِدُوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فيها خمسة تأويلات : (أحدها) دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها : (الثاني) إلا ما شاء ربك من مدة يوم القيامة . (الثالث) إلا ما شاء ربك من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها ، قاله الضحاك . (الرابع) خالدين فيها يعنى أهل التوحيد ، إلا ما شاء ربك يعنى أهل الشرك وهو يشبه قول

أبي نضرة . (الخامس) خالدين فيها إلا ما شاء ربك أي ما شاء من عطاء غيـــر مجذوذ ، فتكون «إلاّ» هنا بمعنى الواو كقول الشاعر[1] :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخوه ... لعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقَدان

أى والفرقدان .

* (عطاءً غيرَ مجذوذٍ) فيه وجهان : (أحدهما) غير مقطوع . (الثاني) غير ممنوع .

١٠٩ـ قوله عز وجل : (...وإنا لموَفُّوهم نصيبَهم غيرَ منْقوصٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) نصيبهم من الرزق ، قاله أبو العالية . (الثاني) نصيبهم من العذاب ، قاله ابن زيد . (الثالث) ما وعدوا به من خير أو شر ، قاله ابن عباس .

١١٣ـ قوله عز وجل : (ولا تَرْكنوا إلى الّذينَ ظَلَموا) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) لا تميلوا ، قاله ابن عباس . (الثاني) لاتدنوا، قاله سفيان . (الثالث) لا ترضوا أعمالهم ، قاله أبو العالية . (الرابع) لا تُدْهنوا لهم في القول وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر . ومنه قوله تعالى : «وَدُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنون» ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

* (فتمسَّكم النارُ) يحتمل وجهين : (أحدهما) فيمسكم عذاب النار لركونكم إليهم . (الثاني) فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها ، ويكون ذكر النار على هذا الوجه استعارة وتشبيها ، وعلى الوجه الأول خبرا ووعيدا .

١١٤ـ قوله عز وجل : (وأَقم الصلاة طَرَفَيِ النهارِ) أما الطرف الأول فصلاة الصبح باتفاق ، وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه عنى صلاة الظهر والعصر ، قاله مجاهد (الثاني) صلاة العصر وحدها ، قاله الحسن . (الثالث) صلاة المغرب ، قاله ابن عباس .

---

(١) هو عمرو بن معدي كرب وقيل : حضرمي بن عامر

• (وزُلَفاً من الليل) والزلف جمع زلفة ، والزلفة المنزلة ، فكأنه قال ومنازل من الليل ، أى ساعات من الليل ، وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة ، وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهى بها ، ومنه قول العجاج في صفة بعير :

ناجٍ طواه الأيْنُ مما وَجَفَا طيَّ الليالى زُلَفاً فزُلَفا

وفي معنى «زلفا من الليل» قولان : (أحدهما) صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) صلاة المغرب والعشاء الآخرة ، قاله الضحاك والحسن ورواه مرفوعا .

• (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ) في هذه الحسنات أربعة أقاويل: (أحدها) الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس والحسن وابن مسعود والضحاك. (الثاني) هى قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، قاله مجاهد. قال عطاء:وهن الباقيات الصالحات . (الثالث) أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة . (الرابع) أن ثواب الطاعات يذهب عقاب المعاصى.

• (ذلك ذِكرَى للذاكرين) فيه وجهان : (أحدهما) توبة للتائبين ، قاله الكلبي . (الثاني) بيان للمتعظين . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : وأتبع السيئة الحسنة تمحها[1].

وسبب نزول هذه الآية ما روى الأسود عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها دون أن أمسّها وأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت فقال له عمر: لقد ستَرك الله لو ستَرت على نفسك . ولم يردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فنزلت هذه الآية : «إن الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات ذلك ذِكرى للذاكرين» فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال عمر : يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافّة ؟ فقال : بل للناس كافة .

(١) تمام الحديث : عن معاذ رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال : اتق الله حيثما كنت،وأتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلق حسن ، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

قال أبو موسى بن طمحان : إن هذا الرجل أبو اليَسَر الأنصارى . وقال ابن عباس هو عمرو بن غزية الأنصارى . وقال مقاتل : هو عامر بن قيس الأنصارى [1] .

١١٦- قوله عز وجل : (فلولا[2] كان مِن القُرونِ مِنْ قبلكم أُولو بَقِيَّةٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أولو طاعة . (الثاني) أولو تمييز . (الثالث) أولو حذر من الله تعالى .

• (يَنْهَوْنَ عن الفسادِ في الأرض إلّا قليلاً ممّن أنْجَيْنا منهم[3] واتَّبَعَ الذين ظَلَموا ما أُترِفوا فيه وكانوا مُجْرِمين) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أترفوا فيه من استدامة نعمهم استدراجا لهم[4] . (الثاني) أنهم أخذوا بظلمهم فيما أترفوا فيه من نعمهم . والمترف: المنعَّم. وقال ابن عباس : أُتْرِفوا فيه : معناه انظروا فيه .

١١٨- قوله عز وجل : (ولو شاءَ ربُّك لجَعَل الناسَ أُمّةً واحدةً) فيه وجهان : (أحدهما) على ملة الإسلام وحدها ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أهل دين واحد ، أهل ضلالة وأهل هدى ، قاله الضحاك .

١١٩- (ولا يزالون مختلفين إلا مَن رَحِم ربّك) فيه ستة أقاويل :

أحدها - مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق ، قاله مجاهد وعطاء .

الثاني - مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة ، قاله ابن عباس .

الثالث - مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة ، قاله الحسن .

---

(١) وقيل نزلت الآية في ابى مقبل التمار . ولا مانع ان يكون عدد من الرجال فعلوا ما تقدم فنزلت الآية فيهم جميعا . والحديث رواه البخارى ومسلم

(٢) لولا : بمعنى هلا لانها بغير جواب ، وقيل لولا هنا بمعنى لم النافية

(٣) الا قليلا ... : استثناء منقطع اى لكن قليلا ممن انجيناهم نهوا عن الفساد في الارض

(٤) وقال الفراء : اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم ايثارا له

الرابع – مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق .

الخامس – مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة.

السادس – أن معنى مختلفين أى يخلف بعضهم بعضا ، فيكون من يأتي خلفا للماضى لأن سوءا في كل منهم خلف بعضهم بعضا ، فاقتتلوا . ومنه قولهم : ما اختلف الجديدان ، أى جاء هذا بعد ذاك ، قاله ابن بحر.

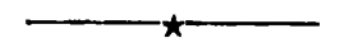
* (ولذلك خلقهم) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) للاختلاف خلقهم، قاله الحسن وعطاء. (الثاني) للرحمة خلقهم ، قاله مجاهد . (الثالث) للشقاء والسعادة خلقهم ، قاله ابن عباس . (الرابع) للجنة والنار خلقهم ، قاله منصور بن عبد الرحمن .

١٢٠– قوله عز وجل (وكُلاًّ نقُصُّ عليك مِن أنباءِ الرسُلِ ما نُثبِّتُ به فؤادَك) أى نقوّي به قلبك وتسكن إليه نفسك، لأنهم بُلُوا فصبروا، وجاهدوا فظفِروا .

* (وجاءك في هذه الحقُّ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في هذه السورة، قاله ابن عباس وأبو موسى . (الثاني) في هذه الدنيا ، قاله الحسن وقتادة. (الثالث) في هذه الأنباء ، حكاه ابن عيسى .

وفي هذا « الحق » وجهان : (أحدهما) صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة[1] . (الثاني) النبوة ، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا .

* (وموعظةٌ) يحتمل وجهين (أحدهما) القرآن الذى هو وعظ الله تعالى لخلقه . (الثاني) الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : والسعيد من وعظ بغيره[2] .



(١) خصت سورة هود بأنها الحق – مع ان القرآن كله حق – لما فيها من أخبار الانبياء والجنة والنار ، وقيل تأكيدا . وقال كعب الاحبار : فاتحة التوراة خاتمة هود ،والله أعلم

(٢) رواه مسلم في القدر ، وابن ماجه في المقدمة

سورة يوسف

مكية كلها . وقال ابن عباس وقتادة إلاّ أربع آيات منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل : (الر تلك آياتُ الكتابِ المُبين) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أنها الآيات المتقدم ذكرها في السورة التي قبلها . (الثاني) الآيات التي في هذه السورة ، ويكون معنى قوله تعالى « تلك آيات الكتاب المبين » أي هذه آيات الكتاب المبين . (الثالث) أن تلك الآيات إشارة إلى ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي ، قاله ابن بحر .

وفي قوله تعالى « الكتاب المبين » ثلاثة تأويلات : (أحدها) المبين حلاله وحرامه ، قاله مجاهد (الثاني) المبين هداه ورشده ، قاله قتادة .(الثالث) المبين للحروف التي سقطت من ألسُنِ الأعاجم وهي ستة أحرف[1] ، قاله معاذ .

٢ – قوله عز وجل : (إنّا أنزلْناه قُرآناً عَرَبيّاً) فيه وجهان : (أحدهما) إنا أنزلنا الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ، وهو قول الجمهور . (الثاني) إنا أنزلنا خبر يوسف قرآنا ، أي مجموعا عربيا أي يعرب عن المعاني بفصيح من القصص ، وهو شاذ .

* (لعلكم تعقلون) .

٣ – (نحن نَقُصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ) أي نبين لك أحسن البيان، والقاصّ الذى يأتي بالقصة على حقيقتها .

٤ – قوله عز وجل : (إذ قال يوسفُ لأبيه يا أبَتِ إني رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ) فيه قولان :

---

(١) لم يذكر المؤلف هذه الحروف ، ولعله يقصد : الضاد ، والحاء والخاء ، والعين والغين ، والقاف .

(٢) سقط من ق

أحدهما — أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم ، وعنى بأحد عشر كوكبا إخوته ، وبالشمس أباه يعقوب ، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين ، فعبر عنه بما ذكره ،قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني — أنه رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته ، والشمس أباه ، والقمر أمه ، وهو قول الأكثرين . وقال ابن جريج : الشمس أمه والقمر أبوه ، لتأنيث الشمس وتذكير القمر.

وروى السدى عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود يقال له بستانه فقال يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجب بشيء ، فنزل عليه جبريل بأسمائها ، قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وقال : أنت تؤمن إن أخبرتك بأسمائها ، فقال نعم ، فقال : جريان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس والوثّاب والعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء[1] والنور . فقال اليهودى : بلى والله إنها لأسماؤها .

* وفي إعادة قوله (رأيتهم لى ساجدين)[2] وجهان : (أحدهما) تأكيدا للأول لبعد ما بينهما ، قاله الزجاج . (الثاني) أن الأول رؤيته لهم والثاني رؤيته لسجودهم .

وفي قوله « ساجدين » وجهان : (أحدهما) أنه السجود المعهود في في الصلاة إعظاما لا عبادةً . (الثاني) أنهم رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجودا ، كقول الشاعر [3] :

ترى الأكم فيه سُجّداً للحوافر [4]

---

(١) هكذا في الاصل ولعل للكلام بقية سقطت وليس الضياء والنور اسمين للكواكب

(٢) قال ساجدين وهو جمع مذكر سالم للعقلاء ولم يقل ساجدة وذلك لان السجود لا يكون الا من العقلاء فنزل الشمس والقمر والكواكب منزلة العقلاء .

(٣) هو زيد انخيل . والذى ذكر هو عجز البيت . وصدره :
بجمع تضل البلق في حجراته

(٤) الاكم : الجبال الصغار ، جعلها سجدا للحوافر لقهر الحوافر اياها وأنها لا تمتنع عليها .

٥ - وقيل إنه كان له عند هذه الرؤيا سبع عشرة [1] سنة . قال ابن عباس: رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر ، فلما قصها على يعقوب أشفق عليه من حسد إخوته فقال : يا بني هذه رؤيا الليل فلا يعول عليها ، فلما خلا به (قال يا بُنَيَّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا [2] لك كيدا إنَّ الشيطان للإنسانِ عَدُوٌّ مبين) .

وفي تسميته بيوسف قولان : (أحدهما) أنه اسم أعجمي . (والثاني) أنه عربي مشتق من الأسف ، والأسف في اللغة الحزن .

٦ - قوله عز وجل : (وكذلك يَجْتَبيك ربُّك) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) بحسْن الخلْق والخلُق . (الثاني) بترك الانتقام [3]. (الثالث) بالنبوة، قاله الحسن .

• (ويعلّمُك مِنْ تأويل الأحاديث) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) عبارة الرؤيا ، قاله مجاهد . (الثاني) العلم والحكمة ، قاله ابن زيد . (الثالث) عواقب الأمور ، ومنه قول الشاعر :

وللأحبة أيام تذكّرُها ... وللنوى قبلَ يوم البَيْنِ تأويلُ

• (ويُتمُّ نِعْمَتَهُ عليك) فيه وجهان : (أحدهما) باختيارك للنبوة (الثاني) بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك ، قاله مقاتل .

وفيه وجه ثالث : أن أخرج إخوته إليه حتّى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه .

• (وعلى آل يعقوب) بأن جعل فيهم النبوة .

• < (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحاق) قال عكرمة: فنعمته على إبراهيم أن أنجاه من النار ، وعلى إسحاق [4] أن أنجاه من الذبح .

---

(١) وهذا ما ذكرته التوراة ، ويقول آخرون انه كان ابن اثنتى عشرة سنة وهو الأقرب للتصديق .

(٢) اي يحتالوا في هلاكك فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء .

(٣) سقط من ق

(٤) الراجح ان اسماعيل هو الذبيح بدليل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انا ابن الذبيحين » . اى اسماعيل وعبدالله .

٧ - قوله عز وجل : ﴿لقد كان في يوسُفَ وإخْوته آياتٌ للسائلين﴾ في هذه الآيات وجهان : (أحدهما) أنها عِبَرٌ للمعتبرين . (الثاني) زواجر للمتقين .

وفيها من يوسف وإخوته أربعة أقاويل : (أحدها) ما أظهره الله تعالى فيه من عواقب البغي عليه . (الثاني) صدق رؤياه وصحة تأويله . (الثالث) ضبط نفسه وقهر شهوته حتى سلم من المعصية وقام بحق الأمانة . (الرابع) الفَرَج بعد شدة الإياس . قال ابن عطاء : ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها > [1].

٨ - قوله عز وجل : ﴿إذ قالوا لَيُوسفُ وأخوه أحَبُّ إلى أبينا مِنّا﴾ وأخوه [هو] بنيامين وهما أخوان لأب وأم، وكان يعقوب قد كلِف بهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما ، فذلك سبب حسدهم لهما ، وكان شديد الحب ليوسف ، فكان الحسد له أكثر ، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد.

* ﴿ونحن عُصْبَةٌ﴾ وفي العصبة أربعة أقاويل: (أحدها) أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أنها من عشرة إلى خمسة عشر ، قاله مجاهد . (الثالث) من عشرة إلى أربعين ، قاله قتادة (الرابع) الجماعة ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

* ﴿إنّ أبانا لفى ضلال مُبين﴾ فيه ثلاثة أوجه (أحدها) لفى خطأ من رأيه ، قاله ابن زيد . (الثاني) لفى جَوْر من فعله ، قاله ابن كامل . (الثالث) لفى محبة ظاهرة ، حكاه ابن جرير .

وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة أوجه : (أحدها) لأنه فضّل الصغير على الكبير . (الثاني) [لأنه فضّل] القليل على الكثير . (الثالث) [لأنه فضّل] من لا يراعى ماله على مَن يراعيه .

واختلف فيهم هل كانوا حينئذ بالغين ؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء بعد لأنهم قالوا: «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا

---

(١) ما بين الزاويتين سقط من ق .

خاطئين » ، وهذه حالة لا تكون إلا مِن بالغ . وقال آخرون : بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا «أرسله معنا غدا نرتعْ ونلعبْ»[١] وإنما استغفروه بعد البلوغ.

٩ ــ قوله عز وجل : (اقْتُلوا يُوسُفَ أو اطْرَحوه أرْضاً) فيه وجهان : (أحدهما) اطرحوه أرضا لتأكله السباع . (الثاني) ليبعد عن أبيه.

• (يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم وتكونوا مِن بَعْده قوْماً صالحين) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاحَ الدين،قاله الحسن. (الثاني) أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة ، قاله السدى .

ويحتمل ثالثا : أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل . وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم .

١٠ــ قوله عز وجل : (قال قائلٌ منهم لا تَقْتُلوا يُوسفَ) اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته ، قاله قتادة . (الثاني) أنه شمعون ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه يهوذا ، قاله السدى .

• (وألقُوه في غيابة الجُبِّ) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى قعر الجب وأسفله . (الثاني) ظلمة الجب التى تغيّب عن الأبصار ما فيها ، قاله الكلبي. فكان رأس الجب ضيقاً وأسفله واسعا .

وفي تسميته غيابة الجب وجهان :

أحدهما ــ لأنه يغيب فيه خبره.

الثاني ــ لأنه يغيب فيه أثره ، قال ابن أحمر [٢] :

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالثٍ   إلى ذاك ما قد غيبتْنى غيابيا

وفي « الجب» قولان : (أحدهما) أنه اسم بئر في بيت المقدس،قاله قتادة . (الثاني) أنه بئر غير معينة، وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشى :

(١) نرتع ونلعب : بالنون في كل منهما ، وهذه قراءة أهل البصرة ، وقرأ أهل المدينة : نرتعِ» بالنون وكسر العين . أما قراءة عاصم المعروفة فهي : يرتع ويلعب .

(٢) هو عمرو بن أحمر الباهلي .

لئنْ كُنْتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ

وفيما يسمى من الآبار جبًّا قولان : (أحدهما) أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن. (الثاني) أنه ما لا طيّ له من الآبار، قاله الزجاج. وقال : سميت جبًّا لأنها قطعت في الأرض قطعا ولم يحدث فيها غير القطع.

• (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السيَّارةِ إنْ كنتم فاعِلينَ) معنى يلتقطه يأخذه، ومنه اللقطة لأنها الضالة المأخوذة.

وفي « السيارة » قولان : (أحدهما) أنهم المسافرون سُمّوا بذلك لأنهم يسيرون. (الثاني) أنهم مارة الطريق، قاله الضحاك.

١٢- قوله عز وجل : (أَرْسِلْه مَعَنا غَداً يَرْتَعْ ويَلْعَبْ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) نلهو ونلعب[1]، قاله الضحاك. (الثاني) نسعى وننشط، قاله قتادة. (الثالث) نتحارس فيحفظ بعضنا بعضاً ونلهو، قاله مجاهد. (الرابع) نرعى ونتصرف، قاله ابن زيد، ومنه قول الفرزدق :

راحت بمسلمةَ البغالُ مُودِّعا ... فارعَيْ فزارةُ لا هَناكِ المرْتعُ

(الخامس) نطعم ونتنعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب، قاله ابن شجرة وأنشد قول الشاعر[2] :

اكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الموت عَنّي ... وبَعْدَ عَطائك المائةَ الرِّتاعا

أي الراتعة لكثرة المرعى.

ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام اللعب لأنهم عنوا به ما كان مباحا.

١٣- قوله عز وجل : (قال إني ليَحْزُنُني أنْ تَذْهَبوا به وأخافُ أنْ يأكُلَه الذئْبُ وأنتم عنه غافلون) فيه قولان :

أحدهما - أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، وخوفه

---

(١) هذا الوجه وما بعده على قراءة البصريين « نرتع ونلعب » بنون الجمع فيهما

(٢) هو القطامي واسمه عمير بن شييم وهو ابن اخت الاخطل . من قصيدة له يمدح فيها زفر بن الحارث الكلابي . انظر شرح ابن عقيل وشرح الاشموني على الفية ابن مالك .

إنما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم ، قال ابن عباس فسماهم ذئابا .

والقول الثاني ـ ما خافهم عليه ، ولو خافهم ما أرسله معهم ، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه في الصحارى.

وقال الكلبي : بل رأى في منامه أن الذئب شدّ على يوسف فلذلك خافه عليه [١] .

١٥ـ (وأوحَيْنا إليه) فيه وجهان : (أحدهما) يعني وألهمناه ، كما قال تعالى : « وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه » . (الثاني) أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب ، قاله مجاهد وقتادة .

• (لتُنَبِّئَنَّهم بأمْرِهم هذا) فيه وجهان : (أحدهما) أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة . (الثاني) أنه أوحى إليه بالذى يصنعون به ، < فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذارا له >[٢] .

• (وهم لا يَشْعُرون) فيه وجهان : (أحدهما) لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف، قاله قتادة وابن جريج . (الثاني) لا يشعرون بوحيِ الله تعالى له بالنبوة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

١٧ـ قوله عز وجل : (قالوا يا أبانا إنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ) هو نفتعل من السباق وفيه أربعة أوجه : (أحدها) معناه ننتضل،من السباق في الرمى ، قاله الزجاج. (الثاني) أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم (الثالث) أنهم عنوا استباقهم في العمل الذى تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب . (الرابع) أى نتصيد وأنهم يستبقون على اقتناص الصيد .

• (وترَكْنا يُوسفَ عِنْد مَتاعِنا) يحتمل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشفقة عليه ، ويحتمل أن يعنوا حفظ رحالهم .

(١) من قوله عزوجل : « اني ليحزنني » الى هنا سقط من ق
(٢) سـقط من ق .

* (فأكَلَه الذئبُ) لما سمعوا أباهم يقول : وأخاف أن يأكله الذئب أخذوا ذلك من فيه وتحرّموا به لأنه كان أظهر المخاوف عليه .

* (وما أَنت بمؤْمِنٍ لنَا) أى بمصدق لنا .

* (ولو كنا صادقين) فيه وجهان :

أحدهما ـ أنه لم يكن ذلك منهم تشكيكا لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا: ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا ، قاله ابن جرير .

الثاني ـ معناه وإن كنا قَد صدقنا ، قاله ابن إسحاق .

١٨ـ قوله عز وجل : (وجاؤوا على قميصه بدمٍ كَذِبٍ) قال مجاهد : كان دم سخلة . وقال قتادة : كان دم ظَبية .

قال الحَسن : لما جاؤوا بقميص يوسف فلم ير يعقوب فيه شقا قال: يا بُنَيّ والله ما عهدت الذئب حليما أيأكل ابني ويَبقى عليه قميصه . ومعنى قوله « بدم كذب » أى مكذوب فيه ، ولكن وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذى كذب .

< وقرأ الحسن « بدم كدب» بالدال غير معجمة ، ومعناه[1] بدم متغير > ، قاله الشعبي .

وفي القميص ثلاث آيات[2] :حين جاؤوا عليه بدم كذب ، وحين قُدَّ قميصه من دُبُر ، وحين أُلقي على وجه أبيه فارتد بصيرا.

* (قال بل سَوَّلَتْ لكم أنفُسكم أَمْرا) فيه وجهان: (أحدهما) بل أمرتكم أنفسكم ، قاله ابن عباس . (الثاني) بل زيّنتْ لكم أنفسكم أمرا، قاله قتادة .

وفي ردّ يعقوب عليهم وتكذيبه لهم ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه كان ذلك بوحى من الله تعالى إليه بعد فعلهم. (الثاني) أنه كان عنده علم بذلك

---

(١) سقط من ق .

(٢) نقل القرطبى قول المؤلف في آيات القميص انظر تفسير القرطبى ١٤٩/٩ حيث يقول وهذا مردود لان القمصان مختلفة . أى انه كان في كل حالة من الحالات الثلاث قميص مختلف .

قديم أطلعه الله عليه . (الثالث) أنه قال ذلك حدسا بصائب رأيه وصدق ظنه.

• قال ترضية لنفسه (فصبرٌ جميلٌ) فاحتمل ما أمر به نفسه من الصبر وجهين : (أحدهما) الصبر على مقابلتهم على فعلهم فيكون هذا الصبر عفوا عن مؤاخذتهم (الثاني) أنه أمر نفسه بالصبر على ما ابتلى به من فقد يوسف .

وفي قوله « فصبرٌ جميل » وجهان : (أحدهما) أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر . (الثاني) أنه أمر نفسه بصبر جميل .

وفي الصبر الجميل وجهان : (أحدهما) أنه الصبر الذى لا جزع فيه قاله مجاهد . (الثاني) أنه الصبر الذى لا شكوى فيه .

روى حباب[1] بن أبي حبلة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « فصبر جميل » فقال : صبر لا شكوى فيه ، ومن بث لم يصبر .

• (والله المستعان على ما تَصِفُون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) والله المستعان على الصبر الجميل . (الثاني) والله المستعان على احتمال ما تصفون . (الثالث) يعني على ما تكذبون ، قاله قتادة .

قال محمد بن إسحاق : ابتلى الله يعقوب في كبره ، ويوسف في صغره، لينظر كيف عزمهما .

١٩– قوله عز وجل : (وجاءتْ سيارةٌ فأرْسَلوا وارِدَهُمْ) وهو الذى يرد أمامهم الماء ليستقي لهم . وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك بن ذعر بن حجر بن يكه[2] بن لخم .

• (فأدْلى دَلْوَه) أى أرسلها ليملأها ، يقال أدلاها إذا أرسل الدلو ليملأها، ودلاّها إذا أخرجها ملأى .

قال قتادة : فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو حين أرسلت . والبئر ببيت المقدس معروف مكانها .

(١) حباب بن أبى حبلة : هكذا جاء في الاصول . وفي تخريج احاديث الكشاف للحافظ ابن حجر قال اخرجه الطبري من طريق حيان بن ابي حثلة ، وهذا مرسل .

(٢) في تفسير الكشاف : مالك بن ذعر الخزاعي

• (قال يا بُشْرى هذا غلامٌ) فيه قولان: (أحدهما) أنه ناداهم بالبشرى يبشرهم بغلام ، قاله قتادة . (الثاني) أنه نادى أحدهم ،كان اسمه"بشرى" فناداه باسمه يعلمه بالغلام ، قاله السدى .

• (وأَسَرُّوه بِضاعة) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — أن إخوة يوسف كانوا بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم، قاله ابن عباس .

الثاني — أن الواردين[1] إلى الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون بضاعة لهم كيلا يشركوهم فيه لرخصه وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء ، قاله مجاهد .

<الثالث — أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتّى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم .

وحكى جويبر عن الضحاك أنه ألقى في الجب وهو ابن ست سنين ، وبقى فيه إلى [أن] أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام .

وقال الكلبي : ألقى فيه وهو ابن سبع عشرة سنة >[2] .

٢٠— قوله عز وجل : (وشَرَوْهُ بثَمَنٍ بَخْسٍ) معنى شروه أي باعوه، ومنه قول ابن مفرغ الحِمْيرى[3] :

وشَرَيْتُ بُرداً ليتَني مِن بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَةْ

واسم البيع والشراء يطلق على كل واحد من البائع والمشترى لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشترٍ لما في يد صاحبه .

---

(١) هذا هو الراجح لان الحديث من الوارد وأصحابه

(٢) سقط من ق .

(٣) اسمه يزيد بن ربيعة بن مفرغ مثل مؤذن عاش بالبصرة زمن معاوية بن ابى سفيان وكان شريرا هجاء ، وبرد اسم عبد كان له باعه ثم ندم على بيعه وبعد هذا البيت يقول :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

وفي بائعه قولان : (أحدهما) أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبدا [1] ، قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد. (الثاني) أن السيارة باعوه على ملك مصر ، قاله الحسن وقتادة .

* (بثَمَنٍ بخْسٍ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — أن البخس هاهنا الحرام ، قاله الضحاك . قال ابن عطاء : لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإنْ جَلّ بخسا . وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوةِ ساعةٍ من معاصيك .

الثاني — أنه الظلم ، قاله قتادة .

الثالث — أنه القليل ، قاله مجاهد والشعبي .

* (دراهمَ مَعْدودةٍ) اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين ، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدى.

الثاني — باثنين وعشرين درهما ، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين ،قاله مجاهد .

الثالث — بأربعين درهما ، قاله عكرمة وابن إسحاق . وكان السدى يقول : اشتروا بها خفافاً ونِعالاً .

وفي قوله تعالى « دراهمَ معدودةٍ» وجهان : (أحدهما) معدودة غير موزونة لزهدهم فيه . (الثاني) لأنها كانت أقل من أربعين درهما ، وكانوا لا يَزِنُون أقل من أربعين درهما،لأن أقل الوزن عندهم كان الأوقية،والأوقية أربعون درهما.

* (وكانوا فيه من الزاهدين) وفي المعْنيّ بهم قولان :

أحدهما — أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا .

---

(١) قيل ان يهوذا أخا يوسف رأى من بعيد ان يوسف اخرج من الجب فاخبر اخوته فجاؤوا وباعوه من الواردة . وقيل بل عادوا بعد ثلاث الى البئر يتعرفون الخبر فراوا اثر السيارة فاتبعوهم وقالوا : هذا عبدنا أبق منا فباعوه منهم .

الثاني ــ أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به.

وفي زهدهم فيه وجهان :

أحدهما ــ لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع .

الثاني ــ أنه كان عندهم عبدا فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه .

وفيه وجه ثالث ــ أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم له وعلمهم بفضله . وقال عكرمة : أُعتِق يوسف حين بيع.

٢١ــ قوله عز وجل : (وقال الذى اشتراه مِنْ مِصْرَ) وهو العزيز ملكها واسمه إظفير بن رويحب .

* (لامرأته) واسمها راعيل بنت رعاييل ، على ما ذكر ابن إسحاق.

وقال ابن عباس : اسمه قطفير وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الوليد بن الرّيان من العماليق .

قال مقاتل : وكان البائع له للملك مالك بن ذعر بعشرين دينارا وزاده حُلة ونعلين .

* (أكْرِمي مَثْواه) فيه وجهان :

أحدهما ــ أجملى منزلته .

الثاني ــ أجلى منزلته ، قال كثيّر :

أريد ثواءً عندها وأظُنُّها إذا ما أطَلْنا عندها المكْثَ ملّتِ

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطئة مبيته.

* (عسى أن ينْفَعَنا) قيل : في ثمنه إن بعناه . ويحتمل : ينفعنا في الخدمة والنيابة .

* (أو نتخذَه ولداً) إن أعتقناه وتبنيناه.

قال عبد الله بن مسعود[1] : أحسن الناس في فراسة ثلاثة : العزيز في يوسف حين قال لامرأته :«أكرمى مثواه عسى أنْ ينفعنا» وابنة شعيب في

(١) في ق عبد الرحمن بن مسعود

موسى حين قالت لأبيها «ياأبتِ استأجِرْه إنّ خيْرَ مَنِ استأجَرْتَ القويُّ الأَمينُ »، وأبو بكر حين استخلف عمر[١].

* (وكذلك مكّنّا ليوسفَ في الأَرْضِ) فيه وجهان : (أحدهما) بإخراجه من الجب . (الثاني) باستخلاف الملك له .

* (ولِنُعَلّمَه من تأويل الأحاديث) قد ذكرنا في تأويله وجهين .

* (واللهُ غالبٌ على أمْرِهِ) فيه وجهان : (أحدهما) غالب على أمر يوسف حتى يبلغ فيه ما أراده له ، قاله مقاتل . (الثاني) غالب على أمر نفسه فيما يريده ، أن يقول له كن فيكون .

٢٢- قوله عز وجل : (ولمّا بلَغ أشُدَّه) يعني منتهى شدته وقوة شبابه . وأما الأشدُّ[٢] ففيه ستة أقاويل : (أحدها) ببلوغ الحلم ، قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم . (الثاني) ثماني عشرة سنة ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) < عشرون سنة، قاله >[٣]ابن عباس والضحاك. (الرابع) خمس وعشرون سنة ، قاله عكرمة[٤] . (الخامس) ثلاثون سنة ، قاله السدى (السادس) ثلاث وثلاثون سنة ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

هذا أول الأشد، وفي آخر الأشد قولان : (أحدهما) أنه أربعون سنة، قاله الحسن . (الثاني) أنه ستون سنة ، حكاه ابن جرير الطبرى ، وقال سُحَيْم ابن وثيل الرياحى[٥] :

أخو خمسين مجتمعٌ أشُدّي ... ونَجّذني مداورةُ الشئونِ[٦]

---

(١) انكر ذلك ابن العربى وقال : انما ولى الصديق عمر بالتجربة في الاعمال والمواظبة على الصحبة وطولها . واما بنت شعيب فقد كانت معها العلامة البينة . واما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة لانه لم يكن معه علامة ظاهرة .

(٢) الاشد واحد لا جمع له

(٣) سقط من ك .

(٤) وبه قال أبو حنيفة

(٥) شاعر خنذيذ شريف مشهور الامر في الجاهلية والاسلام ، جيد الموضع في قومه ، غلبت عليه البداوة والخشونة .تنأحر (تبارى في نحر الذبائح) مع غالب بن صعصعة ابي الفرزدق بالكوفة أيام على بن ابى طالب وهو القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفونى .

(٦) رجل منجذ بالدال والذال : جرب الامور وعرفها وأحكمها . ومداورة الشئون : مداولة الامور ومعالجتها

• وفي المراد ببلوغ الأشد في يوسف قولان : (أحدهما) عشرون سنة، قاله الضحاك . (الثاني) ثلاثون سنة ، وهو قول مجاهد .

• (آتيناه حُكْماً وعِلماً) في هذا الحكم الذى آتاه خمسة أوجه :

(أحدها) العقل ، قاله مجاهد . (الثاني) الحكم على الناس . (الثالث) الحكمة في أفعاله . (الرابع) القرآن ، قاله سفيان . (الخامس) النبوة ، قاله السدى.

وفي هذا العلم الذى آتاه وجهان : (أحدهما) الفقه ، قاله مجاهد . (الثاني) النبوة ، قاله ابن أبي نجيح .

ويحتمل وجها ثالثا ــ أنه العلم بتأويل الرؤيا .

• (وكذلك نجزي المحْسِنين) فيه وجهان : (أحدهما) المطيعين. (الثاني) المهتدين ، قاله ابن عباس .

والفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه . والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل .

٢٣ــ (وراوَدَتْهُ التى هو في بيتها عن نَفْسِه) وهى راعيل امرأة العزيز إظفير [بن رويحب] . قال الضحاك : وكان اسمها زليخا .

قال محمد بن إسحاق : وكان اظفير فيما يحكى لنا رجلا لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء ، وكان يوسف عليه السلام قد أعطى من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده كما لم يكن في النساء مثل حواء حسنا . قال ابن عباس اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين .

فراودته امرأة العزيز عن نفسه استدعاء له إلى نفسها .

• (وغلّقت الأبوابَ) فيه وجهــان : (أحدهما) بتكثير الأغــلاق . (الثاني) بكثْرة الإيثاق .

• (وقالت هيْتَ لك) فيه وجهان : (أحدهما) معناه تهيأت لك، قاله عكرمة وأبو عبد الرحمن السلمى ، وهذا تأويل من قرأ بكسر الهاء وترك الهمز ، وقال الشاعر :

قد رابني أن الكرى أسكتـا   لو كان معنياً بها لهَيّتـا

(الثاني) هلم لك ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وأنشد أبو عمرو بن العـلاء :

أبلغْ أمير[1] المؤمنـين   أخـا العراق إذا أتيتـا
أن العـراق وأهلـه   عنق[2] إليك ، فهَيْتَ هَيْتا

< وهذا تأويل من قرأ هَيْتَ لك بفتح الهاء وهى أصح وأفصح ، قال طرفة ابن العبد :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما   قال داع من العشيرة:هَيْتا > [3]

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة فحكى عطية عن ابن عباس أن «هيت لك» كلمة بالقبطية معناها هلم لك، وقال مجاهد بل هى كلمة عربية هذا معناها < وقال الحسن : هى كلمة سريانية > [4] .

• (قال مَعاذَ الله إنه ربي أحْسَنَ مَثْواي) أى أعوذ بالله .

وفي « إنه ربي أحسن مثواى» وجهان : (أحدهما) إن الله ربي أحسن مثواى فلا أعصيه ، قاله الزجاج . (الثاني) أنه أراد العزيز إظفير إنه ربي أى سيدى أحسن مثواى فلا أخونه . قاله مجاهد وابن اسحاق والسدى .

٢٤ـ قوله عز وجل : (ولقد هَمّتْ به وهَمَّ بها لولا أنْ رأى بُرْهانَ ربه) أما همها به ففيه قولان : (أحدهما) أنه كان همَّ شهوة . (الثاني) أنها استلقت له وتهيأت لمواقعته .

وأما همّه بها ففيه ستة أقاويل :

أحدها ــ أنه هم بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها، قاله بعض المتأخرين .

---

(١) امير المراد على بن ابى طالب كرم الله وجهـه

(٢) في تفسـير القرطبى واللسـان سـلم اليك . والعنق : بفتح العين والنون السـير السريع ومنـه قول ابى النجم :

يا ناق سـيرى عنقـا فسـيحا   الى سـليمان فنسـتريحا

(٣) سـقط من ق

(٤) سـقط من ق

الثاني — أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى ، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال [تَعَالىٰ] : « وهَمّ بها لولا أن رأى برهانَ ربه » ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ، قاله قطرب .

الثالث — أن همها كان شهوة ، وهمه كان عفة .

الرابع — أن همه بها لم يكن عَزما وإرادة وإنما كان تمثيلا بين الفعل والترك ، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل . وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلا ، ومنه قول جميل :

همَمْتُ بهمٍّ مِن بُثينةَ لو بَدا شَفَيْتُ غليلاتِ الهوَى مِن فؤاديا

الخامس — أن همه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهرا له ، وهو معنى قول الحسن.

السادس — أنه هم بمواقعتها وعزم عليه . قال ابن عباس : وحل الهميان يعني السراويل وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة ، وهو قول جمهور المفسرين[1] .

فإن قيل : فكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل ؟

قيل:هي منه معصية ، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه :

أحدها — أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاه ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقا منها ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته .

الثاني — أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم .

الثالث — أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا [2] .

(١) ذكر ذلك القشيري ابو نصر وابن الانباري والنحاس وغيرهم كما حكاه عنهم القرطبي في تفسيره ١٦٦/٩

(٢) سقط من ق

وفي قوله تعالى « لولا أن رأى برهان ربه » ستة أقاويل :

أحدها ـ أن برهان ربه الذى رآه أن نودى بالنهى عن مواقعة الخطيئة ، قال ابن عباس : نودى يا ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع .

الثاني ـ أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول : يا يوسف أتهمُّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء ؟ فخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير .

قال مجاهد:فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكرا إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده .

الثالث ـ أن البرهان الذى رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى ، قال محمد ابن كعب القرظى : رأى كتابا على الحائط : «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » .

الرابع ـ ان البرهان الذي رآه : الملك اظفير سيده ، قاله ابن اسحاق .

الخامس ـ أن البرهان الذى رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة ، قاله ابن بحر .

السادس ـ أن البرهان الذى رآه أنه لما همّت به وهمّ بها رأى سترا فقال لها : ما وراء هذا الستّر ؟ فقالت : صنمى الذى أعبده أستره استحياء منه ، فقال: إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحى من إلهى وأتوقاه ، قاله الضحاك[1] .

* (كذلك لِنَصْرِفَ عَنْه السُّوءَ والفَحْشاءَ) فيهما وجهان :(أحدهما) أن السوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة . (الثاني) أن السوء عقوبة الملك العزيز. والفحشاء مواقعة الزنى .

* (إنه مِن عِبادنا المخْلَصين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلِصين بكسر اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى .

(١) وفي نسخة ق قول بأن البرهان الذي رآه يوسف هو اظفير الملك سيده ، قاله ابن اسحاق .

وقرأ الباقون بفتح اللام ، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته ، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصا في طاعة الله تعالى، مستخلصا لرسالة الله .

٢٥– قوله عز وجل : (واسْتَبَقَا البابَ) أى أسرعا إليه ، أما يوسف فأسرع إليه هربا ، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلبا .

• (وقَدَّتْ قَميصَه من دُبُرٍ) لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فشقت قميصه إلى ساقه ، قال ابن عباس وسقط عنه وتبعته .

• (وألْفَيا سيِّدَها لَدى البابِ) أى وجدا زوجها عند الباب . قال أبو صالح : والسيد هو الزوج بلسان القبط .

• (قالت ما جزَاءُ مَنْ أرَادَ بأهْلِكَ سُوءًا إلاّ أنْ يُسْجَنَ أوْ عذابٌ أليمٌ) هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة عن نفسها بإلقائها على يوسف ، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به ولآثرته على نفسها ، ولكنها شهوة نزعت ومحبة لم تصْفُ . وذلك أنه لما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر بالكذب عليه ، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق.

٢٦– (قال هي راوَدَتْني عن نفْسي) لأنها لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرىء نفسه بالصدق عليها ، ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها .

• (وشَهِدَ شاهدٌ مِن أهْلِها) لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد يعلم به صدق الصادق منهما من الكاذب ، فشهد شاهد من أهلها، أى حكم حاكم من أهلها لأنه حكم منه وليس شهادة .

وفيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه صبى أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك . (الثاني) أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن ، قاله مجاهد (الثالث) أنه رجل حكيم من أهلها ، قاله قتادة . قال السدى وكان ابن عمها . (الرابع) أنه عنى شهادة القميص المقدود ، قاله مجاهد أيضا .

* (إنْ كـــان قميصُه قُدَّ مِن قُبُلٍ فصَدَقَتْ وهو من الكاذبـــين) ،

٢٧– (وإن كان قميصُه قُدَّ من دُبُرٍ فكَذَبَتْ وهو من الصادقين) لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلا عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلا على طلبه . وإذا هرب من المرأة كان مدبرا عنها فيكون شق قميصه من دبره دليلا على هربه .

وهذه إحدى الآيات الثلاث في قميصه: إن كان قُدَّ من دبر فكان فيه دليل على صدقه ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب ، وحين ألقي على وجه أبيه فارتدّ بصيرا .

٢٨– (فلما رأى قميصَه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنّه مِن كيدِكُنَّ إنّ كيدَكُنَّ عظيم) علم بذلك صدق يوسف فصدّقه وقال إنه من كيدكن .

وفي الكيد هنا وجهان : (أحدهما) يعني به كذبها عليه . (الثاني) أنه أراد السوء الذى دعته إليه .

وفي قائل ذلك قولان : (أحدهما) أنه الزوج ، قاله محمد بن إسحاق. (الثاني) أنه الشاهد ، حكاه على بن عيسى .

٢٩– قوله عز وجل : (يوسفُ أعْرِضْ عن هذا) فيه وجهان : (أحدها) أعرض عن هذا الأمر ، قال قتادة على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم . (الثاني) أعرض عن هذا القول ، قاله ابن زيد على وجه التصديق له في البراءة من الذنب .

* (واستغفري لذنبك) هذا قول الملك لزوجه . [وهو القائل] ليوسف [أعرض عن هذا] وفيه قولان (أحدهما) أنه لم يكن غيورا فلذلك كان ساكتاً . (الثاني) أن الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كفى بادرته وحلم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعا عنه[1] .

* (إنكِ كُنْتِ من الخاطئينَ) يعني من المذنبين ، يقال لمن قصد الذنب

(١) وقيل ان الذى قال « يوسف اعرض من هذا واستغفرى لذنبك » هو الشاهد وليس العزيز .

خَطِئَ ، ولمن لم يقصده أخطأ ، وكذلك في الصوب والصواب ، قال الشاعر[١] :

لعمرك إنما خطئي وصوْبي[١]   عليّ وإنما أهلكتُ مالي

وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث.

٣٠- قوله تعالى (وقال نِسْوةٌ في المدينة) قال جويبر : كن أربعاً : امرأة الحاجب وامرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة القهرمان . قال مقاتل : وامرأة صاحب السجن . وفي هذه المدينة قولان : (أحدهما) مصر . (الثاني) عين شمس .

* (امرأةُ العزيز تُراوِدُ فتاها عن نَفْسِهِ) قلن ذلك ذما لها وطعنا فيها وتحقيقاً لبراءة يوسف وإنكارا لذنبه .

والعزيز اسم الملك مأخوذ من عزته ، ومنه قول أبي دُؤاد :

درة غاص عليها تاجر   جلبت عند عزيز يوم طل

* (قد شغفها حُبّاً) أى قد دخل حبه في شغاف قلبها . وفي شغاف القلب خمسة أقاويل : (أحدها) أنه حجاب القلب ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب ، قاله السدى وسفيان . (الثالث) أنه باطن القلب ، قاله الحسن .وقيل هو حبة القلب . (الرابع) أنه ما يكون في الجوف ، قاله الأصمعى . (الخامس) هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب ، قاله ابراهيم .

وقد قرىء في الشواذ عن ابن محيصن : قد شعفها حبا (بالعين غير معجمة) واختلف في الفرق بينهما على قولين : (أحدهما) أن الشغف بالغين معجمة هو الجنون[٢] وبالعين غير معجمة هو الحب ، قاله الشعبى . (والثاني) أن

---

(١) الصوب والصواب بمعنى واحد هنا .
ومن معانى انصوب الجهة . والبيت لاوس بن غلفاء وروايته في اللسان :
دعيني انما خطئي وصوبي   على وانما اهلكت مالي
وقبله : الا قالت امامة يوم غول   تقطع بابن غلفاء الحبال
(٢) في ك : الحيوان وهو خطأ .

الشغف بالإعجام الحب القاتل ، والشعف بغير إعجام دونه ، قاله ابن عباس. وقال أبو ذؤيب :

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدْته   أصابَ شِغافَ القلْبِ والقلبُ يُشْغَفُ

* (إنا لنراها في ضلال مبين) فيه وجهان : (أحدهما) في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق . (الثاني) معناه في محبة شديدة . ولما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه ، ولو خلص [حبها] من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها .

٣١- قوله عز وجل : (فلمّا سَمعتْ بمكْرهِنّ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه ذمهن لها وإنكارهن عليها . (الثاني) أنها أسرّتْ إليهن بحبها له فأشعْن ذلك عنها .

* (أرْسَلَتْ إليهن[1] وأعْتَدَتْ لهُنّ مُتّكأً) في « اعتدت » وجهان : (أحدهما) أنه من الإعداد . (الثاني) أنه من العدوان .

وفي «المتكأ» ثلاثة أقاويل: (أحدها) أنه المجلس،قاله ابن عباس والحسن. (والثاني) أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها ، قاله أبو عبيدة والسدى . (الثالث) أنه الطعام مأخوذ من قول العرب اتكأنا عند فلان أى طعِمْنا عنده، وأصله أن من دعي إلى طعام أُعد له متكأ فسمى الطعام بذلك متكأ على الاستعارة.

فعلى هذا أى الطعام هو ؟

فيه أربعة أقاويل : (أحدها) انه الزُّماوَرْد[2] ،قاله الضحاك وابن زيد. (الثاني) أنه الأترجّ[3] ، قاله ابن عباس ومجاهد و [هو] تأويل من قرأها مخففة غير مهموزة ، والمتْك في كلامهم الأترج ، قال الشاعر :

نَشْرَبُ الإثْمَ بالصُّواع جِهاراً   وترىَ المتْك[4] بيننا مُسْتعارا

---

(١) في الكلام حذف وتقديره أرسلت اليهن تدعوهن الى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه

(٢) قال الفراء : حدثنى شيخ من ثقات اهل البصرة أن المتك مخففا هو الزماورد . والزماورد الرقاق محشو باللحم وغيره وقيل هو شيء يشبه الاترج .

(٣) الاترج أو الترنج ثمر من جنس الليمون يستعمل في صنع الحلوى ويزرع شجره على شواطىء البحر الابيض المتوسط ، والعامة في سورية وفلسطين تسميه الكباد .

(٤) ورواية اللسان المشك . وقاله رجل في مجلس ابى العباس (اللسان ــ أثم)

والإثم : الخمر والمتك : الأترج . (الثالث) أنه كل ما يحز بالسكين وهو قول عكرمة لأنه في الغالب يؤكل على متكأ . (الرابع) أنه كل الطعام والشراب على عمومه ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة .

• (وآتَتْ كلَّ واحدةٍ مِنْهُنَّ سِكّيناً وقالتِ اخْرُجْ عليهن) وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة على الأكل ، وفي الباطن ليظهر من دهشتهن ما يكون شاهدا عليهن . قال الزجاج : كان [يوسف] كالعبد لها فلم تمكنه أن يخرج إلا بأمرها .

• (فلمّا رأَيْنَه اكبَرْنَهُ) وفيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) معناه أعظمنه، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيرا ، قاله ابن بحر . (الثالث) معناه حِضْنَ عند رؤيته ، وهو قول رواه عبد الصمد ابن على الهاشمى عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس[1].

وقيل : إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت ، وقد يسمى الحيض إكْباراً ، قال الشاعر :

نأتي النساءَ على أطهارهن ولا نأتي النساءَ إذا أكْبَرْنَ إكْبارا[2]

• (وقطّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) دهشا ليكون شاهداً عليهن على ما أضمرته امرأة العزيز فيهن .

وفي قطع أيديهن وجهان : (أحدهما) أنهن قطعن أيديهن حتى بانت. (الثاني) أنهن جَرَحن أيديهن حتى[3] دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها .

• (وقلْنَ حاش لله) بالألف في قراءة أبي عمرو ونافع في رواية الأصمعي وقرأ الباقون : حاش لله بإسقاط الألف ، ومعناهما واحد .

---

(١) انكر ابو عبيده وغيره هذا القول وقالوا ليس ذلك في كلام العرب .
وقال الزجاج : يقال اكبرنه ولا يقال حضنه فليس الاكبار هنا بمعنى الحيض .
وقيل اكبرنه بمعنى أمنين وأمذين من الدهش .

(٢) لم ينسبه اللسان

(٣) هذا الوجه هو الارجح والعقل يؤيده .

وفي تأويل ذلك وجهان : (أحدهما) معاذ الله ، قاله مجاهد (الثاني) معناه سبحان الله ، قاله ابن شجرة .

< وفي أصله وجهان : (أحدهما) أنه مأخوذ من قولهم كنت في حشا فلان أى في ناحيته <(١)< (والثاني) أنه مأخوذ من <(٢) قولهم حاش فلاناً أى اعزله في حشا يعني في ناحية .

• (ما هذا بَشَراً) فيه وجهان : (أحدهما) ما هذا أهلا للمباشرة . (الثاني) ما هذا من جملة البشر. وفيه وجهان : (أحدهما) لما علمن من عفته وأنه لو كان من البشر لأطاعها . (الثاني) لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع .

• (إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كريمٌ)وقرئ ما هذا بِشِرًا (بكسر الباء والشين) أى ما هذا عبدا مُشترى إن هذا إلا ملك كريم، مبالغة(٣) في تفضيله في جنس الملائكة تعظيما لشأنه .

٣٣- قوله عز وجل : (قال ربِّ السِّجْنُ أحَبُّ إليَّ مما يَدْعونني إليه) وهذا يدل على أنها دعته إلى نفسها ثانية بعد ظهور حالهما ، فقال رب السجن أحب إلىّ يعني الحبس في السجن أحب إلىّ مما يدعونني إليه .

ويحتمل وجهين : (أحدهما) أنه أراد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع إما تعظيما لشأنها في الخطاب وإما ليعدل عن التصريح الى التعريض . (الثاني) أنه أراد بذلك جماعة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدنه لاستحسانهن له واستمالتهن لقلبه.(٤)

• (وإلاّ تَصْرِفْ عني كيْدَهُنَّ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ما دعى إليه من الفاحشة إذا أضيف ذلك إلى امرأة العزيز . (الثاني) استمالة قلبه إذا أضيف ذلك إلى النسوة .

• (أَصْبُ إليهنّ) فيه وجهان : (أحدهما) أتابعهن ، قاله قتادة .

---

(١) سقط من ق

(٢) سقط من ك

(٣) من هنا الى بيت الشعر : وهند مثلها يصبى سقط من ق

(٤) قيل ان كل واحدة من النسوة خلت بيوسف ودعته الى نفسها

(الثاني) أملْ إليهن ، ومنه قول الشاعر :

إلى هنـــدٍ صبا قلبي وهنــدٌ مثلُها يُصْبِي[١] >

٣٥– قوله تعالى : (ثم بَدا لهم مِنْ بَعْدِ ما رأَوُا الآيات) في الآيات التي رأوها وجهان : (أحدهما) قد القميص وحز الأيدى < (الثاني) ما ظهر لهم من عفته وجماله حتى قلْن « ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كريم >[٢] »

• (ليَسْجُنُنَّهُ حتى حِينٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الحين هاهنا ستة أشهر ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أنه سبع سنين ، قاله عكرمة. (الثالث) أنه زمان غير محدود ، قاله كثير من المفسرين[٣].

وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقه ما حكى السدى أن المرأة قالت لزوجها إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال أني راودته عن نفسه ، فإما أن تطلقني حتى أعتذر وإما أن تحبسه مثل ما حبستني[٤] ، فحبسه.

٣٦– قوله عز وجل : (ودخَلَ معه السِّجْنَ فَتَيانِ[٥]) قال ابن عباس : كان أحدهما خازن الملك على طعامه ، وكان الآخر ساقي الملك على شرابه، وكان الملك وهو الملك الأكبر الوليد بن الرّيان قد اتهمهما بسمّه فحبسهما، فحكى مجاهد أنهما قالا ليوسف لما حُبسا معه : والله لقد أحببناك حين رأيناك ، فقال يوسف : أنشدكما بالله إن أحببتماني فما أحبّني أحد إلا دخل عليّ من حبه بلاء ، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء ، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء ، ثم أحبتني زوجة صاحبي العزيز فدخل عليّ من حبها بلاء ، لا أريد أن يحبني إلا ربي .

---

(١) البيت لزيد بن ضبة

(٢) سـقط من ق

(٣) وهو الراجح اذ ليس في كلام العرب ما يحدد الحين بزمان معـين .

(٤) قيل الجاها الخجل من الناس والوجل من اليأس الى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي اذا منعت من نظره
قال الشـاعر :
وما صبابة مشتاق على أمـل من اللقـاء كمشتاق بلا أمل

(٥) ذكر الثعلبى عن كعب ان اسم السـاقى منحا ، واسم الخباز مجلث . وقال النقاش : أحدهما شرهم والاخر سرهم الاول بالاعجام والثانى بالاهمال

وقال «فتيان» لأنهما كانا عبدين ، والعبد يسمى فتى صغيرا كان أم كبيرا .

• (قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري أنهما سألاه عن علمه فقال : إني أعبر الرؤيا ، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنها كانت رؤيا صدق رأياها[1] وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق وكذلك صدق تأويلها . روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» .

الثاني — أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة ، فلما أجابهما قالا إنما كنا نلعب ، فقال : «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان» وهذا معنى قول ابن مسعود والسدي .

الثالث — أن المصلوب منهما كان كاذبا ، والآخر صادقاً ، قاله أبو مجلز .

وقوله «إني أراني أعصر خمراً» أي عنبا . وفي تسميته خمرا وجهان : (أحدهما) لأن عصيره يصير خمرا فعبر عنه بما يؤول إليه . (الثاني) أن أهل عُمان يسمون العنب خمرا ، قاله الضحاك . وقرأ ابن مسعود : إني أراني أعصر عنبا .

• (نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) فيه ستة أقاويل : (أحدها) أنهم وصفوه بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك . (الثاني)[2] معناه لأنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر (الثالث) إنا نراك ممن أحسن العلم ،حكاه ابن جرير الطبري (الرابع) [2] أنه كان لا يرد عذر معتذر . (الخامس) أنه

(١) في ك رآها وهو تحريف
(٢) سقط من ق

كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه . (السادس)[١] إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه ، قاله ابن إسحاق .

٣٧ـ قوله عز وجل : (قال لا يأتيكُما طعامٌ تُرْزَقانِه إلاّ نبّأتكما بتأويله قَبْلَ أنْ يأتِيَكُما) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة ، قاله السدى .

الثاني ـ لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى [٢]، قاله الحسن .

الثالث ـ أن الملِك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاما معروفا وأرسل به إليه ، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه ، فلما ألحّ عليه عبرها ، قاله ابن جريج . وكذلك روى ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رأى رؤيا فلا يقصها إلا على حبيب أو لبيب[٣] .

• < (ذلكما مما علّمني ربي) يعني تأويل الرؤيا >[٤] .

• (إني تركْتُ مِلّةَ قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) وإنما عدل عن تأويل ما سألاه عنه لما كان فيها من الكرامة ، واخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون تنبيها لهم على نبوته وحثا لهم على طاعة الله.

٣٨ـ قوله عز وجل (ذلك مِن فَضْلِ اللهِ علينا وعلى الناسِ) قال ابن عباس من فضل الله علينا أن جعلنا أنبيَاء ، وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلا.

ويحتمل وجها [آخر]: ذلك من فضل الله علينا في أن برأنا من الزني، وعلى الناس في أن خلصهم من مأثم القذف .

---

(١) سقط من ق

(٢) قيل ان يوسف عليه السلام دعاهما الى الاسلام وجعل المعجزة التى يستدلان بها اخبارهما بالغيوب يؤيد ذلك قوله بعد ذلك : « ياصاحبي السجن ارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » .

(٣) رواه الترمذى وابو داود ببعض اختلاف في اللفظ . انظر جامع الاصول ٢/٥٢٢

(٤) سقط من ك

٤٠– قوله عز وجل : (.. ذلك الدينُ القيّمُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ذلك الدين المستقيم ، قاله السدى . (الثاني) الحساب البيّن ، قاله مقاتل بن حيان (الثالث) يعنى القضاء الحق ، قاله ابن عباس .

٤١– قوله عز وجل : (يا صاحبَيِ السِّجْنِ أمّا أحدُكما فيَسْقِي رَبَّه خَمْرًا) وهو الذى قال إني أراني أعصر خمرا ، بشره بالنجاة وعوده إلى سَقْي سيده خمرا لأنه كان ساقيه .

• (وأما الآخَرُ فيُصْلَبُ فتأكُلُ الطيرُ مِنْ رأسِه) وهو الذى قال « إني أراني أحمل فوق رأسي خُبزاً تأكُلُ الطّيرُ منه » فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك ، قال ابن جرير وكان اسمه مجلثاً ، واسم الساقي نبواً . فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال : إنما كنا نلعب .

• قال (قُضِيَ الأمْرُ الذى فيه تَسْتَفْتيانِ) < وفيه وجهان (أحدهما) قضي السؤال والجواب. (الثاني) سيقضى تأويله ويقع .

فإن قيل فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو عنده ظن من طريق الاجتهاد الذى لا يقطع فيه ؟

ففيه وجهان : (أحدهما) يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالى. (الثاني) لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه ، بخلاف من ليس بنبي > [١].

٤٢– قوله عز وجل : (وقال للذي ظَنَّ أنّه ناجٍ منهما اذْكُرْني عند ربِّك) فيه قولان : (أحدهما) يعنى للذى علم أنه ناجٍ ، فعبر عن العلم بالظن ، قاله ابن شجرة . (الثاني) أنه ظن ذلك من غير يقين .

وفي ظنه وجهان :

أحدهما – لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به ، قاله قتادة .

(الثاني) أنه لم يتيقن صدقهما في الرؤيا فكان الظن في الجواب لشكه في صدقهما.

---

(١) سقط من ق

« اذكُرني عند ربك » أي عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلا للخلاص إن ذكره عنده .

* (فأنْساه الشّيْطانُ ذِكْرَ ربِّه) فيه قولان : (أحدهما) أن الذى نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملكُ الرؤْيا ، قاله محمد ابن إسحاق . (الثاني) أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه .

روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله يوسف لولا الكلمة التى قال : اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث .

* (فلَبِثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قال ابن عباس : عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما قال للذى نجا منهما اذكرني عند ربك، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه .

وفي "البِضع" أربعة أقاويل : (أحدها) من ثلاث إلى سبع ، وهذا قول أبي بكر الصديق وقطرب . (الثاني) من ثلاث إلى تسع ، قاله مجاهد والأصمعي. (الثالث) من ثلاث إلى عشر ، قاله ابن عباس. (الرابع) ما بين الثلاث إلى الخمس ، حكاه الزجاج .

قال الفراء : والبِضْع لا يذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المائة.

وفي المدة التى لبث فيها يوسف مسجونا ثلاثة أقاويل (أحدها) سبع سنين ، قاله ابن جريج وقتادة . (الثاني) أنه لبث اثنتي عشرة سنة ، قاله ابن عباس . (الثالث) لبث أربع عشرة سنة ، قاله الضحاك ، وإنما البضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله .

وقال وهب : حبس يوسف سبع سنين ، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين .

قال الكلبي : حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها «اذكرني عند ربك» .

٤٣– قوله عز وجل : (وقال الملكُ إنّي أرَى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ...) الآية وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين : (أحدهما) أنها كانت سببا لخلاص يوسف من سجنه . (الثاني) أنها كانت نذيرا بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عُدّته .

• (يأيها المَلأُ أفتُوني في رؤْياي) وذلك أن الملك لما لم يعلمْ تأويل رؤياه نادى بها في قومه ليسمع بها من يكون عنده عِلْمٌ بتأويلها فيعبرها له .

٤٤– قوله عز وجل : (قالوا أضْغاثُ أحْلام) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يعني أخلاط أحلام ، < قاله معمر وقتادة . (الثاني) ألوان أحلام ، قاله الحسن . (الثالث) أهاويل أحلام >[1] قاله مجاهد . (الرابع) أكاذيب أحلام ، قاله الضحاك .

وفيه خامس : شبهة أحلام ، قاله ابن عباس .

قال أبو عبيدة : الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا ، ومنه قول الشاعر :
كضِغْثِ حُلْمٍ غُرَّ مِنْه حالمُه[2] .

< وروى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤْمن تكْذِب .[3]

وفي تقارب الزمان وجهان (أحدهما) أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا. (الثاني) أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده >[4] .

والأضغاث جمع واحده ضغث والضغث الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلى بعض وقيل هو ما ملء الكف ، ومنه قوله تعالى : «خذ بيدك ضِغثا».

(١) سقط من ك .
(٢) لم اعثر على البيت بتمامه
(٣) رواه الستة الا النسائي وابو داود ، كما رواه الدارمي
(٤) سقط من ق

وقال ابن مقبل :

خَوْدٌ كأنَّ فِراشها وضَعَتْ به أضغاثَ رِيْحان غَداةَ شمال[١]

والأحلام جمع حُلم ، والحُلم الرؤيا في النوم ، وأصله الأناة ، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرى في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون.

* (وما نحن بتأويلِ الأحلام بعالِمينَ) فدل ذلك على أنه ليس التأويل الأول مما تؤول به الرؤيا هو الحق المحكوم به لأن يوسف عرفهم تأويلها بالحق ، وإنما قال يوسف للغلامين «قُضِي الأمر الذى فيه تستفتيان» لأنه منه نذير نبوة. ويجوز أن يكون الله تعالى صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفا بيوسف ليتذكر الذى نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة إليه فتكون سببا لخلاصه.

٤٥ـ قوله عز وجل : (وقال الذى نَجَا منهما وادّكَرَ بَعْدَ أُمّةٍ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني بعد حين ، قاله ابن عباس . (الثاني) بعد نسيان ، قاله عكرمة . (الثالث) بعد أمة من الناس ، قاله الحسن .

قال الحسن : ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة وجمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

وقرىء «وادّكَر بعد أَمَهٍ» بفتح الألف وتخفيف الميم ، والأَمَهُ: بالتخفيف النسيان[٢] .

* (أنا أُنبِّئُكم بتأويله فأرْسِلونِ) أى أخبركم بمن عنده علم بتأويله ثم لم يذكره لهم .

قال ابن عباس : لم يكن السجن بالمدينة فانطلق إلى يوسف حين أُذن له وذلك بعد أربع سنين بعد فراقه.

٤٦ـ قوله عز وجل : (يوسفُ أيها الصِّدِّيقُ[٣] أفْتِنا) احتمل تسميته

(١) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق وقيل الجارية الناعمة ، والجمع خود وخودات ولا فعل له

(٢) يقال أمه يأمه أمها اذا نسي ، وقيل المأموه ذاهب العقل

(٣) أي فأرسلوه فجاء الى يوسف فقال أيها الصديق أفتنا . وهذا من بلاغة القرآن .

بالصديق وجهين : (أحدهما) لصدقه في تأويل رؤياهما . (الثاني) لعلمه بنبوته .

< والفرق بين الصادق والصدّيق أن الصادق في قوله بلسانه، والصدّيق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كل صدّيق صادقا وليس كل صادق صدّيقا > (١) .

* (أفتِنا في سَبْعِ بقراتٍ سِمانٍ) قال قتادة : هى السنون المخصبات .

* (يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) قال قتادة : هى السنون المجدبات .

* (وسَبْعِ سُنْبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابساتٍ) والخضر الخصب لأن الأرض بنباتها خضراء . واليابسات هى الجدب لأنّ الأرض فيه يابسة ، كما أن ماشية الخصب سمان ، وماشية الجدب عجاف .

* (لَعلّي أَرْجِعُ إلى الناسِ) أى لكى أرجع إلى الناس وهو الملك وقومه، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيما له .

* (لعلّهم يَعْلَمون) لأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا، فلذلك قال « لعلهم يعلمون» يعنى تأويلها . ولم يكن ذلك منه شكا في علم يوسف. لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه ، ولكن تخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبةً ، وإما ألاّ يصدّقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان .

٤٧ـ قوله عز وجل : (قال تزْرَعون سبْعَ سِنينَ دَأَباً) فيه وجهان :

(أحدهما) يعنى تباعا متوالية . (والثاني) يعنى العادة المألوفة في الزراعة .

* (فما حصدتم فذَرُوه في سُنْبُلِه إلاّ قليلاً مما تأكلون) يعنى فيخرج من سنبله ، لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل ، وهذا القول منه أمْر ، والأول خبر ، ويجوز لكونه نبيا أن يأمر بالمصالح . ويجوز أن يكون القول الأول أيضاً أمْرا وإن كان الأظهر منه أنه خبر .

---

(١) سقط من ق .

٤٨ـ قوله عز وجل (ثم يأتي مِن بَعْدِ ذلك سَبْعٌ شِدادٌ) يعني المجدبات لشدتها على أهلها .

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه أن يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه ويدع نصفه ، حتى إذا كان يوما قربه له فأكله كله، فقال يوسف : هذا أول يوم من السبع الشداد .

* (يأكلْنَ ما قَدَّمْتم لهنّ) يعني تأكلون فيهن ما ادخرتموه لهنّ.

* (إلاّ قليلاً مما تُحْصِنون) < فيه وجهان : (أحدهما) ممـا تدخرون ، قاله قتادة > (الثاني) مما تخزنون في الحصون .

< ويحتمل وجها ثالثا: إلا قليلا مما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات >[1] .

٤٩ـ قوله عز وجل : (ثم يأتي من بَعْدِ ذلك عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ) فيه وجهان : (أحدهما) يغاثون بنزول الغيث ، قاله ابن عباس . (والثاني) يغاثون بالخصب ، حكاه ابن عيسى .

* (وفيه يَعْصِرون) فيه خمسة تأويلات :

أحدها ــ يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار ، قاله مجاهد وقتادة .

الثاني ــ أى فيه يحلبون المواشى من خصب المراعى ، قاله ابن عباس.

الثالث ــ يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر ، من قوله تعالى : «وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجا[2]» ، قاله عيسى بن عمر الثقفى.

الرابع ــ تنجون ، مأخوذ من العُصْرة وهى المنجاة ، قاله أبو عبيدة والزجاج ، ومنه قول الشاعر[3] :

صاديا يستغيث غيرَ مُغاثٍ ولقد كان عُصْرَةَ المنجود[4]

(١) سقط من ق
(٢) آية ١٤ النبا
(٣) هو ابو زبيد قال ذلك في رثاء ابن اخته وقد كان مات عطشا في طريق مكة
(٤) المنجود : الفزع

الخامس ـ تحسنون وتفضلون ، ومنه قول الشاعر[١] :

لو كان في أملاكنا ملك يعصر فينا مثل ما تَعْصِر

أى يحسن . وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته .

٥٠ـ قوله عز وجل : (وقال الملك ائتوني به) يعني يوسف عليه السلام .

* (فلمّا جاءه الرسولُ قال ارْجعْ إلى ربِّك) يعني الملك .

(فاسْألْه ما بالُ النسوةِ اللاتي قطّعنَ أيْديَهن) وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباولا خائنا .

فروى أبو الزناد[٢] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله يوسف إنه كان ذا أناة لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إليّ لخرجت سريعاً[٣] .

وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه: (أحدها) أن في سؤاله عنها ظِنّةً ربما صار بها متهما . (والثاني) صيانة لها لأنها زوج الملك فلم يتبذلها بالذكر . (الثالث) أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها .

* (إنّ ربي بكيْدِهِنّ عليمٌ) فيه وجهان : (أحدهما) معناه إن الله بكيدهن عليم . (الثاني) أن سيدى الذى هو العزيز بكيدهن عليم .

٥١ـ قوله عز وجل : (قال ما خَطْبُكُنّ إذ راودْتُنّ يوسفَ عن نَفْسِه) فهذا سؤال الملك قد تضمن تنزيه يوسف لما تخيله من صدقه لطفا من الله تعالى به حتى لا تسرع واحدة منهن إلى الكذب عليه .

---

(١) هو طرفة بن العبد . وفي اللسان : واحد بدلا من ملك

(٢) في ق عن الاعرج عن أبي هريرة . وهكذا اسنده السيوطي

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبرى وابن مردويه ببعض اختلاف بينهم
وقد يقال : كيف مدح النبى (ص) يوسف بالصبر والاناة وترك المبادرة الى الخروج ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره ؟ والجواب : لو كنت أنا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك لان هذه النوازل معرضة لان يقتدي الناس بها فأراد الرسول ان يعلمنا الاخذ بالاحزم .

< وفي قــوله « راودتن » وإن كانت المراودة من إحداهن وجهان : (أحدهما) أن المراودة كانت من امرأة العزيز وحدها فجمعهن في الخطاب وإن توجه إليها دونهن احتشاما لها . (الثاني) أن المراودة [(١) كانت من كل واحدة منهن] > (٢) .

* (قُلْنَ حاشَ لله ما عَلِمْنا عليه مِن سُوءٍ) فشهدْن له بالبراءة من السوء على عِلْمهن لأنها شهادة على نفى ، ولو كانت شهادتهن على إثبات لشهدن قطعا ، وهكذا حكم الله تعالى في الشهادات أن تكون على العلم في النفى ، وعلى القطع في الإثبات .

٥١ــ (قالتِ امرأةُ العزيزِ الآن حَصْحَصَ الحقُّ) معناه الآن تبيّنَ الحقُّ ووضح ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

وأصله مأخوذ من قولهم حَصَّ شعره إذا أستأصل قطعه فظهرت مواضعه ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها . فمعنى حصحص الحق أى انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه . وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل قوله : كبّوا وكبكبوا ، قاله الزجاج . وقال الشاعر :

ألا مُبْلِغٌ عنى خِداشاً فإنَه كَذوبٌ إذا ما حَصْحَصَ الحقُّ ظالمُ

* (أنا راودْتُه عن نفسِه ، وإنّه لَمِنَ الصادقينَ) وهذا القول منها ــ وإن لم تسأل عنه ــ إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه ، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفسا ظن ولا يخالجها شك (٣) .

٥٢ــ قوله عز وجل : (ذلك ليعْلَمَ أني لم أَخُنْه بالغَيْبِ) فيه ثلاثة(٤) أوجه :

أحدها ــ أنه قول امرأة العزيز عطفا على ما تقدم ، ذلك ليعلم يوسف إني لم أخنه بالغيب ، يعنى الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدى كيد الخائنين ، حكاه ابن عيسى .

(١) الكلام مقطوع بالاصول وقد اخذنا هذه العبارة من فحوى كلام المؤلف سابقا عن المراودة ومن كتب التفسير .

(٢) سقط من ق

(٣) نقل القرطبى هذه الفقرة حرفيا انظر تفسير ٢٠٨/٩

(٤) ذكر وجهين فقط وعلى ذلك سارت نسخة ق أيضا

والثاني ـ أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه ، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى .

• (وأَنَّ اللهَ لا يَهْدي كَيْدَ الخائنينَ) معناه وان الله لا يهدى الخائنين بكيدهم .

٥٣ــ قوله عز وجل : (وما أُبَرِّئُ نَفْسِي) < فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أنه قول العزيز أى وما أبرئُ نفسى من سوء الظن بيوسف.

• (إنَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسوء) يحتمل وجهين : (أحدهما) الأمارة بسوء الظن . (الثاني) بالاتّهام عند الارتياب .

• (إلاّ ما رحمَ ربي) يحتمل وجهين : (أحدهما) إلاّ ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن . (الثاني) أن يثنيه حتّى لا يعمل . فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز > [1] .

الوجه الثاني ــ أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسى إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها .

« إلا ما رحم ربي » يحتمل وجهين :

أحدهما ــ إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه.

الثاني ــ إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه ، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز[2] .

الوجه الثالث ــ أنه من قول يوسف ، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل :

---

(١) سقط من ق

(٢) قال ابو بكر الابيارى : من الناس من يقول : « ذلك ليعلم انى لم آخنه بالغيب » الى قوله : « ان ربي غفور رحيم » من كلام امرأة العزيز لانه متصل بقولها « أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف ، فمن بني على قولهم قال : من قوله « قالت امرأة العزيز » الى قوله : « أن ربي غفور رحيم » كلام متصل بعضه ببعض ، ونحن نختار هذا القول . انتهى

أحدها — أن يوسف لما قال « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » قالت امرأة العزيز : ولا حين حللت السراويل ؟ فقال وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ، قاله السدى .

الثاني — أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال : ولا حين هَمَمْتَ؟ فقال : « وما أبرِّئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء»، قاله ابن عباس .

الثالث — أن الملك الذى مع يوسف قال له : اذكر ما هممت به ، فقال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء» ، قاله قتادة.

الرابع — أن يوسف لما قال : «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال «وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء»، قاله الحسن .

< ويحتمل قوله « لأمارة بالسوء» وجهين : (أحدهما) يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء . (الثاني) أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزما أفضت إلى السوء > [1].

٥٤— قوله عز وجل : (وقال الملكُ ائتوني به أستخلصْهُ لنفسي) وهذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاص خدمته .

• (فلمّا كلّمهُ قال إنّك اليومَ لدينا مكينٌ أمين) لأنه استدل بكلامه على عقله ، وبعصمته على أمانته فقال : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وهذه منزلة العاقل العفيف .

وفي قوله « مكين » وجهان : (أحدهما) وجيه ، قاله مقاتل . (الثاني) متمكن في المنزلة الرفيعة .

وفي قوله « أمين» ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه بمعنى آمن لا تخاف العواقب

(١) سقط من ق

قاله ابن شجرة . (الثاني) أنه بمعنى مأمون ثقة ، قاله ابن عيسى ، (الثالث)[١] حافظ ، قاله مقاتل .

٥٥- قوله عز وجل : (قال اجْعَلْني على خزَائنِ الأَرْضِ) أى على خزائن أرضك ، وفيها قولان :

أحدهما -< هو قول بعض[٢] المتعمقة أن الخزائن هاهنا الرجال ، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها .

الثاني - وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال ، وفيها قولان: (أحدهما) > أنـه سأله جميع الخزائن ، قاله ابن زيد . (الثاني) أنه سأله خزائن الطعام ، قاله شيبة بن نعامة الضبي .

وفي هذا دليل على جواز أن يخطب الإنسان عملا يكون له أهلا وهو بحقوقه وشروطه قائم .

فيما حكى ابن سيرين عن أبي هريرة قال : نزعني عمر بن الخطاب عن عمل البحرين ثم دعاني إليها فأبيْتُ ، فقال : لِمَ ؟ وقد سأل يوسف العمل !

فإن كان المولي ظالما فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين :

أحدهما - جوازها إن عمل بالحق فيما تقلده ، لأن يوسف عليه السلام ولى من قبل فرعون ، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره .

الثاني - لا يجوز ذلك له لما فيه من تولى الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم .

وأجاب من ذهب إلى هذا القول عن ولايته من قبل فرعون بجوابين : (أحدهما) أن فرعون يوسف كان صالحا ، وانما الطاغى فرعـون مـوسى . (الثاني) أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه .

---
(١) سـقط من ق
(٢) سـقط من ق

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام :

أحدها — ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليه من جهة الظالمين لأن النص على مستحقيه قد أغنى عن الاجتهاد فيه ، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التقليد .

والقسم الثاني — ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الاجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز توليه من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حق ويجتهد فيما لا يستحق .

والقسم الثالث — ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام ، فعقد التقليد فيه محلول ، فإن كان النظر تنفيذا لحكْم بين متراضيين أو توسطا بين مجبورين جاز ، وإن كان إلزام إجبار لم يجز[1] .

* (إني حفيظٌ عليمٌ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) حفيظ لما استودَعْتني عليم بما وليتني ، قاله ابن زيد . (الثاني) حفيظ بالكتاب ، عليم بالحساب ، حكاه ابن سراقة ، وأنه أول من كتب في القراطيس[2] . (الثالث) حفيظ بالحساب ، عليم بالألسن ، قاله الأشجع عن سفيان . (الرابع) حفيظ لما وليتني ، قاله قتادة ، عليم بسني المجاعة ، قاله شيبة الضبي. وفي هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل ، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب ، وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراآة ، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله ، فإن يوسف دعته، الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله .

٥٦— قوله عز وجل : (وكذلك مكَّنَّا ليوسفَ في الأرض) قال ابن جرير الطبري : استخلصه الملك الأكبر الوليد بن الريّان على عمل اظفير وعزَلَه.

---

(١) نقل القرطبي هذا التفصيل بأقسامه الثلاثة . والحق ان الماوردي صاحب الاحكام السلطانية وأدب القاضي قد فصل هذه المسألة تفصيلا ليس بعده من مزيد . انظر تفسير القرطبي ٢١٥/٩ حيث نقل هذه الصفحة كلها .

(٢) هذا القول في حاجة الى دليل وقد سقط من ق هو والقول الرابع

قال مجاهد : وأسلم على يده. قال ابن عباس : ملك [يوسف] بعد سنةونصف. فروى مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو أن يوسف قال : اني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته ذلك .

ثم مات إظْفير فزوّجه الملِك بامرأة إظفير[1] راعيل ، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء وولدت له ولدين افرائيم ومنشا ابني يوسف .

< ومن زعم أنها زليخا قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت ، ثم قالت : الحمد لله الذى جعل الملوك عبيدا بالمعصية ، وجعل العبيد بالطاعة ملوكا ، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها > [2] .

• (يَتَبَوَّأُ منها حيثُ يشاءُ) فيه وجهان : (أحدهما) يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) يصنع في الدنيا ما يشاء لتفويض الأمر إليه ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

• (نُصيبُ برحْمَتِنا مَنْ نشاءُ) يعني في الدنيا بالرحمة والنعمة.

• (ولا نُضيعُ أَجْرَ المحسنينَ) يعني في الآخرة بالجزاء . ومنهم من حملها على الدنيا ، ومنهم من حملها على الآخرة ، والأصح ما قدمناه.

واختلف فيما أوتيه يوسف من هذه الحال على قولين : (أحدهما) ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه . (الثاني) أنه أنعم بذلك عليه تفضلا منه ، وثوابه باق على حاله في الآخرة .

٥٧ـ قوله عز وجل : (ولأَجْرُ الآخرةِ خيرٌ للذين آمَنوا وكانوا يتّقُونَ) فيه وجهان : (أحدهما) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا ، لأن أجر الآخرة دائم ، وأجر الدنيا منقطع . (والثاني) ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة .

٥٨ـ قوله عز وجل : (وجاءَ إخْوةُ يوسفَ فدَخَلُوا عَلَيْه) الآية . قال ابن إسحاق والسدى : وإنما جاؤا ليمتاروا من مصر في سني القحط التي

(١) هو اسم العزيز الذى اشترى يوسف والمؤلف ذكر ان اسمه اظفير بالظاء المعجمة بينما نجد كثيرا من كتب التفسير تذكره بالطاء المهملة .
(٢) سقط من ق .

ذكرها يوسف في تفسير الرؤيا ، ودخلوا على يوسف لأنه كان هو الذى يتولى بيع الطعام لعزته .

• (فَعَرَفَهم) فيه وجهان :

أحدهما — أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف ، قاله ابن عباس .

الثاني — ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم ، قاله الحسن .

< وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به [١] .

قال ابن عباس : إنما سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من [وراء نهر الأردن] فسمّوا العبرانية >[٢] .

• (وهم له مُنْكِرون) لأنه فارقوه صغيرا فكبر ، وفقيرا فاستغنى ، وباعوه عبدا فصار ملكا ، فلذلك أنكروه ، ولم يتعرف إليهم ليعرفوه[٣].

٥٩— قوله عز وجل : (ولمّا جَهَّزَهم بِجَهَازِهم) وذلك أنه كال لهم الطعام ، قال ابن اسحاق : وحمل لكل رجل منهم بعيرا بعدّتهم .

• (قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم) قال قتادة يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه .

قال السدى : أدخلهم الدار وقال : قد استربت بكم — تنكرا عليهم — فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيونا ، فذكروا حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلّفه مع أبيه ، فقال : إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الذى لكم من أبيكم ، وأظهر لهم أنه يريد أن يستبرئ به أحوالهم. وقيل : بل وصفوا له أنه أحَبُّ إلى أبيهم منهم ، فأظهر لهم محبة رؤيته .

• (ألا ترونَ أني أُوْفِي الكيلَ) يحتمل وجهين :

أحدهما — أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل .

الثاني — أنه كال لهم بمكيال واف .

---

(١) قيل ان يوسف استدعى الترجمان ليشبه على اخوته مع انه يعرف لسانهم

(٢) سقط من ق

(٣) وقيل انكروه لانهم اعتقدوا انه ملك كافر . وقيل لانه كان قد تزيا بزي فرعون مصر ، اما هم فكانوا على ما عهدهم عليه من الملبس

* (وأنا خيرُ المُنْزِلينَ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني خير المضيفين، قاله مجاهد . (الثاني) وهو محتمل ، خير من نزلتَم عليه من المأمونين .

فهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام . وعلى التأويل الثاني مأخوذ من المنزل وهو الدار [1].

٦٠ـ قوله عز وجل (فإنْ لم تأتوني به فلا كيْلَ لكم عندي) يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال .

* (ولا تَقْرَبونِ) أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب . ولم يُرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم.

قال السدي : وطلب منهم رهينة حتّى يرجعوا ، فارتّهن شمعون عنده. < قال الكلبي : إنما اختار شمعون منهم لأنه يومَ الجُبِّ كان أجملهم قولا وأحسنهم رأيا > [2] .

٦١ـ قوله عز وجل : (قالوا سنراودُ عنه أباه) والمراودة الاجتهاد في الطلب ، مأخوذ من الإرادة .

* (وإنّا لفاعلونَ) فيه وجهان :

أحدهما ــ وإنا لفاعلون مراودة أبيه وطلبه منه .

الثاني ــ وإنا لفاعلون للعود إليه بأخيهم ، قاله ابن اسحاق .

فإن قيل : كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة :

أحدها ــ يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاتّبع أمره فيه .

الثاني ــ يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف .

الثالث ــ لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه .

(١) نقل القرطبي هذه الفقرة عن المؤلف حرفيا
(٢) سقط من ق

الرابع – ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه[١].

٦٢– قوله عز وجل : (وقال لفتيانه اجْعَلُوا بِضاعَتَهم في رِحالِهِم) قرأ حمزة والكسائي وحفص « لفتيانه[٢] »، وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم غلمانه ، قاله قتادة . (الثاني) أنهم الذين كالوا لهم الطعام ، قاله السدي .

وفي بضاعتهم قولان : (أحدهما) أنها وَرِقُهم[٣] التي ابتاعوا الطعام بها. (الثاني) أنها كانت ثمانية جُرُب فيها سويق[٤] المُقْل ، قاله الضحاك.

وقال بعض العلماء : نبه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي.

• (لعلّهم يَعْرِفونها) أي ليعرفوها .

• (إذا انقلبوا إلى أهْلِهم) يعني رجعوا إلى أهلهم ، ومنه قوله تعالى : « فانقَلَبوا بنعمة من الله » .

• (لعلهم يرجعون) أي ليرجعوا .

فإن قيل : فلمَ فَعَل ذلك يوسف ؟

قيل : يحتمل أوجها خمسة : (أحدها) ترغيبا لهم ليرجعوا ، على ما صرّح به. (الثاني) أنه علم منهم أنهم لا يستحلّون إمساكها ، وأنهم يرجعون لتعريفها . (الثالث) ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعا في أموالهم . (الرابع) أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذى نزل به . (الخامس) أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم.

٦٣– قوله عز وجل : (فلمّا رَجَعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكيْلُ) واختلفوا في نزلهم الذى رجعوا إليه إلى أبيهم على قولين : (احدهما)

---

(١) من قوله : فان قيل كيف الى هنا نقله القرطبي حرفيا انظر تفسيره ٢٢٢/٩ ولم يعزه الى الماوردى .

(٢) وقرا اهل المدينة وأبو عمرو وعاصم « لفتيته » واختارها ابو حاتم والنحاس وغيرها وعليها سار المؤلف غير اننا عدلنا لمخالفتها لنقط المصاحف المتداولة عندنا .

(٣) الورق : الدراهم المضروبة

(٤) سويق المقل : دقيق ثمر الدوم .

بالعَرَبات[١] من أرض فلسطين . (الثاني) بالأولاج[٢] من ناحية الشعب أسْفَل من حِسْمَى[٢] . وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل.

« قالوا يا أبانا مُنِع منّا الكيلُ » أى سيمنع منا الكيل إن عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه .

• (فأرْسِلْ مَعَنا أخانا نَكْتَلْ) أى إن أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه ونكتال منه .

• (وإنا له لحافظون) ترغيبا له في إرساله معهم .

فلم يثق بذلك منهم لما كان منهم في يوسف .

٦٤– (قال هل آمَنُكم عليه إلاّ كما أمِنْتُكُمْ على أخيه مِن قَبْلُ) لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه ، فلم يثق بهم فيما ضمنوه .

• (فاللهُ خيرٌ حافظاً) قرأ حمزة والكسائي وحفص « حافظا[٣] »يعني منكم لأخيكم .

• (وهو أرْحَمُ الراحمين) < يحتمل وجهين : (أحدهما) أرحم الراحمين في حفظ ما استودع >[٤] . (والثاني) أرحم الراحمين فيما يرى من حزني .

٦٥– قوله عز وجل (ولمّا فَتَحوا متاعَهم وَجَدُوا بِضاعَتَهم رُدَّتْ إليهم) أى وجدوا التى كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذى امتاروه .

• (قالوا يا أبانا ما نَبْغِي) فيه وجهان : (أحدهما) أنه على وجه الاستفهام بمعنى ما نبغي بعد هذا الذى قد عاملنا به ، قاله قتادة . (الثاني) معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملِك، حكاه ابن عيسى .

---

(١) العربات : يعرف اليوم بوادى العربة جنوب البحر الميت بأرض فلسطين

(٢) حسمي والاولاج : تقعان الان في الاراضي السعودية غربى تبوك وحسمى اسم جبل هال هناك ويوجد اليوم جبل يدعى جبل الشفاء لعله جبل حسمي وقيل ان بين حسمي وبين وادي القرى ليلتين ، وأهل تبوك يرون جبل حسمي . ثم بين وادي القرى والمدينة المنورة ست ليال . انظر معجم البلدان لياقوت .

(٣) وقرا اهل المدينة وابو عمرو وعاصم « حفظا » نصب على البيان . وأما من قرأ « حافظا » فمنصوب على الحال من .. « الله » عند النحاس ، ونصبه على البيان أحسن كما قال الزجاج

(٤) سقط من ك

• (هٰذه بضاعتُنا رُدَّتْ إلَينا) احتمل أن يكون قولهم ذلك له تعريفا واحتمل أن يكون ترغيبا ، وهو أظهر الاحتمالين .

• (ونميرُ أهلَنا) أى نأتيهم بالميرة ، وهى الطعام المقتات ، ومنه قول الشاعر :

بَعَثْتُكَ مائرا فمكَثْتَ حَوْلا متى يأتي غياثُك مَنْ تُغيثُ

«ونميرُ أهلنا» هذا ترغيب محض ليعقوب .

• (ونحفظُ أخانا) وهذا استنزال .

(ونَزْدادُ كَيْلَ بَعيرٍ) وهو ترغيب وفيه وجهان : (أحدهما) كيل البعير تحمل عليه أخانا . (والثاني) كيل بعير هو نصيب أخينا لأن يوسف قسّط الطعام بين الناس فلا يعطى الواحد أكثر من [حمل] بعير.

• (ذلك كَيْلٌ يَسيرٌ) فيه وجهان: (أحدهما) أن الذى جئناك به كيل يسير لا ينفعنا . (والثاني) أن ما نريده يسير على مَن يكيل لنا ، قاله الحسن. فيكون على الوجه الأول استعطافا ، وعلى الثاني تسهيلا .

وفي هذا القول منهم وفاءٌ ليوسف فيما بذلوه من مراودة في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيبا واستنزالا واستعطافا وتسهيلا .

٦٦ـ قوله تعالى : (قالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حتى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِن اللهِ) في هذا الموثق ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه إشهادهم الله على أنفسهم. (الثاني) أنه حلفهم بالله ، قاله السدى . (الثالث) أنه كفيل يتكفل بهم.

• (لَتَأْتُنَّنِي به إلاّ أنْ يُحاطَ بكم) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى إلا أن يهلك جميعكم ، قاله مجاهد . (الثاني) إلا أن تُغلَبوا على أمركم ، قاله قتادة.

٦٧ـ قوله عز وجل (وقال يا بَنِيَّ لا تَدْخُلوا مِن بابٍ واحدٍ...) يعنى لا تدخلوا مصر من باب واحد ، وفيه وجهان : (أحدهما) يعنى من باب واحد من أبوابها .

(وادخلوا من أبواب مُتفرِّقة) ، قاله الجمهور . (الثاني) من طريق واحد من طرقها «وادخلوا من أبواب متفرقة» أى طرق ، قاله السدى .

وفيما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد قولان : (أحدهما) أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى صور وجمال ، قاله ابن عباس ومجاهد. (الثاني) أنه خاف عليهم الملك أن يرى عددهم وقوّتهم فيبطش بهم حسدا أو حذرا ، قاله بعض المتأخرين .

* (وما أُغْنِي عنكم مِن اللهِ مِنْ شيءٍ) أى من أى شيء أحذره عليكم فأشار عليهم في الأول ، وفوض إلى الله في الآخر .

٦٨- قوله عز وجل : (ولمّا دَخلوا مِن حيثُ أمَرَهُم أبوهم ما كان يُغْني عنهم مِنَ اللهِ مِنْ شيءٍ) أى لا يرد حذرُ المخلوق قضاءَ الخالق .

(إلاّ حاجةً في نفْسِ يعقوبَ قضاها) وهو حذر المشفق وسكون نفسه بالوصية أن يتفرقوا خشية العين .

* (وإنه لَذُو عِلْمٍ لِما عَلّمْناهُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إنه لعامل بما علم ، قاله قتادة . (الثاني) لمتيقن بوعدنا ، وهو معنى قول الضحاك. (الثالث) إنه لحافظ لوصيتنا ، وهو معنى قول الكلبي .

٦٩- قوله عز وجل (ولمّا دَخلوا على يوسفَ آوَىٰ إليه أخاه) قال قتادة ضمّهُ إليه وأنزله معه .

* (قال إني أنا أخوك) فيه وجهان : (أحدهما) أنه أخبره أنه يوسف أخوه ، قاله ابن إسحاق . (الثاني) أنه قال له : أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب .

* (فلا تبْتَئِسْ بما كانوا يَعْملون) فيه وجهان : (أحدهما) فلا [تأسف] (١) ، قاله ابن بحر . (الثاني) فلا تحزن بما كانوا يعملون .

وفيه وجهان : (أحدهما) بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك . (الثاني) باستبدادهم دونك بمال أبيك .

---

(١) سقط من ق ، وفي ك تبتئس

٧٠ـ قوله عز وجل : (فلما جَهَّزهم بجهَازِهمْ) وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطائه بعيراً لأخيهم مثل ما أعطاهم .

• (جَعَلَ السِّقَايةَ في رَحْلِ أخيه) والسقاية والصواع واحد. قال ابن عباس : وكل شيء يشرب فيه فهو صواع ، قال الشاعر :

نَشْرَبُ الخمرَ بالصُّواعِ جهارا وترى المتك بيننا مُسْتعارا (١)

قال قتادة : وكان إناء المتك الذى يشرب فيه .

واختلف في جنسه ، فقال عكرمة كان من فضة ، وقال عبد الرحمن بن زيد كان من ذهب ، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم .

وقال السدى : هو المكوك العادى الذى يلتقى طرفاه .

• (ثم أذّنَ مُؤَذِّن أيتها العِيرُ إنكم لَسارِقونَ) أى نادى مناد فسمى النداء أذانا لأنه إعلام كالأذان .

وفي العير وجهان : (أحدهما) أنها الرفقة . (الثاني) أنها الإبل المرحولة المركوبة ، قاله أبو عبيدة .

فإن قيل : كيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليسرّقهم وهم برآء ، وهذه معصية ؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة : (أحدها) أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف . (الثاني) أن المنادى الذى كال حين فقد السقاية ظن أنهم سرقوها ولم يعلم بما فعله يوسف ، فلم يكن عاصيا. (الثالث) أن النداء كان بأمر يوسف ، وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه ، وذلك صدق . (الرابع) أنها كانت خطيئة مِن قبل يوسف فعاقبه الله(١) عليها بأن قال القوم «إنْ يسرقْ فقد سَرَقَ أخٌ له مِن قبل» يعنون يوسف(٢) .

---

(١) سبق ورود هذا البيت في تفسير الاية ٣١ من هذه السورة وهو هناك : تشرب الاثم ، وفي اللسان ايضا نشرب الاثم الا انني ابقيت البيت هنا على حاله في الاصل لعل فيه رواية اخرى .

(٢) ولم كل هذه الاقوال والله تعالى يقول « كذلك كدنا ليوسف » اي ان ذلك التدبير كان بوحي من الله تعالى .

(٣) يروى ان ام يوسف ماتت وهو صغير فحضنته عمته واحبته كثيرا ، ولما طلبه ابوه منها احتالت بان جعلت منطقة كانت لاسحاق في ثياب يوسف ثم تظاهرت بانها فقدتها وفتشت يوسف فوجدتها عنده فطلبت من ابيه ان يظل يوسف ليخدمها جزاء سرقته المنطقة . وسيأتي ان شاء الله مزيد بيان .

< وذهب بعض من يقول بغوامض المعاني إلى أن معنى قوله : «انكم لسارقون» أي لعاقّون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وخنتموه فيه> (١) .

٧١– قوله عز وجل : (قالوا وأقْبَلُوا عليهم ماذا تَفْقِدُونَ) لأنهم استنكروا ما قُذِفوا به مع ثقتهم بأنفسهم فاستفهموا استفهام المبهوت .

٧٢– (قالوا نَفْقِدُ صُواعَ المَلِكِ) والصواع واحد [جمعه أصواع] وحكى غالب الليثي عن يحيى بن يَعْمَر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمة، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب ، وقيل من نحاس .

* (ولِمَنْ جاءَ به حِمْلُ بَعيرٍ وأنا به زَعيمٌ) وهذه جعالة بذلت للواحد. وفي حمل البعير وجهان :

أحدهما – حمل جمل ، وهو قول الجمهور . (الثاني) حمل حمار ، وهو لغة [لبعض العرب] قاله مجاهد .

واختلف في هذا البذل على قولين :(٢) (أحدهما) أن المنادى بذله عن نفسه لأنه قال «وأنا به زعيم» أي كفيل ضامن .

فإن قيل : فكيف ضمن حمل بعير وهو مجهول ، وضمان المجهول لا يصح ؟

قيل عنه جوابان :

أحدهما – أن حمل البعير قد كان عندهم معلوما كالوسق فصح ضمانه.

الثاني – أنها جعالة وقد أجاز بعض الفقهاء فيها من الجهالة ما لم يُجزْه في غيرها كما أجاز فيها ضمان ما لم يلزم ، وإن منع منه في غيرها .

٧٣– قوله عز وجل : (قالوا تالله لقد عَلِمْتُم ما جئنا لنُفْسِدَ في الأرض) أي لنسرق ، لأن السرقة من الفساد في الأرض <. وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف . وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم على سرقة مال حاضر .

---

(١) سقط من ق

(٢) سقط القول الثاني .

• (وما كُنَّا سارِقِينَ) يحتمل وجهين: (أحدهما) ما كنا سارقين من غيركم فنسرق منكم . (والثاني) ما كنا سارقين لأمانتكم فنسرق غير أمانتكم . وهذا أشبه لأنهم أضافوا ذلك إلى علمهم .

٧٤- قوله عز وجل (قالوا فما جزاؤه إنْ كنتم كاذبين) أي ما عقوبة من سرق منكم إنْ كنتم كاذبين في أنكم لم تسرقوا منا .

٧٥- (قالوا جزاؤه مَن وُجِد في رَحْلِه فهو جَزاؤه) أي جزاء من سرق أن يُسترق .

• (كذلك نَجْزِى الظالمين) أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سَرقوا . وكان هذا من دين يعقوب .

٧٦- (فبدَأَ بأَوْعيتهم قبْل وعاءِ أخيه) لتزول الريبة من قلوبهم لوبدىء بوعاء أخيه .

• (ثُم استَخْرَجَها مِنْ وعاءِ أخيه) قيل عنى السقاية فلذلك أنّث، وقيل عنى الصاع ، وهو يذكّر ويؤنث في قول الزجاج .

• (كذلك كِدْنا ليوسُفَ)[1] فيه وجهان . (أحدهما) صَنَعْنا ليوسف قاله الضحاك . (والثاني) دبّرنا ليوسف ، قاله ابن عيسى .

• (ما كان ليَأخُذَ أخاه في دِين الملكِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في سلطان الملك ، قاله ابن عباس . (والثاني) في قضاء الملك ، قاله قتادة . (والثالث) في عادة الملك ، قال ابن عيسى : ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق . قال الضحاك : وإنما كان يضاعف عليه الغرم .

• (إلاّ أنْ يَشاءَ اللهُ) فيه وجهان : (أحدهما) إلا أن يشاء الله أن يُستَرَقّ من سَرَق . (والثاني) إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذرا فيما فعل .

(١) يفهم من هذا جواز التوصل الى الاغراض المشروعة بالحيل اذا لم تخالف الشرع ولاهدمت اصـلا .

* (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ) قال زيد بن أسلم : يعني في الدنيا بالعلم.

* (وفَوْقَ كلِّ ذي عِلْمٍ عليمٌ) أى فوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى، قاله قتادة . وقال عكرمة: علم الله فوق كل ذي علم .

فإن قيل : فلم عرّض [يوسف] أخاه أن يكون متهما بالسرقة ؟

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة : (أحدها) أنه أراد أن ينتزعه منهم بواجب عندهم فلم يجد إلى ذلك سبيلا غير ما صنع . (والثاني) أن أخاه كان يعلم بالحال فلم يقع ذلك منه موقعا مؤلما ولم يكن على يوسف في ذلك حرج . (والثالث) أنه لما كـان جعل بضاعتهم في رحالهم وهم لا يشعرون تَنبيها على أنه قد يجوز أن يجعل الصواع في رحل أخيهم وهم لا يعلمون جعل لهم مخرجا من هذه التهمة ، فزال عنه الحرج .

٧٧ـ قوله عز وجل : (قالوا إنْ يسرقْ فقدْ سَرَقَ أخٌ له من قَبْلُ) يعنون يوسف . وفي هذا القول منهم وجهان : (أحدهما) أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم، قاله عكرمة . (والثاني) ليتبرؤوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمّهم وأنه[٢] إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلا في الأخلاق .

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل :

أحدها ـ أنه سرق صنما كان لجده <[٣] إلى أمه من فضة وذهب ، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك ، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الثاني ـ كان مع إخوته على طعام فنظر إلى عرق فخبأه، فعيّروه بذلك، قاله عطية العوفي .

الثالث ـ أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين ، حكاه ابن عيسى.

---

(١) هذا على قول من ذهب الى أن ما فعله يوسف من اتهامهم كان معصية ، ولا أرى ذلك فقد ذكرت آنفا ان ذلك كان بوحى من الله تعالى .

(٢) اى ان سرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل وهما من ام غير امنا فهما ابناء الضرة .

(٣) من قوله :«وانما قالوا ذلك لهم»الى هنا سقط من ك وهو مقدار ورقة وقد عولت فيما سقط على نسخة ق .

الرابع — أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت منطقة إسحاق لأنها كانت في الكبير من ولده ، وكانت تكفل يوسف ، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة في قميص يوسف وهو لا يعلم بها ، وأبعدته ثم أظهرت ضياع المنطقة ، واتهمته فأخذتها منه ، فصارت في حكمهم أحق به ، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له ، قاله مجاهد .

الخامس — أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه ، قاله الحسن .

• (فأسَرَّها يوسفُ في نَفْسِه ولم يُبْدِها لهم) فيه وجهان :

أحدهما — أنه أسر في نفسه قولهم « إنْ يسرقْ فقد سَرَق أخٌ له من قبل » ، قاله ابن شجرة وعلي بن عيسى .

الثاني — أسر في نفسه «أنتم شرٌّ مكانا..» الآية ، قاله ابن عباس وابن إسحاق.

• وفي قوله (قال أنتم شر مكانا) وجهان : (أحدهما) أنتم شر منزلة عند الله ممن نسبتموه إلى هذه السرقة. (الثاني) أنتم شر صنعاً لما اقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم .

• وفي قوله تعالى (والله أعْلَمُ بما تَصِفون) تأويلان : (أحدهما) بما تقولون ، قاله مجاهد . (الثاني) بما تكذبون ، قاله قتادة .

< وحكى بعض المفسرين أنهم لما دخلوا عليه دعا بالصواع فنقره ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعى هذا ليخبرني أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ، فلما سمعها بنيامين قام وسجد ليوسف وقال أيها الملك سلْ صواعك هذا عن أخى أحيٌّ هو أم هالك ؟ فنقره ، ثم قال : هو حي وسوف تراه . قال فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي سينقذني . قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج ، فقال بنيامين انقر صواعك ليخبرك بالذى سرقه فجعله في رحلي ، فنقره ، فقال : صواعى هذا غضبان وهو يقول : كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت > (١) .

(١) سقط من ق
ويبدو ان هذه الفقرة من الاسرائيليات .

٧٨ـ قوله عز وجل (... ياأيها العزيزُ إنّ له أباً شيْخاً كبيراً) لكن قالوا ذلك ترقيقاً واستعطافا . وفي قولهم « كبيراً » وجهان : (أحدهما) كبير السن. (الثاني) كبير القدر ، لأن كِبر السن معروف من حال الشيخ .

* (فخُذ أَحَدَنَا مكانَه) أى عبْداً بدله .

* (إنا نراك مِن المحْسنِين) فيه وجهان : (أحدهما)[1] نراك من المحسنين في هذا إن فعلت، قاله ابن إسحاق . (الثاني) نراك من المحسنينَ فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا وبضاعتنا .

< ويحتمل ثالثا ـ إنا نراك من العادلين ، لأن العادل محسن >[2] .

٧٩ـ فأجابهم يوسف عن هذا (قال معاذَ الله أنْ نأخُذَ إلا مَنْ وجَدْنا متَاعَنا عِنْدَه إنّا إذاً لظالمونَ) <إن أخذنا بريئاً بسقيم . وفيه وجه ثان : إنا إذا لظالمونَ عندكم إذا حكمناعليكم بغيرحكمأبيكمأن منسرق استُرِقّ> [3].

٨٠ـ قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) أى يئسوا من رد أخيهم عليهم . < (الثاني) استيقنوا أنه لا يرد عليهم، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الشاعر[4] :

أقول لهم بالشعب إذ يأسروننى
ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم > [5].

* (خَلَصوا نَجِيّاً) أى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يختلط بهم غيرهم .

* (قال كبيرُهم) فيه ثلاثة أقاويل[6] :

أحدها ـ أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذى كان قد ارتهنه يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم ، قاله مجاهد .

الثاني ـ أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف ، قاله قتادة .

---

(١) في ق انا نراك .
(٢) سقط من ق
(٣) سقط من ق
(٤) هو سحيم ، وهذا البيت ليس في ديوانه كما في معجم شواهد العربية للاستاذ عبد السلام هارون .
(٥) سقط من ق
(٦) في ق : فيه قولان احدهما .

الثالث – أنه عنى كبيرهم في الرأى والتمييز وهو يهوذا ، قاله مجاهد[1] .

* (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُم قَدْ أَخَذَ عليكم مَوْثِقاً مِن الله) يعنى عند إيفاد ابنه هذا معكم .

* (ومن قَبْلُ ما فرّطتم في يوسفَ) أى ضيعتموه .

* (فلن أَبْرَحَ الأَرْضَ) يعنى أرض مصر

* (حتى يأذَنَ لى أبي) يعنى بالرجوع .

* (أو يَحْكُمَ الله لي وهو خَيْرُ الحاكمِينَ) فيه قولان : (أحدهما) يعنى أو يقضي الله لي بالخروج منها ، وهو قول الجمهور . (الثاني) أو يحكم الله لي بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك ، قاله أبو صالح .

٨١– قوله عز وجل (ارْجِعوا إلى أبيكم فَقُولوا يا أبانا إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) وقرأ ابن عباس «سُرِّق» بضم السين < وكسر الراء وتشديدها > [2] .

* (وما شَهِدْنا إلاّ بما عَلِمْنا) فيه وجهان : (أحدهما) وما شهدنا عندك بأنَّ ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله ، قاله ابن إسحاق . (الثاني) وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا بما علمنا من دينك ، قاله ابن زيد .

* (وما كُنّا للغَيْبِ حافِظِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ، قاله قتادة . (الثاني) ما كُنّا نعلم أن ابنك يسترَقّ ، وهو قول مجاهد .

٨٢– قوله عز وجل : (واسْأَلِ القريةَ التى كُنّا فيها) وهى مصر ، والمعنى واسأل أهل القرية ، فحذف ذكر الأهل إيجازا ، لأن الحال تشهد به .

* (والعِيرَ التى أقبلْنا فيها) وفي العير وجهان :

أحدهما – أنها القافلة ، وقافلة الإبل تسمى عيرا على التشبيه .

الثاني – الحمير ، قاله مجاهد ، والمعنى أهل العير .

---

(١) سقط من ق .

(٢) سقط من ق

<وقيل فيه وجه ثالث – أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جمادا ، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيما لأنه نبي ، والأنبياء قد يسخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازا لأنبيائه، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهانا[١]> .

• (وإنا لصادقون) أي يستشهدون بصدْقنا أن ابنك سرق .

٨٣– قوله عز وجل (قال بل سوّلتْ لكم أنْفُسُكم أمْراً) فيه وجهان : (أحدهما) بل سهلت. (الثاني) بل زينت لكم أنفسكم أمرا في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق ، وإنما ذاك لأمر يريده الله تعالى .

• (فصبرٌ جميلٌ عسى اللهُ أنْ يأتِيَنِي بهم جميعاً) يعني بيوسف وأخيه المأخوذ في السرقة وأخيه المتخلف[٢] معه فهم ثلاثة .

• (إنه هو العليمُ الحكيمُ) يعني العليم بأمركم،الحكيم في قضائه بما ذكرتم .

٨٤– قوله عز وجل (وتولّى عَنْهمْ وقالَ يـا أسَفَا علَى يُوسفَ) فيـه وجهان :

أحدهما – معناه واجزعاه [٣] قاله مجاهد ، ومنه قول كثير :

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه وللنفْسِ لما سُلّيتْ[٤] فتسلّتِ

الثاني – معناه يا جزعاه ، قاله ابن عباس . قـال حسان بن ثابت يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فيا أسَفَا ما وارت الأرضُ واسْتوَتْ

عليه وما تحت السِلام[٥] المنضّـد

(١) سقط من ق
(٢) في الاصل المختلف ولعل الصواب المتخلف كما في ق وقد اثبتناه
(٣) في ق ياجزعاه
(٤) في ك سيلت والتصويب من ق .
(٥) السلام : الحجارة

وفي[١] هذا القول وجهان : (أحدهما) أنه أراد به الشكوى إلى الله تعالى ولم يرد به الشكوى منه رغبا إلى الله تعالى في كشف بلائه . (الثاني) أنه أراد به الدعاء ، وفيه قولان (أحدهما) مضمر وتقديره يا رب ارحم أسفي على يوسف[٢] .

* (وابيضّت عيناهُ من الحُزْنِ) فيه قولان : (أحدهما) أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه . (الثاني) أنه ذهب بصره ، قاله مجاهد.

* (فهو كظيم) فيه أربعة أوجه[٣] : (أحدها) أنه الكمد ، قاله الضحاك . (الثاني) أنه الذى لا يتكلم[٤] ، قاله ابن زيد . (الثالث) أنه المقهور[٤] ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر :

فإن أكُ كاظماً لمُصابِ شاسٍ[٥] فإنّى اليومَ مُنطَلِقٌ لساني

(والرابع) أنه المُخْفى لحزنه ، قاله مجاهد وقتادة ، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه ، قال الشاعر :

فحضضتُ قومىْ واحتسبتُ[٦] قتالهم

والقومُ من خوف المنايا كُظّم

٨٥- قوله عز وجل : (قالوا تاللهِ تفتَأُ تذْكُرُ يوسف) قال ابن عباس والحسن وقتادة : معناه لا تزال تذكر يوسف ، قال أوس بن حجر :

فما فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثوبُ وتدّعى ويَلْحَقُ منها لاحق وتقطّعُ[٧]

أى فما زالت . وقال مجاهد : تفتأ بمعنى تفتر .

(١) من هنا الى : وابيضت عيناه سقط من ق

(٢) لم يذكر القول الثانى

(٣) في ق : فيه وجهان احدهما

(٤) سقط من ق

(٥) في الاصل كاظما كاظما المصاب شاس ، والصواب ما اثبته

(٦) في ك واستحسنت وهو تحريف

(٧) كنى بالخيل عن اصحابها ، وتثوب : تلوح بطرف الثوب عند النداء من بعيد . وتدعى : يدعو بعضهم بعضا . ويلحق : يسبق . وتقطع : اى تنقطع وينقطع بعضها من بعض . وقد صور الحرب في هذا البيت .

• (حتى تكون حَرَضاً) فيه ثلاثة تأويلات < (أحدها)[1] يعني هرما، قاله الحسن . (والثاني) دنفا من المرض، وهو ما دون الموت ، قاله ابن عباس ومجاهد . (والثالث) أنه الفاسد العقل ، قاله محمد بن إسحاق . وأصل الحرض فساد الجسم والعقل من مرض أو عشق ، قال العرجي[2] :

إني امرؤٌ لجّ بي حُبٌّ فأحْرَضَني

حتى بَليتُ وحتى شَفّني السّقَمُ

• (أو تكون من الهالكين) يعني ميتا من الميتين، قاله الجميع.

فإن قيل : فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكا متمكنا بمصر ، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة ؟ وهلاّ عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء ؟

قيل يحتمل أربعة أوجه :

أحدها ــ أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى ، ابتلاء له لمصلحة علمها فيه لأنه نبيّ مأمور .

الثاني ــ أنه بلى بالسجن ، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر .

الثالث ــ أن في مفاجأة السرور خطرا وأحب أن يروض نفسه بالتدريج .

الرابع ــ لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك.

٨٦ــ قوله عز وجل : (قال إنما أَشْكو بَثّي وحُزْني إلى اللهِ) في بثي وجهان : (أحدهما) همّي ، قاله ابن عباس . (الثاني) حاجتي ،حكاه ابن جرير . والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس . وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثا وهو مبثوث.

• (وأعْلَمُ مِن اللهِ ما لا تعلَمُون) فيه تأويلان :

أحدهما ــ أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني ساجد له،قاله ابن عباس.

---

(١) من هنا الى : وقال الشاعر عدي بن الرقاع سقط من ك وهو نحو ورقة .

(٢) هو عبدالله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان ، لقب بالعرجي لانه كان يسكن عرج الطائف وكان من شعراء قريش وممن شهر بالغزل حبسه محمد بن هشام لانه شبب بأمه وزوجته . مكث في السجن تسع سنين ومات فيه .

والثاني – أنه أحست نفسه حين أخبروه فدعا الملك وقال : لعله يوسف، وقال لا يكون في الأرض صدّيق إلا نبي ، قاله السدّى .

وسبب قول يعقوب «إنما أشكو بثّي وحُزْني إلى الله» ما حكى أن رجلا دخل عليه فقال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني؟ فقال: خطيئة أخطأتها فاغفرها لى . وكان بعد ذلك يقول «إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله» .

٨٧– قوله عز وجل : (... اذهبوا فتحسّسُوا مِنْ يوسُفَ وأخيه) أى استعلموا وتعرّفوا ، ومنه قول عدىّ بن زيد :

فإنْ حَيِيتَ فلا أحْسِسْكَ في بلدى
وإنْ مَرِضْتَ فلا تحسِسْك عُوّادِي

وأصله طلب الشيء بالحس .

* (ولا تَيْأسُوا مِنْ رَوْح الله) فيه تأويلان : (أحدهما) من فرج الله ، قاله محمد بن إسحاق . (والثاني) من رحمة الله ، قاله قتادة . وهو مأخوذ من الريح التى تأتي بالنفع . وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبّه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكرامة . ولما حكى أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف ؟ فقال : لا .

٨٨– قوله عز وجل (فلمّا دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيزُ مَسّنا وأهلَنا الضُّرُّ) وهذا مِن ألطف ترفيق وأبلغ استعطاف . وفي قصدهم بذلك قولان : (أحدهما) بأن يرد أخاهم عليهم ، قاله ابن جرير . (والثاني) توفية كيلهم والمحاباة لهم ، قاله على بن عيسى .

* (وجئْنا ببضاعةٍ مُزْجاةٍ) وأصل الإزجاء السَّوْق بالدفع ، وفيه قول[1] الشاعر عدى بن الرقاع[2] :

تزجي أغَنّ كأنّ إبْرَة روْقِه قلمٌ أصَابَ مِن الدواة مِدادها[3]

(١) الى هنا سقط من ك وهو نحو ورقة كما أسلفت
(٢) هو شاعر اسلامى عده ابن سلام في الطبقة السابعة
(٣) وبعد هذا البيت يقول :
واذا القرينة لم تزل في شدة من قرنها سئم القرين قيادها

وفي بضاعتهم هذه[١] خمسة أقاويل : (أحدها) أنها كانت دراهم ، قاله ابن عباس. (الثاني) متاع الأعراب ، صوف وسمن ، قاله عبد الله بن الحارث (الثالث) الحبة الخضراء وصنوبر ، قاله أبو صالح . < (الرابع) سويق المقل ، قاله الضحاك >[٢] . (الخامس) خلق الحبل والغرارة ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا .

وفي المزجاة ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنها الرديئة ، قاله ابن عباس. (والثاني) الكاسدة ، قاله الضحاك . (الثالث) القليلة[٣] ، قاله مجاهد. < قال ابن إسحاق[٤] : وهى التى لا تبلغ قدر الحاجة > ومنه قول الراعى[٥] :

ومرسل برسول غير متّهم　　　وحاجة غيرْ مُزْجاةٍ من الحاج

وقال الكلبي : هى كلمة من لغة العجم ، وقال الهيثمى : من لغة القبط .

* (فأوْفِ لنا الكَيْلَ) فيه وجهان : (أحدهما)[٦] الكيل الذى كان قد كاله لأخيهم ، وهو قول ابن جريج . (الثاني) مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل ، قاله السدى .

* (وتَصَدَّقْ عَلَيْنا) فيه أربعة أقاويل[٧] :

أحدها — معناه تفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة[٨] ، قاله سعيد بن جبير والسدى والحسن ، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء .

الثاني — تصدّق علينا بالزيادة على حقنا ، قاله سفيان بن عيينة . قال مجاهد : ولم تحرم[٩] الصدقة إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وحده.

---

(١) في ق اربعة أقاويل
(٢) سقط من ق
(٣) في ك العلية
(٤) سقط من ق
(٥) هو الراعي النميرى وقد ورد الشطر الثانى من هذا البيت في اللسان — زجا .
(٦) في ق يعنون الكيل .
(٧) في ق ثلاثة تأويلات
(٨) في ق بما بين الجياد الرديئة وفيها سقوط
(٩) في ك قال وكم تحرم

الثالث ــ < تصدق علينا برد أخينا إلينا ، قاله ابن جريج ،وكره للرجل أن يقول في دعائه >[١] : اللهم تصدّق عليّ ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب.

الرابع ــ معناه تجوّزعنا ، قاله ابن شجرة < وابن زيد >[٢] واستشهد بقول الشاعر :

تصدّقْ علينا يا ابنَ عفانَ واحتَسِبْ

وأمِّرْ علينا الأشْعَرِيّ لياليا

٨٩ــ قوله عز وجل : (قال هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بيوسفَ وأخيه) معنى قوله « هل علمتم ما فعلتم » أي قد علمتم ، كقوله تعالى: « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » أي قد أتى .

قال ابن إسحاق : ذكر لنا أنهم لما قالوا « مسّنا وأهلَنا الضرّ » رحمهم ورقّ لهم ، فقال : هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه . وعَدّدَ عليهم ما صنعوا بهما .

* (إذْ أنتم جاهِلون) فيه ثلاثة[٣]أوجه : (أحدها) يعنى جهل الصغر. (الثاني) جهل المعاصى . < (الثالث) الجهل بعواقب أفعالهم >[٤]. فحينئذ عرفوه .

٩٠ــ (قالوا أئنّكَ لأَنْتَ يوسفُ قال أنا يوسفُ وهذا أخي) وحكى الضحاك في قراءة عبد الله : وهذا أخي وبيني وبينه قربى .

* (قد مَنّ اللهُ علينا) يعنى بالسلامة ثم بالكرامة ، < ويحتمل بالاجتماع بعد طول الفرقة >[٥].

* (إنه مَنْ يتّقِ ويصْبِرْ) فيه تأويلان: (أحدهما) يتقى الزني ويصبر على العزوبة ، قاله ابراهيم . (الثاني) يتقى الله تعالى ويصبر على بلواه. وهو محتمل .

---

(١) سقط من ك

(٢) سقط من ق

(٣) في ق فيه وجهان احدهما

(٤) سقط من ق

(٥) سقط من ق

* (فإن الله لا يُضِيعُ أجْر المحسنين) فيه وجهان : (أحدهما) في الدنيا (الثاني) في الآخرة .

٩١– قوله عز وجل (قالوا تالله لقد آثَرَكَ اللهُ علينا) مأخوذ من الإيثار، وهو إرادة تفضيل أحد النفسين على الآخر ، قال الشاعر :

والله أسماك سُماً مُباركا آثَرَكَ اللهُ به إيثارَكا [1]

* (وإن كنا لخاطئين) أى فيما صنعوا بيوسف ، وفيه وجهان : (أحدهما) آثمين . (الثاني) مخطئين . والفرق بين الخاطيء والمخطيء أنّ الخاطيء آثم .

فإن قيل : < فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغارا ترجع عنهم الخطايا. قيل > [2] لما كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين.

٩٢– قوله عز وجل : (قال لا تَثْريبَ عليكم) فيه أربعة [3] تأويلات : (أحدها) لا تغيير عليكم ، وهو قول سفيان بن عيينة . (الثاني) < لا تأنيب فيما صنعتم ، قاله ابن إسحاق . (الثالث) لا إباء عليكم في قولكم ، قاله مجاهد > . (الرابع) لا عقاب عليكم وقال الشاعر [4] :

فعفَوْتُ عنهم عَفْوَ غير مُثَرِّبٍ وتركتهم لعقابِ يومٍ سَرْمدِ

* (اليومَ يغْفِر اللهُ لكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) لتَوبتهم بالاعتراف والندم . (الثاني) لإحلاله لهم بالعفو عنهم .

* (وهو أرْحَمُ الراحِمين) يحتمل وجهين : (أحدهما) في صنعه بي حين جعلني ملكا . (الثاني) في عفوه عنكم عما تقدم من ذنبكم [5] .

٩٣– قوله عز وجل (اذْهَبُوا بقميصي هذا فألقوه على وَجْه أبي يأتِ بَصيراً) فيه وجهان : (أحدهما) مستبصرا بأمرى لأنه إذا شم ريح القميص

---

(١) جاء هذا البيت في اللسان – سما ، ولم ينسب الى قائل
(٢) سقط من ق
(٣) في ق ، ثلاثة تأويلات
(٤) هو بشر وقيل تبع كما في اللسان – شرب
(٥) سقط من ق

عرفني . (الثاني) بصيرا من العمى فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبره . وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار ، فصار لإسحاق ثم ليعقوب ، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحازه حتى ألقاه [أخوه] على وجه أبيه فارتد [بصيرا] ، ولم يعلم بما سبق من سلامة ابراهيم [من النار] ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيرا

قال الحسن : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره . وكان الذى حمل قميصه يهوذا بن يعقوب ، قال ليوسف : أنا الذى حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته فأنا الآن أحمل قميصك لأسرّه وليعود إليه بصره فحمله ، حكاه السدى .

* (وأْتوني بأهْلِكم أجْمَعين) لتتخذوا مِصرَ داراً . قال مسروق فكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامرأة .

٩٤ـ قوله عز وجل (ولمّا فَصَلَت العِيرُ) أى خرجت من مصر منطلقة إلى الشام .

* (قال أبوهم إني لأجِد ريحَ يوسفَ) فيها قولان :

أحدهما ـ أنها أمارات شاهدة وعلامات قوى ظنه بها ، فكانت هى الريح التى وجدها ليوسف ، مأخوذ من قولهم قد تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون .

والقول الثاني ـ وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التى عرفها . قال جعفر بن محمد رضى الله عنه : وهى ريح الصبا . ثم اعتذر [1] فقال .

* (لولا أن تفنّدون) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ لولا أن تسفهون ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه قول النابغة الذبياني [2] :

(١) الى هنا سقط من ق .

(٢) البيت من معلقته التى مطلعها :

يادار ميـة بالعليـاء فالسـند ... أقوت وطال عليها سالف الابد

وقد جاء قبل قوله : الا سليمان ... هذا البيت .

ولا ارى فاعلا في الناس يشبهه ... ولا احاشي من الاقوام من احـد

سليمان هو سيدنا سليمن عليه السلام . والبرية المخلوقات . واحددها : امنعها .

إلاّ سليمانَ إذْ قال المليكُ له قمْ في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

أى عن السفه .

الثاني ــ معناه لولا أن تكذّبون ، قاله سعيد بن جبير والضحاك،ومنه قول الشاعر :

هَلْ في افتخار الكريم من أود[1] أم هلْ لقول الصديق مِن فَنَدِ

أى مِن كذب .

الثالث ــ لولا أن تضعّفون ، قاله ابن إسحاق . والتفنيد : تضعيف الرأى ، ومنه قول الشاعر :

يا صاحبيّ دعا لومى وتفنيدى فليس ما فات مِنْ أمْرى بمردود

وكان قوله[2] هذا لأولاد بنيه،لغيبة بنيه عنه ، فدلَّ هذا على أن الجدَّ أبٌ .

الرابع ــ لولا[3] أن تلوموني ، قاله ابن بحر ومنه قول جرير :
ومنه قول جرير :

يا عاذليَّ دعا الملامة واقصِرا طال الهوى وأطلْتُما التفنيدا

واختلفوا في المسافة التي وجد ريح قميصه منها على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه وجدها من مسافة عشرة أيام ، قاله ابو الهذيل .

الثاني ــ من مسيرة ثمانية أيام ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ من مسيرة ستة أيام ، قاله مجاهد . < وكان يعقوب بأرض كنعان ويوسف بمصر وبينهما ثمانون فرسخاً[4] ، قاله قتادة >[5] .

---

(١) أود : عوج

(٢) اي ان سيدنا يعقوب عليه السلام قال ذلك لاولاده .

(٣) سقط من ك

(٤) الفرسخ حوالى خمسة كيلو مترات ونصف فتكون المسافة ٤٤٠ كيلو مترا وهى موافقة للواقع بمقاييسنا

(٥) سقط من ق

٩٥ـ قوله عز وجل : (قالوا تالله إنك لفى ضَلالِك القديم) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ـ أى في خطئك القديم ، قاله ابن عباس وابن زيد .

الثاني ـ في جنونك القديم ، قاله سعيد بن جبير . قال الحسن : وهذا عقوق .

الثالث ـ في محبتك القديمة ، قاله قتادة وسفيان .

الرابع ـ في شقائك القديم، قاله مقاتل ، ومنه قول لبيد :

تمنى أن تلاقي آل سلمى بحطمة والمنى طرف الضّلال

< وفي قائل ذلك قولان : (أحدهما) بنوه ، ولم يقصدوا بذلك ذما فيأثموا . (الثاني) بنو[1] بنيه وكانوا صغارا >.

٩٦ـ قوله عز وجل : (فلما أنْ جاءَ البَشيرُ) وفيه قولان : (أحدهما) شمعون ، قاله الضحاك . (الثاني) يهوذا . سمى بذلك لأنه أتاه ببشارة .

* (ألْقاه على وَجْهِه) يعنى ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب .

* (فارْتَدَّ بَصيراً) أى رجع بصيرا ، وفيه وجهان : (أحدهما)بصيرا بخبر يوسف . (الثاني) بصيرا من العمى .

(قال أَلَمْ أقلْ لكم إني أعلمُ مِن اللهِ ما لا تَعْلَمونَ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ما لا تعلمون .

الثاني ـ إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف ما لا تعلمون.

الثالث ـ إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول الفرج ونيل الثواب ما لا تعلمون .

٩٧ـ قوله عز وجل (قالوا يا أبانا استَغْفِرْ لنا ذُنوبَنا) وإنما سألوه ذلك لأمرين : (أحدهما) أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله . (الثاني) أنه نبيٌّ تجاب دعوته ويعطى مسألته ، فروى ابن وهب عن الليث بن سعد أن يعقوب وإخوة يوسف قاموا عشرين سنة يطلبون التوبة

(١) سقط من ق

فيما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتى لقى جبريل يعقوب فعلّمه هذا الدعاء : يا رجاء المؤمنين لا تخيّبْ رجائي ، ويا غوْث المؤْمنين أغِثْني ، ويا عوْن المؤمنين أعِنّي ، ويا مجيب[1] التوّابين تُبْ عليّ فاستجيب لهم .

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل « لا تثريب عليكم» الآية ، فلم سألوا أباهم أن يستغفر لهم ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة : (أحدها) لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وعدا ، ولم يكن عن ماض فيكون خبرا . (الثاني) أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه ، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم في حق نفسه . (الثالث) أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته ، ولم يعلموا نبوة أخيهم فلم يثقوا بإجابته.

٩٨- قوله عز وجل : (قال سَوْفَ أستَغْفِرُ لكم ربي) وفي تأخيره الاستغفار لهم وجهان :

أحدهما — أنه أخره دفعاً عن التعجيل ووعدا من بعد ، فلذلك قال عطاء : طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ ، ألا ترى إلى قول يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم » وإلى قول يعقوب : « سوف استغفر لكم ربي ».

الثاني — أنه أخّره انتظارا لوقت الإجابة وتوقعا لزمان الطلب .

وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) عند صلاة الليل ، قاله عمرو بن قيس. (الثاني) إلى السحَر ، قاله ابن مسعود وابن عمر . روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أخرهم إلى السحر لأن [دعاء][2] السحر مستجاب . (الثالث) إلى ليلة الجمعة قاله ابن عباس ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً .

> وإنما سألوه[3] الاستغفار لهم وإن كان المستحق في ذنوبهم التوبة منها

(١) في ك ياحبيب التوابين

(٢) في الاصل لان معنى السحر ، ولا معنى له .

(٣) سقط من ق

دون الاستغفار لهم لثلاثة أمور : (أحدها) للتبرك بدعائه واستغفاره . (الثاني) طلبا لاستعطافه ورضاه . (الثالث) لحذرهم من البلوى والامتحان في الدنيا >.

٩٩– قوله عز وجل : (فلما دَخَلوا على يوسفَ آوَى إليه أبَوَيْه) اختلف في اجتماع يوسف مع أبويه وأهله . فحكى الكلبي والسدى أن يوسف خرج عن مصر وركب معه أهلها . وقيل خرج الملك الأكبر معه واستقبل يعقوب، قال الكلبي على يوم من مصر . وكان القصر على ضحوة من مصر ، فلما دنا يعقوب متوكئا على ابنه يهوذا يمشى ، فلما نظر إلى الخيل والناس قال : يا يهوذا أهذا فرعون ؟ قال : لا . هذا ابنك يوسف ، فقال يعقوب :السلام عليك يا مُذْهِب الأَحزان عنى . فأجابه يوسف :

(وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) فيه وجهان : (أحدهما) آمنين من فرعون ، قاله أبو العالية . (الثاني) آمنين من القحط والجدب ، قاله السدى .

وقال ابن جريج : كان اجتماعهم بمصر بعد دخولهم عليه فيها على ظاهر اللفظ ، فعلى هذا يكون معنى قوله : « ادخلوا مصر» استوطنوا مصر .

وفي قوله « إن شاء الله » وجهان (أحدهما) أنه يعود إلى استيطان مصر، وتقديره استوطنوا مصر إن شاء الله. (الثاني) أنه راجع إلى قول يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم ، ويكون اللفظ مؤخرا ، وهو قول ابن جريج .

فحكى ابن مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنسانا من رجل وامرأة ، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا .

١٠٠– قوله عز وجل : (ورَفَع أبَوَيْه على العرْش) قال مجاهد وقتادة : وفي أبويه قولان :

أحدهما – أنهما أبوه وخالته راحيل ، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أمّا ، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين ، قاله وهب والسدى .

الثاني ــ أنهما أبوه وأمّه وكانت باقية إلى دخول مصر ، قاله الحسن وابن إسحاق.

• (وخرّوا له سُجّداً) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنهم سجدوا ليوسف تعظيما له ، قال قتادة : وكان السجود تحية مَنْ قبلكم ، وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة .

وقال الحسن : بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا .

وقال محمد بن إسحاق : سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر .

والقول الثاني ــ أنهم سجدوا لله عز وجل ، قاله ابن عباس ، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود ، وكان سجودهم شكرا ، ويكون معنى قوله «وخرّوا» أى سقطوا ، كما قال تعالى : «فخرّ عليهم السقفُ مِنْ فَوْقهم[1]» أى سقط .

والقول الثالث ــ أن السجود هاهنا الخضوع والتذلل ، ويكون معنى قوله تعالى «خرّوا» أى بدروا [2] .

(وقال يا أبَتِ هذا تأويلُ رؤْيايَ مِنْ قبلُ قد جَعَلَهَا ربي حَقّاً) واختلف العلماء فيما بين رؤياه وتأويلها على خمسة أقاويل : (أحدها) أنه كان بينهما ثمانون سنة ، قاله الحسن وقتادة . (الثاني) كان بينهما أربعون سنة، قاله سليمان . (الثالث) ست وثلاثون سنة ، قاله سعيد بن جبير . (الرابع) اثنتان وعشرون سنة . (والخامس) أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة ، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل :فإن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلّا وثق بها يعقوب وتسلى ؟ ولم «قال يا بُنى لا تقصُصْ رؤْياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا» وما يضر الكيد مع سابق القضاء ؟

قيل عن هذا جوابان: (أحدهما) أنه رآها وهو صبى فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين . (الثاني) أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذى .

---

(١) آيــة ٢٦ النحــل

(٢) سقط من ق

* (وقد أحسن بي إذ أخرَجني من السِّجْن وجاءَ بكم من البَدْو) فإن قيل فلم اقتصر مِن ذكْر ما بُلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر ؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة :

أحدها — أنه كان في السجن مع الخوف من المعرة [ما] لم يكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر.

الثاني — أنه قال ذلك شكراً لله عز وجل على نقله من البلوى إلى النعماء، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب ، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملِكا ، وبخروجه من الجب عبدا .

الثالث — أنه لما عفا عن إخوته بقوله « لا تثريب عليكم اليوم» أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ(١).

< وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » أى من سجن السخط إلى فضاء الرضا > (٢).

وفي قوله « وجاء بكم من البدو » ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام ، وهذا قول قتادة .

الثاني — أنه كان قد نزل « بدا » وبنى تحت جبلها مسجدا ومنها قصد ، حكاه الضحاك عن ابن عباس . قال جميل :

وأنتِ التى حَبّبْتِ شَغْباً إلى بَدَا إليّ وأوطاني بلادٌ سِواهما (٣)

يقال بدا يبدو إذا نزل « بدا » فلذلك قال : وجاء بكم من البدو وإن كانوا سكان المدن .

(١) وقيل : لان دخوله السجن كان باختياره بقوله : « رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه » وكان في الجب بإرادة الله تعالى له .
وقيل لانه كان في السجن مع اللصوص والعصاة ، وفي الجب مع الله . والمنة في النجاة من السجن كانت أكبر لانه دخله بسبب امرئ به .

(٢) سقط من ق

(٣) بدا اسم موضع . وشغب : بين المدينة والشام .

الثالث – لأنهم جاؤوا في البادية وكانوا سكان مدن ، ويكون بمعنى في.

واختلف من قال بهذا في البلد الذى كانوا يسكنونه [١] على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم كانوا من أهل فلسطين ، قاله علي بن أبي طلحة . (الثاني) من ناحية حران من أرض الجزيرة ، ولعله قول الحسن < (الثالث) من الأولاج من ناحية الشعب ، حكاه ابن إسحاق [٢] > .

• (منْ بَعْدِ أنْ نَزَغَ الشّيطانُ بيْني وبَيْن إخْوَتي) وفي نزغه وجهان : (أحدهما) أنه إيقاع الحسد ، قاله ابن عباس . (الثاني) [٣] معناه حرّش وأفسد ، قاله ابن قتيبة .

• (إنّ ربي لطيفٌ لما يشاءُ) قال قتادة : لطيف بيوسف بإخراجه من من السجن . وجاء بأهله من البدو ، ونزع عن يوسف نزغ الشيطان .

١٠١– قوله عز وجل (ربِّ قد آتيْتَني مِنَ المُلْكِ) < فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أن الملك هو احتياج حساده إليه ، قاله ابن عطاء . (الثاني) أراد تصديق الرؤيا التى رآها . (الثالث) أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء. (الرابع) أنه أراد مُلْك الأرض وهو الأشهر . وإنما قال من الملك > [٤] لأنه كان على مصر من قبل فرعون .

• (وعلّمْتَني مِنْ تأويلِ الأحاديثِ) فيه وجهان : (أحدهما) عبارة الرؤيا ، قاله مجاهد . (الثاني) الإخبار عن حوادث الزمان ، حكاه ابن عيسى .

• (فاطرَ السّمَوَاتِ والأرْضِ) أى خالقهما.

• (أنْتَ وليّي في الدنيا والآخرةِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) مولاي (الثاني) ناصري .

---

(١) جاء في ق وفي سكنهم قولان : أحدهما .
(٢) سقط من ق
(٣) سقط من ق .
(٤) سقط من ق

* (تَوَفَّنِي مُسْلِماً) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى مخلصا للطاعة ، قاله الضحاك . (الثاني) على ملة الإسلام .

حكى الحسن أن البشير لما أتى يعقوب قال له يعقوب عليه السلام : على أي دين خَلَّفْتَ يوسف ؟ قال : على دين الإسلام . قال : الآن تمت النعمة .

* (وأَلْحِقْنِي بالصالِحِين) فيه قولان : (أحدهما) بأهل الجنة ، قاله عكرمة . (الثاني) بآبائه ابراهيم وإسحاق ويعقوب ، قاله الضحاك .

قال قتادة والسدى : فكان يوسف أول نبي تمنى الموت .

وقال محمد بن إسحاق : مكث يعقوب بأرض مصر سبع عشرة سنة . وقال ابن عباس مات يعقوب بأرض مصر وحمل إلى أرض كنعان فدفن هناك[1] . ودفن يوسف بأرض مصر ولم يزل بها حتى استخرج موسى عظامه وحملها فدفنها إلى جنب يعقوب عليهم السلام .

١٠٢ـ (ذلك مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ) يعنى هذا الذى قصصناه عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغَيْبِ .

* (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) أى نعلمك بوحي منا إليك .

* (وما كُنْتَ لديْهِمْ) أى إخوة يوسف

* (إذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ) في إلقاء يوسف في الجب .

* (وهم يمْكُرُون) يحتمل وجهين : (أحدهما) بيوسف في إلقائه في غيابة الجب . (الثاني) بيعقوب حين جاؤوا على قميصه بدم كذب .

١٠٦ـ قوله عز وجل : (وما يُؤْمِنُ أكثرهم باللهِ إلاَّ وهم مُشْرِكون) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى ، قاله الحسن . (الثالث) هو أن يشبه الله تعالى بخلقه ، قاله السدى.

(١) دفن يعقوب في مغارة بمدينة الخليل بها قبر ابراهيم عليه السلام وهي ضمن المسجد الابراهيمى الان وتسمى مغارة المكفيلة

(الرابع) أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان ،وهذا قول أبي جعفر . (الخامس) أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يصح إيمانهم ، حكاه ابن الأنبارى.

١٠٨ـ قوله عز وجل : (قُلْ هذه سبيلي) فيها تأويلان : (أحدهما) هذه دعوتي ، قاله ابن عباس . (الثاني) هذه سنتي . قاله عبد الرحمن بن زيد. والمراد بها تأويلان : (أحدهما) الإخلاص لله تعالى بالتوحيد . (الثاني) التسليم لأمره فيما قضاه .

* (أدْعو إلى اللهِ على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبَعَني) فيه تأويلان : (أحدهما) على هدى ، قاله قتادة . (الثاني) على حق ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد . وذكر بعض أصحاب الخواطر تأويلا (ثالثا) أى أبلّغ الرسالة ولا أملك الهداية .

١٠٩ـ قوله عز وجل (وما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحي[1] إليهم مِنْ أهْلِ القُرى) قال قتادة : من أهل الأمصار دون البوادى لأنهم أعلم وأحلم[2] . وقال الحسن : لم يبعث الله تعالى نبيا من أهل البادية قط ، ولا من النساء[3] ، ولا من الجن .

* (ولدارُ الآخرةِ خيْرٌ) يعني بالدار الجنة ، وبالآخرة القيامة ، فسمى الجنة دارا وإن كانت النار دارا لأن الجنة وطن اختيار ، والنار مسكن اضطرار .

١١٠ـ قوله عز وجل (حتى إذا استيأسَ الرسلُ) فيه وجهان : (أحدهما) من قولهم أن يصدقوهم ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن يعذب قومهم، قاله مجاهد. ويحتمل (ثالثا) استيأسوا من النصر .

* (وظَنّوا أنهم قد كُذِبُوا) في كذبوا قراءتان :

إحداهما ـ بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها ، قرأ بها الحَرَميّان

(١) قراءة نافع والجمهور « يوحَى » بالبناء للمجهول وقد سار عليها المؤلف لكنى اتبعت قراءة حفص لانها هي السائرة في بلادنا

(٢) في بعض النسخ واحكم .

(٣) وهذا يرد ما يروى من أن في النساء اربع نبيات : حواء وآسية وام موسى ومريم .

وأبو عمرو وابن عامر، وفي تأويلها وجهان : (أحدهما) يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذّبوهم ، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه وتيقن الرسل أن قومهم قد كذّبوهم . حكاه ابن عيسى .

والقراءة الثانية كُذِبوا بضم الكاف وتخفيف الذال ، قرأ بها الكوفيون، وفي تأويلها وجهان : (أحدهما) وظن اتباع الرسل أنهم قد كَذبوا فيما ذكروه لهم . (الثاني) فظن الرسل أن اتباعهم قد كَذبوا فيما أظهروه من الإيمان بهم.

• (جاءَهم نصْرُنا) فيه وجهان : (أحدهما) جاء الرسلَ نصْرُ الله تعالى، قاله مجاهد . (الثاني) جاء قومهم عذاب الله تعالى ، وهو قول ابن عباس.

• (فنُنْجِي[1] من نَشاءُ) قيل الأنبياء ومَنْ آمَنَ معهم.

• (ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القومِ المجْرِمِينَ) يعني عذابنا إذا نزل بهم.

١١١– قوله عز وجل (لقد كان في قَصَصِهم عِبْرَةٌ لأُولى الألْبابِ) يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذَوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن وعن الذل والرق إلى أن جعله مَلِكا مطاعا ونبيا مبعوثا ، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر ، وإنما الإمهال إنذار وإعذار.

• (ما كان حديثا يُفْتَرَى) أي يختلق ويُتخرّص ، وفيه وجهان : (أحدهما) يعني القرآن ، قاله قتادة . (الثاني) ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق[2].

• (ولكنْ تصديقَ الذى بَيْنَ يَدَيْهِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه مصدّق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى ، وهذا تأويل من زعم أنه القرآن . (الثاني) يعني ولكن يصدّقه ما قبله من كتب الله تعالى، وهذا قول من زعم أنه القصص .

(١) قراءة نافع وباقى السبعة فننجى بنونين ماعدا عاصما . وفي قراءة حفص المتداولة في مصاحفنا اليوم فنجى بالبناء للمجهول .

(٢) ذكر ابن اسحاق عن الزهرى عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى : أن يعقوب عليه السلام عاش مائة سنة وسبعا وأربعين سنة ، وتوفي أخوه عيصو معه في يوم واحد ، وقبرا في قبر واحد . فذلك قوله تعالى : لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ... الى آخر السورة

* (وهُدًى ورحمةً لقومٍ يُؤْمِنون) — والله أعلم—(١)

تمت سورة يوسف .

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه (١) .

(١) ليس في ق وقد أخذناه من ك

سورة الرعد

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر[١] ، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس مدنية إلا آيتين منها وهما قوله تعالى : « ولو أنّ قرآنا سُيِّرتْ به الجبالُ » إلى آخرهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل : (المر تلك آياتُ الكِتابِ) وفي الكتاب ثلاثة أقاويل : (أحدها) الزبور ، وهو قول مطر . (الثاني) التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد. (الثالث) القرآن ، قاله قتادة . فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله « تلك آيات الكتاب » أي هذه آيات الكتاب .

* (والذى أُنْزِل إليكَ مِنْ ربّك الحَقُّ) يعني القرآن .

* (ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يؤْمِنون) يعني بالقرآن أنه منزّل بالحق. < وفي المراد بأكثر الناس قولان : (أحدهما) أكثر اليهود والنصارى ، لأن أكثرهم لم يسلم . (الثاني) أكثر الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] >.

٢ – قوله عز وجل : (اللهُ الذى رَفَعَ السموات بغَيْر عَمَدٍ تَرَوْنَها) فيه تأويلان : (أحدهما) يعني بعمد[٣] لا ترونها ، قاله ابن عباس. (الثاني) أنها مرفوعة بغير عمد ، قاله قتادة وإياس بن معاوية .

وفي رفع السماء وجهان : (أحدهما) رفْع قدرها وإجلال خطرها ، لأن السماء أشرف من الأرض . (الثاني) سمكها حتى علت على الأرض .

٣ – قوله عز وجل : (وهو الذى مَدّ الأرْضَ) أي بسطها للاستقرار عليها ، ردا على من زعم أنها مستديرة كالكرة [٤].

---

(١) وهذا القول مرجوح ، والراجح أنها مدنية كما في المصاحف المتداولة

(٢) سقط من ق .

(٣) ويكون على التقديم والتأخير ، والتقدير ترونها بغير عمد ولكن الحقيقة ان لها عمدا لا ترونها ، ويمكن ان يقال على هذا القول العمد قدرته تعالى التى يمسك بها السموات والارض وهي غير مرئية لنا

(٤) وهذا القول هو الصحيح وقد اثبته العلم الحديث كما قال به كثير من مفسرى المسلمين، يقول الفخر الرازى : لا ينكر كروية الارض الا من لا تدبر عنده .

• (وجَعَلَ فيها رواسيَ) أي جبالا ، واحدها راسية ، لأن الأرض ترسو بها ، أي تثبت . قال جميل :

أُحِبُّهُ والذي أَرْسَى قواعدَه حُبّاً إذا ظَهَرَتْ آياتُه بَطَنا

قال عطاء : أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس[1] .

• (وأنهارا) وفيها من منافع الخلق شرب الحيوان ونبات الأرض ومغيض الأمطار ومسالك الفُلْك[2] .

• (ومِنْ كُلِّ الثمراتِ جَعَلَ فيها زوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها ، كذلك كل النبات وإن خفى . والزوج الآخر حلو وحامض ، أو عذب ومالح ، أو أبيض وأسود ، أو أحمر وأصفر ، فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين ، فصار كل ثمر ذى نوعين زوجين ، وهى أربعة أنواع .

• (يُغْشِي الليلَ النهارَ) معناه يغشي ظلمةَ الليل ضوءَ النهار ، ويغشي ضوءَ النهار ظلمةَ الليل .

٤ ـ قوله عز وجل (وفي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتجاوِراتٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المتجاورات المدن وما كان عامرا ، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر . (الثاني) أى متجاورات في المدى ، مختلفات في التفاضل. وفيه وجهان : (أحدهما) أن يتصل ما يكون نباته مرا . (الثاني) أن تتصل المعذبة التى تنبت بالسبخة التى لا تنبت ، قاله ابن عباس .

• (وجَنّاتٌ من أعْنابٍ وزَرْعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ) فيه أربعة أوجه :

أحدها ـ أن الصنوان المجتمع ، وغير الصنوان المفترق ، قاله ابن جرير. قال الشاعر :

العلمُ والحِلْمُ خُلّتا كَرَمٍ للمرءِ زيْنٌ إذا هما اجْتَمعا

(١) جبل مشرف على المسجد بمكة .
(٢) أي طرق السفن

صِنوانٍ لا يستمُّ حُسْنُهما إلا بجمْعِ ذا وذاك مَعا (١)

الثاني ــ أن الصنوان النخلات يكون أصلها واحدا ، وغير صنوان أن تكون أصولها شتى ، قاله ابن عباس والبراء بن عازب .

الثالث ــ أن الصنوان الأشكال ، وغير الصنوان المختلف ، قاله بعض المتأخرين .

الرابع ــ أن الصنوان الفسيل يقطع من أمهاته ، وهو معروف ، وغير الصنوان ما ينبت من النوى ، وهو غير معروف حتى يعرف ، وأصل النخل الغريب من هذا ، قاله على بن عيسى .

• (يُسْقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعْضَها على بعْضٍ في الأُكُلِ) فبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أصفر ، وبعضه أحمر ، وبعضه قليل ، وبعضه كثير .

• (إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلون) فيه وجهان : (أحدهما) أن في اختلاف ذلك اعتبارا يدل ذوى العقول على عظيم القدرة ، وهو معنى قول الضحاك . (الثاني) أنه مثل ضربه الله تعالى لبنى آدم ، أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التى تسقى بماء واحد ، قاله الحسن .

٥ ــ قوله عز وجل (وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهم) الآية . معناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك فأعجبُ منه تكذيبهم بالبعث . والله تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب ، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه ، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون .

٦ ــ قوله عز وجل (ويَسْتَعْجِلونَكَ بالسَّيئة قبْل الحَسَنَةِ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعنى بالعقوبة قبل العافية ، قاله قتادة . (الثاني) بالشر قبل الخير ، وهو قول رواه سعيد بن بشير . (الثالث) بالكفر قبل الإجابة ، رواه القاسم بن يحيى .

(١) هذان البيتان سقطا من ق

ويحتمل [١] (رابعا) بالقتال قبل الاسترشاد .

* (وقد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهم المَثُلاتُ) فيه ثلاثة تأويلات: (أحدها) الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم ، قاله مجاهد . (الثاني) أنها العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية [٢] ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنها العقوبات المستأصلة التي لا تبقي معها باقية كعقوبات عاد وثمود حكاه ابن الأنباري. والمثلات : جمع مَثُلَة .

* (وإنَّ ربَّكَ لذو مغفرةٍ للناسِ على ظُلْمِهم) فيه ثلاثة تأويلات: (أحدها) يغفر لهم ظلمهم السالف بتوبتهم في الآنف ، قاله القاسم بن يحى . (الثاني) يغفر لهم بعفوه عن تعجيل العذاب مع ظلمهم بتعجيل المعصية. (الثالث) يغفر لهم بالإنظار توقعا للتوبة .

* (وإنَّ ربَّك لَشَديدُ العِقابِ) فروى سعيد [٣] بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية : لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل [٤] أحد .

٧ – قوله عز وجل : (... إنما أَنْتَ مُنْذِرٌ) يعني النبي صلى الله عليه وسلم نذير لأمته .

* (ولكلِّ قومٍ هادٍ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) أنه الله تعالى ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . (الثاني) ولكل قوم هادٍ أى نبي يهديهم، قاله مجاهد وقتادة . (الثالث) ولكل قوم هاد معناه ولكلٍّ قوم قادةوهداة، قاله أبو صالح . (الرابع) ولكل قوم هاد ، أى دعاة ، قاله الحسن . (الخامس) معناه ولكل قوم عمل ، قاله أبو العالية . (السادس) معناه ولكل قوم سابق بعلم يسبقهم إلى الهدى ، حكاه ابن عيسى .

٨ – قوله عز وجل (اللهُ يعلَمُ ما تحملُ كلُّ أُنثى) قال ابن أبي نجيح يعلم أذكر هو أم أنثى .

---

(١) كل ما أورده المؤلف بقوله « ويحتمل » فهو رأيه الخاص به كما أوضح رحمه الله في مقدمة كتابه هذا .

(٢) في ك : السالفة والمعنى واحد

(٣) اخرجه ابن ابى حاتم والثعلبي من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب .

(٤) كل : سقطت من ك . وهي في ق خل والتصويب من تفسير القرطبي ٩/٢٨٥

ويحتمل وجها آخر: يعلم أصالح هو أم طالح .

• (وما تَغيضُ الأرْحامُ وما تَزْدادُ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها — «وما تغيض الأرحام» بالسقط [1] الناقص، "وما تزداد" بالولد التام، قاله ابن عباس والحسن .

الثاني — «ما تغيض الأرحام» بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، «وما تزداد» بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير والضحاك. وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد خرجت سني .

الثالث — «وما تغيض الأرحام» بانقطاع الحيض في الحمل. «وما تزداد» بدم النفاس بعد الوضع . قال مكحول : جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل.

الرابع — «وما تغيض الأرحام» بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد «وما تزداد» في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل، لأنها كلما حاضت على حملها يوما ازدادت في طهرها يوما حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهرا ، قاله عكرمة وقتادة .

الخامس — «وما تغيض الأرحام» من ولدته قبل . «وما تزداد» من تلده من بعد ، حكاه السدى وقتادة .

• (وكُلُّ شيءٍ عِنْدَه بمقْدارٍ) فيه وجهان : (أحدهما) في الرزق والأجل ، قاله قتادة . (الثاني) فيما تغيض الأرحام وما تزداد ، قاله الضحاك .

ويحتمل (ثالثا) أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية .

١٠— قوله تعالى : (سَواءٌ مِنكم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ ومَنْ جَهَرَ به) إسرار القول : ما حدّث به نفسه ، والجهر ما حدّث به غيره . والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسرّه الإنسان من خير وشر .

(١) في الاصول بالقسط وهو تحريف ولا معنى له اما السقط فهو الجنين يسقط من بطن امه قبل تمام الحمل .

* (ومَنْ هو مُسْتخْفٍ بالليل وساربٌ بالنهارِ) فيه وجهان :

أحدهما – يعلم من استخفى بعمله في ظلمة الليل ، ومن أظهره في ضوء النهار .

الثاني – يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار ، بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم . قال الشاعر :

وليْلٍ يقولُ الناسُ في ظُلُماتِه   سَواءٌ صحيحاتُ العُيونِ وعورها

والسارب: هو المنصرف الذاهب ، مأخوذ من السُّروب في المرعى ، وهو بالعشي . والسروح بالغداة ، قال قيس بن الخطيم :

أنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غيرَ سَروبِ   وتُقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريب

١١– قوله عز وجل : (له مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِه) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم حراس الأُمراء يتعاقبون الحرس ، قاله ابن عباس وعكرمة . (الثاني) أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده، قاله عبد الرحمن بن زيد . (الثالث) أنهم الملائكة ، إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل ، وإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار ، قاله مجاهد وقتادة . قال الحسن : وهم أربعة أملاك : اثنان بالنهار ، واثنان بالليل، يجتمعون عند صلاة الفجر .

وفي قوله تعالى « مِنْ بَيْنِ يَدَيْه ومِنْ خَلْفِه » ثلاثة أوجه :

أحدها – من أمامه ووارئه، < وهذا قول من زعم أن المعقبات حراس الأمراء >(١).

الثاني – الماضي والمستقبل ، وهذا قول من زعم أن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه .

الثالث – من هُداه وضلاله ، وهذا قول من زعم أن المعقبات الملائكة.

* (يَحْفَظونَه مِنْ أَمْرِ اللهِ) تأويله يختلف بحسب اختلاف [معنى] المعقبات ، فإن قيل بالقول الأول أنهم حراس الأمراء ففي قوله « يحفظونه »

(١) سقط من ق .

أى عند نفسه من أمر الله ولا راد لأمره ولا دافع لقضائه ، قاله ابن عباس وعكرمة .

الثاني — أن في الكلام حرف نفي محذوفاً وتقديره : لا يحفظونه من أمر الله .

وإن قيل بالقول الثاني ، إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه ، ففى تأويل قوله تعالى : « يحفظونه من أمر الله» وجهان : أحدهما يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله ، قاله الضحاك . الثاني يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر ، قاله أبو مالك وكعب الأحبار .

وإن قيل بالقول الثالث — وهو الأشبه — أن المعقبات الملائكة ، ففيما أريد بحفظهم له وجهان : (أحدهما) يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله . (الثاني) يحفظون نفسه .

فعلى هذا في تأويل قوله تعالى « يحفظونه من أمر الله » ثلاثة أوجه : (أحدها) يحفظونه بأمر الله ، قاله مجاهد . (الثاني) يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله ، وهو محكي عن ابن عباس . (الثالث) أنه على التقديم والتأخير وتقديره : له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، قاله ابراهيم .

وفي هذه الآية قولان : (أحدهما) أنها عامة في جميع الخلق ، وهو قول الجمهور . (الثاني) أنها خاصة نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أزمع عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة[1] أخو لبيد على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله عز وجل منهما وأنزل هذه الآية فيه ، قاله ابن زيد .

(إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنْفُسِهِم) يحتمل وجهين:

(١) اربد بن ربيعة : هكذا ورد في الاصول ، ومثله في تفسير القرطبى ، والذى في سيرة ابن هشام انه اربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر . فهو اخو لبيد لأمه . سيرة ابن هشام ٢١٣/٤ ، ٢١٥

(أحدهما) أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية (الثاني) لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة.

• (وإذا أرادَ اللهُ بقومٍ سُوءاً فلا مَرَدَّ له) فيه وجهان: (أحدهما) إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه. (الثاني) إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مردّ لبلائه.

• (وما لهُمْ مِن دُونِه مِنْ والٍ) فيه وجهان: (أحدهما) من ملجأ وهو معنى قول السدي. (الثاني) يعني من ناصر، ومنه قول الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من والِ[1]

١٢– قوله عز وجل: (هُو الذى يُريكُمُ البَرْقَ خَوْفا وطَمَعَاً) فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها – خوفا للمسافر من أذيته، وطمعا للمقيم في بركته، قاله قتادة.

الثاني – خوفا من صواعق البرق، وطمعا في غيثه المزيل للقحط، قاله الحسن.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

الثالث – خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه.

• (ويُنْشِئُ السّحابَ الثِّقالَ) قال مجاهد: ثقال بالماء.

١٣– قوله عز وجل: (ويُسبّح الرعدُ بحَمْدِه) وفي الرعد قولان:

أحدهما – أنه الصوت المسموع، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب.

الثاني – أن الرعد ملك، والصوت المسموع تسبيحه، قاله عكرمة.

• (والملائكةُ مِنْ خيفَتِهِ) فيه وجهان: (أحدهما) وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى، قاله ابن جرير. (الثاني) من خيفة الرعد، ولعله قول مجاهد.

---

(١) لم أعثر على تمام البيت.

• (ويُرْسِلُ الصواعقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاءُ) اختلف فيمن نزل ذلك فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذته صاعقة ، قاله قتادة .

الثاني — في أربد بن ربيعة وقد كان همّ بقتل النبي صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل فتيبست يده على سيفه ،وعصمه الله تعالى منهما ، ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته . قال ابن جرير : وفي ذلك يقول أخوه لبيد :

أخشى على أَرْبَدَ الحُتوفَ ولا أَرْهب نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ
فجّعني البَرْق والصواعق بالفا رسِ يومَ الكريهة النَّجُدِ (١)

الثالث — أنها نزلت في يهودى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اخبرني عن ربك من أي شيء ،من لؤلؤ أو ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، قاله علي وابن عباس ومجاهد .

روى أبان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل(٢) .

• (وهم يُجادِلون في الله) فيه وجهان : (أحدهما) يعني جدال اليهودى حين سأل عن الله،من أى شيء هو ؟ قاله مجاهد . (الثاني) جدال أربد فيما همّ به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن جريج .

• (وهو شديد المِحالِ) فيه تسعة تأويلات :

أحدها — يعني شديد العداوة ، قاله ابن عباس .

الثاني — شديد الحقد ، قاله الحسن .

الثالث — شديد القوة ، قاله مجاهد .

الرابع — شديد الغضب ، قاله وهب بن منبه .

(١) الحتوف : جمع حتف وهو الهلاك . والسماك والاسد نجمان والنجد بفتح النون مشددة وضم الجيم : الشجاع

(٢) لم اجده في الصحاح الستة ، واورده القرطبي بهذه الالفاظ وبنفس السند

الخامس – شديد الحيلة ، قاله قتادة والسدى .

السادس – شديد الحَوْل ، قاله ابن عباس أيضا .

السابع – شديد الإهلاك بالمحْل وهو القحط ، قاله الحسن أيضا .

الثامن – شديد الأخذ ، قاله علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

التاسع – شديد الانتقام والعقوبة ، قاله أبو عبيدة وأنشد لأعشى بني ثعلبة :

فَرْع نَبْع يَهْتزُّ في غُصن المجْـ ـدِ كريم النَّدَى عَظِيمُ المِحالِ

١٤– قوله عز وجل (له دَعْوَةُ الحَقِّ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – أن دعوة الحق لا إله إلا الله ، قاله ابن عباس .

الثاني – أن الله تعالى هو الحق ، فدعاؤه دعوة الحق .

الثالث – أن الإخلاص في الدعاء هو دعوة [1] الحق ، قاله بعض المتأخرين .

ويحتمل قولا رابعا – أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه ، كما قال تعالى : «ضلّ مَن تدْعون إلا إياه» هو أشبه[2] بسياق الآية لأنه قال :

• (والذين يَدْعُونَ مِنْ دونِهِ) يعني الأصنام والأوثان .

• (لا يَسْتجيبُونَ لهم بشَيْءٍ) أي لا يجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداء .

• (إلاّ كباسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وما هو ببالِغِهِ) ضَرب الله عز وجل الماء مثلا لإياسهم من إجابة دعائهم لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماءَ باليد ، كما قال أبو الهذيل[3] :

---

(١) سقط من الاصول وقد أخذناه من تفسير القرطبى الذى نقل الاقوال في هذه المسألة ، كما حكاها الماوردى حرفيا : تفسير القرطبى ٩/٣٠٠

(٢) هذا ترجيح من المؤلف وقد نقل ذلك عنه القرطبى . انظر تفسيره ٩/٣٠٠

(٣) في ق : ابو دهبل

فأصبَحتْ مِمّا كان بيَني وبينَها مِن الودّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ

وفي معنى هذا المثَل ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن الذى يدعو إلها من دونِ الله كالظمآن الذى يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه ، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا، لأن الماء لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه ، قاله مجاهد .

الثاني ــ أنه كالظمآن الذى يرى خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ أنه كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شيء منه .

< وزعم الفراء أن المراد بالماء هاهنا البئر لأنها معدن للماء، وأن المثل كمن مد يده إلى البئر بغير رشاء ، وشاهده قول الشاعر [١] > [٢] :

فإنّ الماءَ ماءُ أبي وجَدّي وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ [٣]

١٥ــ قوله عز وجل : (ولله يَسْجُد [٤] مَنْ في السموات ومَنْ في الأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ طوعا سجود المؤمن ، وكرها سجود الكافر ، قاله قتادة.

الثاني ــ «طوعا» من دخل في الإسلام رغبة، «وكرها» من دخل فيه رهبة بالسيف ، قاله ابن زيد .

---

(١) هو سنان بن الفحل الطائى يخاطب عبد الرحمن بن الضحاك في شأن بئر وقع فيها نزاع بين حيين من العرب .

(٢) سقط من ق

(٣) هذا البيت من الشواهد النحوية والشاهد فيه استعمال «ذو» اسما موصولا وهى لغة طيئ لا يستعملها موصولا غيرهم . وقد ورد البيت في همع الهوامع وشرح الاشمونى والتصريح وخزانة الادب وغيرها .
انظر معجم شواهد العربية للاستاذ عبد السلام هارون .

(٤) هذه من سجدات القرآن .

الثالث – « طوعا » من طالت مدة إسلامه فألف السجود ، « وكرها » من بدأ بالإسلام حتى يألف السجود ، حكاه ابن الأنبارى .

الرابع – ما قاله بعض أصحاب الخواطر أنه إذا نزلت به المصائب ذل ، وإذا توالت عليه النعم ملّ .

• (وظِلالُهُمْ بالغُدوِّ والآصال) يعني أن ظل كل إنسان يسجد معه بسجوده ، فظل المؤمن يسجد طائعا كما أن سجود المؤمن طوعا ، وظل الكافر يسجد كارها كما أن سجود الكافر كرها .

والآصال جمع أُصُل ، والأُصُل جمع أصيل ، والأصيل العَشِيّ وهو ما بين العصر والمغرب ، قال أبو ذؤيب :

لعَمْري لأنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَه وأَقْعُد في أفْيائه بالأصائل

١٦– قوله عز وجل : (قُلْ مَنْ رَبُّ السموات والأرْض) أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش: « من رب السموات والأرض » ثم أمره أن يقول لهم:

• (قُل الله) إن لم يقولوا ذلك افهاما قالوه تقريرا لأنه جعل ذلك إلزاما .

• (قل أفاتّخذْتم مِنْ دونه أولياءَ لا يَمْلِكون لأنفُسِهم نَفْعاً ولا ضَرّاً) ثم أمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا بعد اعترافهم بالله: افاتخذتم من دون الخالق المنعم آلهة من أصنام وأوثان فعبدتموها من دونه ، لا يملكون لأنفسهم نفعا يوصلونه إليها ولا ضرا يدفعونه عنها ، فكيف يملكون لكم نفعا أو ضرا ؟ وهذا إلزام صحيح .

• ثم قال تعالى : (قل هل يَسْتَوى الأعْمى والبَصيرُ أمْ هلْ تسْتَوي الظُّلُماتُ والنورُ) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير ، والهدى والضلالة كالظلمات والنور ، فالمؤمن في هُداه كالبصير يمشي في النـــور ، والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات ، وهما لا يستويان ، فكذلك المؤمن والكافر لا يستويان ، وهذا من أصح مثل ضربه الله تعالى وأوضح تشبيه .

* ثم قال تعالى (أمْ جَعَلوا لله شُركاءَ خَلَقوا كخلْقه فتَشابَهَ الخَلْقُ عليهم) ومعناه أنه لما لم يخلق آلهتهم التي عبدوها خلقا كخلق الله فيتشابه عليهم خلقُ آلهتهم بخلق الله فلِمَ اشتبه عليهم حتى عبدوها كعبادة الله تعالى ؟

* (قل اللهُ خالقُ كلِّ شَيْءٍ) فلزم لذلك أن يعبده كل شيء .

* (وهو الواحدُ القهار) .

وفي قوله «فتشابهَ الخَلْقُ عليهم» تأويلان : (أحدهما) فتماثل الخلق عليهم . (الثاني) فأشكل الخلق عليهم ، ذكرهما ابن شجرة .

١٧– قوله عز وجل : (أنْزَلَ مِن السّماءِ ماءً فسالتْ أوْدِيَةٌ بقَدَرِها) فيه وجهان : (أحدهما) يعني بما قدر لها من قليل أو كثير . (الثاني) يعني الصغير من الأودية سال بقدر صغره ، والكبير منها سال بقدر كبره .

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وما يدخل منه في القلوب ، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه ، وشبه القلوب بالأدوية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية من الماء بحسب سعتها وضيقها .

قال ابن عباس : «أنزل من السماء ماءً» أي قرآنا «فسالت أودية بقدرها» قال : الأودية قلوب العباد .

* (فاحتمل السيلُ زبَداً رابياً) الرابي : المرتفع . وهو مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل ، فالحق ممثل بالماء الذى يبقى في الأرض فينتفع به ، والباطل ممثل بالزبد الذى يذهب جُفاءً لا ينتفع به .

* ثم ضرب مثلا ثانيا بالنار فقال : (ومما يُوقِدُونَ عليْهِ في النارِ ابْتغاءَ حِليةٍ) يعني الذهب والفضة .

* (أو مَتاعٍ) يعني الصُفر والنحاس .

* (زَبَدٌ مِثْلُهُ..) يعني أنه اذا سُبِك بالنار كان له خبث كالزبد الذى على الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل ، ويبقى صفوه فينتفع به كالحق .

* وقوله تعالى : (.. فيَذْهَبُ جُفاءً) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني منشقا ، قاله ابن جرير . (الثاني) جافيا على وجه الأرض ، قاله ابن عيسى . (الثالث) مرميا ، قاله ابن إسحاق .

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رؤبة يقرأ : جفالا . قال أبو عبيدة : يقال أجْفَلَت القدرُ إذا قَذَفَتْ بزبدها .

١٨— قوله عز وجل : (للذين استجابوا لربهم الحُسْنَى) فيها تأويلان :

أحدهما — الجنة ، رواه أُبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني — أنها الحياة والرزق ، قاله مجاهد .

< ويحتمل تأويلا ثالثا — أن تكون مضاعفة الحسنات > (١) .

* (والذين لم يستجيبوا له لو أنَّ لهم ما في الأَرْضِ جميعاً ومثلَهُ مَعَه لافْتَدَوْا به أولئك لهم سُوءُ الحِساب) .

[في «سوء الحساب»(٢)] أربعة تأويلات : (أحدها) أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يُعفَى لهم عن شيء منها ، قاله ابراهيم النخعي. وقالت عائشة رضي الله عنها : من نوقش الحساب هلك . (الثاني) أنه المناقشة في الأعمال ، قاله أبو الجوزاء . (الثالث) أنه التقريع والتوبيخ ، حكاه ابن عيسى < (الرابع) هو أن لا تقبل حسناتهم فلا تغفر سيئاتهم > (٣) .

ويحتمل (خامسا) أن يكون سوء الحساب ما أفضى إليه حسابهم من السوء وهو العقاب .

٢١— قوله عز وجل : (والذين يَصلُونَ ما أَمَرَ اللهَ به أنْ يُوصل) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنها الرحم التي أمرهم الله تعالى بوصلها .

* (ويَخْشَوْنَ رَبّهم في قطعها ويخافُون سُوءَ الحِسابِ) في المعاقبة عليها ، قاله قتادة .

الثاني — صلة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله الحسن .

الثالث — الإيمان بالنبيين والكتب كلها ، قاله سعيد بن جبير .

< ويحتمل رابعا — أن يصلوا الإيمان بالعمل > (٤) .

(١) سقط من ق
(٢) عبارة اقتضاها السياق .
(٣) سقط من ق
(٤) سقط من ق

* (وَيَخْشَوْنَ ربَّهُم) فيما أمَرَهم بوصله .

* (ويخافون سُوءَ الحِسابِ) في تركه .

٢٢ـ قوله عز وجل : (ويَدْرَؤُونَ بالحَسَنَةِ السَّيئةَ) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) يدفعون المنكر بالمعروف ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) يدفعون الشر بالخير ، قاله ابن زيد . (الثالث) يدفعون الفحش بالسلام ، قاله الضحاك. (الرابع) يدفعون الظلم بالعفو ، قاله جويبر . (الخامس) يدفعون سَفَه الجاهل [1] بالحلم، حكاه ابن عيسى . (السادس) يدفعون الذنب بالتوبة ، حكاه ابن شجرة . (السابع) يدفعون المعصية بالطاعة .

٢٤ـ قوله عز وجل (سَلامٌ عليكم بما صَبَرْتُمْ) فيه ستة تأويلات: (أحدها) معناه بما صبرتم على أمر الله تعالى ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) بما صبرتم على الفقر في الدنيا ، قاله أبو عمران الجوني . (الثالث) بما صبرتم على الجهاد في سبيل الله ، وهو مأثور عن عبد الله بن عمر . (الرابع) بما صبرتم عن فضول الدنيا ، قاله الحسن ، وهو معنى قول الفضيل بن عياض . (السادس) بما صبرتم عما تحبونه حين فقدتموه ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (سابعا) بما صبرتم على [عدم] اتباع الشهوات .

* (فنِعْمَ عُقْبى الدار) فيه وجهان : (أحدهما) فنعم عقبى الجنة عن الدنيا، قاله ابو عمران الجوني (الثاني) فنعم عقبى الجنة من النار ، وهو مأثور.

٢٦ـ قوله تعالى : (وما الحياة الدُّنْيا في الآخِرةِ إلاّ مَتاعٌ) وفيه وجهان : (أحدهما) أي قليل ذاهب ، قاله مجاهد . (الثاني) زاد الراعي ، قاله ابن مسعود.

ويحتمل (ثالثا) وما جعلت الحياة الدنيا إلا متاعاً يتزود منها إلى الآخرة من التقوى والعمل الصالح .

٢٨ـ قوله عز وجل : (والذين آمَنوا وتَطْمَئِنُّ قُلوبُهم بذِكْرِ اللهِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) بذكر الله < بأفواههم، قاله قتادة. (الثاني) بنعمة الله عليهم، (الثالث) بوعد الله لهم> [2] ذكره ابن عيسى. (الرابع) بالقرآن، قاله مجاهد.

* (ألاَ بذِكْرِ اللهِ تطْمَئِنُّ القُلوبُ) يحتمل ثلاثة أوجه :
أحدها ـ بطاعة الله .

---

(١) فالسفه السيئة ، والحلم الحسنة

(٢) سقط من ك

الثاني - بثواب الله(١) .

الثالث - بوعد الله تعالى لهم .

٢٩- قوله عز وجل : (الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ طُوبَى لهم وحُسْنُ مَآبٍ) فيه تسعة تأويلات : (أحدها) أن طوبى شجرة في الجنة اسمها طوبى، قاله أبو هريرة . (الثاني) أن طوبى اسم من أسماء الجنة ، قاله مجاهد . (الثالث) معنى طوبى لهم حسنى لهم ، قاله قتادة . (الرابع) معناه نِعمَ ما لهم ، قاله عكرمة . (الخامس) معناه خير لهم ، قاله ابراهيم . (السادس) معناه غبطة لهم، قاله الضحاك . (السابع) معناه فرح لهم وقرة عين ، قاله ابن عباس . (الثامن) العيش الطيب لهم ، قاله الزجاج . (التاسع) أن طوبى فُعْلى من الطيب كما قيل أفضل وفضلى ، ذكره ابن عيسى .

وهذه معان أكثرها متقاربة .

وفيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها كلمة حبشية ، قاله ابن عباس . (الثاني) كلمة هندية ، قاله عبد الله بن مسعود. (الثالث)عربية، قاله الجمهور.

٣٠- قوله تعالى : (.. وهم يَكْفُرونَ بالرّحْمنِ قُلْ هو رَبّي) قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب القضية بينه وبينهم ، فقال للكاتب : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا ما ندرى ما الرحمن وما نكتب إلا : باسمك اللهم. وحكى عن ابن إسحاق أنهم قالوا : قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذى تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن به أبدا ، فأنزل الله تعالى : «وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو» يعني أنه إله واحد وإن اختلفت أسماؤه

* (عليه تَوَكّلْتُ وإليه مَتابِ) قال مجاهد يعني بالمتاب التوبة .

ويحتمل (ثانيا) وإليه المرجع .

٣١- قوله عز وجل : (ولو أنَّ قُرآنا سُيِّرَتْ به الجِبالُ أوْ قُطِّعَتْ به الأرضُ) الآية . وسبب ذلك ما حكاه مجاهد وقتادة أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنْ سَرَّكَ أن نتبعك فسيِّرْ جبالنا حتى تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة، وقرب لنا الشام فإننا نتجر إليها ، وأخرج لنا الموتى من القبور نكلمها، فأنزل

(١) سقط من الاصول وقد أخذناه من كتب التفسير لا سيما تفسير القرطبي

الله تعالى . « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » أى أُخِّرت . « أو قطّعت به الأرض » أى قربت .

• (أو كُلِّمَ به الموْتَى) أى أُحْيوا .

وجواب هذا محذوف وتقديره لكان هذا القرآن ، لكن حذف إيجازا لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف .

• ثم قال تعالى : (بلْ للهِ الأَمْرُ جميعاً) أى هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها .

• (أفَلم ييأس ِالذين آمَنوا أنْ لو يَشاءُ اللهُ لهَدَى الناسَ جَميعاً) وذلك أن المشركين لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه استراب المؤمنون إليه فقال الله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » .

وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها — معناه أفلم يتبين الذين آمنوا ، قاله عطية ، وهى في القراءة الأولى : أفلم يتبين الذين آمنوا . وقيل لغة جرهم « أفلم ييأس » أى يتبين .

الثاني — أفلم يعلم ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد ، ومنه قول رباح ابن عدى :

ألم ييأس الأقْوامُ أنِّي أنا ابنُهُ وإنْ كُنْتُ عن أرْضِ العشيرةنائيا

الثالث — أفلم ييأس الذين آمنوا بانقطاع طمعهم .

وفيما يئسوا منه على هذا التأويل وجهان : (أحدهما) يئسوا مما سأله المشركون ، قاله الفراء . (الثاني) ييأسوا أن يؤمن هؤلاء المشركون ، قاله الكسائي .

« أنْ لو يَشاءُ اللهُ لهَدى الناسَ جَميعاً» فيه وجهان : (أحدهما) لهداهم إلى الإيمان . (الثاني) لهداهم إلى الجنة .

• (ولا يزالُ الذين كفَرَوا تُصيبُهُم بما صَنَعُوا قارِعةٌ) فيها تأويلان:
أحدهما — ما يقرعهم من العذاب والبلاء ، قاله الحسن وابن جرير .

الثاني ـــ أنها الطلائع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله عكرمة .

* (أو تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِم) فيه وجهان : (أحدهما) أو تحل القارعة قريبا من دارهم ، قاله الحسن . (الثاني) أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم ، قاله ابن عباس وقتادة .

* (حتّى يأتِيَ وَعْدُ الله) فيه تأويلان : (أحدهما) فتح مكة ، قاله ابن عباس . (الثاني) القيامة ، قاله الحسن .

٣٣ــ قوله عز وجل : (أفمَنْ هُو قائِمٌ عَلَى كلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم ، قاله الضحاك. (الثاني) هو الله القائم على كل نفس بما كسبت ، قاله قتادة . (الثالث) أنها نفسه .

وفي قوله تعالى « قائمٌ » وجهان : (أحدهما) يعني واليا ، كما قال تعالى « قائما بالقِسْط » أى واليا بالعدل . (الثاني) يعني عالما بما كسبت ، قال الشاعر :

فلولا رجالٌ مِنْ قريشٍ أعزةٌ سَرَقْتُم ثيابَ البَيْتِ واللهُ قائم

ويحتمل «بما كسبت» وجهين : (أحدهما) ما كسبت من رزق تفضلا عليها فيكون خارجا مخرج الامتنان . (الثاني) ما كسبت من عمل حفظا عليها ، فيكون خارجا مخرج الوعد والوعيد .

* (وجَعَلوا لله شُرَكاءَ) يعني أصناما جعلوها آلهة .

* (قُلْ سَمُّوهُمْ) يحتمل وجهين : (أحدهما) قل سموهم آلهة على وجه التهديد . (الثاني) يعني قل صِفوهم ليعلموا أنهم لا يجوز أن يكونوا آلهة.

* (أم تُنَبِّئُونَه بما لا يَعْلَمُ في الأَرْضِ) أى تخبرونه بما لا يعلم أن في الأرض إلها غيره .

* (أمْ بظاهرٍ مِنَ القَوْلِ) فيها أربعة تأويلات :

أحدها ـ معناه بباطل من القول ، قاله قتادة ، < ومنه قول الشاعر :

أَعَيَّرْتَنا أَلبانَها ولحومَها وذلك عارٌ يا ابْنَ رَيْطَةَ ظاهِرُ> (١) .

أى بالحل .

الثاني ـ بظن من القول ، وهو قول مجاهد .

الثالث ـ بكذب من القول ، قاله الضحاك .

الرابع ـ أن الظاهر من القول هو القرآن ، قاله السدي .

ويحتمل (تأويلا خامسا) أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم ، ويكون معنى الكلام : أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجّين.

٣٥ـ قوله عز وجل : (مَثَلُ الجنّةِ التى وُعِدَ المتّقُون) فيه قولان : (أحدهما) شِبه الجنة ، قاله علي بن عيسى . (الثاني) نعت الجنة لأنه ليس للجنة مثل ، قاله عكرمة .

* (تجْرِى من تحتِها الأنْهارُ أُكُلُها دائمٌ) فيه وجهان: (أحدهما) ثمرها غير منقطع ، قاله القاسم بن يحى . (الثاني) لذتها في الأفواه باقية ، قاله إبراهيم التيمى .

ويحتمل (ثالثا) لا تمل من شبع ولا مرباد لمجاعة (٢) .

* (وظلُّها) (٣) يحتمل وجهين : (أحدهما) دائم البقاء . (الثاني) دائم اللذة (٤) .

٣٦ـ قوله عز وجل : (والذين آتَيْناهم الكِتابَ يَفْرَحُون بما أُنْزِلَ إليْكَ) فيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا بما أنزل عليه من القرآن ، قاله قتادة وابن زيد . (الثاني) أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، قاله مجاهد . (الثالث) أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم ، حكاه ابن عيسى .

(١) سقط من ق

(٢) هكذا في ك فليتامل . وقد سقط هذا القول من ق ولذا تعذر معرفة الكلمة قبل الاخيرة ولعلها « تراد »

(٣) اى وظلها دائم كذلك فالخبر محذوف .

(٤) في هذا رد على الجهمية الذين قالوا ان نعيم الجنة يفني . وهذه الآية دليل قاطع على عدم فنائه .

* (ومِنَ الأحْزابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَه) فيهم قولان: (أحدهما) أنهم اليهود والنصارى والمجوس< قاله ابن زيد. (الثاني) أنهم كفار قريش.

وفي انكارهم بعضه وجهان: (أحدهما) >(١) أنهم عرفوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم وأنكروا نبوته. (الثاني) أنهم عرفوا صِدْقه وأنكروا تصديقهُ.

٣٨ـ قوله عز وجل: (ولقَدْ أَرسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِك وجَعَلْنا لهم أزْواجاً وذُرِّيّةً) يعني بالأزواج النساء، وبالذرية الأولاد. وفيه وجهان:

أحدهما ـ معناه أن مـن أرسلناه قبلك من المرسلين بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر، فلم أنكروا رسالتك وأنت مثل من قبلك؟

الثاني ـ أنه نهاه بذلك عن التبتل، قاله قتادة.

وقيل إن اليهود عابت على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج، فأنزل الله تعالى ذلك فيهم يعلمهم أن ذلك سنّة الرسل قبله.

* (وما كان لرسولٍ أنْ يأتِيَ بآيةٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ) قيل إن مشركي قريش سألوه آيات قد تقدم ذكرها في هذه السورة فأنزل الله تعالى ذلك فيهم.

* (لكُلِّ أجَلٍ كتابٌ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) معناه لكل كتاب نزل من السماء أجل. وهو من المقدَّم والمؤخّر، قاله الضحاك. (الثاني) معناه لكل أمر قضاه الله تعالى كتاب كتبه فيه، قاله ابن جرير. (الثالث) لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله تعالى، قاله الحسن.

ويحتمل (رابعا) لكل عمل خَبَرَ.

٣٩ـ قوله عز وجل: (يمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ) فيه سبعة تأويلات:

أحدها ـ يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران، قاله ابن عباس.

---

(١) سـقط من ك

الثاني — يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء في كتاب سوى أم الكتاب، وهما كتابان أحدهما أم الكتاب لا يغيره ولا يمحو منه شيئا كما أراد، قاله عكرمة .

الثالث — أن الله عز وجل ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ، قاله قتادة وابن زيد .

الرابع — أنه يمحو مَنْ قد جاء أجلُه ويثبت من لم يأت أجلُه ، قاله الحسن .

الخامس — يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفره ، قاله سعيد بن جبير .

السادس — أنه الرجل يقدم الطاعة ثم يختمها بالمعصية فتمحو ما قد سلف، والرجل يقدم المعصية ثم يختمها بالطاعة فتمحو ما قد سلف ، وهذا القول مأثور عن ابن عباس أيضا .

السابع — أن الحفظة من الملائكة يرفعون جميع أقواله وأفعاله ، فيمحو الله عز وجل منها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب، قاله الضحاك .

* (وعِنْدَهُ أُمُّ الكتابِ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) الحلال والحرام ، قاله الحسن . (الثاني) جملة الكتاب ، قاله الضحاك . (الثالث) هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق ، قاله كعب الأحبار . (الرابع) هو الذكر ، قاله ابن عباس . (الخامس) أنه الكتاب الذى لا يبدل ، قاله السدى . (السادس) أنه أصل الكتاب في اللوح المحفوظ ، قاله عكرمة .

٤١— قوله عز وجل : (أو لم يَرَوْا أنا نأتي الأرضَ نَنْقُصُها مِنْ أطرافِها) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله قتادة . (الثاني) بخرابها بعد العمارة ، قاله مجاهد . (الثالث) بنقصان بركتها وتمحيق ثمرتها ، قاله الكلبي والشعبي . (الرابع) بموت فقهائها وخيارها، قاله ابن عباس .

ويحتمل (خامسا) أنه بجوْر ولاتها .

٤٣ ــ قوله عز وجل (ويَقولُ الذين كَفَروا لَسْتَ مُرْسَلاً) قال قتادة : هم مشركو العرب .

• (قل كَفَى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي يشهد بصدقي وكذبكم .

• (ومَنْ عندَه عِلْمُ الكتابِ) فيه ثلاثة أقاويل :

(أحدها) أنهم عبد الله بن سلام وسلمان وتميم الدارى ، قاله قتادة .

(الثاني) أنه جبريل ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) هو الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد والضحاك .

وكانوا يقرؤون «ومِنْ عِنْدِه[1] علمُ الكتاب» أى مِنْ عِنْدِ الله علمُ الكتاب ، وينكرون على من قال هو عبد الله بن سلام وسلمان ، لأنهم يرون السورة مكية ، وهؤلاء أسلموا بالمدينة . والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) ومن عنده علم الكتاب : فمن حرف جر وعند مجرور بها . وليست من اسم موصول عند هؤلاء . ولكنها كذلك في المصاحف المتداولة .

سورة ابراهيم

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : إلا آيتين منها [1] مدنية وهى « ألم تَرَ إلى الذين بدّلوا نِعْمةَ الله كُفْرا» والتى بعدها[2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ (الر كتابٌ أنزَلْناهُ إليك) يعنى القرآن .

• (لتُخرِجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النُّورِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) من الشك إلى اليقين . (الثاني) من البدعة إلى السنّة . (الثالث) من الضلالة إلى الهدى . (الرابع) من الكفر إلى الإيمان .

• (بإذْنِ ربِّهم) فيه وجهان : (أحدهما) بأمر ربهم ، قاله الضحاك. (الثاني) بعلم ربهم.

• (إلى صراطِ العزيزِ الحميد) . فروى مِقْسم عن ابن عباس قال : كان قوم آمنوا بعيسى ، وقوم كفروا به ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى ، وكفر به الذين آمنوا بعيسى ، فنزلت هذه الآية [3] .

٣ ــ قوله عز وجل: (الذين يَسْتَحِبُّونَ الحياةَ الدُّنْيا على الآخرةِ) فيه وجهان: (أحدهما) يختارونها على الآخرة ، قاله أبو مالك . (الثاني) يستبدلونها من الآخرة ، ذكره ابن عيسى . والاستحباب هو التعرض للمحبة .

ويحتمل ما يستحبونه من الحياة الدنيا على الآخرة وجهين : (أحدهما) يستحبون البقاء في الحياة الدنيا على البقاء في الآخرة . (الثاني) يستحبون النعيم فيها على النعيم في الآخرة .

---

(١) وهو الراجح والمدون في المصاحف

(٢) هي الايتان ٢٨ و ٢٩ وعليه سارت المصاحف المتداولة عندنا .
وقد نزلت هاتان الآيتان في الذين حاربوا الله ورسوله

(٣) نقل ذلك القرطبى عن المؤلف ، انظر تفسيره ٣٢٨/٩

• (ويَصُدُّونَ عَنْ سبيلِ الله) قال ابن عباس: عن دين الله.
ويحتمل : عن محمد صلى الله عليه وسلم .

• (ويَبْغونها عِوَجاً) فيه وجهان : (أحدهما) يرجون بمكة غير الإسلام دينا، قاله ابن عباس . (الثاني) يقصدون بمحمد صلى الله عليه وسلم هلاكا ، قاله السدى .

ويحتمل (وجها ثالثا) أن معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته .

والعِوَج بكسر العين : في الدين [والأمر] والأرض وكل ما لم يكن قائما . والعَوَج بفتح العين : في كل ما كان قائما كالحائط والرمح .

٥ ـ قوله عز وجل : (ولقدْ أرْسَلْنا موسى بآياتِنا) أى بحُججنا وبراهيننا. وقال مجاهد هى التسع الآيات .

• (أن أخْرِجْ قوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النورِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) من الضلالة إلى الهدى . (الثاني) من ذل الاستعباد إلى عز المملكة .

• (وذَكِّرْهُمْ بأيّامِ الله) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) معناه وعِظْهم بما سلف من الأيّام الماضية لهم ، قاله ابن جرير. (الثاني) بالأيام التى انتقم الله فيها من القرون الأولى ، قاله الربيع وابن زيد . (الثالث) أن معنى أيام الله أى نعم الله عليهم ، قاله مجاهد وقتادة ، وقد رواه أبيّ بن كعب مرفوعا . وقد تسمّى النعم بالأيام ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

وأيــــام لنــــا غُرٌّ طِوالٍ عَصَينا الملْكَ فيها أنْ نَدِينا (١)

ويحتمل (تأويلا رابعاً) أن يريد الأيام التى كانوا فيها عبيدا مُستَذَلّين لأنه أنذرهم قبل استعمال النعم عليهم .

• (إنّ في ذلك لآياتٍ لكُلِّ صبّارٍ شَكورٍ) الصبار : الكثير الصبر ، والشكور : الكثير الشكر ، قال قتادة : هو العبد إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي

(١) البيت من معلقته التى مطلعها :
ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمــور الاندرينا

صبر . وقال الشعبي : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصفه ، وقرأ « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

وتوارى الحسن عن الحجاج تسع سنين ، فلما بلغه موته قال : اللهم قد أمَتّهُ فأمِتْ سُنّته ، وسجد شكرا وقرأ « إن في ذلك لآياتٍ لكل صبّارٍ شكور ».

< (١) وإنما خص بالآيات كل صبار شكور ، وإن كان فيه آيات لجميع الناس لأنه يَعتبر(٢) بها [ولا يغفل(٣) عنها] >.

٦ ــ قوله عز وجل : (.. وفي ذلكم بَلاءٌ مِنْ ربِّكم عَظِيمٌ) فيه ثلاثة تأويلات: (أحدها) نعمة من ربكم ، قاله ابن عباس والحسن . (الثاني) شدة البليّة، ذكره ابن عيسى . (الثالث) اختبار وامتحان ، قاله ابن كامل .

٧ ــ قوله عز وجل : (وإذ تأذّنَ ربُّكم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) معناه وإذ سمع ربكم ، قاله الضحاك < (الثاني) وإذ قال ربكم ، قاله أبو مالك.> (٤) (الثالث) معناه وإذ أعلمكم ربكم ، ومنه الأذان لأنه إعلام ، قال الشاعر:

فلَمْ نَشْعُرْ بِضَوْءِ الصُّبْحِ حتى   سَمِعْنا في مجالِسنا الأَذِينا

• (لئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنّكُمْ) فيه ثلاثة (٥) تأويلات : (أحدها) لئن شكرتم إنعامى لأزيدنكم من فضلي ، قاله الربيع . (الثاني) لئن شكرتم نعمتى لأزيدنكم من طاعتى ، قاله الحسن وأبو صالح < (الثالث) (٦) لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم (من الثواب) قاله ابن عباس > .

ويحتمل (تأويلا رابعا) لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلى نعيم الدنيا .

---

(١) سقط من ق

(٢) كما قال تعالى : « انما انت منذر من يخشاها » وان كان منذرا للجميع

(٣) زيادة اقتضاها السياق وهي من تفسير القرطبي ٩/٣٤٢ وقد أورد هذه العبارة حرفيا حرفيا المؤلف .

(٤) سقط من ك

(٥) في ق : فيه تأويلان .

(٦) سقط من ق

وسئل بعض الصلحاء عن شكر الله تعالى ، فقال : أن لا تتقوى بنعمه على معاصيه . وحكى أنّ داود عليه السلام قال : أى ربِّ كيف أشكرك وشكرى لك نعمة مجددة منك عليّ؟ قال : يا داود الآن شكرتني [1] .

* ﴿ ولئن كَفَرْتُم إنّ عذابي لشديدٌ ﴾ وعد الله تعالى بالزيادة على الشكر ، وبالعذاب على الكفر .

٩ – قوله عز وجل ﴿ ... والذين مِنْ بَعْدهم لا يَعْلمُهم إلاّ اللهُ ﴾ فيها وجهان:

أحدهما – يعني بعد من قص ذكره من الأمم السالفة قرون وأمم لم يقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمهم إلا الله عالم ما في السموات والأرض .

الثاني – ما بين عدنان وإسماعيل من الآباء . قال ابن عباس : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون .

وكان ابن مسعود يقرأ : لا يعْلَمهُم إلا اللهُ كَذَبَ النسّابون .

* ﴿ جاءَتْهمْ رسُلُهم بالبيِّناتِ ﴾ أى بالحجج .

* ﴿ فرَدُّوا أيْديَهم في أفْواهِهِم ﴾ فيه سبعة أوجه :

أحدها – أنهم عضوا على أصابعهم تغيظا عليهم ، قاله ابن مسعود، واستشهد أبو عبيدة بقول الشاعر :

لو أنّ سَلْمى أبْصَرَتْ تَخدُّدى ... ودِقّةً في عظـم ساقي ويَدى

وبُعْدَ أهْـلى وجَفـاءَ عُوَّدى ... عَضّتْ مِنَ الوَجْد بأطْرافِ اليَدِ

الثاني – أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم، قاله ابن عباس .

الثالث – معناه أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم إني رسول الله إليكم ، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن سكت تكذيبا له وردا لقوله، قاله أبو صالح.

الرابع – معناه أنهم كذبوهم بأفواههم ، قاله مجاهد .

(١) نقل القرطبي هذه الفقرة حرفيا . انظر تفسيره ٣٤٣/٩

الخامس - أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ردا لقولهم، قاله الحسن .

السادس - أن الأيدى هى النعم ، ومعناه أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحودا لها .

السابع - أن هذا مثل أريد به أنهم كفوا عن قبول الحق ولم يؤمنوا بالرسل ، كما يقال لمن أمسك عن الجواب رَدّ يدَه في فيه .

١٠- قوله عز وجل : (قالتْ رسُلُهُم أفي اللهِ شَكٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أفي توحيد الله شك ؟ قاله قتادة . (الثاني) أفي طاعة الله شك ؟

ويحتمل (وجها ثالثا) أفي قدرة الله شك ؟ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها .

* (فاطرِ السموات والأرض) أى خالقهما ، لسهوهم عن قدرته .

* (يَدْعوكم ليَغْفِرَ لكم مِنْ ذنوبكمْ) أى يدعوكم إلى التوبة ليغفر ما تقدمها من معصية .

وفي قوله تعالى : « من ذنوبكم » وجهان : (أحدهما) أن «من» زائدة، وتقديره : ليغفر لكم ذنوبكم ، قاله أبو عبيدة . (الثاني) ليست زائدة، ومعناه أن تكون المغفرة بدلا من ذنوبكم ، فخرجت مخرج البدل .

* (ويُؤَخِّرَكُمْ إلى أجَلٍ مُسَمّى) يعنى إلى الموت فلا يعذبكم في الدنيا .

١١- قوله عز وجل : (قالت لهم رسُلُهُم إنْ نحن إلاّ بَشَرٌ مِثْلكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن ينكر قومهم أن يكونوا مثلهم وهم رسل الله إليهم. (الثاني) أن يكون قومهم سألوهم معجزات اقترحوها .

* وفي قوله تعالى : (ولكنّ اللهَ يَمُنُّ على مَنْ يَشاءُ مِن عباده) ثلاثة أوجه : (أحدها) بالنبوة . (الثاني) بالتوفيق والهداية . (الثالث) بتلاوة القرآن وفهْم ما فيه ، قاله سهل بن عبد الله .

* (وما كان لنا أن نأتيَكم بسُلْطانٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بكتاب . (الثاني) بحجة . (الثالث) بمعجزة .

١٤ــ قوله عز وجل : (ذلك لمنْ خافَ مَقامي) أى المقام بين يدىّ ، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به .

والفرق بين المَقام بالفتح وبين المُقام بالضم أنه إذا ضم فهو فعل الإقامة، وإذا فتح فهو مكان الإقامة .

* (وخاف وَعيدِ) فيه وجهان : (أحدهما) < أنه العذاب . (والثاني) أنه ما في القرآن من زواجر > [1] .

١٥ــ (واستَفْتَحُوا) فيه وجهان : (أحدهما) أن الرسل استفتحوا بطلب النصر، قاله ابن عباس . (الثاني) أن الكفار استفتحوا بالبلاء ، قاله ابن زيد .

وفي الاستفتاح وجهان : (أحدهما) أنه الابتداء . (الثاني) أنه الدعاء، قاله الكلبي .

* (وخابَ كلُّ جَبّارٍ عَنيدٍ) في «خاب» وجهان : (أحدهما) خسر عمله. (الثاني) بطل أمله .

وفي « جبار » وجهان : (أحدهما) أنه المنتقم . (الثاني) المتكبر بطرا.

وفي « عنيد» وجهان : (أحدهما) أنه المعاند للحق . (الثاني) أنه المتباعد عن الحق ، قال الشاعر :

ولستُ إذا تَشَاجَر أَمْرُ قوم بأوّلِ مَنْ يُخالِفُهم عَنيدا

١٦ــ قوله عز وجل : (مِنْ ورائه جَهَنّمُ) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ معناه من خلفه جهنم . قال أبو عبيدة : وراء مــن الأضداد وتقع على خلف وقدام جميعا.

الثاني ــ معناه أمامه جهنم ، ومنه قول الشاعر :

ومن ورائك يومٌ أنْتَ بالِغُهُ لا حاضرٌ مُعْجِزٌ عَنْه ولا بادي

(١) سقط من ك

الثالث ــ أن جهنم تتوارى ولا تظهر ، فصارت من وراء لأنها لا ترى حكاه ابن الأنباري .

الرابع ــ من ورائه جهنم معناه من بعد هلاكه جهنم ، كما قال النابغة :

حلَفْتُ فلم أترك لنفسِك ريبةً   وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

أراد : وليس بعد الله مذهب .

• (ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَديد) فيه وجهان: (أحدهما) من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع أسد ، أي مثل الأسد . (الثاني) من ماء كرهته تصد عنه ، فيكون الصديد مأخوذا من الصد .

١٧ــ قوله عز وجل (... ويأتيه الموْتُ مِنْ كلِّ مكانٍ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره ، قاله ابراهيم التيمى ، للآلام التى في كل موضع من جسده .

الثاني ــ تأتيه أسباب الموت من كل جهة ، عن يمينه وشماله ، ومن فوقه وتحته ، ومن قدامه وخلفه ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ تأتيه شدائد الموت من كل مكان ، حكاه ابن عيسى .

• (وما هو بميِّتٍ) لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه .

• (ومِنْ ورائه عذابٌ غَليظٌ) فيه الوجوه الأربعة الماضية . والعذاب الغليظ هو الخلود في جهنم .

١٨ــ قوله عز وجل : (مَثَلُ الذين كفروا بربِّهم أعْمالُهم كرَمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ) وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها ، بالرماد الذى هو بقية النار الذاهبة لا ينفعه ، فإذا اشتدت به الريح العاصف ــ وهى الشديدة ــ فأطارته لم يقدر على جمعه ، كذلك الكافر في عمله .

وفي قوله (في يوم عاصف) ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنه وصف اليوم بالعصوف وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال يوم بارد ، ويوم حار ، لأن البرد والحر يكونان فيه.

الثاني — أن المراد به في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت قبل ذلك .

الثالث — أن العصوف من صفة الريح المقدم ذكرها ، غير أنه لما جاء بعد اليوم اتبع إعرابه[1] .

* (لا يَقْدِرونَ مما كَسَبوا على شيءٍ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يقدرون في الآخرة على شيء من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر. (الثاني) لا يقدرون على شيء مما كسبوه من عروض الدنيا ، بالمعاصى التى اقترفوها ، أن ينتفعوا به في الآخرة .

* (ذلك هو الضَّلال البَعيدُ) وإنما جعله بعيدا لفوات استدراكه بالموت .

٢١— قوله عز وجل : (وبَرَزوا لله جَميعاً) أى ظهروا بين يديه تعالى في القيامة

* (فقالَ الضُّعَفاءُ) وهم الأتباع .

* (للذين استَكْبَروا) وهم القادة المتبوعون .

* (إنا كُنّا لكم تَبَعاً) يعنى في الكفر بالإجابة لكم .

* (فهل أنتم مُغْنُونَ عَنّا مِنْ عذابِ الله مِن شيءٍ) أى دافعون عنا يقال أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى ، وأغناه إذا أوصل إليه النفع .

* (قالوا لو هَدانا اللهُ لهَدَيْناكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لوهدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه . (الثاني) لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها . (الثالث) لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه .

* (سَواءٌ علينا أجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا ما لنا مِن مَحيصٍ) أى من منجى أو ملجأ . قيل إن أهل النار يقولون : يا أهل النار إن قوماً جزعوا في الدنيا وبكوا ففازوا ، فيجزعون ويبكون . ثم يقولون : يا أهل النار إن قوما صبروا في الدنيا ففازوا ، فيصبرون . فعند ذلك يقولون : «سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص» .

---

(١) كما يقال : هذا جحر ضب خرب ، بجر خرب اتباعا لضب مع انها نعت لجحر المرفوع لانه خبر

٢٢ـ قوله عز وجل : ﴿وقال الشَّيْطانُ لمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ يعني إبليس .

• قال الحسن : يقف إبليس يوم القيامة خطيبا في جهنم [على منبر من نار] يسمعه الخلائق جميعا .

• ﴿إنَّ اللهَ وعَدَكم وَعْدَ الحقِّ﴾ يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعذاب العاصي .

• ﴿ووَعَدْتُكُمْ﴾ أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب.

• ﴿فأخْلَفْتُكُم وما كان لي عليكم مِنْ سُلطان إلاَّ أنْ دَعَوْتُكم فاسْتَجَبْتُم لي فلا تَلُوموني ولُومُوا أنْفُسَكم ما أنا بمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بمُصْرِخِيَّ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) معناه ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيَّ، قاله الربيع بن أنس . (الثاني) ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثيَّ، قاله مجاهد . والمصرِخ : المغيث . والصارخ : المستغيث . ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فلا تَجْزَعُوا إنّي لكمْ غَيْرُ مُصْرِخ ... فليْسَ لكمْ عِندي غَنَاءٌ ولا صَبْر

• ﴿إنّي كَفَرْتُ بما أشْرَكْتُمون مِن قبْلُ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) إني كفرت اليوم بما كنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك بالله تعالى ، قاله ابن بحر. (الثاني) إني كفرت قبلكم بما أشركتموني من بعد ، لأن كفر إبليس قبل كفرهم .

٢٣ـ قوله عز وجل : ﴿...تحيَّتُهم فيها سَلامٌ﴾ فيها وجهان: (أحدهما) أن تحية أهل الجنة إذا تلاقوا فيها السلام ، وهو قول الجمهور . (الثاني) أن التحية هاهنا الملك ، ومعناه أن ملكهم فيها دائم السلامة ، مأخوذ من قولهم في التشهد : التحيات لله ، أي الملك لله ، ذكره ابن شجرة .

< وفي المحيِّي لهم بالسلام ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الله تعالى يحييهم بالسلام . (الثاني) أن الملائكة يحيونهم بالسلام . (الثالث) أن بعضهم يحيي بعضا بالسلام > (١).

(١) الى هنا سقط من ق

وتشبيه الكلمة الطيبة بها لأنها ثابتة في القلب كثبوت أصل النخلة في الأرض ، فإذا ظهرت عرجت إلى السماء كما يعلو فرع النخلة نحو السماء فكلما ذكرت نفعت ، كما أن النخلة إذا أثمرت نفعت .

٢٦ـ قوله عز وجل : (وَمَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ) فيها قولان : (أحدهما) أنها الكفر. (الثاني) أنها الكافر نفسه .

* (كشجرةٍ خَبِيثةٍ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها شجرة الحنظل، قاله أنس بن مالكٍ . (الثاني) أنها شجرة لم تخلق ، قاله ابن عباس. (الثالث)أنها الكَشُوث (١) .

* (اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأرْضِ) أي اقتلعت من أصلها ، ومنه قول لقيط :

هو الجلاءُ الذى يَجْتَثُّ أصْلَكُمُ فمَنْ رَأى مِثْلَ ذا يوماً ومَنْ سمِعا

* (ما لها مِنْ قرارٍ) فيه وجهان : (أحدهما) ما لها من أصل . (الثاني) ما لها من ثبات .

وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ، ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى ، ولا ذكر في السماء يرقى.

٢٧ـ قوله عز وجل : (يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمَنوا بالقولِ الثابتِ) فيه وجهان : (أحدهما) يزيدهم الله أدلة على القول الثابت . (الثاني) يديمهم الله على القول الثابت ، ومنه قول عبد الله بن رواحة :

يُثَبِّتُ اللهَ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونصْراً كالذى نُصِرا

وفي قوله : « بالقول الثابت » وجهان : (أحدهما) أنه الشهادتان، وهو قول ابن جرير . (الثاني) أنه العمل الصالح .

ويحتمل (ثالثا) أنه القرآن .

(١) الكشوت : شجرة لاورق لها ولا عروق في الارض

٢٤ـ قوله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) في الكلمة الطيبة قولان : (أحدهما) أنها الإيمان ، قاله مجاهد وابن جريج. (الثاني) أنه عنى بها المؤمن نفسه ، قاله عطية العوفي والربيع بن أنس .

وفي الشجرة الطيبة قولان : (أحدهما) أنها النخلة ، وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر وأنس بن مالك[١] (الثاني) أنها شجرة في الجنة، قاله ابن عباس .

وحكى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة : الإيمان ،والشجرة الطيبة : المؤمن .

* (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يعني في الأرض .

* (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) أي نحو السماء.

٢٥ـ (تُؤْتِي أُكُلَهَا) يعني ثمرها

* (كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والحين عند أهل اللغة:الوقت . قال النابغة :

تناذَرَها الرّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّها تُطَلِّقُهُ حِيناً وحِيناً تُراجع[٢]

وفي (الحين) هاهنا ستة تأويلات : (أحدها) يعني كل سنة ، قاله مجاهد ، لأنها تحمل كل سنة . (الثاني) كل ثمانية أشهر ، قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه، لأنها مدة الحمل ظاهرا وباطنا . (الثالث) كل ستة أشهر، قاله الحسن وعكرمة ، لأنها مدة الحمل ظاهرا (الرابع) كل أربعة أشهر، قاله سعيد بن المسيب لأنها مدة يرونها من طلعها إلى جذاذها . (الخامس) كل شهرين ، لأنها مدة صلاحها إلى جفافها . (السادس) كل غدوة وعشية ، لأنه وقت اجتنائها، قاله ابن عباس .

---

(١) أخرج الترمذى من حديث انس بن مالك قال : اتي النبى (صلى الله عليه وسلم) بقناع فيه رطب ، فقال : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها » قال : هى النخلة . « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار » قال : هى الحنظل .

وفي حديث ابن عمر : ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبرونى ما هي ـ ثم قال ـ هي النخلة . خرجه مالك في الموطأ من رواية ابن القاسم وذكر الغزنوى عنه عليه السلام قوله : مثل المؤمن كالنخلة ان صاحبته نفعك ، وان جالسته نفعك وان شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به .

(٢) بيت النابغة هذا في وصف حية . وتناذرها الراقون : اى انذر بعضهم بعضا الا يتعرضوا لها . ومعنى تطلقه حينا وحينا تراجع : انها تخفى الاوجاع عن السليم تارة ، وتارة تشتد عليه .

* وفي قوله تعالى : (في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وجهان :

أحدهما ــ أن المراد بالحياة الدنيا زمان حياته فيها ، وبالآخرة المساءلة في القبر ، قاله طاوس وقتادة .

الثاني ــ أن المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر أن يأتيه منكر ونكير فيقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيّك ؟ فيقول ــ إنْ اهْتَدَى ــ ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم .

* (ويُضِلُّ اللهُ الظالمين) فيه وجهــان : (أحدهما)[1] عن حجتهم في قبورهم ، كما ضلوا في الحياة الدنيا بكفرهــم . (الثاني) [2] يمهلهم حتى يزدادوا ضلالا في الدنيا .

* (ويَفْعَلُ اللهُ ما يشاءُ) فيه وجهان : (أحدهما)[3] من إمهال إمهال وانتقام (الثاني) من ضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير .

وروى ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منه سعد بن معاذ ، ولقد ضُمَّ [4] ضَمّةً [ثم فرج عنه].

وقال قتادة : ذكر لنا أنّ عذاب القبر من ثلاثة : ثُلُثٌ من البول، وثلثٌ من الغيبة ، وثلثٌ من النميمة.

وسبب نزول هذه الآية ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مساءلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر : يا رسول الله أيكون معي عقلي ؟ قال نعم . قال : كُفيت إذن ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

٢٨ـ قوله عز وجل (ألمْ تَرَ إلى الذين بدّلوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا) فيهم خمسة أقاويل:

أحدها ــ أنهم قريش بدلوا نعمة الله عليهم لما بعث رسوله منهم ، كفرا به وجحودا له ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

(١) سـقط من ق

(٢) سـقط من ق

(٣) سـقط من ق .

(٤) رواه النسائي عن عبدالله بن عمر . انظر جامع الاصول ١٧٢/١١

الثاني — أنها نزلت في الأفجرين من قريش بنى أمية وبنى مخزوم فأما بنوأمية فمتعوا إلى حين ، وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر ، قاله عليٌّ ، ونحوه عن عمر رضى الله عنهما .

الثالث — أنهم قادة المشركين يوم بدر ، قاله قتادة :

الرابع — أنه جبلة من الأيهم حين لُطم ، فجعل له عمر رضى الله عنه القصاص بمثلها ، فلم يرض وأنِف فارتد متنصرا ولحق بالروم في جماعة من قومه ، قاله ابن عباس . ولما صار إلى بلاد الروم ندم فقال :

تَنَصَّرَتِ الأشْرافُ مِنْ عارِ لَطْمةٍ
وَما كان فيها لوْ صَبَرْتُ لها ضَرَرْ

تكَنّفَنى منها لَجاجٌ ونَخْوةٌ
وبِعْتُ لها العَيْنَ الصّحيحةَ بالعَوَرْ

فياليْتنى أَرْعَى المخَاضَ ببَلْدَتي
ولمْ أنكِرِ القَوْلَ الذى قالَه عُمرْ

الخامس — أنها عامة في جميع المشركين ، قاله الحسن .

ويحتمل تبديلهم نعمة الله كفراً وجهين : (أحدهما) أنهم بدلوا نعمةالله عليهم في الرسالة بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم . (الثاني) أنهم بدلوا نعم الدنيا بنقم الآخرة .

* (وأحَلّوا قَوْمَهم دارَ البَوارِ) فيها قولان : (أحدهما) أنها جهنم ، قاله ابن زيد . (الثاني) أنها يوم بدر ، قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه ومجاهد . والبوار في كلامهم الهلاك ، ومنه قول الشاعر :

فلَمْ أرَ مِثْلَهم أبْطالَ حَرْبٍ غداةَ الحَرْبِ إنْ خِيفَ البَوارُ

٣١— قوله عز وجل (قُلْ لعباديَ الذين آمَنوا يُقِيموا الصَّلاةَ ويُنْفِقوا ممّا رزَقْناهم سِرّاً وعَلانِيةً) فيه وجهان : (أحدهما) يعني بالسر ما خفي ،

وبالعلانية ما ظهر ، وهو قول الأكثرين . (الثاني) أن السر التطوع ، والعلانية الفرض ، قاله القاسم بن يحيى .

< ويحتمل (وجها ثالثا) أن السر الصدقات ، والعلانية النفقات > (١) .

* (مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ يومٌ لا بَيْعٌ فيه ولا خِلالٌ) فيه تأويلان : (أحدهما) معناه لا فِدية ولا شفاعة للكافر . (الثاني) أن معنى قوله « لا بيعٌ » أي لا تباع الذنوب ولا تشترى الجنة . ومعنى قوله « ولا خِلال » أى لا مودة بين الكفار في القيامة لتقاطعهم .

ثم فيه وجهان : (أحدهما) أن الخلال جمع خلة ، مثل قِلال وقُلّة . (الثاني) أنه مصدر من خاللت خِلالاً ، مثل قاتلت قِتالا . ومنه قول لبيد :

خالت البرقة شركا في الهُدى   خــلة باقيــة دون الخــلل

٣٧ــ قوله عز وجل : (ربّنا إني أسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيّتي بوادٍ غير ذى زَرْعٍ) هذا قول إبراهيم عليه السلام . وقوله « مِنْ ذريّتي » يريد بهم اسماعيل وهاجر أمّه .

« بوادٍ غيرِ ذى زَرْعٍ » يعني مكة اسكنهما في بطحائها ، ولم يكن بها ساكن ، ثقةً بالله وتوكلا عليه .

* (عِنْدَ بَيْتِكَ المُحرَّمِ) لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عنده. وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره . ووصفه بأنه محرَّم لأنه يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال(٢) .

* (ربّنا ليُقيموا الصلاة) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون سأل الله تعالى بذلك أن يهديهم إلى إقامة الصلاة . (الثاني) أن يكون ذكر سبب تركهم فيه أن يقيموا الصلاة .

* (فاجْعَلْ أفئدةً مِن الناس تَهْوِى إليهم) في « أفئدة » وجهان:

أحدهما ــ أن الأفئدة جمع فؤاد وهى القلوب ، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد ، قال الشاعر :

وإنّ فؤاداً قادَني بصَبابةٍ   إليكِ عــلى طول الهوىَ لَصبورُ

---

(١) سـقط من ق

(٢) في ك واسـتبدال والصواب ما أثبتناه

الثاني ــ أن الأفئدة جمع وفد ، فكأنه قال : فاجعَل وفودا من الأمم تَهوى إليهم .

وفي قوله « تَهوى إليهم » أربعة أوجه : (أحدها) أنه بمعنى تحن إليهم. (الثاني) أنه بمعنى تنزل إليهم ، لأن مكة في واد والقاصد إليها نازل إليها، (الثالث) ترتفع إليهم ، لأن ما في القلوب بخروجه منها كالمرتفع عنها. (الرابع) تَهواهم . وقد قرى تَهْوَى .

وفي مسألة إبراهيم عليه السلام أن يجعل اللهُ أفئدةً من الناس تَهوي إليهم قولان : (أحدهما) ليهووا السكنى بمكة فيصير بلدا محرّما ، قاله ابن عباس . (الثاني) لينتزعوا إلى مكة فيحجوا ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

قال لبن عباس : لولا أنه قال من الناس لحجه اليهود والنصارى وفارس والروم .

* (وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) فيه وجهان :

أحدهما ــ يريد من ثمرات القلوب بأن تحببهم إلى قلوب الناس فيزوروهم .

الثاني ــ وهو الظاهر من ثمرات النخل والأشجار ، فأجابه بما في الطائف من الثمار ، وما يجلب إليهم من الأمصار .

* (لعَلَّهم يَشْكُرُونَ) أى لكى يشكروك .

< قوله عز وجل (ربنا اغْفِرْ لى ولوالدىَّ وللمؤْمِنين) وفي استغفاره لوالديه مع شركهما ثلاثة أوجه :

أحدها ــ كانا حيين فطمع في إيمانهما . فدعا لهما بالاستغفار ، فلما ماتا على الكفر لم يستغفر لهما .

الثاني ــ أنه أراد آدم وحوّاء .

الثالث ـ أنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق . وكان إبراهيم [النخعي] يقرأ « رب اغفر لى ولوَلَدَيّ » يعني ابنيه ، وكذلك قرأ يحيى بن يعمَر > (١)

٤٢ـ < قوله عز وجل : (ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافلاً عمّا يَعْمَلُ الظّالِمون) قال ميمون بن مهران : وعيد للظالم وتعزية للمظلوم > (٢).

٤٣ـ قوله عز وجل : (مُهْطِعين) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ معناه مسرعين قاله سعيد بن جبير والحسن وقتادة ، مأخوذ من أهطع يُهطع إهطاعا إذا أسرع ، ومنه قوله تعالى : « مُهطعين إلى الداع » أى مسرعين . قال الشاعر :

بدِجْلَةَ دارُهُمْ ولقَدْ أَراهم   بدجْلةَ مُهْطِعينَ إلى السّماعِ

الثاني ـ أنه الدائم النظر لا يطرف ، قاله ابن عباس والضحاك .

الثالث ـ أنه المُطْرِق الذى لا يرفع رأسه ، قاله ابن زيد .

* (مُقْنِعي رؤوسِهم) وإقناع الرأس فيه تأويلان :

أحدهما ـ ناكسى رؤوسهم بلغة قريش ، قاله مؤرج السدوسى وقتادة.

الثاني ـ رافعى رؤوسهم ، وإقناع الرأس رفْعُه ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه قول الشاعر :

أنْغَضَ رأسَه نَحْوى وأَقْنَعا   كأنما أبصَرَ شيئاً أطْمَعا

* (لا يَرْتَدُّ إليهم طرْفُهم) أى لا يرجع إليهم طرْفهم ، والطرف هو النظر وسميت العَيْن طرْفا لأنها بها يكون ، قال جميل :

وأَقْصِرُ طَرْفي دُونَ جُمْلٍ كرامةً   لجُمْلٍ وللطرْفِ الذىأنا قاصِر

* (وأَفْئدَتُهم هَوَاءٌ) والمراد بالأفئدة مواضع القلوب ، وهى الصدور.

وقوله « هواء » فيه أربعة تأويلات :

---

(١) الى هنا سقط من ق

(٢) سقط من ك .

أحدها — أنها تتردد في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه فكأنها تهوى، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

الثاني — أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر ، فلا تنفصل ولا تعود ، قاله قتادة .

الثالث — أنها المتخرقة التى لا تعى شيئاً ، قاله مُرّة .

الرابع — أنها خالية من الخير ، وما كان خاليا فهو هواء ، قاله ابن عباس ومنه قول حسان :

ألا أَبْلِــغْ أبا سُفيانَ عَنّى ... فأنْتَ مُجَوَّفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ(١)

٤٤— قوله عز وجل : (وأنذِرِ النّاسَ يَوْمَ يأتيهمُ العَذابُ) معناه وأنذرهم باليوم الذى يأتيهم فيه العذاب ، يعنى يوم القيامة . وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضا لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصى وإن تضمن ترغيبا للمطيع .

• (فيقولُ الذين ظلَموا ربّنَا أخِّرْنا إلى أجَلٍ قريبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ ونَتّبِعِ الرُّسُلَ) طلبوا رجوعا إلى الدنيا حين ظهر لهم الحق في الآخرة ليستدركوا فارط ذنوبهم ، وليست الآخرة دار توبة فتقبل توبتهم ، كما ليست بدار تكليف فيستأنف تكليفهم. فأجابهم الله تعالى عن هذا الطلب فقال:

• (أوَ لمْ تكونوا أقْسَمْتُم مِنْ قبْلُ ما لكم مِن زَوالٍ) فيه وجهان :

أحدهما — ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة ، قاله مجاهد .

الثاني — ما لكم من زوال عن العذاب ، قاله الحسن .

٤٦— قوله عز وجل : (وقد مَكَرُوا مَكْرَهُمْ) فيه قولان : (أحدهما) أنه عنى بالمكر الشرك ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه عنى به العتوّ والتجبّر ، وهى فيمن

---

(١) البيت من قصيدته التى مطلعها :

عفت ذات الاصابع فالجواء ... الى عذراء منزلها خلاء

قالها رضي الله عنه يوم فتح مكة وقد جاءت في ديوانه كما أوردها ابن هشام في السيرة النبوية ٤/٦٤ وما بعدها بتحقيق مصطفى السقا ورفاقه

المجوف : الجبان الذى لا قلب له . والنخب : من النخب بمعنى النزع يقال : رجل نخب اى جبان ، كأنه منتزع الفؤاد

تجبر في ملكه وصعد مع النسرين في الهواء ، قاله علي رضي الله عنه . وقال ابن عباس : هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بني الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة ، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعا وصعد منه مع النسور ، فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذه حصنا وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، فتداعى الصرح عليهم ، فهلكوا جميعا ، فهذا معنى قوله « وقد مكروا مكرهم » .

• (وعِندَ اللهِ مكرُهم) فيه وجهان :

أحدهما — وعند الله مكرهم عالماً به لا يخفى عليه ، قاله علي بن عيسى .

الثاني — وعند الله مكرهم محفوظا عليهم حتى يجازيهم عليه ، قاله الحسن وقتادة .

• (وإنْ كان مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبالُ) فيه قراءتان :

إحداهما — بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، ومعناها وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، احتقارا له ، قاله ابن عباس والحسن .

الثانية — بفتح اللام الأولى وضم الثانية ، ومعناها وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال استعظاما له . قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم : وإن كاد [1] مكرهم لتزول منه الجبال .

وفي الجبال التي عنى زوالها بمكرهم قولان (أحدهما) جبال الأرض. (الثاني) الإسلام والقرآن ، لأنه لثبوته ، ورسوخه كالجبال .

٤٨— قوله عز وجل : (يَوْمَ تُبدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ) فيه قولان :

أحدهما — أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة ، لم تعمل عليها خطيئة ، قاله ابن مسعود . وقال ابن عباس : تبدل بأرض من فضة بيضاء.

(١) كاد مضارعه يكاد وهي من افعال المقاربة

الثاني ــ أنها هي هذه الأرض ، وإنما تبدل صورتها ويطهر دنسها، قاله الحسن .

* (والسَّمَوَاتُ) فيها ستة أقاويل :

أحدها ــ أن السموات تبدل بغيرها كالأرض فتجعل السماء من ذهب، والأرض من فضة ، قاله على بن أبي طالب .

الثاني ــ أن السموات تبدل بغيرها كالأرض ، فتصير السموات جنانا والبحار نيرانا ، وتبدل الأرض بغيرها ، قاله كعب الأحبار .

الثالث ــ أن تبديل السموات تكوير شمسها وتكاثر نجومها ، قاله ابن عيسى .

الرابع ــ أن تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتب،قاله القاسم بن يحيى .

الخامس ــ أن تبديلها أن تنشق فلا تظل ، قاله ابن شجرة .

السادس ــ أن تبديلها اختلاف أحوالها ، تكون في حال كالمهل ، وفي حال كالوردة ، وفي حال كالدهان ، حكاه ابن الأنبارى .

* (وَبَرَزُوا للهِ الواحدِ القَهَّارِ) أى صاروا إلى حكم الله تعالى وأمره فروى الحسن قال : قالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذ ؟ قال : إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد ثم قال : على الصراط يا عائشة[1] .

٤٩ــ قوله عز وجل (وتَرَى المجْرِمينَ يومئذٍ مُقرَّنين في الأصْفادِ) فيه قولان :
أحدهما ــ أن الأصفاد الأغلال ، واحدها صفد ، ومنه قول حسان:

ما بَيْنَ مأسورٍ يُشَدُّ صِفادُهُ   صَقْرٍ إذا لاقى الكريهةَ حامى

الثاني ــ أنها القيود ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهابِ وبالسبايا   وأُبْنا بالملوكِ مُصَفَّدينــــا

أى مقيّدين . وأما قول النابغة الذبياني :

(١) اخرجه الترمذى عن عائشة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح

هذا الثناءُ فإنْ تسْمَعْ لقائله فلم أعرِّضْ ، أبيْتَ اللعْنَ ، بالصَّفَدِ (١)

فأراد بالصفد العطية ، وقيل لها صفد لأنها تقيد المودة .

وفي المجرمين المقرنين في الأصفاد قولان :

أحدهما ــ أنهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصى .

الثاني ــ أنه يجمع بين الكافر والشيطان في الأصفاد .

٥٠ــ قوله عز وجل : (سرابيلُهم مِنْ قَطِرانٍ) السرابيل : القمص ، واحدها سربال ، ومنه قول الأعشى :

عَهْدى بها في الحى قد سربلت صفْراء مثل المُهْرَةِ الضّامِر

وفي القطران هاهنا قولان :

أحدهما ــ أنه القطران الذى تهنأ به الجمال ، قاله الحسن ، وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها .

الثاني ــ أنه النحاس الحامى ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير « من قِطرٍآنٍ » بكسر القاف وتنوين الراء وهمز آن (٢) . لأن القطر النحاس ، ومنه قوله تعالى « آتوني أفرغ عليه قطرا » ، والآني : الحامى ، ومنه قوله تعالى : « وبين حميم آن » .

٥٢ــ قوله عز وجل : (هذا بَلاغٌ للناسِ) فيه قولان : (أحدهما) هذا الإنذار كاف للناس ، قاله ابن شجرة . (الثاني) هذا القرآن كاف للناس ، قاله ابن زيد .

* (ولِيُنْذَرُوا به) فيه وجهان : (أحدهما) بالرسول . (الثاني) بالقرآن.

* (ولِيَعْلَموا أنما هو إلهٌ واحدٌ) لما فيه من الدلائل على توحيده .

---

(١) في الاصول : فما عرضت ، والتصويب من اللسان وتفسير القرطبى

(٢) هذا السطر المتضمن بيان القراءة كان متأخرا في الاصل ، فقدمناه ليكون الشرح مبنيا عليه وبغير ذلك لا يستقيم المعنى . وفي الاصل « القطران : النحاس » وهو تحريف بين .

* (ولِيذَّكَّرَ أُولو الألْبابِ) فيه وجهان : (أحدهما) وليتعظ، قاله الكلبي . (الثاني) ليسترجع يعنى بما سمع من المواعظ . أولو الألباب ، أى ذوو العقول .

وروى يمان بن رئاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنـــه .

سورة الحجر *

مكية باتفاق [إلا قوله تعالى : «ولقد آتيناك سَبْعاً من المثاني والقرآن العظيم» فمدنيــة](1).

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — (الر تلك آياتُ الكتابِ وقرآنٍ مُبِينٍ) فيه تأويلان :

أحدهما — أن الكتاب هو القرآن ، جمع له بين الاسمين .

الثاني — أن الكتاب هو التوراة والإنجيل ، ثم قرنهما بالقرآن المبين.

وفي المراد بالمبين ثلاثة أوجه : (أحدها) المبين إعجازه حتى لا يعارض. (الثاني) المبين الحق من الباطل حتى لا يشكلا . (الثالث) المبين الحلال من الحرام حتى لا يشتبها .

٢ — قوله عز وجل : (رُبَمَا يَوَدُّ الذين كفَرُوا لو كانوا مُسْلِمِينَ) وفي زمان هذا التمني ثلاثة أقاويل :

أحدها — عند المعاينة في الدنيا حين يتبين لهم الهدى من الضلالة ، قاله الضحاك .

الثاني — في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين .

الثالث — إذا دخل المؤمن الجنة ، والكافر النار .

وقال الحسن : إذا رأى المشركون المؤمنين وقد دخلوا الجنة وصاروا هم إلى النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين .

وربما مستعملة في هذا الموضع للتكثير ، وإن كانت في الأصــل موضوعة للتقليل ، كما قال الشاعر :

---

* آياتها تسع وتسعون . نزلت بعد سورة يوسف

(1) ما بين المربعين اخذناه من المصاحف المطبوعة والمتداولة اليوم

ألا ربّما أهْدتْ لك العَيْنُ نظْرَةً قُصاراك مِنْها أنّها عَنْكَ لاتُجْدى

< وقال بعضهم هى للتقليل أيضا في هذا الموضع ، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها . > (١)

٤ ــ قوله عز وجل : (وما أهلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ) يعنى من أهل قرية .

• (إلا ولها كِتابٌ معلومٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أجل مقدر. (الثاني) فرض محتوم .

٥ ــ قوله عز وجل : (ما تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَها وما يَسْتأخِرونَ) يحتمل وجهين :

أحدهما ــ لا يتقدم هلاكهم عن أجله ولا يتأخر عنه .

الثاني ــ لا يموتون قبل العذاب فيستريحوا ، ولا يتأخر عنهم فيسلموا.

وقال الحسن فيه « تأويلا ثالثا » ما تسبق من أمة رسولها وكتابها فتعذب قبلهما ، ولا يستأخر الرسول والكتاب عنها .

٨ ــ قوله عز وجل : (ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلاّ بالحَقِّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) إلا بالقرآن ، قاله القاسم . (الثاني) إلا بالرسالة ، قاله مجاهد . (الثالث) إلا بالقضاء عند الموت لقبض أرواحهم ، قاله الكلبي . (الرابع) إلا بالعذاب إذا لم يؤمنوا ، قاله الحسن .

• (وما كانوا إذاً مُنْظَرِينَ) أى مُؤَخّرِين .

٩ ــ قوله عز وجل : (إنّا نَحنُ نَزّلْنا الذّكْرَ) قال الحسن والضحاك يعنى القرآن.

• (وإنّا لهُ لحافِظون) فيه قولان : (أحدهما) وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه، حكاه ابن جرير. (الثاني) وإنا للقرآن لحافظون(٢) .

---

(١) سقط من ق

(٢) وهذا هو الراجح فيما ارى ، لان المتحدث عنه هو الذكر اى القرآن ، والضمير يعود الى اقرب مذكور كما هو مقرر عند النحويين . اما حفظ الله تعالى لرسوله فيؤخذ من آيات أخرى غير هذه .

وفي هذا الحفظ ثلاثة أوجه(١) :

أحدها ــ حفظه حتّى يجزى به يوم القيامة ، قاله الحسن .

الثاني ــ حفظه من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو يزيل منه حقا ، قاله قتادة .

الثالث ــ إنا له لحافظون في قلوب من أردنا به خيرا ، وذاهبون به من قلوب من أردنا به شرا (٢) .

١٠ــ قولــه عز وجــل : (ولقدْ أرسَلْنا من قَبْلِك في شِيَع الأوَّلين) . فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن الشيع الأمم ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني ــ أن الشيع جمع شيعة ، والشيعة الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، فكأن الشيع الفِرق ، ومنه قوله تعالى «أو يَلبِسَكُم شيَعا (٣)» أى فرقا، وأصله مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار ، فهو عون النار (٤).

الثالث ــ أن الشيع القبائل (٥) ، قاله الكلبي .

١٢ــ قوله عز وجل : (كذلك نَسْلُكُه في قلوب المجْرِمين) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ كذلك نسلك(٦) الاستهزاء في قلوب المجرمين، وإن لم يعرفوا، قاله قتادة .

< الثاني ــ كذلك نسلك التكذيب في قلوب المجرمين ، قاله ابن جريج.

(١) في ق : وجهان احدهما .
(٢) سقط هذا الوجه من ق
(٣) آية ٦٥ من سورة الانعام
(٤) اى يعين على اشتعال النار وقد تقدم تفسيرها .
(٥) في ق : القرى وهو كذلك في تفسير القرطبى الذى نقل هذه الفقرة حرفيا عن المؤلف انظر تفسيره ٦/١٠.
(٦) السَّلك : ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في المخيط .

الثالث ـ كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين ، وإن لم يؤمنوا، قاله الحسن .

الرابع ـ كذلك إذا كذب به المجرمون نسلك في قلوبهم أن لا يؤمنوا به > (١) .

١٣ـ قوله عز وجل (لا يُؤْمِنونَ به) يحتمل وجهين : (أحدهما) بالقرآن أنه من عند الله . (الثاني) بالعذاب أن يأتيهم .

• (وقد خلَتْ سُنّةُ الأوّلين) السنّة : الطريقة ، قال عمر بن أبي ربيعة :

لها من الريم عَيْناهُ وسُنّتُهُ ونَحرُه السابقُ المختالُ إذْ صَهَلا

وفيه وجهان :

أحدهما ـ قد خلت سُنة الأولين بالعذاب لمن أقام على تكذيب الرسل.

الثاني ـ بأن لا يؤمنوا برسلهم إذا عاندوا .

< ويحتمل (ثالثا) بأن منهم مؤمنا وكافرا .

كما يحتمل (رابعا) من أقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات > (٢) .

١٤ـ قوله عز وجل : (ولو فَتحْنا عليهم باباً مِن السماءِ فظَلّوا فيه يَعْرُجُون) فيه وجهان :

أحدهما ـ فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه ، قاله الحسن وقتادة.

الثاني ـ فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم ، قاله ابن عباس والضحاك .

١٥ـ قوله عز وجل: (لقالوا إنما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا) (٣) في « سُكِّرت» قراءتان: إحداهما بتشديد الكاف ، والثانية بتخفيفها ، وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما ـ معناهما واحد ، فعلى هذا ستة تأويلات : (أحدها) سُدّت ، قاله الضحاك . (الثاني) عميت ، قاله الكلبي . (الثالث) أخذت ، قاله قتادة.

---

(١) سقط من ك

(٢) سقط من ق

(٣) اى لو اجيبوا الى ما اقترحوا من الآيات لاصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات ، كما قالوا للقرآن المعجز انه سحر .

(الرابع) خدعت ، قاله جويبر . (الخامس) غشيت وغطيت، قاله أبو عمرو ابن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

وطَلَعتْ شمسٌ عليها مِغْفَرُ   وجَعَلَتْ عين الحَرورِ تَسْكُرُ

(السادس) معناه حبست ، قاله مجاهد . ومنه قول أوس بن حجر :

فصرت على ليلة ساهرهْ   فليستْ بطلْقٍ ولا ســـاكره[1]

والوجه الثاني ــ أن معنى سكّرت بالتشديد والتخفيف مختلف ، وفي اختلافهما وجهان : (أحدهما) أن معناه بالتخفيف سُحِرَتْ ، وبالتشديد: أُخذت (الثاني) أنه بالتخفيف من سُكر[2] الشراب ، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء[3].

• (بل نحن قومٌ مَسْحُورون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أي سحرنا فلانبصر . (الثاني) مضللون ، حكاه ثعلب . (الثالث) مفسدون .

١٦ــ قوله عز وجل : (ولقد جَعَلْنا في السماء بُروجا) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أنها قصور في السماء فيها الحرس ، قاله عطية . (الثاني) أنها منازل الشمس والقمر ، قاله على بن عيسى . (الثالث) أنها الكواكب العظام ، قاله أبو صالح ، يعنى السبعة السيارة ، (الرابع) أنها النجوم ، قاله الحسن وقتادة. (الخامس) أنها البروج الاثنا عشر .

وأصل البروج الظهور ، ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها .

• (وزيّناها للناظرين) أى حسّناها .

١٧ــ (وحَفِظْناها مِنْ كلِّ شَيْطانٍ رجيمٍ) يعنى السماء. وفي الرجيم ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الملعون ، قاله قتادة . (الثاني) المرجوم بقول أو فعل، ومنه قول الأعشى :

يظلُّ رجيما لريْب المَنونِ   والسقم في أهْله والحَزَنْ

(١) البيت هكذا في الاصول ، والذى في ديوان أوس بتحقيق الدكتور احسان عباس :

خذلت على ليلة ساهرة   بصحراء سرج الى ناظره
تزاد ليالي في طولها   فليست بطلق ولا ساكرة

(٢) اى غشيهم ما غطى ابصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله

(٣) يقال : سكرت الماء وسكرت النهر اذا سددته (اللسان) مادة سكر .

< (الثالث) أنه الشتيم(١). وزعم الكلبي أن السموات كلها لم تحفظ من الشياطين إلى زمن عيسى ، فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات ، إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظ جميعها بعد بعثه وحرسها منهم بالشهب >(٢) .

١٨- قوله عز وجل : (إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) < ومسترق السمع (٣) من الشياطين> يسترقه من أخبار الأرض دون الوحي ، لأن الله تعالى قد حفظ وحيه منهم .

وفي استراقهم له قولان : (أحدهما) أنهم يسترقونه من الملائكة في السماء . (الثاني) في الهواء عند نزول الملائكة من السماء .

وفي حصول السمع قبل أخذهم بالشهاب قولان : (أحدهما) أن الشهاب يأخذهم قبل وصولهم إلى السمع ، فيصرفون عنه . (الثاني) أنه يأخذهم بعد وصول السمع إليهم .

وفي أخذهم بالشهاب قولان : (أحدهما) أنه يجرح ويحرق ولا يقتل ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه يقتل ، قاله الحسن وطائفة.

فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان :

أحدهما – أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم ، فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء ، قال ابن عباس : ولذلك انقطعت الكهانة .

الثاني – أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ، ولذلك ما يعودون إلى استراقه ، ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق(٤).

وفي الشهب التي يرجمون بها قولان :

---

(١) الشتيم : اى المشتوم . وقال الكسائى : كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتم

(٢) سقط من ق .

(٣) سقط من ق

(٤) من قوله : فعلى هذا القول ... الى هنا نقله القرطبى حرفيا وعزاه الى الماوردى . انظر تفسيره ١٠/١١

أحدهما – أنها نور يمتد بشدة ضيائه فيحرقهم ولا يعود ، كما إذا أحرقت النار لم تعد .

الثاني – أنها نجوم يرجمون بها وتعود إلى أماكنها ، قال ذو الرمة :

كأنّه كَوْكَبٌ في إثْرِ عِفْرِيةٍ (١) مُسَوَّمٌ في سوادِ اللّيْلِ مُنْقَضِبُ

١٩– قوله عز وجل : (والأرْضَ مَدَدْناها) أى بسطناها . قال قتادة : بسطت من مكة لأنها أم القرى .

• (وألقيْنا فيها رواسيَ) وهى الجبال .

• (وأنْبَتْنا فيها مِنْ كلِّ شيءٍ مَوْزون) فيه أربعة أقاويل :

أحدها – يعنى مقدر معلوم ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . وإنما قيل « موزون » لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء < قال الشاعر :

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مِرّةٍ عندى لكل مُخاصِمٍ مِيزانُه >(٢)

الثاني – يعنى به الأشياء التى توزن في أسواقها ، قاله الحسن وابن زيد.

الثالث – معناه مقسوم ، قاله قتادة .

الرابع – معناه معدود ، قاله مجاهد .

< ويحتمل خامسا – أنه ما يوزن فيه الأثمان لأنه أجل قدرا وأعم نفعا مما لا ثمن له > (٣) .

٢٠– قوله عز وجل : (وجَعَلْنا لكم فيها مَعايِشَ) فيه ثلاثة تأويلات (أحدها) أنها الملابس ، قاله الحسن . (الثاني) أنها المطاعم والمشارب التى يعيشون فيها، ومنه قول جرير :

تُكَلّفنى مَعيشةَ آلِ زيدٍ ومَنْ لى بالمُرَقّقِ (٤) والصنابِ

(الثالث) – أنها التصرف في أسباب الرزق مدة أيام الحياة ، وهو الظاهر.

(١) أى في اثر شيطان . ومسوم : معلم . ومنقضب : منقض من مكانه

(٢) سقط من ق

(٣) سقط من ق

(٤) المرقق : الرقاق وهو خبز رقيق : والصناب : الخردل المضروب بالزبيب وروى البيت في اللسان : بالصلائق بدلا من المرقق ، ومعناه : قطع اللحم المشوى رقيقا

* (ومن لستُم له برازِقينَ) فيه ثلاثة أقاويل[١] : (أحدها) أنها الدواب والأنعام ، قاله مجاهد . (الثاني) أنها الوحوش ، قاله منصور < (الثالث) العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم «نحن نرزُقُهم وإيّاكم» قاله ابن بحر[٢] > .

٢١ــ قوله عز وجل (وإنْ مِنْ شيءٍ إلا عِنْدَنا خزائنُهُ) يعنى وإن من شيء من من أرزاق الخلق إلا عندنا خزائنه < وفيه وجهان :

أحدهما ــ يعنى مفاتيحه لأن في السماء مفاتيح الأرزاق ، وهو معنى قول الكلبى .

الثاني ــ أنها الخزائن التى هى مجتمع الأرزاق. وفيها وجهان : (أحدهما) ما كتبه الله تعالى وقدره من أرزاق عباده. > [٣] (الثاني) يعنى المطر المنزل من السماء ، لأنه به نبات كل شيء ، قال الحسن : المطر خزائن كل شيء.

* (وما نُنَزّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلومٍ) قال ابن مسعود : ما كان عامٌ بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث يشاء ، فيمطر قوما ويحرم آخرين.

٢٢ــ قوله عز وجل : (وأرْسَلْنا الرياحَ لَواقحَ) فيه قولان :

أحدهما ــ لواقح السحاب حتى يمطر ، قاله الحسن وقتادة . و كل الرياح لواقح غير أن الجنوب ألقح . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما هبت ريح جنوب إلا أنبَعَ اللهُ تعالى بها عَيْنا غَدقة .

الثاني ــ لواقح للشجر حتى يثمر ، قاله ابن عباس .

وقال أبو عبيدة : لواقح بمعنى ملاقح[٤]. وقال عبيد بن عمير : يرسل الله تعالى المبشّرة فتقمُّ الأرض قمّاً ، ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه ، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر .

* قوله عز وجل : (فأنزَلْنا مِن السماءِ ماءً) يعنى من السحاب مطرا.
* (فأسْقَيْناكُمُوهُ) أى مكناكم منه . والفرق بين السقى والشرب أن

---

(١) في ق : فيه قولان

(٢) سقط من ق

(٣) سقط من ق

(٤) ذهب الى أنه جمع ملقحة ، وملقح ، ثم حذفت زوائده .

السقي بذل المشروب ، والشرب : استعمال المشروب ، فصار الساقي باذلا ، والشارب مستعملا .

• (وما أَنتُمْ له بخازِنينَ) فيه وجهان : (أحدهما) بخازني الماء الذى أنزلناه . (الثاني) بمانعي الماء الذى أنزلناه .

٢٤— قوله عز وجل : (ولقد علِمْنا المسْتَقْدِمين مِنكم ولقد علِمْنا المُسْتَأخرِين) فيه ثمانية تأويلات :

أحدها — أن المستقدمين الذين خلقوا ، والمستأخرين الذين لم يخلقوا، قاله عكرمة .

الثاني — المستقدمين الذين ماتوا ، والمستأخرين الذين هم أحياء لم يموتوا، قاله الضحاك .

الثالث — المستقدمين أول الخلق ، والمستأخرين آخر الخلق ، قاله الشعبي .

الرابع — المستقدمين أول الخلق ممن تقدم على أمة محمد ، والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله مجاهد .

الخامس — المستقدمين في الخير ، والمستأخرين في الشر ، قاله قتادة.

السادس — المستقدمين في صفوف الحرب ، والمستأخرين فيها ، قاله سعيد بن المسيب .

السابع — المستقدمين من قتل في الجهاد ، والمستأخرين من لم يقتل ، قاله القرظى .

الثامن — المستقدمين في صفوف الصلاة ، والمستأخرين فيها .

روى عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةٌ [حسناءُ] مِن أحْسَن الناس ، لا والله ما رأيت مثلها قط ، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطه في الصف ، فأنزل الله تعالى في شأنها هذه الآية . (١)

(١) رواه النسائي والترمذى وابن ماجه وابن حبان . وقال الترمذى : روي مرسلا

٢٦ــ قوله عز وجل : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾
أما الإنسان ها هنا فهو آدم عليه السلام في قول أبي هريرة والضحاك . وأما الصلصال ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه الطين اليابس الذى لم تصبه نار ، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، قاله ابن عباس وقتادة ، ومنه قول الشاعر :

وقاعٍ ترى الصَّلْصال فيه ودُونَهُ بَقايا بلالٍ بالقرى والمناكِبِ

والصلصلة: الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان ، وهو مثل القعقعة في الثوب .

الثاني ــ أنه طين خلط برمل ، قاله عكرمة .

الثالث ــ أنه [الطين] المنتن ، قاله مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ إذا أنتن ، قال الشاعر(1) :

< ذاك فتى يبذُلُ ذا قِدْرِهِ لا يُفْسِدُ اللحمَ لديْه الصلولْ >(2)

والحمأ : جمع حمأة وهو الطين الأسود المتغير .

وفي المسنون سبعة أقاويل :

أحدها ــ أن المسنون المنتن المتغير ، من قولهم قد أسن الماء إذا تغير ، قاله ابن عباس ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت :

سَقَتْ صَدايَ رُضاباً غيرَ ذى أَسَنٍ كالمِسْكِ فُتَّ على ماءِ العناقيد

الثاني ــ أن المسنون المنصوب القائم ، من قولهم وجه مسنون ، قاله الأخفش .

الثالث ــ أن المسنون المصبوب ، من قولهم سنيتُ الماء على الوجه إذا صببته عليه ، قاله أبو عمرو بن العلاء ، ومنه الأثر المروى عن عمر أنه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنُّه ، والشن تفريق الماء ، والسن صبه .

الرابع ــ أن المسنون الذى يحك بعضه بعضا ، من قولهم سننت الحجر

(1) هو الحطيئة
(2) سقط من ق

على الحجر إذا حككت أحدهما بالآخر ، ومنه سمى المِسَنّ لأن الحديد يسن عليه ، قاله الفراء .

الخامس – أن المسنون المنسوب .

السادس – أنه الرطب ، قاله ابن أبي طلحة .

السابع – أنه المخلص[1] من قولهم سن سيفك أى اجلُه[2] .

٢٧– قوله عز وجل : (والجانَّ خَلَقْناهُ مِن قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ) وفي الجان ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه إبليس ، قاله الحسن . (الثاني) انهم الجن حكاه ابن شجرة . (الثالث) أنه أبو الجن قاله الكلبي < فآدم أبو الإنس ، والجان : أبو الجن ، وإبليس أبو الشياطين .

قال ابن عباس : الجان أبو الجن وليسوا شياطين . والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس . والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر[3] .

« خلقناه من قبل» يعني من قبل آدم. < قال قتادة: لأن آدم إنما خلق آخر الخلق > [4].

وقوله تعالى : « من نار السَّمومِ» فيه أربعة أقاويل : (أحدها) يعني من لهب النار ، قاله ابن عباس . (الثاني) يعني من نار الشمس ، قاله عمرو ابن دينار . (الثالث) من حر السموم ، والسموم: الريح الحارة ، ذكره ابن عيسى. < (الرابع) [5] أن نار السموم نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها ، قاله الكلبي . وسمى سموما لدخوله في مسام البدن > .

٣٦– قوله عز وجل : (قال رَبِّ فأنْظِرني إلى يوم يُبْعَثونَ) وهذا السؤال من إبليس لم يكن عن ثقة منه بمنزلته عند الله تعالى وأنه أهل أن يجاب له دعاء،

---

(١) المخلص ، هكذا وردت في الاصول . ولعلها المجلو ، ثم حرفها النساخ .

(٢) قال تعالى : خلق الانسان من صلصال كالفخار (آية ١٤ الرحمن) وقال جل شأنه : انا خلقناهم من طين لازب (آية ١١ الصافات) وقال عزوجل : كمثل آدم خلقه من تراب(٥٩ آل عمران) وذلك كله متفق المعني فقد أخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ثم انتقل نصار صلصالا كالفخار . ثم كان بشرا فتبارك الله أحسن الخالقين .

(٣) سقط من ق .

(٤) سقط من ق

(٥) سقط من ق .

ولكن سأل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة . وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون أن لا يموت ، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده .

٣٧ـ فقال الله تعالى : (فإنك مِنَ المُنْظَرِين) يعنى من المؤجلين .

٣٨ـ (إلى يوم الوقْت المعْلوم) فلم يجبه إلى البقاء .

وفي الوقت المعلوم وجهان : :

أحدهما ـ معلوم عند الله تعالى ، مجهول عند إبليس .

الثاني ـ إلى يوم النفخة الأولى يموت إبليس . وبين النفخة والنفخة أربعون سنة . فتكون مدة موت إبليس أربعين سنة ، وهو قول ابن عباس. وسمى يوم الوقت المعلوم لموت جميع الخلائق فيه .

وليس هذا من الله تعالى إجابة لسؤاله ، لأن الإجابة تكرمة ، ولكنه زيادة في بلائه ، وتعريف أنه لا يضر بفعله غير نفسه .

وفي كلام الله تعالى له قولان : (أحدهما) أنه كلمه على لسان رسول. (الثاني) أنه كلمه تغليظا في الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب .

٣٩ـ قوله عز وجل : (قال رَبِّ بما أَغْوَيْتَنِى) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) بما أضللتنى ، قاله ابن عباس . (الثاني) بما خيبتنى من رحمتك . (الثالث) بما نسبتنى إلى الإغواء .

ويحتمل هذا من إبليس وجهين : (أحدهما) أن يقوله على وجه القسم وتقديره : وحق إغوائك لى . (الثاني) أن يقوله على وجه الجزاء ، وتقديره لأجل إغوائك لى .

* (لأُزَيِّنَنَّ لهُمْ في الأرْضِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لأزينن لهم فعل المعاصى . (الثاني) لأشغلنهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة .

* (ولأُغْوِيَنَّهُمْ أجْمعين) أى لأضلنهم عن الهدى .

٤٠ـ (إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِينَ) وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد أو رياء حكى أبو ثمامة أن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلص لله، فقال: الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس .

٤١ـ قوله عز وجل: (قال هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ـ معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة، قاله عمر رضي الله عنه .

الثاني ـ هذا صراط إليّ مستقيم، قاله الحسن < فتكون عليّ بمعنى إليّ > (1) .

الثالث ـ أنه وعيد وتهديد، ومعناه أن طريقه إليّ ومرجعه عليّ، كقول القائل لمن يهدده ويوعده : عليّ طريقك، قاله مجاهد .

الرابع ـ معناه هذا صراط عليّ استقامته بالبيان والبرهان. وقيل بالتوفيق والهداية .

وقرأ الحسن وابن سيرين : عليٌّ مستقيم برفع الياء وتنوينها، ومعناه رفيع مستقيم، أي رفيع أن ينال، مستقيم أن يمال .

٤٦ـ قوله عز وجل (أدْخُلوها بسَلامٍ آمِنِينَ) في قوله «بسلام» ثلاثة أوجه :

أحدها ـ بسلامة من النار، قاله القاسم بن يحيى .

الثاني ـ بسلامة تصحبكم من كل آفة، قاله علي بن عيسى .

الثالث ـ بتحية من الله لهم، وهو معنى قول الكلبي .

«آمِنين» فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) آمنين من الخروج منها. (الثاني) آمنين من الموت. (الثالث) آمنين من الخوف والمرض .

٤٧ـ قوله عز وجل : (ونَزَعْنا ما في صُدورِهم مِنْ غِلٍّ(2)) فيه وجهان:

أحدهما ـ نزعنا بالإسلام ما في صدورهم من غل الجاهلية، قاله علي بن الحسين .

---

(1) سقط من ق .

(2) الغل : الحقد والعداوة

الثاني – نزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا ، قاله الحسن، وقد رواه ابو سعيد الخدرى مرفوعا .

* (إخواناً عَلَىَ سُرُرٍ مُتَقَابِلِين) في السرر وجهان : (أحدهما) أنه جمع أسرة هم عليها . (الثاني) أنه جمع سرور هم فيه .

وفي « متقابلين » خمسة أوجه :

أحدها – متقابلين بالوجوه يرى بعضهم بعضا فلا يصرف طرفه عنه تواصلا وتحابيا ، قاله مجاهد .

الثاني – متقابلين بالمحبة والمودة ، لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون ، قاله علي بن عيسى .

الثالث – متقابلين في المنزلة لا يفضل بعضهم فيها على بعض لاتفاقهم على الطاعة واستوائهم في الجزاء ، قاله أبو بكر بن زياد .

الرابع – متقابلين في الزيارة والتواصل ، قاله قتادة .

الخامس – متقابلين قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود، حكاه القاسم .

قيل إن هذه الآية نزلت في العشرة من قريش . وروى عن على رضى الله عنه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير منهم [1].

٤٩– قوله عز وجل : (نَبِّئْ عبادى أَني أنا الغَفورُ الرحيمُ) سبب نزولها ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون ، فقال : تضحكون وبين أيديكم الجنة والنار [2] ، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: «نبّىء عبادى أني أنا الغفور الرحيم».

---

(1) قال علي رضي الله عنه ذلك عندما دخل عليه عمران بن طلحة فرحب علي به ، فقال : ترحب بي يا امير المؤمنين وقد قتلت والدى واخذت مالي ؟ قال : اما مالك فهو معزول في بيت المال أعد عليه فخذه ، واما ابوك فانى أرجو ان اكون انا وابوك من الذين قال الله تعالى فيهم : ونزعنا ما في صدورهم من غل – الاية . انظر تفسير الكشاف للزمخشرى ٤٥١/٢ .

(2) اخرجه الطبرانى عن عبدالله بن الزبير

٥٣ـ قوله عز وجل : (قالوا لا تَوجَل) أي لا تخف ، ومنه قول معن بن أوس :

لعَمْرُكَ ما أدرِي وإني لأوْجلُ   على أيِّنا تَعْدُو المنيةُ أوّلُ

• (إنّا نُبَشِّرُكَ بغلامٍ عَليم) أي بولد هو غلام في صغره ، عليم في كبره ، وهو إسحاق لقوله تعالى : « فضحكت فبشرناها بإسحاق » .

وفي « عليم » تأويلان : (أحدهما) حليم ، قاله مقاتل . (الثاني) عالم ، قاله الجمهور .

٥٤ـ فأجابهم عن هذه البشرى مستفهما لها متعجبا منها (قال أبَشَّرْتُموني على أن مسّنِيَ الكِبَرُ) أي علو السن عند الإياس من الولد .

• (فبِمَ تُبَشِّرُونَ) فيه وجهان : (أحدهما) < أنه قال ذلك استفهاما لهم ، هل بشروه بأمر الله ؟ ليكون أسكن لنفسه . (الثاني) > [1] أنه قال قال ذلك تعجبا من قولهم ، قاله مجاهد .

٥٥ـ (قالوا بَشّرْناك بالحقّ) أي بالصدق ، إشارة منهم إلى أنه عن الله تعالى .

• (فلا تكُنْ مِنَ القانِطين) أي من الآيسين من الولد .

٥٨، ٥٩ ـ قوله عز وجل (قالوا إنا أرْسِلْنا إلى قوْمٍ مُجْرِمِينَ إلاّ آلَ لوط إنا لمنجُّوهم أجمعين) آل لوط اتباعه ومؤمنو قومه ، سمّاهم آلَهُ لنصرتهم له ، وإيمانهم به ، فاستثناهم من المجرمين المأمور بهلاكهم، فخرجوا بالاستثناء منهم .

٦٠ـ ثم قال تعالى (إلاّ امْرأتَه) فكانت مستثناة من آل لوط ولاحقة بالمجرمين، لأن كل استثناء يعود إلى ما تقدمه فيخالفه في حكمه . فإن عاد إلى إثبات كان الاستثناء نفيا ، وإن عاد إلى نفي كان الاستثناء إثباتا ، فصارت امرأة لوط ملحقة بالمجرمين المهلكين .

ومثال هذا في الإقرار أن يقول له : عليّ عشرة إلا سبعة إلا أربعة ، فيكون عليه سبعة لأن الأربعة استثناء يرجع إلى السبعة التي قبلها ، فصار الباقي

(١) سقط من ك

منها ثلاثة ، وتصير الثلاثة الباقية هى الاستثناء الراجع إلى العشرة ، فيبقى منها سبعة .

وهكذا في الطلاق لو قال لزوجته : أنت طالق ثلاثا أو اثنتين إلا واحدة طلقت ثنتين لأن الواحدة ترجع إلى الثنتين ، فتبقى منها واحدة فتصير الواحدة هى القدر المستثنى من الثلاثة ، فيصير الباقي منها ثنتين وهكذا حكم قوله: « إلا امرأته » .

* < (قَدَّرْنا) فيه وجهان : (أحدهما) معناه قضينا ، قاله النخعى . (الثاني) معناه كتبنا ، قاله على بن عيسى .

* (إنها لمِنَ الغابِرين) فيه وجهان : (أحدهما) أى من الباقين في العذاب مع المجرمين ، (الثاني) من الماضين بالعذاب .

٦٥ـ قوله عز وجل : (فأسْرِ بأهْلِكَ بقطْع مِنَ الليل) فيه ثلاثة تأويلات :

(أحدها) بآخر الليل ، قاله الكلبي . (الثاني) ببعض الليل، قاله مقاتل .

(الثالث) بظلمة الليل ، قاله قطرب ، ومنه قول الشاعر[1] :

ونائحةٍ تنوحُ بقِطْعِ ليْلٍ ... على رَجُلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ

٦٦ـ قوله عز وجل : (وقَضَيْنا إليه ذلك الأمْرَ) أى أوحينا إليه ذلك الأمر .

* (أنّ دابرَ هؤلاءِ مَقْطوعٌ مُصْبِحِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) آخرهم . (الثاني) أصلهم .

« مقطوع مصبحين » أى يستأصلون بالعذاب عند الصباح .

٧٢ـ قوله عز وجل : (لعَمْرُكَ إنّهم لفى سَكْرَتِهِمْ يعمَهُونَ) لعمرك : قسم فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ معناه وعيشك ، وهذا مروى عن ابن عباس .

الثاني ــ معناه وعلمك ، قاله قتادة .

الثالث ــ معناه وحياتك ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا وقال : ما أقسم الله تعالى بحياة غيره .

---

(١) هو مالك بن كنانة

الرابع – وحقك ، يعني الواجب على أمتك . والعَمْر الحق ، ومنه قولهم : لعَمْر الله ، أي وحق الله .

وفي « سكرتهم » وجهان : (أحدهما) في ضلالتهم ، قاله قتادة . (الثاني) في غفلتهم، قاله الأعمش .

وفي « يَعْمَهون » أربعة أوجه : (أحدها) معناه يترددون ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وأبو مالك . (الثاني) يتمارون ، قاله السدى . (الثالث) يلعبون ، قاله الأعمش . (الرابع) يمعنون ، قاله الكلبي .

٧٥– قوله تعالى : (إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمينَ) فيه خمسة أوجه :

أحدها – للمتفرسين ، قاله مجاهد . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا فِراسة المؤْمن فإنه ينظرُ بنور الله» ثم تلا هذه الآية[1] .

الثاني – للمعتبرين ، قاله قتادة .

الثالث – للمتفكرين ، قاله ابن زيد .

الرابع – للناظرين ، قاله الضحاك . قال زهير بن أبي سلمى :

وفيهن ملْهى للصَّديق ومَنْظَرٌ أنيقٌ لعَيْنِ الناظِرِ المتَوَسِّمِ

الخامس – للمبصرين ، قاله أبو عبيدة . قال الحسن : هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذى أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار . ومنه قول عبد الله بن رواحة للنبي صلى الله عليه وسلم :

إني توسَّمْتُ فيك الخيرَ أَعرِفُه والله يَعْلَمُ أني ثابِتُ البَصَرِ

٧٦– قوله عز وجل : (وإنها لبِسبيلٍ مُقِيم) فيه تأويلان :

أحدهما – لبهلاك دائم ، قاله ابن عباس .

الثاني – لبطريق معلم ، قاله مجاهد . يعني بقوله « وإنها » أهل مدائن قوم لوط وأصحاب الأيكة قوم شعيب .

---

(١) رواه الترمذى في التفسير

٧٨ــ قوله عز وجل : (وإنْ كان أَصحابُ الأَيْكَةِ لظالِمِينَ) يعنى في تكذيب رسول الله إليهم وهو شعيب ، لأنه بعثَ إلى أمتين ، أصحاب الأيكة وأهل مدين . فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة ، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التى احترقوا بنارها ، قاله قتادة .

وفي الأيكة ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنها الغيضة ، قاله مجاهد .

الثاني ــ أنها الشجر الملتف ، وكان أكثر شجرهم الدوم وهو المقل، وهذا قول ابن جرير ، ومنه قول النابغة الذبياني :

تجْلُو بقادِمتَيْ حمامةِ أيكةٍ　　　بَرَدًا أُسِفَّ لِثاتُهُ بالإثمدِ

الثالث ــ أن الأيكة اسم البلد ، وليكة اسم المدينة بمنزله بكة من مكة، حكاه ابن شجرة .

٧٩ــ قوله عز وجل : (فانْتَقَمْنا مِنهم وإنهما لبإمامٍ مُبِينٍ) فيه تأويلان :

أحدهما ــ لبطريق واضح ، قاله قتادة . وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده .

الثاني ــ لفى كتاب مستبين ، قاله السدى . وإنما سمى الكتاب إماما لتقدمه على سائر الكتب . وقال مؤرج : هو الكتاب بلغة حِمْير .

ويعنى بقوله « وإنهما» أصحاب الأيكة وقوم لوط .

٨٠ــ قوله عز وجل : (ولقد كذّب أصحابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ) >[1] وهم ثمود قوم صالح . وفي الحِجْر ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الوادى ، قاله قتادة . (الثاني) أنها مدينة ثمود ، قاله ابن شهاب. (الثالث) مـــا حكاه ابن جرير أن الحجر أرض بين الحجاز والشام .

وروى جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم مرّ في غزاة تبوك بالحِجر ، فقال : هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلاّ رجلا كان في حَرَمِ الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله . قيل : يا رسول الله من هو ؟ قال : أبو رغال .

(١) من « قدرنا انها لمن الغابرين » ص ٣٧٣ الى هنا سقط من ق .

٨٢ـ قوله عز وجل : ﴿ وكانوا يَنْحِتون مِنَ الجبالِ بُيوتاً آمِنينَ ﴾ فيه أربعة أوجه : (أحدها) آمنين أن تسقط عليهم . (الثاني) آمنين من الخراب . (الثالث) آمنين من العذاب . (الرابع) آمنين من الموت .

٨٥ـ قوله عز وجل : ﴿ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَميلَ ﴾ فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه الإعراض من غير جزع . (الثاني) أنه صفح المنكرِ عليهم بكفرهم ، المقيم على وعظهم ، قاله ابن بحر . (الثالث) أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف. (الرابع) أنه الرضا بغير عتاب ، قاله علي بن أبي طالب .

وفيه قولان :

أحدهما ـ أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى ، ثم فسخ بالسيف، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « لقد أتيتكم بالذبح، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة ، قاله عكرمة ومجاهد .

الثاني ـ أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم ، قاله الحسن .

٨٧ـ قوله عز وجل : ﴿ولقد آتيْناكَ سَبْعاً مِن المثاني والقرآنَ العظيمَ ﴾ فيها خمسة أقاويل[1] :

أحدها ـ أن السبع المثاني هي الفاتحة ، سميت بذلك لأنها تثنى كلما قرئ القرآن وصُلّي ، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية والحسن . وقيل : لأنها يثنى فيها الرحمن الرحيم ، ومنه قول الشاعر :

نَشَدْتُكُم بمنزِل القرآنِ أمِّ الكتابِ السَّبْعِ مِن مثاني
ثُنِّينَ مِنْ آيٍ مِن القرآنِ والسبع سبع الطول الدواني

الثاني ـ أنها السبع الطوّل : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

قال ابن عباس : سميت المثاني لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر . وقيل : لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية .

(١) في ق أربعة أقاويل

< قال جرير :

جزى الله الفرزدق حين يُمْسِي مُضيعــا للمفصَّل والمثاني[١]

الثالث ــ أن المثاني القرآن كله ، قاله الضَحّاك ، ومنه قول صفية[٢] بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقد كان نُورًا ساطعاً يُهتدى به يُخَصُّ بتنزيل المثاني المعظّم

الرابع ــ أن المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهى وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون ، قاله زياد بن أبي مريم .

< الخامس ــ أنها سبع كرامات أكرمه الله بها ، أولها الهدى ثم النبوّة، ثم الرحمة ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم، قاله جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما >.[٣]

٨٨ــ قوله عز وجل : (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا به أَزْواجاً مِنْهُمْ) يعني ما متعناهم به من الأموال .

وفي قوله «أزواجا منهم» ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم الأشباه ، قاله مجاهد . (الثاني) أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد. (الثالث) أنهم الأغنياء ، قاله ابن أبي نجيح .

• (ولا تَحْزَنْ عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) لا تحزن عليهم بما أنعمت عليهم < في دنياهم . (الثاني) لا تحزن >[٤] بما يصيرون إليه من كفرهم .

• (واخْفِضْ جَناحَكَ للمؤْمِنين) فيه وجهان : (أحدهما) [اخضع لهم]، قاله سعيد بن جبير. (الثاني) معناه ألِنْ جانبك لهم،قال الشاعر :

وحَسْبُكَ فِتْيةٌ لزعيم قَوْمٍ يمدّ على أخي سُقْم جَناحا

---

(١) سقط من ق .

(٢) لم أجد هذا البيت في سيرة ابن هشام التى اوردت عددا من القصائد في رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الجزء الرابع بتحقيق مصطفى السقا ورفاقه .

(٣) سقط من ق

(٤) سقط من ك

وروى أبو رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فلم يلق عنده أمرا يصلحه ، فأرسل إلى رجل من اليهود يستسلف منه دقيقا إلى هلال رجب ، فقال : لا إلاّ برهْنٍ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما والله إني لأَمينٌ في السماء وأمينٌ في الأرض،ولو أسْلَفَني أو باعني لأدّيتُ إليه، فنزلت عليه. : «لا تَمُدَّنَّ عيْنَيك إلى ما متّعْنا به أزواجا منهم» .

٩٠- قوله عز وجل : (كما أَنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ) فيهم سبعة أقاويل :

أحدها - أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاء أي أجزاءً فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض ، قاله ابن عباس .

الثاني - أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاءً به، فقال بعضهم: هذه السورة لي ، وهذه السورة لك ، فسموا مقتسمين ، قاله عكرمة .

الثالث - أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم ، فآمن بعضهم ببعضها، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم ، وكفروا بما آمن به غيرهم ، فسماهم الله تعالى مقتسمين ، قاله مجاهد .

الرابع - أنهم قوم صالح تقاسموا على قتله ، فسموا مقتسمين ، كما قال تعالى : «قالوا تقاسموا بالله لنُبَيِّتَنَّهُ وأهله[1] »قاله ابن زيد .

الخامس - أنهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ليتلقوا الواردين إليها من القبائل فينفروهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون ، حتّى لا يؤمنوا به ، فأنزل الله تعالى عليهم عذابا فأهلكهم ، قاله الفراء .

السادس - أنهم قوم من كفار قريش قسموا كتاب الله ، فجعلوا بعضه شعرا وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين ، قاله قتادة .

السابع - أنهم قوم أقسموا أيمانا تحالفوا عليها ، قاله الأخفش .

< وقيل إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج >[2] .

(١) آية ٤٩ من سورة النمل

(٢) سقط من ق . وقد نقل القرطبي ذلك عن المؤلف . انظر تفسيره ١٠/٥٨ .

٩١- قوله عز وجل : (الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها — يعني فِرَقا ، فجعلوا بعضه شعرا ، وبعضه سحرا ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين ، فجعلوه أعضاء كما يعضّى الجزور و«عِضِين» جمع عضو ، مأخوذ من عضّيت الشيء تعضية إذا فرقته كما قال رؤبة بن العجاج :

وليس دينُ الله بالمُعَضّى

يعني بالمفرَّق ، قاله ابن عباس والضحاك .

الثاني — أن العضين جمع عضه وهو البهت ، من قولهم : عضهتُ الرجل أعضهه عضها إذا بهتّه ، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به ، قاله قتادة . ومنه قول الشاعر :

إنّ العضيهة ليستْ فعـــل أحرار

الثالث — أن العضين المستهزئون ، لأنه لما ذكر في القرآن البعوض والذباب والنمل والعنكبوت قال أحدهم : أنا صاحب البعوض ، وقال آخر : أنا صاحب الذباب ، وقال آخر : أنا صاحب النمل . وقال آخر : أنا صاحب العنكبوت ، استهزاء منهم بالقرآن ، قاله الشعبي والسدى .

الرابع — أنه عنى بالعضه السحر ، لأنهم جعلوا القرآن سحرا ، قاله مجاهد ، قال الشاعر :

للك من عضائهن زمزمة

يعني من سحرهن . وقال عكرمة : العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة العاضهة ، ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن العاضهة والمستعضهة ، يعني الساحرة والمستسحرة .

(١) < وفي اشتقاق العضين وجهان : (أحدهما) أنه مشتق من الأعضاء ، وهو قول عبيدة . (الثاني) أنه مشتق من العضه وهو السحر ، وهو قول الفراء

---

(١) سقط من ق

٩٢ ، ٩٣– قوله عز وجل : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهم أجْمَعينَ عما كانوا يَعْمَلونَ)

فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني عما كانوا يعبدون ، قاله أبو العالية . (الثاني) عما كانوا يعبدون ، وماذا أجابوا المرسَلين ، رواه الربيع بن أنس ....

٩٤– قوله عز وجل : (فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ) فيه ستة تأويلات :

أحدها – فامض بما تؤمر ، قاله ابن عباس .

الثاني – معناه فاظهر بما تؤمر ، قاله الكلبي . قال الشاعر :

ومَنْ صادعٌ بالحق بَعْدَكَ ناطقٌ بتقوى ومَن إنْ قيل بالجوْر غيّرا

الثالث – يعني أجهر بالقرآن في الصلاة ، قاله مجاهد .

الرابع – يعني أعلن بما يوحى إليك حتّى تبلغهم ، قاله ابن زيد .

الخامس – معناه افرق بين الحق والباطل ، قاله ابن عيسى .

السادس – معناه فرق القول فيهم مجتمعين وفرادى ، حكاه النقاش .

وقال رؤبة : ما في القرآن اَعْرَبُ من قوله : « فاصدعْ بما تُؤْمرُ»

* (وأعْرِضْ عن المشركين) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه منسوخ بقوله تعالى : « فاقتُلوا المشركين » قاله ابن عباس . (الثاني) اعرض عن الاهتمام باستهزائهم (الثالث) معناه بالاستهانة بهم ، قاله ابن بحر .

ثم فيه وجهان : (أحدهما) اصدع الحق بما تؤمر من إظهاره . (الثاني) اصدع الباطل بما تؤمر من إبطاله .

٩٥– قوله تعالى : (إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهزئينَ) وهم خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة[١] ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث[٢] بن الطّلاطلَة . أهلكهم الله جميعا قبل بدر لاستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أسمه الاسود بن عبد المطلب بن اسد

(٢) في الاصول : ابن عيطلة ، والتصويب من سيرة ابن هشام ٢/٥١ ، ٥٢ والطلاطلة لغة الداهية ، وهى اسم امه وفي السيرة الشامية ان الطلاطلة اسم ابيه

وسبب هلاكهم ما حكاه مقسم وقتادة أن الوليد بن المغيرة ارتدى فعلق سهم بردائه ، فذهب فجلس فقطع أكحله فنزف فمات . وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة ، فتساقط لحمه عن عظامه ، فمات . وأما أبو زمعة فعمى. وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه أتي بغصن شوك ، فأصاب عينيه، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : [دعا] عليّ محمد فاستجيب له ، ودعوتُ عليه فاستجيب لى ، دعا عليّ أن أعمى فعميت ، ودعوت عليه أن يكون طريدا بيثرب ، فكان كذلك . وأما الحارث بن الطلاطلة فإنه استسقى بطنه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل [حين] نزل عليه بقوله تعالى: « إنا كفيناك المستهزئين » دع لى خالى يعنى الأسود بن الطلاطلة فقال له : كفيت .

٩٧– قوله عز وجل : (ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ) أى قلبُك لأن الصدر محل القلب.

* (بما يقولون) يعنى من الاستهزاء ، وقيل من التكذيب بالحق .

٩٨– (فسبِّحْ بحمد ربك وكُنْ مِن الساجِدِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) الخاضعين . (الثاني) المصلين .

* (واعْبُدْ رَبَّكَ حتى يأتيكَ اليَقِينُ) فيه وجهان :

أحدهما – الحق الذى لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، قاله ابن شجرة.

الثاني – الموت الذى لا محيد عنه ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة .

سورة النحـل

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر : وقال ابن عباس : هى مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهى قوله : « ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا » إلى قوله : « ولَنَجزِينّهم أجْرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانوا يَعْمَلونَ » نزلت بعد[1] قتل حمزة بأحد .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (أتى أمْرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلوهُ) فيه ثلاثة تأويلات :

(أحدها) أنه بمعنى سيأتي [أمر] الله تعالى . (الثاني) معناه دنا أمر الله تعالى. (الثالث) أنه مستعمل على حقيقة إتيانه في ثبوته واستقراره . وفي « أَمْرُ» أربعة أقاويل[2] :

أحدها[3] ــ أنه إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو مسلم ،

الثاني ــ أنه فرائضه وأحكامه ، قاله الضحاك .

الثالث ــ أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم. قاله ابن جريج .

الرابع ــ أنه القيامة ، وهو قول الكلبي .

< وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لما نزلت : « أتَى أمرُ اللهِ » رفعوا رؤوسهم ، فنزل « فلا تستعجلوه » أى فلا تستعجلوا وقوعه.

---

(١) هكذا ورد في الاصول الخطية ، ويبدو أن سهوا قد وقع من النساخ ، فان جمهور أهل التفسير على أن الآيات الثلاث المدنية هى قوله تعالي : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » الى آخر السورة وقد نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد .. وقد وقع ذلك في صحيح البخارى وفي كتب السيرة . انظر سيرة ابن هشام ١٠٢/٣ ، وتفسير القرطبى ٢٠١/١٠ وغيرها . رحم الله أبا الحسن الماوردى فهو أعلم. واكيس من ان يقول بمثل ما أورده نساخ تفسيره في هذا الموضع . ولئن كان هو قائل ذلك فان لكل مجتهد نصيبا ولكل جواد كبوة .

(٢) في ق : ثلاثة اقاويل .

(٣) سقط من ق

وحكى مقاتل بن سليمان أنه لما قرأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَتى أمرُ اللهِ» نهض رسول الله خوفا من حضورها حتى قرأ فلا تستعجلوه.

ويحتمل وجهين : (أحدها) فلا تستعجلوا التكذيب فإنه لن يتأخر . (الثاني) فلا تستعجلوا أن يتقدم قبل وقته ، فإنه لن يتقدم >. (١)

٢ ـ قوله عز وجل : (يُنَزِّل الملائكةَ بالرُوحِ مِنْ أَمْرِه على مَن يَشاءُ مِن عبادِهِ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها ـ أن الروح هاهنا الوحى ، وهو النبوة ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ أنه كلام الله تعالى وهو القرآن ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث ـ أنه بيان الحق الذى يجب اتباعه ، قاله ابن عيسى .

الرابع ـ أنها أرواح الخلق . قال مجاهد لا ينزل ملك إلا ومعه روح.

الخامس (٢) ـ أن الروح الرحمة ، قاله الحسن وقتادة .

< ويحتمل تأويلا سادسا ـ(٣) أن يكون الروح الهداية، لأنها تحيا بها القلوب كما تحيي الروح الأبدان >

٤ ـ قوله تعالى : (خَلَقَ الإنسانَ مِنْ نُطفَةٍ فإذا هو خَصِيمٌ مُبِينٌ)

الخصيم المحتج في الخصومة ، < والمبين هو المفصح عما في ضميره > (٣) وفي صفته بذلك ثلاثة أوجه :

أحدها ـ تعريف قدرة الله تعالى في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذه الحال في البيان والمكنة .

الثاني ـ ليعرفه نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحال بعدما خلقه من نطفة مهينة .

(١) سقط من ق
(٢) سقط من ق
(٣) سقط من ق

الثالث ـ يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع حق النعمة بالخصومة في الكفر ، قاله الحسن .

وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في أُبيّ بن خلف الجمحي حين أخذ عظاما نخرة فذراها وقال : أَنُعادُ إذا صِرْنا هكذا؟

٥ ـ قوله عز وجل : (والأَنْعامَ[1] خلَقَها لكُمْ فيها دِفْءٌ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه اللباس ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ ما استدفئ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، قاله الحسن.

الثالث ـ أن الدفء صغار أولادها التي لا تركب ، حكاه الكلبي .

• (ومَنافِعُ) فيها وجهان : (أحدهما) النسل ، قاله ابن عباس . (الثاني) يعني الركوب والعمل .

• (ومنها تأكُلون) يعني اللبن واللحم .

٦ ـ قوله عز وجل : (ولكُمْ فيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحونَ وحِينَ تَسْرَحُونَ) يحتمل وجهين :

أحدهما ـ أن الرواح من المراعي إلى الأفنية ، والسراح انتشارها من من الأفنية إلى المراعي .

الثاني ـ أنه على عموم الأحوال في خروجها وعودها من مرعى أو عمل أو ركوب .

وفي الجمال بها وجهان : أحدهما ـ قول الناس إذا رأوها : هذه نَعَمُ فلان ، قاله السدي .

الثاني ـ توجه [الأنظار] إليها ، وهو محتمل .

وقد قدم الرواح على السراح وإن كان بعده لتكامل درها ولأن النفس به أسَرُّ .

(١) الانعام : هي الابل والبقر والغنم

٧ – (وتَحْمِلُ أثْقالَكمْ إلى بَلَدٍ لم تكُونوا بالِغيه إلاّ بِشِقّ الأنفُسِ)
في البلد قولان :

أحدهما – أنه مكة[1] لأنها من بلاد الفلوات .

الثاني – أنه محمول على العموم في كل بلد مسلكه على الظهر .

« إلا بشق الأنفس» فيه وجهان : (أحدهما) أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس . (الثاني) أنكم مع ركوبها لا تبلغونه إلا بشق الأنفس ، فكيف بكم لو لم تكن .

وفي شق الأنفس وجهان :

أحدهما – جهد النفس ، مأخوذ من المشقة .

الثاني – أن الشق النصف فكأنه يذهب بنصف النفس .

٨ – قوله تعالى .. (... ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – ما لا تعلمون من الخلق ، وهو قول الجمهور[2] .

الثاني – في عين تحت العرش ، قاله ابن عباس .

الثالث – ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوما ، مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض ، قالوا : يا رسول الله فأين إبليس عنهم ؟ قال : لا يعلمون أن الله خلق إبليس ، ثم تلا « ويخلق ما لا تعلمون » .

٩ – (وعلى الله قَصْدُ السبيل ومنها جائرٌ) يحتمل وجهين :

أحدهما – وعلى الله قصد الحق في الحكم بين عباده ومنهم جائر عن الحق في حكمه .

---

(١) هذا قول عكرمة . وتخصيص مكة لا معنى له ، والاصح ان اللفظ على عمومه كما جاء في القول الثانى .

(٢) وقد سخر الله لنا وسائل المواصلات الحديثة كالسيارات والقطارات والطائرات كما سخر لنا قوى البخار والكهرباء والذرة والطاقة الشمسية وغيرها . وهذا من اعجاز القرآن ومن أغرب معجزاته ، ومعجزاته لا تقف عند حد .

الثاني ــ وعلى الله ان يهدى إلى قصد الحق في بيان السبيل ، ومنهم جائر عن سبيل الحق ، أى عادل عنه لا يهتدى إليه .

< وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم أهل الأهواء المختلفة ، قاله ابن عباس. (الثاني)[1] ملل الكفر > .

١٤ــ قوله عز وجل : (وترَى الفُلْكَ مَواخِرَ فيه) فيه خمسة أوجه :

أحدها ــ أن المواخر المواقر ، قاله الحسن .

الثاني ــ أنها التى تجرى فيه معترضة ، قاله أبو صالح .

الثالث ــ أنها تمخر الريح من السفن ، قاله مجاهد : لأن المخر في كلامهم هبوب الريح .

الرابع ــ أنها تجرى بريح واحدة مقبلة ومدبرة ، قاله قتادة .

الخامس ــ أنها التى تشق الماء من عن يمين وشمال ، لأن المخر في كلامهم شق الماء وتحريكه ، قاله ابن عيسى .

< (ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه) يحتمل وجهين : (أحدهما) بالتجارة فيه . (الثاني) بما تستخرجون من حليته [2]وتأكلون من لحومه > .

١٦ــ قوله عز وجل : (وعَلامات وبالنَّجْم هُمْ يَهْتَدُونَ) في العلامات ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنها معالم الطريق بالنهار ، وبالنجوم يهتدون بالليل ، قاله ابن عباس .

الثاني ــ أنها النجوم أيضا لأن من النجوم ما يهتدى بها ، قاله مجاهد وقتادة والنخعى .

الثالث ــ أن العلامات الجبال .

<وفي النجم قولان :

(١) سقط من ق

(٢) سقط من ق

أحدهما ــ أنه جميع النجوم الثابتة ، فعبر عنها بالنجم الواحد إشارة إلى الجنس .

الثاني ــ أنه الجدى وحده لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه .

وفي المراد بالاهتداء بها قولان :

أحدهما ــ أنه أراد الاهتداء بها في جميع الأسفار ، قاله الجمهور.

الثاني ــ أنه أراد الاهتداء به في القبلة . قال ابن عباس : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « وبالنجم هم يهتدون » قال : هو الجدى يا ابن عباس عليه قِبلتكم ، وبه تهتدون في برّكم وبحركم >[1].

١٨ــ قوله عز وجل : (وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها) فيه وجهان : (أحدهما) لا تحفظوها ، قاله الكلبي . (الثاني) لا تشكروها[2] وهو مأثور.

ويحتمل المقصود بهذا الكلام وجهين :

أحدهما ــ أن يكون خارجا مخرج الامتنان تكثيرا لنعمته أن تحصى .

الثاني ــ أنه تكثير لشكره أن يؤدى . فعلى الوجه الأول يكون خارجا مخرج الامتنان . وعلى الوجه الثاني خارجا مخرج الغفران .

٢٤ــ قوله عز وجل : (وإذا قيل لهم[3] ماذا أَنْزَلَ ربُّكُمْ) يعني وإذا قيل لمن تقدم ذِكْرُه ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم مُنكِرة بالبعث.

« ماذا أَنْزَلَ رَبُّكم » يحتمل القائل ذلك لهم وجهين :

أحدهما ــ أنه قول بعض لبعض ، فعلى هذا يكون معناه ماذا نسب إلى إنزال ربكم ، لأنهم منكرون لنزوله من ربهم .

والوجه الثاني ــ أنه من قول المؤمنين لهم اختبارا لهم ، فعلى هذا يكون محمولا على حقيقة نزوله منه .

---

(١) من : وفي النجم قولان ... الى هنا سقط من ق .

(٢) في ك لا تشركوها . وفي كثير من كتب التفسير : لا تطيقوا عدها لكثرتها .

(٣) قيل : القائل النضر بن الحارث ، وان الاية نزلت فيه ، وكان خرج الى الحيرة فاشترى احاديث كليلة ودمنة فكان يقرأ على قريش ويقول : ما يقرأ محمد على أصحابه الا اساطير الاولين اي ليس هو من تنزيل ربنا .

* (قالوا أساطير الأَوَّلِينَ) وهذا جوابهم عما سئلوا عنه .
ويحتمل وجهين :

* أحدهما ــ أى أحاديث الأولين استرذالا له واستهزاء به .

الثاني ــ أنه مثل ما جاء به الأولون ، تكذيبا له ولجميع الرسل .

٢٥ــ قوله عز وجل : (لِيَحْمِلوا أَوْزارَهُم) أى أثقال كفرهم وتكذيبهم .

* (كاملةً يومَ القِيامةِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنها لم تسقط بالتوبة. (الثاني) أنها لم تخفف بالمصائب .

* (ومِنْ أَوْزارِ الذين يُضِلُّونَهم بغيْرِ عِلْمٍ) يعنى أنه قد اقترن بما حملوه من أوزارهم ما يتحملونه من أوزار من أضلوهم .

ويحتمل وجهين : (أحدهما) أن المضل يتحمل أوزار الضال بإغوائه. (الثاني) أن الضال يتحمل أوزار المضل بنصرته وطاعته.

ويحتمل قوله تعالى « بِغَيْرِ عِلْمٍ » وجهين : (أحدهما) بغير علم المضلّ بما دعا إليه . (الثاني) بغير علم الضال بما أجاب إليه .

ويحتمل المراد بالعلم وجهين : (أحدهما) يعنى أنهم يتحملون سوء أوزارهم لأنه تقليد بغير استدلال ولا شبهة . (الثاني) أراد أنهم لايعلمون بما تحملوه من أوزار الذين يضلونهم .

* (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعنى أنهم يتحملون سوء أوزارهم . (الثاني) معناه أنه يسوؤهم ما تحملوه من أوزارهم . فيكون على الوجه الأول معجلا في الدنيا ، وعلى الوجه الآخر مؤجلا في الآخرة.

٢٦ــ قوله عز وجل : (قد مَكَرَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ فأَتَى اللهُ بُنيانَهم مِن القَواعِد) فيه قولان :

أحدهما ــ أنه هدم بنيانهم من قواعدها وهى الأساس .

الثاني ــ أنه مثل ضربه الله تعالى لاستئصالهم .

* (فخَرَّ عليهم السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) فيه وجهان :

أحدهما - فخرّ أعالى بيوتهم وهم تحتها ، فلذلك قال « من فوقهم » وإن كنا نعلم أن السقف عال إلا أنه لا يكون فوقهم إذا لم يكونوا تحته ، قاله قتـــادة .

الثاني - يعنى أن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم ، قاله ابن عباس .

وفي الذين خر عليهم السقف من فوقهم ثلاثة أقاويل :

أحدها - أنه النمرود بن كنعان وقومه حين أراد صعود السماء وبنى الصرح فهدمه الله تعالى عليه ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم .

الثاني - أنه بختنصر وأصحابه ، قاله بعض المفسرين .

الثالث - يعنى المقتسمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر ، قاله الكلبي .

٢٨- قوله عز وجل : (الذين تَتَوفّاهُمُ الملائكةُ ظالِمِى أنْفُسِهِمْ) قال عكرمة: نزلت هذه الآية في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فأخرجتهم قريش إلى بدر كرها ، فقتلوا ، فقال الله : «الذين تتوفاهم الملائكة» يعنى بقبض أرواحهم. « ظالمى أنفسهم » . في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة .

* (فألْقَوُا السَّلَمَ) يعنى في خروجهم معهم وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الصلح ، قاله الأخفش (الثاني) الاستسلام ، قاله قطرب . (الثالث) الخضوع ، قاله مقاتل .

* (ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) يعنى من كفر .

* (بَلَى إنّ اللهَ عليمٌ بما كنتم تعمَلون) يعنى إن أعمالهم أعمال الكفار.

٣٠- قوله عز وجل : (... ولدارُ الآخِرةِ خيرٌ) يحتمل وجهين :

أحدهما - أن الجنة خير من النار ، وهذا وإن كان معلوما فالمراد به تبشيرهم بالخلاص منها .

الثاني - أنه أراد أن الآخرة خير من دار الدنيا، قاله الأكثرون .

* (ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) ولنعم دار المتقين الآخرة[1]. (الثاني) ولنعم دار المتقين الدنيا ، قال الحسن : لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة .

٣٢ـ قوله تعالى : (الذين تَتَوفّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبِينَ) .

قيل معناه صالحين .

ويحتمل طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى .

ويحتمل ـ وجها ثالثا ـ أن تكون وفاتهم وفاة طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض عليه روح الكافر .

* (يَقولون سَلامٌ عَلَيْكُمُ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون السلام عليهم إنذارا لهم بالوفاة . (الثاني) أن يكون تبشيرا لهم بالجنة ، لأن السلام أمان .

* (ادْخُلُوا الجَنّةَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون معناه ابشروا بدخول الجنة . (الثاني) أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة .

* (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الصالحات .

٤١ـ قوله عز وجل : (والذين هاجَروا في الله مِنْ بَعْدِ ما ظُلِموا) يعني من بعد ما ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم إلى الحبشة بعد العذاب والإبعاد .

* (لَنُبوِّئَنّهُمْ في الدُّنْيا حَسَنَةً) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ نزول المدينة ، قاله ابن عباس والشعبي وقتادة .

الثاني ـ الرزق الحسن ، قاله مجاهد .

الثالث ـ أنه النصر على عدوهم ، قاله الضحاك .

الرابع ـ أنه لسان صدق ، حكاه ابن جرير .

ويحتمل قولا خامسا ـ أنه ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات .

---

(1) هذا قول الجمهور ، وهو الراجح لان الآخرة هي دار البقاء والنعيم الدائم للمتقين .

ويحتمل قولا سادسا – أنه ما بقى لهم في الدنيا من الثناء ، وما صار فيها لأولادهم من الشرف [١] .

وقال داود بن إبراهيم : نزلت هذه الآية في أبي جندل بن سهل . وقال الكلبي : نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرتّ عذّبهم أهل مكة حتّى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا ، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال : هذا ما وعدكم الله في الدنيا ، وما خولكم في الآخرة أكثر ، ثم تلا عليهم هذه الآية .

٤٣– قوله عز وجل : (وما أَرسَلْنا من قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إليهم) هذا خطاب لمشركى قريش .

* (فاسألوا أَهلَ الذكْرِ إنْ كنتم لا تَعْلَمُون) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – أن أهل الذكر العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما بعث رسولا إلا من رجال الأمة ، وما بعث إليهم ملَكا .

الثاني – أنه عنى بأهل الذكر أهل الكتاب خاصة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثالث – أنهم أهل القرآن [٢] ، قاله ابن زيد .

٤٤– وفي قوله تعالى : (... وأنزَلْنا إليكَ الذِّكْرَ لتُبَيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهمْ)

تأويلان : (أحدهما) أنه القرآن . (الثاني) أنه العلم .

٤٦– قوله عز وجل : (أوْ يَأخُذَهُم في تَقَلُّبِهِمْ فما هُم بمُعْجِزِينَ) فيه أربعة أوجه :

أحدها – في إقبالهم وإدبارهم ، قاله ابن بحر .

---

(١) وقد حقق الله كل ذلك بفضله

(٢) في ك : اهل القرون وهو تحريف

الثاني – في اختلافهم ، قاله ابن عباس .

الثالث – بالليل والنهار ، قاله ابن جريج .

الرابع – في سفرهم .

٤٧– ﴿أَو يَأْخُذَهُم على تَخَوُّفٍ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها – يعني على تنقص [1] بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك .

الثاني – على تقريع بما قدموه من ذنوبهم ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا .

الثالث – على عجل ، وهذا قول الليث .

الرابع – أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى ، قاله الحسن .

الخامس – أن يعاقبهم بالنقص من أموالهم وثمارهم ، قاله الزجّاج [2] .

* ﴿فإنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ [أى لا يعاجل بل يمهل] .

٤٨– قوله عز وجل ﴿أو لم يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِن شيءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها – يرجع ظلالُه ، لأن الفيء الرجوع ، ولذلك كان اسما للظل بعد الزوال لرجوعه .

الثاني – معناه تميل ظلاله ، قاله ابن عباس .

الثالث – تدور ظلاله ، قاله ابن قتيبة .

الرابع – تتحول ظلاله ، قاله مقاتل .

* ﴿عن اليَمين والشمائل﴾ فيه وجهان :

---

(٢) التنقص والتخوف بمعنى واحد ، يقال : تخوفنى فلان حتى اذا تنقصك ، قال ذو الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تخوفها ... مرا سحاب ومرا بارح ترب

والبارح الترب : الريح الحارة في الصيف فيها تراب كثير .

والتخوف بمعنى التنقص في لغة هذيل .

(١) ولم يذكر الوجه السادس

أحدهما — يعنى تارة إلى جهة اليمين ، وتارة إلى جهة الشمال ، قاله ابن عباس ، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت .

الثاني — أن اليمين أول النهار ، والشمال آخر النهار ، قاله قتادة والضحاك .

• (سُجّداً لله) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن ظل كل شيء سجوده ، قاله قتادة : (الثاني) أن سجود الظلال سجود أشخاصها ، قاله الضحاك. (الثالث) أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة ، قاله الحسن ومجاهد .

وقال الحسن : أما ظلك فيسجد لله ، وأما أنت فلا تسجد لله ، فبئس والله ما صنعت

• (وهم داخِرون) أى صاغرون خاضعون. قال ذو الرّمة[1] :

فلم يَبْقَ إلا داخرٌ في مُخيَّسٍ ومُنْجَحرٌ في غير أرضك في جُحرِ

٤٩— قوله عز وجل : (ولله يَسْجُدُ ما في السموات وما في الأَرْضِ من دابّةٍ والملائكةُ) أما سجود ما في السموات فسجود خضوع وتعبد ، وأما سجود ما في الأرض من دابة فيحتمل وجهين : (أحدهما) أن سجوده خضوعه لله تعالى . (الثاني) أن ظهور ما فيه من قدرة الله يوجب على العباد السجود لله سبحانه .

وفي تخصيص الملائكة بالذكر — وإن دخلوا في جملة من في السموات والأرض — وجهان :

أحدهما — أنه خصهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من الجملة بالذكر وإن دخلوا فيها .

الثاني — لخروجهم من جملة من يدب ، لما جعل الله تعالى لهم من الأجنحة فلم يدخلوا في الجملة ، فلذلك ذكروا .

---

(١) ونسب الجوهرى هذا البيت للفرزدق وقال : المخيس اسم سجن كان بالعراق بناه علي رضي الله عنه . لكن نسبة البيت الى ذى الرمة اصح وقد وجدناه في ديوانه . ومعني منجحر داخل في الجحر .

وجواب ثالث ـ ان في الأرض ملائكة يكتبون أعمال العباد لم يدخلوا في جملة ملائكة السماءفلذلك أفردهم بالذكر > (١) .

* (وهم لا يَسْتَكْبِرون) يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يستكبرون عن السجود لله تعالى . (الثاني) لا يستكبرون عن الخضوع لقدرة الله .

٥٠ـ (يخافون رَبَّهم مِنْ فوْقهِم) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء . (الثاني) يخافون قدرة الله التى هى فوق قدرتهم وهى في جميع الجهات .

* (ويَفعَلُون ما يُؤْمَرون) فيه وجهان : (أحدهما) من العبادة ، قاله ابن عباس . (الثاني) من الانتقام من العصاة .

٥٢ـ قوله عز وجل : (... وله الدِّينُ واصِباً) في الدين هاهنا قولان : (أحدهما) أنه الإخلاص ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه الطاعة ، قاله ابن بحر .

وفي قوله تعالى « واصبا » أربعة تأويلات :

أحدها ـ واجبا ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ خالصا ، حكاه الفراء والكلبي .

الثالث ـ مُتعبا ، والوصب : التعب والإعياء ، قال الشاعر (٢) :

لا يشتكى الساقَ مِن أيْن ولا وَصَبٍ ... ولا يزَالُ أمامَ القومِ يَقْتفِرُ

الرابع ـ دائما ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ، ومنه قوله تعالى « ولهم عذاب واصب » أى دائم . وقال الدؤلى :

لا أبْتَغى الحمْدَ القليلَ بقاؤه ... يوماً بِذَمّ الدهر أجْمعَ واصِبا

٥٣ـ قوله عز وجل : (... ثم إذا مَسّكُم الضُّرُّ فإليْه تجأرون) في الضر هاهنا ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه القحط ، قاله مقاتل (الثاني) الفقر ، قاله

(١) سقط من ق .

(٢) هو أعشي باهلة

(٣) في ديوان الاعشي : لا يغمز الساق ... ومعنى يقتفر يتتبع الاثر

الكلبي . (الثالث) السقم ، قاله ابن عباس .

* (فإليه تجأرون) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) تضجون ، قاله ابن قتيبة. (الثاني) تستغيثون . (الثالث) تضرعون بالدعاء ، وهو في اللغة الصياح مأخوذ من جؤار الثور وهو صياحه .

٥٨– قوله عز وجل : (وإذا بُشِّر أَحَدُهُم بالأنثى ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَدّاً وهو كَظِيمٌ) في قوله « مسودّا » ثلاثة أوجه : (أحدها) مسود اللون ، قاله الجمهور . (الثاني) متغير اللون بسواد أو غيره ،قاله مقاتل < (الثالث) ان العرب تقول لكل من لقى مكروها قد اسودّ وجهه غما وحزنا ، قاله الزجاج. ومنه : سَوَّدْت وجه فلان ، إذا سُؤْتَه > (١) .

« وهو كظيم» فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الكظيم الحزين ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الذى يكظم غيظه فلا يظهر ، قاله الأخفش . (الثالث) أنه المغموم الذى يطبق فاه فلا يتكلم من الغم ، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة ، قاله ابن عيسى .

٥٩– (... أَيُمْسِكُهُ علَى هُونٍ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – هو الهوان بلغة قريش ، قاله اليزيدى .

الثاني – هو القليل بلغة تميم ، قاله الفراء .

< الثالث (٢)–هو البلاء والمشقة ، قاله الكسائي . وقالت الخنساء :

نُهِينُ النفوسَ وهونُ النفو ... س يوم الكريهة أبْقى لها (٢)

* (أَمْ يدُسُّهُ في التُّرابِ) فيه وجهان :

أحدهما – أنها الموؤودة التى تدس في التراب قتلا لها .

---

(١) سقط من ق

(٢) سقط من ق

(٣) البيت من قصيدة لها ترثى اخاها صخرا ومطلعها :

الا ما لعينك أم مالها ... لقد اخضل الدمع سربالها

وبعده :

ونعلم أن منايا الرجال ... بالغة حيث يحلى لها

الثاني — أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار . وهو محتمل .

٦٠— قوله عز وجل : (للذين لا يُؤْمِنونَ بالآخرةِ مَثَلُ السَّوْءِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) صفة السوء من الجهل والكفر . (الثاني) وصفهم الله تعالى بالسوء من الصاحبة والولد .

* (ولله المَثَلُ الأَعْلى) فيه وجهان : (أحدهما) الصفة العليا بأنه خالق ورازق وقادر ومُجازٍ . (الثاني) الإخلاص والتوحيد ، قاله قتادة .

٦١— قوله عز وجل (ولَوْ يؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلْمِهِمْ) يعني في الدنيا بالانتقام لأنه يمهلهم في الأغلب من أحوالهم .

* (ما تَرَكَ عليها مِنْ دابّةٍ) يعني بهلاكهم بعذاب الاستئصال من أخذه لهم بظلمهم .

* (ولكنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أجَلٍ مُسَمّى) فيه وجهان : (أحدهما) إلى يوم القيامة . (الثاني) تعجيله في الدنيا .

فإن قيل : فكيف يعمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمنا ليس بظالم ؟
فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها — أنه يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء ، وهلاك المؤمن معوضا بثواب الآخرة .

الثاني — ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم .

الثالث — يعني أنه لو أهلك الآباء بالكفر لم يكن الأبناء ولانقطع النسل فلم يولد مؤمن .

٦٢— قوله عز وجل : (ويَجْعَلونَ للهِ ما يَكْرَهُونَ) يعني من البنات .

(وتَصِفُ ألْسِنَتُهُم الكَذِبَ أنَّ لهُمُ الحُسْنَى) فيه وجهان :

أحدهما — أن لهم البنين مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات ، قاله مجاهد .

الثاني — معناه أن لهم من الله الجزاء الحسن ، قاله الزجاج .

* (لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) معناه حقا أن لهم النار . (الثاني) معناه قطعا أن لهم النار . (الثالث) اقتضى فعلهم أن لهم النار . (الرابع) معناه بلى أن لهم النار ، قاله ابن عباس .

* (وأنّهم مُفْرَطون) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) معناه منسيون، قاله مجاهد . (الثاني) مُضيّعون ، قاله الحسن . (الثالث) مبعدون في النار ، قاله سعيد ابن جبير . (الرابع) متروكون في النار ، قاله الضحاك . (الخامس) مُقدَّمون إلى النار ، قاله قتادة . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا فَرَطكم على الحوض [1] ، أي متقدمكم . وقال القطامي :

فاستعْجَلونا وكانوا مِنْ صَحابتنا   كما تَعجّل فُرّاطٌ لوُرّادِ

والفُرّاط : المتقدمون في طلب الماء ، والوُرّاد : المتأخرون .

وقرأ نافع «مُفْرِطون» بكسر الراء وتخفيفها ، ومعناه مسرفون في الذنوب ، من الإفراط فيها .

وقرأ الباقون من السبعة «مفرطون» أي معجلون إلى النار متروكون فيها.

وقرأ أبو جعفر القارئ «مُفَرِّطون» بكسر الراء وتشديدها، ومعناه من التفريط في الواجب .

٦٦— < قوله عز وجل : (وإنّ لكم في الأَنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكمْ ممّا في بُطونِه) أي نبيح لكم شرب ما في بطونه ، فعبر عن الإباحة بالسقي .

* (مِن بين فرْثٍ ودمٍ لبَناً خالِصاً) فيه وجهان:(أحدهما) خالصا من الفرث والدم . (الثاني) أن المراد من الخالص هنا الأبيض ، قاله ابن بحر . ومنه قول النابغة :

يصُونونَ أجساداً قديما نعيمُها   بخالصةِ الأَرْدان خُضْر المناكب

(١) رواه النسائي في الطهارة ، ومالك في الموطا في الطهارة أيضا ، وأحمد في المسند ٢/٣٠٠ .

فخالصة الأردان أى بيض الأكمام ، وخضر المناكب يعنى من حمائل السيوف

* (سائغاً للشاربين) فيه وجهان : (أحدهما) حلال للشاربين .(الثاني) معناه لا تعافه النفس . وقيل : إنه لا يغص أحد باللبن > (١) .

٦٧– قوله عز وجل (ومِنْ ثَمَرَاتِ النخيلِ والأَعْنابِ تَتَّخِذُون مِنْه سَكَرًا ورِزْقاً حَسَناً) فيهما أربعة تأويلات :

أحدها – أن السكر الخمر ، والرزق الحسن التمر والرطب والزبيب. وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت من بعد . قال ابن عباس : السَّكَر ما حرم من شرابه ، والرزق الحسن ما حل من ثمرته ، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير < ومن ذلك قول الأخطل :

بِئْس الصُّحاةُ وبِئْس الشَّربُ شَربُهُمُ   إذا جَرَى فيهم المُزَّاءُ والسَّكَرُ (٢)

والسكر : الخمر ، والمزّاء. نوع من النبيذ المسكر .

واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين : (أحدهما) أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ ، قاله قتادة (الثاني) انه خرج مخرج الخبر انهم يتخذون ذلك وإن لم يحل ، قاله ابن عباس > (٣) .

الثاني – أن السَّكَر : النبيذ المسكر ، والرزق الحسن التمر والزبيب ، قاله الشعبي والسدى ، وجعلها أهل العراق دليلا على إباحة النبيذ .

الثالث – أن السكر : الخل بلغة الحبشة ، والرزق الحسن : الطعام .

الرابع – أن السكر ما طعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والأعناب وهو الرزق الحسن ، وبه قال ابو جعفر الطبرى وأنشد قول الشاعر :

وَجَعَلْتَ عَيْبَ الأكْرِ مِينَ سَكَرا

٦٨– قوله عز وجل : (وأَوْحَى ربُّكَ إلى النَّحْل) فيه ثلاثة أوجه : أحدها – أن الوحي إليها هو إلهامها ، قاله ابن عباس ومجاهد .

---

(١) سقط من ق

(٢) يهجو الشاعر بنى يربوع بانهم سيئو الخلق سواء كانوا صحاة أم سكارى وهذا البيت من قصيدته التى مطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا   وازعجتهم نوى في صرفها غير

(٣) سقط من ق

الثاني ــ يعنى أنه سخرها ، حكاه ابن قتيبة .

الثالث ــ أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها ، قاله الحسن .

* (أَن اتَّخِذِى مِنَ الجِبال بُيوتاً ومِنَ الشَّجَرِ ومما يَعْرِشُونَ) فذكر بيوتها لما ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة .

« ومما يعرشون » فيه تأويلان : (أحدهما) أنه الكرم ، قاله ابن زيد. (الثاني) ما يبنون ، قاله ابو جعفر الطبرى .

٦٩ــ (ثُمَّ كُلِى مِنْ كلِّ الثمراتِ فاسْلُكى سُبُلَ رَبّكِ) أى طرق ربك.

* (ذُلُلاً) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ مذللة ، قاله أبو جعفر الطبرى .

الثاني ــ مطيعة ، قاله قتادة .

الثالث ــ أى لا يتوعر عليها مكان تسلكه ، قاله مجاهد .

الرابع ــ أن الذلل من صفات النحل وأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا ، قاله ابن زيد .

* (يَخْرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ) يعنى العسل .

* (مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ) لاختلاف أغذيتها .

* (فيه شفاءٌ للناسِ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن ذلك عائد إلى القرآن ، وأن في القرآن شفاء للناس أى بيانا للناس ، قاله مجاهد .

الثاني ــ أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس ، قاله الضحاك.

الثالث ــ أن ذلك عائد إلى العسل ، وأن في العسل شفاء للناس ، قاله ابن مسعود وقتادة .

روى قتادة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذهب فاسْقِ أخاك عسَلاً ، ثم جاء فقال : ما زاده إلا شدة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاسْقِ أخاك عسلا . ثم جاء فقال له : ما زادَهُ إلا شدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاسْقِ أخاك عسلا ، صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بطنُ أخيك، فسقاه فكأنه نشط من عِقال[1].

٧٠– قوله عز وجل : (ومِنكم مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) فيه أربعة أقاويل: (أحدها) أوضعه وأنقصه ، قاله الجمهور . (الثاني) أنه الهرم ، قاله الكلبي. (الثالث) ثمانون سنة ، حكاه قطرب . (الرابع) خمس وسبعون سنة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

* (لِكَيْلا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً) يعني أنه يعود جاهلا لا يعلم شيئاً كما كان في حال صغره .

أو لأنه قد نسي ما كان يعلم ، ولا يستفيد ما لا يعلم .

ويحتمل وجها ثالثا : أن يكون معناه لكي لا يعمل بعد علم شيئا،فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه ، لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه .

٧١– قوله عز وجل : (واللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُم على بَعْضٍ في الرِّزْق) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه أغنى وأفقر، ووسع وضيّق . (الثاني) في القناعة والرغبة. (الثالث) في العلم والجهل .

قال الفضل بن عياض : أجلُّ ما رزق الإنسان معرفة تدله على ربه ، وعقل يدله على رشده .

---

(١) ذكر ابن قيم الجوزية في زاد المعاد أن هذا الحديث جاء في الصحيحين من حديث ابى المتوكل عن ابى سعيد الخدرى . وذكره بألفاظ اخرى لكنها تدور حول هذا المعنى . وقال : في تكرار سقيه العسل معنى طبى بديع وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء أن قصر عنه لم يزله بالكلية ، وان جاوزه أوهن القوى فاحدث ضرراً آخر فلما أمره أن يستقيه العسل سقاه مقدارا لا يفى بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض ، فلما اخبره علم أن الذى سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة فلما تكرر ترداده الى النبى (ص) اكد عليه المعاودة ليصل الى المقدار المقاوم للداء ، فلما تكررت الشربات . بحسب مادة الداء برأ باذن الله .
انظر زاد المعاد ٧٢/٣ . وقد اسقطت نسخة ق هذا الحديث

وفي هذا التفضيل وجهان :

أحدهما — أنه فضل السادة على العبيد ، قاله ابن قتيبة ومن يرى أن التفضيل في المال .

الثاني — أنه فضل الأحرار بعضهم على بعض ، قاله الجمهور .

• ﴿فما الذين فُضِّلُوا بِرادِّي رِزْقِهِم على ما مَلَكَتْ أَيْمانُهم فَهُمْ فيه سواءٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما — أن عبيدهم لما لم يشركوهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في ملكه ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . وفي هذا دليل على أن العبد لا يملك .

الثاني — أنهم وعبيدهم سواء في أن الله تعالى رزق جميعهم ، وأنه لا يقدر أحد على رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالى إياه كما لا يقدر أن يرزق نفسه، حكاه ابن عيسى .

• ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) بما أنعم الله عليهم من فضله ورزقه ينكرون . (الثاني) بما أنعم الله عليهم من حججه وهدايته يضلّون .

٧٢— قوله عز وجل : ﴿واللهُ جَعَلَ لكُم مِنْ أَنْفُسِكم أَزْواجاً﴾ فيه وجهان :

أحدهما — يعني جعل لكم من جنسكم مثلكم ، فضرب المثل من أنفسكم ، قاله ابن بحر .

الثاني — يعني آدم خلق منه حوّاء ، قاله الأكثرون .

• ﴿وجَعَلَ لكم مِن أَزْوَاجكم بَنِينَ وحَفَدَةً﴾ وفي الحفدة خمسة أقاويل :

أحدها — أنهم الأصهار أختان الرجل على بناته ، قاله ابن مسعود وأبو الضحى وسعيد بن جبير وإبراهيم ، ومنه قول الشاعر [1] :

(١) هو جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة وهو من شعراء العصر الاموي واحد المحبين المشهورين .

ولو أن نفْسي طاوعَتْني لأَصْبَحَتْ ... لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ
ولكنّها نَفْسٌ علَيَّ أبيّـــةٌ ... عَيُوفٌ لأَصهارِ اللئامِ قَذُورُ

الثاني — أنهم أولاد الأولاد ، قاله ابن عباس .

الثالث — أنهم بنو امرأة الرجل من غيره ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا .

الرابع — أنهم الأعوان ، قاله الحسن .

الخامس — أنهم الخدم ، قاله مجاهد وقتادة وطاوس ، ومنه قول جميل:

حَفَدَ الولائدُ حَوْلَهُنَّ وأَسْلَمَتْ ... بأكُفِّهِنَّ أَزِمّةَ الأَجْمالِ

وقال طرفة بن العبد :

يحفدون الضيف في أبياتهم ... كرما ذلك منهم غـــير ذل

وأصل الحفد الإسراع . والحفدة جمع حافد ، والحافد هو المسرع في العمل، ومنه قولهم في القنوت : وإليك نسعى ونحفد ، أى نسرع إلى العمل بطاعتك، ومنه قول الراعى[١] :

كَلّفْتُ مَجْهولها نُوقاً ثمانيةً ... إذا الحُداةُ على أكسائها[٢] حَفَدوا

< وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى « بنين وحفدة » [إلى أن] البنين الصغار ، والحفدة الكبار [٣] .

• (ورَزَقكُم مِنَ الطّيباتِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من الفيء والغنيمة. (الثاني) من المباحات في البوادى . (الثالث) ما أوتيه عفوا من غير طلب ولا تعب[٤] .

• (أفبالْباطِلِ يُؤْمِنونَ) فيه وجهان : (أحدهما) بالأصنام . (الثاني) بجحود البعث والجزاء .

---

(١) نسبه القرطبي الى الاعشى : انظر تفسيره ١٤٣/١٠

(٢) الاكساء : جمع كسي بالضم وهو مؤخر العجز

(٣) وظاهر اللغة ان البنين الاولاد ، والحفدة اولادهم ، وهو ما ذهب اليه ابن عباس ، وارجحه لدلالة اللغة عليه .

(٤) والراجح أن الطيبات هي الثمار والحبوب والحيوان وكل ما خلقه الله للانسان حلالا

* (وبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) فيها وجهان : (أحدهما) بالإسلام. (الثاني) بما رزقهم الله تعالى من الحلال أنه من أصنامهم. حكاه الكلبي [١]>.

٧٥ـ قوله عز وجل (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) فيه وجهان :

أحدهما ـ أنه لا يملك ما لم يؤذن وإن كان باقيا معه .

الثاني ـ أن لسيده انتزاعه من يده وإن كان مالكا له .

* (ومَن رَزَقْناه مِنّا رِزْقاً حَسَناً) يعني الحُرّ ، وفيه وجهان : (أحدهما) ملكه ما بيده . (الثاني) تصرفه في الاكتساب على اختياره .

وفي هذا المثل قولان :

أحدهما ـ أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو المؤمن ، لما عنده من الخير ، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة .

الثاني ـ أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان ، لأنها لا تملك شيئا، وأنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذي يملك كل شيء ، قاله مجاهد [٢] .

٧٦ـ قوله عز وجل : (وضَرَبَ اللهُ مثلاً رجُلَيْنِ أحدُهما أبْكَمُ لايَقْدِرُ على شيءٍ وهو كَلٌّ على مَوْلاه أيْنما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بخير هل يَسْتَوي هو ومَنْ يَأْمُرُ بالعَدْل وهو على صِراطٍ مُسْتَقيمٍ) اختلف المفسرون في المثل المضروب بهذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن ، فالأبكم الذي لا يقدر على شيء وهو الوثن ، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى ، وهذا معنى قول قتادة .

---

(١) سقط من ق .

(٢) خلاصة القول في هذه الآية أنه كما لا يستوى عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقا حسنا ، فكذلك أنا وهذه الاصنام . وهذا ما فهمه الجمهور من هذه الآية

الثاني — أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ، فالأبكم: الكافر ، والذى يأمر بالعدل: المؤمن ، قاله ابن عباس .

الثالث — أن الأبكم: عبد كان لعثمان بن عفان رضى الله عنه كان يعرض عليه الإسلام فيأبى . ومن يأمر بالعدل: عثمان ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا [١] .

٧٧— قوله عز وجل : (ولله غَيْبُ السموات والأَرْض) يحتمل خمسة أوجه :

أحدها — ولله علم غيب السموات والأرض ، لأنه المنفرد به دون دون خلقه .

الثاني — أن المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات[٢] .

الرابع — يعنى فعل ما كان وما يكون ، وأما الكائن في الحال فمعلوم.

الخامس — أن غيب السماء الجزاء بالثواب والعقاب ، وغيب الأرض القضاء بالأرزاق والآجال .

• (وما أمْرُ الساعة إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ) لأنه بمنزلة قوله : كن فيكون . وإنما سماها ساعة[٣] لأنها جزء من يوم القيامة وأجزاء اليوم ساعاته .

وذكر الكلبي ومقاتل : أن غيب السموات هو قيام الساعة .

قال مقاتل : وسبب نزولها أن كفار قريش سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة استهزاء بها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) الكلام مقطوع في ك . وفي هذا المثل اقوال اخرى غير ما ذكر المؤلف فقيل انه مثل لأبى بكر ومولى له كافر . وقيل الابكم ابو جهل والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، وكان ابو جهل يعذبه ويعذب امه سمية . وقال مقاتل : نزلت هذه الآية في هشام بن عمرو ابن الحارث ، وكان كافرا قليل الخير يعادى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) سقط الوجه الثالث . وقل ابن عباس المراد خزائن السموات والارض .

(٣) الساعة هي الوقت الذى تقوم فيه القيامة . واللمح : النظر بسرعة فلما كانت القيامة آتية ولابد جعلت من القرب كلمح البصر

٨١ــ قوله عز وجــل : (واللهُ جَعَلَ لكم مِمّا خَلَقَ ظِلالاً) < فيه وجهان : (أحدهما) البيوت ، قاله الكلبي . (الثاني) > (١) الشجر ، قاله قتادة .

* (وجَعَلَ لكم مِنَ الجِبال أكْناناً) الأكنان : جمع كِنّ وهو الموضع الذى يستكن فيه(٢) ، وفيه وجهــان: (أحدهما) أنه ظل الجبال . (الثاني) أنه ما فيها من غار أو شَرَف (٣).

* (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحَرَّ) يعنى ثياب القطن والكتان والصوف.

* (وسَرابيلَ تَقِيكُمْ بأسَكُمْ) يعنى الدروع التى تقى البأس ، وهى الحرب .

< قال الزجاج : كل ما لبس من قميص ودروع فهو سربال > (٤) .

فإن قيل : فكيف قال : «وجعل لكم من الجبال أكنانا» ولم يذكر السهل وقال « تقيكم الحر » ولم يذكر البرد ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها ــ أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد ، فذكر لهم نعمه عليهم مما هو مختص بهم ، قاله عطاء .

الثاني ــ أنه اكتفى بذكر أحدهما عن ذكر الآخر ، إذ كان معلوما أن من اتخذ من الجبال أكنانا اتخذ من السهل ، والسرابيل التى تقي الحر تقي البرد ، قاله الفراء ، ومثله قول الشاعر :

وما أدْرِي إذا يَمَّمْتُ أرْضاً   أُريــدُ الخيرَ أيُّهما يليني (٥)

---

(١) سقط من ق

(٢) ويقى الانسان من المطر والريح وغير ذلك

(٣) الشرف : المكان العالي

(٤) ســقط من ق

(٥) البيت للمثقب العبدى ، وبعده قوله :

أالخير الذى أنـا ابتغيــه   أم الشر الذى هو يبتغيني

انظر معجم شواهد العربية للاســتاذ عبد السلام هارون (النون المكسورة) وقد استشهد القرطبي بهذين البيتين في هذا الموضع دون أن ينسبهما

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه .

الثالث ــ أنه ذكر الجبال لأنه قدم ذكر السهل بقوله تعالى : « والله جَعَل لكم مِن بيوتكم سَكَنَاً » وذكر الحرَّ دون البرد تحذيراً من حر جهنم وتوقياً لاستحقاقها بالكف عن المعــاصى .

< (كذلك يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليكم لعلكم تُسْلِمونَ) أى تؤمِنون بالله إذا عرفتم نعمه عليكم . وقرأ ابن عباس : « لعلكم تَسْلَمون » (١). بفتح التاء أى تسلمون من الضرر ، فاحتمل أن يكون على ضرر الحر والبرد واحتمل أن يكون ضرر القتال والقتل ، واحتمل أن يريد ضرر العذاب في الآخرة إن اعتبرتم وآمنتم >(٢) .

٨٣ـ قوله عز وجل : (يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثم يُنْكِرونها) فيه خمسة تأويلات :

أحدها ــ أنه على [بالنعمة] النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه ، قاله السدى .

الثاني ــ أنهم يعرفون ما عدد الله تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله ، وينكرونها بقولهم أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم ، قاله مجاهد.

الثالث ــ أن إنكارها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا ، قاله عون بن عبد الله .

الرابع ــ أن معرفتهم بالنعمة إقرارهم بأن الله رزقهم ، وإنكارهم قولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

الخامس ــ يعرفون نعمة الله بتقلبهم فيها ، وينكرونها بترك الشكر عليها.

ويحتمل سادسا ــ يعرفونها في الشدة ، وينكرونها في الرخاء .

ويحتمل سابعا ــ يعرفونها بأقوالهم ، وينكرونها بأفعالهم .

قال الكلبي : هذه السورة تسمى سورة النعم ، لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه .

---

(١) رويت هذه القراءة عن ابن عباس باسناد ضعيف ، وقراءة العامة بضم التاء أرجح وهى المختارة .

(٢) سقط من ق

• (وأكثرُهُم الكافرون) فيه وجهان :

أحدهما ــ معناه وجميعهم كافرون . فعبر عن الجميع بالأكثر ، وهذا معنى قول الحسن .

الثاني ــ أنه قال «وأكثرهم الكافرون» لأن فيهم من جرى عليه حكم الكفر تبعا لغيره كالصبيان والمجانين ، فتوجه الذكر إلى المكلفين.

٨٧ ــ قوله عز وجل : (وألْقَوْا إلى الله يَوْمَئذٍ السَّلَم) يحتمل وجهين : (أحدهما) استسلامهم لعذابه ، وخضوعهم لعزه . (الثاني) إقرارهم بما كانوا ينكرونه من طاعته .

• (وضَلَّ عنهم ما كانوا يَفْتَرونَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) وبطل ما كانوا يأملون . (الثاني) خذلهم ما كانوا به يستنصرون .

٨٨ــ < قوله عز وجل : (الذين كَفَروا وصَدُّوا عن سَبيل الله زِدْناهُم عذاباً فَوْقَ العَذابِ) فيه وجهان :

أحدهما ــ أن الزيادة هي عذاب الدنيا مع ما يستحق من عذاب الآخرة.

الثاني ــ أن أحد العذابين على كفرهم ، والعذاب الآخر على صدهم عن سبيل الله ومنعهم لغيرهم من الإيمان .

• (بما كانوا يُفْسِدونَ) في الدنيا بالمعاصي .

٨٩ــ قوله عز وجل : (ويومَ نَبْعَثُ في كل أُمّةٍ شهيداً عليهم مِنْ أنفُسِهِمْ) وهم الأنبياء شهداء[1] على أممهم يوم القيامة .

وفي كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيا[2] . وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء . (الثاني) أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه .

• (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا على أمته > [3] .

(١) يشهدون عليهم بأنهم قد بلغوهم الرسالة ودعوهم الى الايمان .

(٢) فعلى هذا لم تكن فترة الا وفيها من يوجد الله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل فهؤلاء وأمثالهم شهداء على أهل زمانهم .

(٣) من قوله عزوجل : « الذين كفروا وصدوا » الى هنا سقط من ق

٩٠ — قوله عز وجل : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعدْلِ والإحْسانِ ...)الآية . في تأويل هذه الآية ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن العدل : شهادة أن لا إله إلا الله،والإحسان: الصبر على أمره ونهيه وطاعة الله في سره وجهره (وإيتاء ذى القــربى) صلــة الرحـــم . (وينهىَ عن الفحشاءِ) يعني الزنى (والمنكر) القبائح . (والبغى) الكبر والظلم حكاه ابن جرير الطبرى .

الثاني — أن العدل: القضاء بالحق، والإحسان : التفضل بالإنعام ، وإيتاء ذى القربي : ما يستحقونه من النفقات . وينهى عن الفحشاء : ما يستسر بفعله من القبائح. والمنكر: ما يتظاهر به منها فينكر . والبغى : ما بتطاول به من ظلم وغيره ، وهذا معنى ما ذكره ابن عيسى .

الثالث — أن العدل هاهنا استواء السريرة والعلانية في العمل لله . والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته . والفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته ، قاله سفيان بن عيينة . < فأمر بثلاث ونهى عن ثلاث .

• (يَعِظُكُم لعلكم تَذَكَّرُون) يحتمل وجهين : (أحدهما) تتذكرون ما أمركم به وما نهاكم عنه . (الثاني) تتذكرون ما أعده من ثواب طاعته وعقاب معصيته .

٩١— قوله عز وجل : (وأوْفوا بعَهْدِ الله إذا عاهَدْتُم) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه النذور . (الثاني) ما عاهد الله عليه من عهد في طاعة الله . (الثالث) أنه التزام أحكام الدين بعد الدخول فيه .

• (ولا تَنْقُضوا الأَيْمانَ بَعْدَ توْكيدِها) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) لا تنقضوها بالامتناع بعد توكيدها بالالتزام . (الثاني) لا تنقضوها بالغدر بعد توكيدها بالوفاء . (الثالث) لا تنقضوها بالحنث بعد توكيدها بالبِرّ> (١) .

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل :

(١) سقط من ق

أحدها ـ أنها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني ـ أنها نزلت في الحلف الذى كان في الجاهلية بين أهل الشرك ، فجاء الإسلام بالوفاء به .

الثالث ـ أنها نزلت في كل عقد يمين عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حله(١) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « فليأت الذى هـو خير » محمول على الضرورة دون المباح . وأهل الحجاز يقولون : وكّدت هذه اليمين توكيدا ، وأهل نجد يقولون أكدتّها تأكيدا .

٩٢ـ قوله عز وجل : (ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلها من بَعْدِ قُوّةٍ أنكاثا) وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن نقض عهده ، وفيه قولان : (أحدهما) أنه عنى به الحبْل ، فعبر عنه بالغزل ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه عنى الغزل حقيقة.

« من بعد قوة » فيه قولان : (أحدهما) من بعد إبرام، قاله قتادة. (الثاني) أن القوة ما غزل على طاق ولم يثْن .

« أنكاثا » يعنى أنقاضا ، واحده نكث ، وكل شيء نقض بعد الفتل أنكاثٌ .

وقيل أن التى نقضت غزلها من بعد قوة امرأة بمكة حمقاء ، قال الفراء: إنها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، سميت جعدة لحمقها، كانت تغزل الصوف ثم تنقضه بعدما تبرمه ، فلما كان هذا الفعل لو فعلتموه سفها تنكرونه كذلك نقض العهد الذى لا تنكرونه .

• (تَتّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) أن الدخل الغرور . (الثاني) أن الدخل الخديعة . (الثالث) انه الغل والغش . (الرابع) أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من لزوم الوفاء . (الخامس) انه الغدر والخيانة ، قاله قتادة < (السادس) أنه الحنث في الأيمان المؤكدة (٢)> .

(١) حله : هكذا في الاصول ، ولعل الصواب حنثه
(٢) سقط من ق .

• (أَنْ تكونَ أُمّةٌ هى أَرْبَى مِنْ أُمّةٍ) أى أكثر عددا وأزيد مددا ، فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدلَ بعهد الأقل عهد الأكثر (١) .
وأربى : افعل من الربا ، قال الشاعر :

وأسمر خطياً كأنّ كعوبه نوى القسب أو أرْبى ذراعا عَلى عَشْرِ

٩٦ــ قوله عز وجل : (ما عندكم يَنْفَدُ وما عِنْد اللهِ باقٍ) فيه وجهان :
أحدهما ــ يريد به أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية .
الثاني ــ أن طاعتكم تفنى وثوابها يبقى .

٩٧ــ قوله عز وجل : (مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أوأنثى أو هُو مُؤْمنٌ فَلَنُحيِيَنّهُ حَياةً طيبةً) فيها خمسة تأويلات :

أحدها ــ أنها الرزق الحلال ، قاله ابن عباس .

الثاني ــ أنها القناعة ، قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن البصرى .

الثالث ــ أن يكون مؤمناً بالله عاملا بطاعته ، قاله الضحاك .
الرابع ــ أنها السعادة ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا
الخامس ــ أنها الجنة ، قاله مجاهد وقتادة .
ويحتمل سادسا ــ أن تكون الحياة الطيبة العافية والكفاية .
ويحتمل سابعاً ــ أنها الرضا بالقضاء .

(ولَنَجْزِيَنّهم أجْرَهم بأحْسنِ ما كانوا يَعْمَلُونَ) يحتمل وجهين :
أحدهما ــ أن يجازى على أحسن الأعمال وهى الطاعة ، دون المباح منها .

الثاني ــ مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى: « من جاء بالحسنة فله عَشْر أمثالها » .

(١) قال المفسرون : نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم اذا حالفت اخرى لم جاءت احداهما قبيلة كبيرة قد أخلتها ، غدرت الاولى ونقضت عهدها ورجعت الى هذه الكبرى ، قاله مجاهد .

٩٨ـ قوله عز وجل : ﴿ فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله تعالى ، قاله الزجاج.

الثاني ـ فإذا كنت قارئا فاستعذ بالله.

الثالث ـ أنه من المؤخر الذى معناه مقدم ، وتقديره : فإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن .

< والاستعاذة هى استدفاع الأذى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل . والمعنى فاستعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل ، وفي التأويل من الخطأ . وقد ذكرنا في صدر الكتاب معنى الرجيم> . (١)

٩٩ـ قوله عز وجل : ﴿ إنّه ليسَ لهُ سُلْطانٌ على الذين آمَنوا وعلى ربِّهم يتَوَكّلونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها ـ ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ، قاله سفيان.

الثاني ـ ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصى ، قاله مجاهد.

الثالث ـ ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم بالله منه ، لقوله تعالى : « وإمّا يَنْزَغَنّكَ مِن الشّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللهِ إنه(٢) هو السّميعُ العَليمُ » .

الرابع ـ أنه ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس « ولأُغوينّهمْ أجْمعين(٣) إلا عبادَكَ مِنْهمُ المخلَصين(٣) » فقال الله تعالى « إنّ عِبادى ليس لك عليهم سلطانٌ إلاّ مَن اتّبعَكَ مِن الغاوِين(٤) » .

وفي معنى السلطان وجهان :

(١) سقط من ق

(٢) في ق من الشيطان الرجيم « وهو خطأ فان هذه الآية من سورة فصلت (رقم ٣٦)وقد خلط الناسخ بين آيتين

(٣) الايتان ٣٩ و ٤٠ من سورة الحجر

(٤) آية ٤٢ من سورة الحجر .

أحدهما - الحجة ، ومنه سمي الوالي سلطانا لأنه حجة الله تعالى في الأرض .

الثاني - أنها القدرة ، مأخوذ من السَّلْطَة، [1] وكذلك سمي السلطان سلطانا لقدرته .

• (إنما سُلْطانُه على الذين يَتَوَلَّوْنَه) يعني يتبعونه.

• (والذين هُمْ به مُشْرِكونَ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها - والذين هم بالله مشركون ، قاله مجاهد .

الثاني - والذين أشركوا الشيطان في أعمالهم ، قاله الربيع بن أنس.

الثالث - والذين هم لأجل الشيطان وطاعته مشركون ، قاله ابن قتيبة.

١٠١-قوله عز وجل : (وإذا بَدَّلْنا آيةً مكانَ آيةٍ) فيه وجهان :

أحدهما - شريعة تقدمت بشريعة مستأنفة ، قاله ابن بحر .

الثاني - وهو قول الجمهور أي نسخنا آية بآية ، إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة[2] .

• (واللهُ أعْلَم بما يُنَزِّلُ) يعني أعلم بالمصلحة فيه ينزله ناسخا ويرفعه منسوخا .

• (قالوا إنما أنت مُفْتَرٍ) أي كاذب.

• (بل أكْثَرُهم لا يَعْلَمونَ) فيه وجهان : (أحدهما) لا يعلمون جواز النسخ . (الثاني) لا يعلمون سبب ورود النسخ .

١٠٣-قوله عز وجل : (ولقد نَعْلَمُ أنهم يقولون إنما يُعَلِّمُه بَشَرٌ) اختلف في في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أربعة أقاويل :

أحدها - أنه بلعام وكان قينا[3] بمكة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه يعلمه ، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه ، قاله مجاهد .

(١) في ك : السلاطة وهو تحريف لان السلاطة حدة اللسان

(٢) تقدم في البقرة الكلام على النسخ

(٣) قينا : هكذا في الاصول والقين الحداد . وفي تفسير القرطبي : وكان نصرانيا بمكة يقرأ التوراة

الثاني[1] ـ أنه كان عبدا أعجميا لأمرأة بمكة، يقال له أبو فكيهة، كان يغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ عليه ويتعلم منه، فقالوا لمولاته احبسيه فحبستْه، وقالت له اكنس البيت وكُلْ كناسته، ففعل وقال : والله ما أكلت أطيب منه ولا أحلى ، وكان يسأل مولاته بعد ذلك أن تحبسه فلا تفعل .

الثالث ـ أنهما غلامان لبنى الحضرمى ، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف ، اسم أحدهما يسار ، والآخر جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله ربما جلس إليهما ، قاله حصين بن عبد الله بن مسلم.

الرابع ـ أنه سلمان الفارسى ، قاله الضحاك.[2]

• (لِسانُ الذى يُلحِدونَ إليه أعْجَمىٌّ) في يلحدون تأويلان : (أحدهما) يميلون إليه . (الثاني) يعترضون به . يعني أن لسان من نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التعلم منه أعجمى .

• (وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبِينٌ) يعني باللسان القرآن لأنه يقرأ باللسان ، والعرب تقول : هذا لسان فلان ، تريد كلامه ، قال الشاعر :

لسانُ السُّوءِ [3] تُهْديها إلينـا   وخُنْتَ وما حَسِبْتُكَ أنْ تَخونا

١٠٦ـ قوله عز وجل : (مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إيمانِه) ذكر الكلبي أنها نزلت في عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل [4] وقيس بن الوليد بن المغيرة ، كفروا بعد إيمانهم . ثم قال تعالى :

• (إلا مَنْ أُكرِهَ وقلبُه مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ) قال الكلبي : نزل ذلك في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمَيّة وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان .

---

(١) جاء في ق مكان هذا القول : انه عبد لبنى الحضرمى اسمه يعيش وكان رسول الله (ص) يلقنه القرآن ، قاله عكرمة .

(٢) كل هذه الاقوال محتمل ولا تناقض بينها لانه يجوز ان يكونوا ارادوا هؤلاء جميعا لان النبى (ص) كان يأتيهم . الا ان ما ذكره الضحاك فيه بعد ، لان سلمان اتى النبى (ص) بالمدينة ، وهذه الآية مكية

(٣) يريد بلسان السوء القصيدة

(٤) في الاصول : عبدالله بن انس بن خطل وهو تحريف

• ثم قال تعالى (ولكنْ مَن شَرَحَ بالكُفْر صَدْرًا) وهم من تقدم ذكرهم ، فإذا أكره على الكفر فأظهره بلسانه وهو معتقد الإيمان بقلبه ليدفع عن نفسه بما أظهر ، ويحفظ دينه بما أضمر فهو على إيمانه ، ولو لم يضمره لكان كافرا .

< وقال بعض المتكلمين : إنما يجوز للمكرَه إظهارُ الكفر على وجه التعريض دون التصريح الباتّ ، لقبح التصريح بالتكذيب وخطره في العرف والشرع ، كقوله إن محمدا كاذب في اعتقادكم ، أو يشير لغيره ممن يوافق اسمه لاسمه إذا عرف منه الكذب ، وهذا لعمري أولى الأمرين ، ولم يَصِر المكرَه بالتصريح كافرا > (١)

١١٢–قوله تعالى : (وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانتْ آمِنَةً مُطْمئنّةً) يريد بالقرية أهلها . «آمنة» يعني من الخوف . «مطمئنة» بالخصب والدعة .

• (يأتيها رِزْقُها) فيه وجهان : (أحدهما) ، أقواتها . (الثاني) مرادها.

• (رَغَدًا) فيه وجهان : (أحدهما) طيبا . (الثاني) هنيئاً .

• (مِنْ كُلِّ مكان) يعني منها بالزراعة ، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعم في النعمة عليهم.

• (فكَفَرَتْ بأنْعُم اللهِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) بترك شكره وطاعته. (الثاني) بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات(٢) .

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلا ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنها مكة ، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون(٣) كالبوادي.

• (فأذاقها اللهُ لِباسَ الجوع والخوْف) وسماه لباسا لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس . وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم ، والقِد أديم يؤكل ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

---

(١) سقط من ق

(٢) وقيل هذا الكفران تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم

(٣) في ك لا يتفافرون .

الثاني ـ أنها المدينة آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الفتن ، وهذا قول عائشة وحفصة رضى الله عنهما .

الثالث ـ أنه مثل مضروب بأى قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى .

١١٩ـقوله عز وجل : ﴿ثم إنّ ربّك للذين عَمِلوا السُّوءَ بجَهَالةٍ﴾ فيه وجهان: (أحدهما) بجهالة أنها سوء . (الثاني) بجهالة لغلبة الشهوة عليهم مع العلم بأنها سوء .

ويحتمل (ثالثا) أنه الذى يعجل بالإقدام عليها ويعد نفسه بالتوبة .

• ﴿ثم تابوا مِنْ بَعْدِ ذلك وأَصْلَحوا﴾ لأن مجرد التوبة من السالف إذا لم يصلح عمله في المستأنف لا يستحق ولا يستوجب الثواب .

١٢٠ـقوله عز وجل : ﴿إنّ إبراهيم كان أُمّةً﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ يُعلّم الخير ، قاله ابن مسعود وإبراهيم النخعى . قال زهير :

فأكرمه الأقوام مِن كل مَعْشر كرام فإن كذبتنى فاسأل الأمم

يعنى العلماء .

الثاني ـ أمة يقتدى به ، قاله الضحاك . وسمى أمة لقيام الأمة به.

الثالث ـ إمام يؤتم به ، قاله الكسائي وأبــو عبيدة .

• ﴿قانتاً لله﴾ فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) مطيعا لله، قاله ابن مسعود. (الثاني) ان القانت هو الذى يدوم على العبادة لله . (الثالث) كثير الدعــاء داعيا لله عز وجل .

﴿حنيفاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) مخلص ، قاله مقاتل . (الثاني) حاجّا ، قاله الكلبي . (الثالث) أنه المستقيم على طريق الحق،حكاه ابن عيسى.

• ﴿ولم يَكُ مِن المشْرِكينَ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) لم يك من المشركين بعبادة الأصنام . (الثاني) لم يك يرى المنع والعطاء [إلا] من الله .

١٢٢ـ(وآتيْناهُ في الدنيا حَسَنةً) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ـ أن الحسنة النبوّة، قاله الحسن .

الثاني ـ لسان صدق ، قاله مجاهد .

الثالث ـ أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه ، قاله قتادة .

الرابع ـ أنها تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل خامسا ـ أنه بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره .

• (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) فيه وجهان :

أحدهما ـ في منازل الصالحين في الجنة .

الثاني ـ من الرسل المقربين (١) .

١٢٣ـقوله عز وجل : (ثم أوْحَيْنا إليْكَ أنِ اتّبِعْ مِلّةَ إبراهيمَ حَنيفا) فيه قولان :

أحدهما ـ اتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه ، وهذا قول بعض أصحاب الشافعي ، وهذا دليل على جواز اتّباع الأفضل للمفضول لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء .

الثاني ـ اتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام ، قاله أبو جعفر الطبري .

١٢٤ـقوله عز وجل : (إنما جُعِل السّبْتُ على الذين اخْتَلَفوا فيه) وهم اليهود . وفي اختلافهم في السبت ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أن بعضهم جعله أعظم الأيام حُرْمَةً لأن الله فرغ من خلق الأشياء فيه .

الثاني ـ أن بعضهم جعل الأحَد أعظم حُرمة منه لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه .

الثالث ـ أنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم الجمعة تغليبا لحرمة السبت والأحد ، قال مجاهد وابن زيد .

(١) سقط من ق

١٢٥ــقوله عز وجل : (ادْعُ إلى سبيل ربِّكَ) يعني إلى دين ربك وهو الإسلام.

• (بالحكمة) فيها تأويلان : (أحدهما) بالقرآن ، قاله الكلبي . (الثاني) بالنبوة ، وهو محتمل .

• (والموْعظةِ الحسَنَةِ) فيها تأويلان : (أحدهما) بالقرآن في لين من القول، قاله الكلبي . (الثاني) بما فيه من الأمر والنهى ، قاله مقاتل .

• (وجادِلْهُم بالتي هى أَحْسَنُ) فيه أربعة أوجه : (أحدهما) يعني بالعفو. (الثاني) بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول . (الثالث) بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف . (الرابع) على قدر ما يحتملون .

روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أُمِرنا معاشرَ الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم» .

١٢٦ــقوله عز وجل : (وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به) فيها قولان :

أحدهما ــ أنها نزلت في قتلى أحُد حين مثلت بهم قريش. واختلف قائل ذلك في نسخه على قولين :

أحدهما ــ أنها منسوخة بقوله تعالى : « واصبرْ وما صبرُك إلاّ بالله».

الثاني ــ أنها ثابتة غير منسوخة فهذا أحد القولين .

والقول الثاني ــ أنها نزلت في كل مظلوم أن يقتص من ظالمه ، قاله ابن سيرين ومجاهد .

١٢٧ــ(واصبِرْ) فيه وجهان :

أحدهما ــ اصبر على ما أصابك من الأذى ، وهو محتمل .

الثاني ــ واصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من المثلة بقتلى أُحد، قاله الكلبي .

• (وما صَبْرُك إلاّ بالله) يحتمل وجهين : (أحدهما) وما صبرك إلا بمعونة الله . (الثاني) وما صبرك إلا لوجه الله .

• (ولا تَحْزَنْ عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) إن لم يقبلوا . (الثاني) إن لم يؤمنوا .

• (ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يمْكُرُونَ) قرأ ابن كثير « ضِيق » بالكسر . وقرأ الباقون بالفتح . وفي الفرق بينهما قولان :

أحدهما — أنه بالفتح ما قل ، وبالكسر ما كثر ، قاله أبو عبيدة .

الثاني — أنه بالفتح ما كان في الصدر ، وبالكسر ما كان في الموضع الذى يتسع ويضيق ، قاله الفراء .

١٢٨— قوله عز وجل : (إنّ اللهَ مع الذين اتّقَوْا والذين هم مُحْسِنون) اتقوا يعنى فيما حرم الله عليهم . والذين هم محسنون فيما فرضه الله تعالى ، فجمع في هذه الآية اجتناب المعاصى وفعل الطاعات .

وقوله « مع الذين اتقوا » أى ناصر الذين اتقوا .

وقال بعض أصحاب الخواطر : من اتقى الله في أفعاله أحْسَنَ إليه في أحواله . والله أعلم .

سورة بني اسرائيل [الاسراء]

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : إلا ثماني آيات من قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك» إلى قوله « سُلطانا نصيراً[1]» .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله عز وجل : (سُبْحانَ الذى أَسْرَى بِعَبْده لَيْلاً مِن المسْجدِ الحرام إلى المسْجدِ الأَقْصَى) أما قوله « سُبحَان » ففيه تأويلان :

أحدهما ــ تنزيه الله تعالى من السوء . وقيل بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير .

الثاني ــ معناه برأه الله تعالى من السوء ، وقد قال الشاعر [2] :

أقول لمّا جـــاءني فَخْرُه سُبحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِر

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره ، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر ، وهو من السبح في التعظيم وهو الجرى فيه إلى أبعد الغايات . وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية « شبهانك ».

وقد ذكر الكلبي ومقاتل : ان « سبحان » في هذا الموضع بمعنى عجب، وتقدير الآية : عجب من الذى أسرى بعبده ليلا ، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب ، وجعل البيت شاهدا عليه ، وأن معناه عجبٌ من علقمة الفاخر . ووجه هذا التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سببا للتسبيح صار التسبيح تعجبا فقيل عجب ، ومثله قول بشار :

تُلْقى بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انصَرَفَتْ وتسْتَفِزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه :

(١) الايات من ٧٣ الى ٨٠ ، وفي المصاحف المتداولة ايضا الا الايات ٢٦و٣٢و٣٣و٥٧ فانها مدنية
(٢) هو أعشي بنى ثعلبـــة

أحدها – أنْ يستعمل في موضع الصلاة ، من ذلك قوله تعالى ..« فلولا أنه كان من المسبّحين» أى من المصلّين.

الثاني – أن يستعمل في الاستثناء ، كما قال بعضهم في قوله تعالى : « ألم أقل لكم لولا تسبّحون» أى لولا تستثنون .

الثالث – النور ، للخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأحرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِه[1]» أى نور وجهه.

الرابع – التنزيه ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن التسبيح فقال : تنزيه الله تعالى عن السوء .

وقوله تعالى : « أسرى بعبده» أى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والسُّرى : سير الليل ، قال الشاعر[2] :

وليلةٍ ذاتِ نَدًى سَرَيْتُ ولم يلتّني مِنْ سُراها لَيْتُ

وقوله « مِن المسجد الحرام » فيه قولان :

أحدهما – يعني من الحرم ، والحرم كله مسجد. وكان صلى الله عليه وسلم حين أسرِى به نائما في بيت أم هانئ بنت أبي طالب ، روى ذلك أبو صالح عن أم هانئ .

الثاني – أنه أسرى به من المسجد ، وفيه كان حين أسرى به روى ذلك أنس بن مالك[3] .

ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين :

أحدهما – أنه أسرى بجسمه وروحه ، روى ذلك ابن المسيب وأبو سلمة ابن عبد الرحمن وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان .

واختلف قائلو ذلك هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا ، فروى

---

(١) رواه مسلم في الايمان . وابن ماجة في المقدمة . واحمد في المسند ٤٠١/٤و٤٠٥

(٢) هو رؤبة بن العجاج

(٣) روى حديث الاسراء البخارى ٢١٧/٦ – ٢١٩ في بدء الخلق . ومسلم في الايمان ١٦٤ . والترمذى في التفسير رقم ٣٣٤٣ . والنسائي ٢٧١/١و٢١٨

ابو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء ، ثم عرج به إلى السماء ، ثم رُجع به إلى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته .

وروى حذيفة بن اليمان أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلِّ فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به ، ثم عاد إلى مكة .

والقول الثاني — أن النبي صلى الله عليه وسلم أُسْرِيَ بروحه ولم يسر بجسمه ، روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

وروى عن معاوية قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة ، وكان الحسن يتأول قوله تعالى : « وما جَعَلْنا الرُّؤْيا التى أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً للناس » أنها في المعراج ، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم ، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعبا مغطى مملوءا ماء ، فشرب الماء ثم غطاه كما كان ، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعا ، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جمل أورق ، فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت ، وقال آخر : هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد . وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه .

وقوله تعالى : « إلى المسجد الأقصى » يعنى بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام . وسمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام .

* ثم قال تعالى : (الذى بارَكْنا حوْلَهُ) فيه قولان :

أحدهما — يعنى بالثمار ومجارى الأنهار .

الثاني — بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين ولهذا جعله مقدسا .

وروى معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى : يا شام أنت صفوتي مِن بلادى وأنا سائق إليك صفوتي من عبادى [1] .

(١) اخرجه بلفظ مقارب أبو داود باسناد صحيح (جامع الاصول ٩/٣٥٠) .

• (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا) فيه قولان :

أحدهما — أن الآيات التى أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة ، وهى مسيرة شهر .

الثاني — أنه أراه في هذا المسرى آيات .

وفيها قولان : (أحدهما) ما أراه من العجائب التى فيها اعتبار . (الثاني) من أري من الأنبياء حتّى وصفهم واحدا واحدا .

• (إنه هو السميع البصير) فيه وجهان :

أحدهما — أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير ، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير .

الثاني — أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه ، فقال : السميع يعنى لما يقولونه من تصديق أو تكذيب ، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.

٢ — قوله عز وجل : (وآتَيْنا موسى الكِتابَ) يعنى التوراة .

• (وجَعَلْناه هُدًى لبنى إسرائيل) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن موسى هدى لبنى إسرائيل . (الثاني) أن الكتاب هدى لبنى إسرائيل .

• (ألاّ تتخذوا مِن دوني وكيلاً) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) شريكا، قاله مجاهد . (الثاني) يعنى ربّا يتوكلون عليه في أمورهم ، قاله الكلبي . (الثالث) كفيلا بأمورهم ، حكاه الفراء .

٣ — قوله عز وجل : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مع نوح) يعنى موسى وقومه من بنى إسرائيل ذرية من حملهم الله تعالى مع نوح في السفينة وقت الطوفان .

• (إنّه كان عبْداً شَكورًا) يعنى نوحا ، وفيه قولان :

أحدهما — أنه سماه شكورا لأنه كان يحمد الله تعالى على طعامه ، قاله سلمان .

الثاني – أنه كان لا يستجد ثوبا إلا حمد الله تعالى عند لباسه ، قاله قتادة .

ويحتمل وجهين :

أحدهما – أن نوحا كان عبدا شكورا فجعل الله تعالى موسى من ذريته.

الثاني – أن موسى كان عبدا شكورا إذ جعله الله تعالى من ذرية نوح.

٤ – قوله تعالى : (وقَضَيْنا إلى بنى إسرائيل في الكتاب) .

معنى قضينا هاهنا : أخبرنا .

ويحتمل (وجها ثانيا) أن معناه حكمنا ، قاله قتادة .

ومعنى قوله « وقضينا إلى بنى إسرائيل » أى قضينا عليهم .

* (لتُفْسِدُنَّ في الأرضِ مرّتيْنِ) الفساد الذى فعلوه قتلهم للناس ظلما وتغلبهم على أموالهم قهرا ، وإخراب ديارهم بغيا .

وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان : (أحدهما) أنه زكريا قاله ابن عباس . (الثاني) أنه شعيا ، قاله ابن إسحاق ، وأن زكريا مات حتف أنفه .

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني فيحيى بن زكريا في قول الجميع قال مقاتل : وإن كان بينهما مائتا سنة وعشر .

٥ – (فإذا جاء وعْد أولاهُما) يعنى أولى المرتين من فسادهم .

* (بَعَثْنا عليكم عِباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ) في قوله بعثنا وجهان: (أحدهما) خلينا بينكم وبينهم خذلانا لكم بظلمكم ، قاله الحسن . (الثاني) أمرنا بقتالكم انتقاما منكم .

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقاويل : (أحدها) جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام،قاله ابن عباس وقتادة. (الثاني) أنه بختنصر ، وهو قول سعيد بن المسيب . (الثالث) أنه سنحاريب، قاله سعيد بن جبير. (الرابع) أنهم العمالقة وكانوا كفارا ، قاله الحسن .

(الخامس) انهم كانوا قوما من أهل فارس يتجسسون أخبارهم ، وهو قول مجاهد .

(... فجاسوا خلال الديار) فيه خمسة تأويلات :

أحدها — يعني مشوا وترددوا بين الدور والمساكن ، قال ابن عباس وهو أبلغ في القهر .

الثاني — معناه فداسوا خلال الديار ، ومنه قول الشاعر :

إليك جست الليل بالمطيّ

الثالث — معناه فقتلوهم بين الدور والمساكن ، ومنه قول حسان بن ثابت :

ومنا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض العساكر

الرابع — معناه فتشوا وطلبوا خلال الديار ، قاله أبو عبيدة .

الخامس — معناه نزلوا خلال الديار ، قاله قطرب ، ومنه قول الشاعر :

فَجُسْنا دِيارَهم عَنْوَةً وأُبْنـــا بساداتهم مُوثَقينا

٦ — قوله عز وجل : (ثم رَدَدْنا لكم الكَرّةَ عليهم) يعني الظفر بهم . وفي كيفية ذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن بني إسرائيل غزوا ملك بابل واستنقذوا ما في يديه من الأسرى والأموال .

الثاني — أن ملك بابل أطلق من في يده من الأَسْرى ، وردّ ما في يده من الأموال .

الثالث — أنه كان بقتل جالوت حين قتله داود .

• (وأمْدَدْناكم بأمْوالٍ وبنينَ) بتجديد النعمة عليهم .

• (وجَعَلْناكم أكْثَرَ نَفيراً) فيه وجهان : (أحدهما) أكثر عزا وجاها منهم . (الثاني) أكثر عددا ، وكثرة العدد تنفر علوهم منهم ، قال تُبع بن بكر :

فأكرِمْ بقحطان مِن والدٍ وحِمْير أكرمْ بقومٍ نفيرا

قال قتادة : فكانوا بها مائتى سنة وعشر سنين ، وبعث فيهم أنبيــاء .

٧ — قوله عز وجل : (إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنفسكم) لأن الجزاء بالثواب يعود إليها ، فصار ذلك إحسانا لها .

• (وإن أسأتُم فلها) أى فإليها ترجع الاساءة لما يتوجه إليها من العقاب ، فرغب في الإحسان وحذر من الإساءة .

• ثم قال تعالى : (فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرةِ لِيسُوؤوا وُجوهكم) يعنى وعد المقابلة على فسادهم في المرة الثانية . وفيمن جاءهم فيها قولان : (أحدهما) بختنصّر ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه انطياخوس الرومى ملك أرض نينوى ، وهو قول مقاتل ، وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفا ، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس ، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون .

• (ولِيَدْخلُوا المسْجدَ كما دَخلوه أوّلَ مرّة) يعنى بيت المقدس .

• (وليُتَبِّروا ما علَوْا تَتْبيرًا) فيه تأويلان : (أحدهما) أنه الهلاك والدمار ، (الثاني) أنه الهدم والإخراب ، قاله قطرب . ومنه قول لبيد :

وما الناسُ إلاّ عامِلان فعامِلٌ يُتَبِّرُ ما يبْنى وآخَرُ رافعُ

٨ — قوله عز وجل : (عسى ربُّكم أنْ يَرْحَمَكُمْ) يعنى مما حل بكم من الانتقام منكم .

• (وإنْ عُدتم عُدْنا) فيه تأويلان :

أحدهما — إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام ، فعادوا . قال ابن عباس وقتــادة : فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة .

الثاني — إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول ، قاله بعض الصالحين.

• (وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافرينَ حَصيرًا) فيه تأويلان :

أحدهما — يعنى فراشا ومهادا ، قاله الحسن . مأخوذ من الحصير المفترش .

الثاني – حبسا يحبسون فيه،قاله قتادة ، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمى الملك حصيرا لأنه بالحجاب محصور ، قال لبيد :

<(١) ومقامة ٍ غُلْب الرقاب كأنهم جن ٌ لدى باب الحصير قيامُ

٩ – قوله عز وجل : (إنّ هذا القرآنَ يَهْدِي للتى هى أقْوَمُ) فيها تأويلان :

أحدهما – شهادة أن لا إله إلا الله ، قاله الكلبي والفراء .

والثاني – ما تضمنه من الأوامر والنواهى التى هى أصوب، قاله مقاتل .

١١– قوله عز وجل : (ويدْعو الإنسانُ بالشرِّ دُعاءه بالخير) فيه وجهان من التأويل :

أحدهما – أن يطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل .

الثاني – أن يدعو أحدهم على نفسه أو ولده بالهلاك ، ولو استجاب دعاءه بهذا الشر كما استجاب له بالخير لهلك .

• (وكان الإنسانُ عَجُولاً) فيه تأويلان :

أحدهما – عجولا في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه ، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد .

الثاني – أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح ، حتى بلغت إلى سُرّته فأراد أن ينهض عَجِلا، وهذا قول ابراهيم والضحاك .

١٢– قوله عز وجل : (وَجَعَلْنا اللّيْلَ والنهارَ آيتين فمَحَوْنا آيةَ اللّيلِ) فيه قولان :

أحدهما – أنها ظلمة الليل التى لا نبصر فيها الطرقات كما لا نبصر ما محى من الكتاب ، وهذا من أحسن البلاغة ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني – أنها اللطخة السوداء التى في القمر ، وهذا قول على وقتادة ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيميز به الليل من النهار .

• (وجَعَلْنا آيةَ النهارِ مُبْصِرَةً) فيه قولان : (أحدهما) أنها الشمس مضيئة للأبصار . (والثاني) موقظة .

(١) من هنا سقطت ورقة من ك .

١٣ــ قوله عز وجل : (وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائرَه في عنقه) فيه قولان : (أحدها) ألزمناه عمله من خير أو شر ، مثل ما كانت العرب تقوله سوانح الطير وبوارحه والسانح : الطائر يمر ذات اليمين وهو فأل الخير ، والبارح : الطائر يمر ذات الشمال وهو فأل الشر ، وأضيف إلى العنق ...[1] (الثاني) أن طائره حظه ونصيبه ، من قول العرب : طار سهم فلان إذا خرج سهمه ونصيبه منه ، قاله أبو عبيدة .

* (ونُخْرِجُ له يومَ القيامة كتاباً يَلْقاه مَنْشورًا) يعنى كتاب طائره الذى في عنقه من خير أو شر .

ويحتمل نشر كتابه الذى يلقاه وجهين : (أحدهما) تعجيلا للبشرى بالحسنة ، والتوبيخ بالسيئة . (والثاني) إظهار عمله من خير أو شر .

١٤ــ (إقرأ كتابَكَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لما في قراءته من زيادة التقريع والتوبيخ . (والثاني) ليكون اقراره بقراءته على نفسه .

* (كَفَى بنفْسِكَ اليومَ علَيْكَ حَسيباً) فيه قولان : (أحدهما) يعنى شاهدا . (والثاني) يعنى حاكما بعملك من خير أو شر . ولقد أنصفك من جعلك حسيبا على نفسك بعملك > [2] .

١٥ــ قوله عز وجل : (مَنْ اهْتَدى فإنما يَهْتدي لنَفْسِهِ) يعنى لما يحصل له من ثواب طاعته .

* (ومَن ضلّ فإنما يَضِلُّ عليها) يعنى لما يحصل عليه من عقاب معصيته .

* (ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره .

الثاني ــ لا يجوز لأحد أن يعصى لمعصية غيره .

الثالث ــ لا يأثم أحد بإثم غيره .

---

(١) هنا عبارة مطموسة بالاصل ، وسوف انقل بقية اقوال المفسرين في « طائره » فقد قال مجاهد : ان المراد عمله ورزقه . وقال الحسن : « الزمناه طائره » أي شقاوته وسعادته وما كتب له من خير وشر ، وما طار له من التقدير ، اي صار له عند القسمة في الازل . وقيل أراد به التكليف ، اي قلدناه التزام الشرع .

(٢) ا لى هنا سقط من ك وهو نحو ورقة يبدو انها فقدت من الكتاب .

ويحتمل رابعا ــ أن لا يتحمل أحد ذنب غيره ويسقط مأثمه عن فاعله.

• (وما كنا مُعذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسولاً) فيه وجهان :

أحدهما ــ وما كنا معذبين على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولا مبينا، وهذا قول من زعم أن العقل تقدم الشرع .

الثاني ــ وما كنا معذبين على شيء من المعاصي حتى نبعث رسولا داعيا، وهذا قول من زعم أن العقل والشرع جاءا معا .

وفي العذاب وجهان :

أحدهما ــ عذاب الآخرة ، وهو ظاهر قول قتادة .

الثاني ــ عذاب الاستئصال في الدنيا ، وهو قول مقاتل .

١٦ــ قوله عز وجل: (وإذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفيها...) الآية. في قوله : « وإذا أردنا أن نُهلك قرية » ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ معناه إذا أردنا أن نحكم بهلاك قرية .

والثاني ــ معناه وإذا أهلكنا قرية ، وقوله « أردنا » صلة زائدة كهي في قوله تعالى :«جداراً يريدُ أنْ ينْقَضَّ» .

الثالث ــ أنه أراد بهلاك القرية فناء خيارها وبقاء شرارها .

« أمرنا مُترفيها» الذى عليه الأئمة السبعة من القراء أن أمرنا مقصور مخفف ، وفيه وجهان : (أحدهما) أمرنا مترفيها بالطاعة ، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها ، «ففسقوا فيها» أى فعصوا بالمخالفة ، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه: بعثنا مستكبريها، قاله هارون . وهى في قراءة أُبيّ : بعثنا أكابر مجرميها .

وفيه قراءة ثانية « أمّرْنا مُترفيها» بتشديد الميم ، ومعناه جعلناهم أمراء مسلطين ، قاله أبو عثمان النهدى .

وفيه قراءة ثالثة «آمَرْنا مُترفيها » ممدود ، ومعناه أكثرنا عددهم، من قولهم آمر القوم إذا كثروا ، لأنهم مع الكثرة يحتاجون إلى أمير يأمرهم

وينهاهم. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خير المال مهرة مأمورة أو سُكة مأبورة » أي كثيرة النسل ، وقال لبيد :

إن يُغْبطوا يهبِطوا وإنْ أُمِروا . يوماً يصيروا إلى الإهلاك والنكد

وهذا قول الحسن وقتادة .

وفي « مترفيها» ثلاثة تأويلات : (أحدها) جباروها ، قاله الحسن[1] (الثاني) رؤساؤها ، قاله علي بن عيسى . < (الثالث) فساقها ، قاله مجاهد> [2] .

١٧ــ قوله عز وجل : (وكمْ أهلَكْنا مِن القُرون مِن بَعْدِ نُوحٍ) واختلفوا في مدة القرْن على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه مائة وعشرون سنة ، قاله عبد الله بن أبي أوفي .

الثاني ــ أنه مائة [3] سنة ،قاله عبد الله بن بُسْر المازني .

الثالث ــ أنه أربعون سنة ، روى ذلك محمد بن سيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٠ــ قوله عز وجل : (كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاءِ وهؤلاءِ مِن عَطاءِ ربِّكَ) يعني البر والفاجر من عطاء ربك في الدنيا دون الآخرة .

• (وما كان عطاءُ ربك محظورا) فيه تأويلان : (أحدهما) منقوصا، قاله قتادة . (الثاني) ممنوعا ، قاله ابن عباس .

٢٣ــ قوله عز وجل : (وقضَى ربُّك ألاّ تعبُدُوا إلاّ إيّاه) معناه وأمر ربك، قاله ابن عباس والحسن وقتادة . وكان ابن مسعود وأبيّ بن كعب يقرآن « ووصّى ربك » ، قاله الضحاك : وكانت في المصحف : ووصى ربك ، لكن ألصق الكاتب الواو فصارت : وقضى ربك[4] .

(وبالوالدين إحْساناً) معناه ووصى بالوالدين إحسانا ، يعني أن يحسن إليهما بالبر بهما في الفعل والقول .

(١) في ق : قاله الطبري ولا تعارض بينهما اذ يمكن ان يكون قول الاثنين .

(٢) سقط من ق

(٣) وعلى هذا القول اكثر أصحاب الحديث لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن بسر « تعيش قرنا » فعاش مائة سنة . ذكر ذلك النحاس . وعليه العمل الان

(٤) انكر أبو حاتم هذا النقل واعتبره منفذا للزنادقة للطعن في المصحف (القرطبى) وهو قراءة شاذة من قبيل التفسير ، ولا تخفي العناية بنقل القرآن شفويا وضبطه كتابيا بالتواتر .

• (إما يَبْلُغَنَّ عِندك الكبرَ أحَدُهما أو كلاهما) فيه وجهان :

أحدهما — يبلغن كبرك وكمال عقلك .

الثاني — يبلغان كبرهما بالضعف والهرم .

• (فلا تَقُلْ لهما أفٍّ) يعني حين ترى منهما الأذى وتميط عنهما الخلاء، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر ، كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر .

وفي تأويل « أف » ثلاثة أوجه :

أحدها — أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح ، قاله مقاتل .

الثاني — أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة ، قاله الكلبي .

الثالث — أنها كلمة تدل على التبرم والضجر ، خرجت مخرج الأصوات المحكية . والعرب تقول أف وتف ، فالأُف وسخ الأظفار ، والتُّف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير [1] .

• (وقُلْ لهما قَوْلاً كريماً) فيه وجهان : (أحدهما) لينا . (والآخر) حسنا . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص .

٢٥— قوله عز وجل : (...إنه كان للأوّابِينَ غَفوراً) فيهم خمسة أقاويل :

أحدها — أنهم المحسنون ، وهذا قول قتادة .

والثاني — أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء، وهذا قول ابن المنكدر يرفعه .

الثالث — هم الذين يصلّون الضحى ، وهذا قول عون العقيلي .

والرابع — أنه الراجع عن ذنبه الذى يتوب ، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد .

(١) وقيل : الاف والتف وسخ الاظفار . وقال بعضهم : معنى اف الاحتقار والاستقلال ، مأخوذ من الافف وهو القليل ، وقال ابو عمرو بن العلاء : الاف : وسخ بين الاظفار ، والتف قلامتها . وقال الاصمعي : الاف وسخ الاذن ، والتف وسخ الاظفار .

والخامس – أنه الذى يتوب مرة بعد مرة ، وكلما أذنب بادر بالتوبة وهذا قول سعيد بن المسيب(١) .

٢٦– قوله عز وجل : (وآتِ ذا القُرْبى حَقّه) فيهم قولان :

أحدهما – أنهم قرابة المرء من جهة أبيه ومن قبل أمه ، وهذا قول ابن عباس والحسن .

والثاني – أنهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول على ابن الحسين والسدى . فعلى هذا القول يكون إعطاؤهم من سهم ذوى القربى من الفىء والغنيمة ، ويكون خطابا للولاة ومن قام مقامهم .

وإذا قيل بالأول أنهم قرابة المرء من قبل أبويه ففى إعطائهم قولان : (أحدهما) نفقاتهم إذا وجبت عند الحاجة . (والثاني) الوصية عند الوفاة.

• وفي قوله تعالى : (ولا تُبَذِّرْ تبْذيرًا) قولان : (أحدهما) أنه الإسراف المتلف للمال . (والثاني) أنه إنفاق المال في غير حقه . قال مجاهد: لو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيرا .

٢٨– قوله عز وجل : (وإما تُعْرِضَنّ عنهم ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِن ربّك ترْجوها فقلْ لهم قوْلاً مَيْسورا) فيه تأويلان :

أحدهما – معناه إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكره لتعذره عندك « ابتغاء رحمة من ربك ترجوها» أى انتظاراً للرزق منه « فقل لهم قولا ميسورا » أى عِدْهم خيرا ورد عليهم ردا جميلا ، وهذا قول الحسن ومجاهد.

الثاني – معناه إذا أعرضت عمن سألك حذرا أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولا ميسورا ، أى لينا سهلا ، وهذا قول ابن زيد .

٣٠– قوله عز وجل : (إنّ ربّك يَبْسُطُ الرِزْقَ لمن يَشاءُ و يَقْدِرُ) أى [يوسع] ويقتّر ويقلل .

(١) وقال ابن عباس : الاواب : الحفيظ الذى اذا ذكر خطاياه استغفر منها .

• (إنَّه كان بِعباده خَبِيراً بصيراً) يحتمل وجهين : (أحدهما) خبيرا بمصالحهم بصيرا بأمورهم . (والثاني) خبيرا بما أضمروا بصيرا بما عملوا.

٣١ـ قوله عز وجل : (ولا تَقْتُلوا أولادَكم خَشْيَةَ إمْلاقٍ) يعني وأد البنات أحياء خيفة الفقر .

• (نحن نَرْزُقُهُمْ وإيّاكُم إنَّ قتْلهم كان خِطْئاً كبيراً) .

والخِطءُ العدول عن الصواب بعمد،والخطأ العدول عنه بسهو،فهذا الفرق بين الخِطْء والخطأ ، وقد قال الشاعر :

الخِطْءُ فاحشةٌ والبِرُّ نافِلةٌ كعَجْوةٍ غُرِسَتْ في الأرْضِ تُؤْتَبَرُ

الثاني ـ أن الخطء ما كان إثما،والخطأ ما لا إثم فيه،وقرأ الحسن خطاء بالمد .

٣٣ـ قوله عز وجل (ولا تَقْتُلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله إلاّ بالحق) يعني إلا بما تستحق به القتل .

• (ومَن قُتِل مَظْلوماً فَقَدْ جَعَلْنا لوليّه سُلطاناً) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها ـ أنه القود ، قاله قتادة .

الثاني ـ أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو ، وهذا قول ابن عباس والضحاك .

الثالث ـ فقد جعلنا لوليه سلطانا ينصره وينصفه في حقه .

• (فلا يُسْرِفْ في القَتْل) فيه قولان :

أحدهما ـ فلا يسرف القاتل الأول في القتل تعديا وظلما ، إن وليّ المقتول كان منصورا، قاله مجاهد .

الثاني ـ فلا يسرف وليّ المقتول في القتل .

وفي إسرافه أربعة أوجه :

أحدها ــ أن يقتل غير قاتله ، وهذا قول طلق بن حبيب .

الثاني ــ أن يمثل إذا اقتص ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ أن يقتل بعد أخذ الدية ، قاله يحيى .

الرابع ــ أن يقتل جماعة بواحد ، قاله سعيد بن جبير وداود .

* (إنه كان منصورا) فيه وجهان :

أحدهما ــ أن الولى كان منصورا بتمكينه من القود ، قاله قتادة .

الثاني ــ أن المقتول كان منصوراً بقتل قاتله ، قاله مجاهد .

٣٤ــ قوله عز وجل : (ولا تَقْرَبُوا مالَ اليتيم إلاّ بالّتي هي أَحْسَنُ) وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج ، والطمع في ماله أكثر . وفي قوله « إلاّ بالّتى هى أحسن» قولان :

أحدهما ــ حفظ أصوله وتثمير فروعه ، وهو محتمل .

الثاني ــ أن التّى هى أحسن التجارة له بماله .

(حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) وفي الأشد وجهان : (أحدهما) أنه القوة . (الثاني) المنتهى .

وفي زمانه هاهنا قولان : (أحدهما) ثماني عشرة سنة . (والثاني) الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد .

* (وأَوْفُوا بالعَهْدِ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ أنها العقود التّى تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها ، وهذا قول أبي جعفر الطبرى .

الثاني ــ أنه العهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الوفاء به .

الثالث ــ أنه كل ما أمر الله تعالى به أو نهى فهو من العهد الذى يلزم الوفاء به .

* (إن العهد كان مسئولا) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن العهد كان مطلوبا ، قاله السدى .

الثاني – أن العهد كان مسئولا عنه الذى عهد به ، فيكون ناقض العهد هو المسئول .

الثالث – ان العهد نفسه هو المسئول بم نُقِضْتَ ، كما تُسأل الموؤودةُ بأي ذنب قُتلت .

٣٥– قوله عز وجل (... وزِنُوا بالقِسْطاسِ المسْتقيم) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه القبان . قاله الحسن . (الثاني) أنه الميزان صغر أو كبر ، وهذا قول الزجاج. (الثالث) هو العدل .

واختلف من قال بهذا على قولين : (أحدهما) أنه رومي ، قاله مجاهد. (الثاني) أنه عربي مشتق من القسط ، قاله ابن درستويه .

• (ذلك خيرٌ وأحْسَنُ تأويلاً) فيه وجهان : (أحدهما) أحسن باطنا فيكون الخير ما ظهر،وحسن التأويل ما بطن . (الثاني) أحسن عاقبة، تأويل الشيء عاقبته .

٣٦– قوله عز وجل : (ولا تَقْفُ ما ليْس لكَ بِه عِلْمٌ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – معناه لا تقل ما ليس لك به علم فلا تقل رأيت ، ولم تر ، ولا سمعت ، ولم تسمع ، ولا علمت ولم تعلم . وهذا قول قتادة .

الثاني – معناه ولا ترم أحدا بما ليس لك به علم ، وهذا قول ابن عباس . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : نحن بني النضر بن كنانة لا نقفو أمَّنا ولا نتفي من أبينا .

الثالث – أنه من القيافة وهو اتباع الأثر ، وكأنه يتبع قفا المتقدم، قال الشاعر :

ومِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العرانين ساكن بهنَّ الحَياءُ لا يُشِعْنَ التقافيا

أى التقاذف

• (إن السّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَاد كلُّ اولئك كان عنه مسئولاً) يحتمل وجهين :

أحدهما – أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية .

الثاني – ان السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهودا عليه ، وله ، بما فعل من طاعة ، وما ارتكب من معصية . ويجوز أن يقال أولئك لغير الناس[٢] . كما قال جرير :

ذُمَّ المنازلَ بَعْدَ منزلةِ اللِّوَى والعَيْشَ بَعْدَ أُولئك الأَيامِ

٣٧– قوله عز وجل : (ولا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً) فيه خمسة أوجه :

(أحدها) أن المرح شدة الفرح بالباطل . (الثاني) أنه الخيلاء في المشى ، قاله قتادة . (الثالث) أنه البطر والأشر . (الرابع) أنه تجاوز الإنسان قدره . < (الخامس) التكبر في المشى[٣] > .

• (إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ولن تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً) فيه وجهان :

أحدهما – إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ، ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك زجرا له عن تجاوزه الذى لا يدرك به غرضا .

الثاني – أنه مثل ضربه الله تعالى له ، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك ، ولن تبلغ الجبال طولا فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك، إياسا له من بلوغ إرادته[٤] .

٤١– قوله عز وجل : (ولقد صَرَّفْنا في هذا القُرآنِ) فيه وجهان : (أحدهما) كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال . (الثاني) غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها .

---

(١) وصف نساء بانهن جميلات ذوات شرف وحياء لا يقذفن بالغيبة .

(٢) وحكى الزجاج ذلك وانشد هو والطبري هذا البيت .. انظر تفسير الطبري عند الكلام على هذه الآية .

(٣) مسقط من ك .

(٤) المراد بخرق الارض هنا نقبها . وقال الازهري معناه لن تقطعها . قال النحاس : وهذا أبين وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ذم الرقص وتعاطيه . قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل : قد نص القرآن على النهي عن الرقص . فقال « ولا تمش في الارض مرحا » وذم المختال ، والرقص اشد المرح والبطر . انظر تفسير القرطبي ٢٦٣/١٠

• (ليذّكّروا) فيه وجهان : (أحدهما) ليذكروا الأدلة . (الثاني) ليهتدوا إلى الحق .

• (وما يَزيدُهم إلاّ نُفُورًا) فيه وجهان : (أحدهما) نفورا عن الحق والاتباع له . (الثاني) عن النظر والاعتبار . وفي الكلام مضمر محذوف ، وتقديره ولقد صرفنا الأمثال في هذا القرآن .

٤٢ــ قوله عز وجل : (قُلْ لوْ كان مَعَهُ آلِهَةٌ كما يقولون إذًا لابْتَغَوْا إلى ذي العَرْشِ سَبيلاً) فيه وجهان : .

أحدهما ــ لطلبوا إليه طريقا يتصلون به لأنهم شركاء ، قاله سعيد ابن جبير .

الثاني ــ لتقربوا إليه لأنهم دونه ، قاله قتادة .

٤٣ــ قوله تعالى : (وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكنْ لا تَفقَهون تسبيحَهم) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ وإن من شيء من الأحياء إلا يسبح بحمده ، فأما ما ليس بحي فلا ، قاله الحسن .

الثاني ــ ان جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب ، قاله ابراهيم .

الثالث ــ أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذى يعجز الخلق عن مثله ، فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه، كما قال الشاعر :

تُلْقَى بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انْصَرَفَتْ ... وتستقرُّ حَشا الرّائي بإرْعادِ
كأنّما خُلِقَتْ مِن قشْرِ لؤلؤةٍ ... فكلُّ أكْنافها وَجْهٌ لمرصاد[1]

٤٥ــ قوله عز وجل : (وإذا قَرَأْتَ القرآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبَيْنَ الّذِينَ لا يؤْمِنون بالآخرةِ حِجاباً مَسْتُوراً) فيه وجهان : (أحدهما) أى جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته . (الثاني) جعلنا القرآن حجابا يسترهم عن سماعه إذا جهرت به . فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه :

(١) أي يقول كل من رآها : سبحان خالقها والبيتان لبشار بن برد .

أحدها — أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاب في عدم رؤيتك . قاله الحسن .

والثاني (١) أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه، قاله قتادة .

الثالث — أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى ، قاله الزجاج .

« مَسْتُوراً» فيه وجهان : (أحدهما) أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه (الثاني) أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه ، ويكون مستور بمعنى ساتر . وقيل إنها نزلت في بني عبد الدار .

٤٧— قوله عز وجل : (نحن أعْلَم بما يَسْتَمِعون به إذْ يستَمِعون إليْكَ وإذْ هُمْ نَجْوَى) في هذه النجوى قولان :

أحدهما — أنه ما تشاوروا عليه في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة .

الثاني — أن هذا في جماعة من قريش منهم الوليد بن المغيرة كانوا يتناجون بما ينفّرون به الناس عن اتباعه صلى الله عليه وسلم . قال قتادة : وكانت نجواهم أنه مجنون ، وأنه ساحر ، وأنه يأتي بأساطير الأولين .

• (إذ يقولُ الظالمون إنْ تَتّبِعُون إلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) أنه سحر فاختلط عليه أمره ، يقولون ذلك تنفيرا عنه . (الثاني) ان معنى مسحور مخدوع ، قاله مجاهد . (الثالث) معناه أن له سَحْراً، أي رئة ، يأكل ويشرب فهو مثلكم وليس بملَك ، قاله أبو عبيدة ، ومنه قول لبيد :

فإنْ تسألينا فيمَ نحْنُ فإننــــا عَصافيرُ مِنْ هذا الأنام المُسحّرِ

٤٩— قوله عز وجل : (وقالوا أئذا كُنّا عِظاماً ورُفاتاً) فيه تأويلان : (أحدهما)

---

(١) سقط من ق

أن الرفات التراب ، قاله الكلبي والفراء . (الثاني) أنه ما أرفت[1] من العظام مثل الفتات ، قاله أبو عبيدة ، قال الراجز :

صم الصفا رفتّ عنها أصله

٥٠ـ قوله عز وجل : (قُلْ كُونوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ معناه إن عجبتم من إنشاء الله تعالى لكم عظاما ولحما فكونوا أنتم حجارة أو حديدا إن قدرتم ، قاله أبو جعفر الطبرى .

الثاني ـ معناه انكم : لو كنتم حجارة أو حديدا لم تفوتوا الله تعالى إذا أرادكم إلا أنه أخرجه مخرج الأمر لأنه أبلغ من الإلزام، قاله علي بن عيسى .

الثالث ـ معناه لو كنتم حجارة أو حديدا لأَماتكم الله ثم أحياكم .

٥١ـ (أَوْ خَلْقاً مِمّا يَكْبُرُ في صُدورِكم ...) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس، قاله مجاهد .

الثاني ـ أنه أراد الموت لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه < وقد قال أمية بن أبي الصلت :

نادوا إلههمُ ليسرع خلقهم ولَلْموتُ خلْقٌ للنفوسِ فظيعُ >[2]

وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص .

الثالث ـ أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدورهم ، قاله الكلبي .

الرابع ـ ما يكبر في صدوركم من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى ، فإن الله يميتكم ثم يحييكم ثم يبعثكم ، قاله قتادة .

* (... فَسَيُنْغِضونَ إليكَ رؤوسَهُم) قال ابن عباس وقتادة : أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيبا ، قال الشاعر :

---

(١) ما ارفت من العظام : اي ما تحطم منها ، ورفت الشيء رفتا . اي حطم ، فهو مرفوت

(٢) سقط من ق .

قلت لها صلي فقالت مِضِّ وحركت لي رأسها بالنغض[١]

٥٢ـ قوله عز وجل (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِه) في قوله تعالى يَدعوكم قولان : (أحدهما) انه نداء كلام يسمعه جميع الناس يدعوهم الله بالخروج فيه إلى أرض المحشر . (الثاني) أنها الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة .

وفي قوله «فتستجيبون بحمده» أربعة أوجه : (أحدها) فتستجيبون حامدين لله تعالى بألسنتكم . (الثاني) فتستجيبون على ما يقتضى حمد الله من أفعالكم . (الثالث) معناه فستقومون من قبوركم بحمد الله لا بحمد أنفسكم . (الرابع) فتستجيبون بأمره ، قاله سفيان وابن جريج .

* (وتظنُّونَ إنْ لَبِثْتُم إلاّ قَلِيلاً) فيه خمسة أوجه :

أحدها ـ إن لبثم إلا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة ، قاله الحسن .

الثاني ـ معناه الاحتقار لأمر الدنيا حين عاينوا يوم القيامة، قاله قتادة.

الثالث ـ انهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور.

الرابع ـ انهم بين النفختين يرفع عنهم العذاب فلا يعذبون،وبينهما أربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلة ، قاله الكلبي .

الخامس ـ أنه لقرب الوقت ، كما قال الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

٥٣ـ قوله عز وجل : (وقلْ لِعبادِي يَقُولوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فيه أربعة أوجه:

أحدها ـ أنه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به .

* (إنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بينَهم) في تكذيبه[٢] .

الثاني ـ أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه ، قاله الحسن .

الثالث ـ أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع ـ أن يردّ خيراً على من شتمه .

---

(١) انظر اللسان (مضض) .

(٢) ونزغ الشيطان بين الناس الافساد والقاؤه العداوة بينهم .

وقيل إنها نزلت في عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد شتمه رجل من بعض كفار قريش ، فهمّ به عمر ، فأنزل الله تعالى فيه : «وقُلْ لعبادِي يقولوا التي هي أحْسَنُ» .

٥٤ـ قوله عز وجل :(إنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أوْ إنْ يَشَأْ يُعذِّبْكُم)فيه ثلاثة أوجه:

أحدها — إن يشأ يرحمكم بالهداية أو يعذبكم بالإضلال.

الثاني — إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أعدائكم أو يعذبكم بتسلطهم عليكم ، قاله الكلبي .

الثالث — إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة ، قاله الحسن.

• (وما أَرْسَلْناكَ عليْهم وَكيلاً) فيه وجهان :

أحدهما — ما وكلناك أن تمنعهم من الكفر بالله سبحانه ، وتجبرهم على الإيمان به .

الثاني — ما جعلناك كفيلا لهم تؤخذ بهم ، قاله الكلبي . قال الشاعر :

ذكرت أبا أرْوَى فَبِتُّ كأنني بِرَدِّ الأمورِ الماضياتِ وكيلُ[1]

وكيل : أى كفيل .

٥٧ـ قوله عز وجل : (أولئك الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُون إلى ربِّهمُ الوَسيلةَ أَيُّهم أقْرَبُ) الآية . فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنها نزلت في نفر من الجن كان يعبدهم قوم من الإنس ، فأسلم الجن ابتغاء الوسيلة عند ربهم ، وبقى الإنس على كفرهم ، قاله عبد الله بن مسعود .

الثاني — أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب ، وهذا مروى عن ابن مسعود أيضا .

الثالث — هم وعيسى وأُمُّهُ ، قاله ابن عباس[2] ومجاهد . وهــم المعنيّون بقوله تعالى : «قلِ ادْعُوا الذِينَ زعَمْتُم مِنْ دُونه» .

---

(١) سـقط البيت مـن ق .

(٢) في ك : قاله الحسن ومجاهد ، وقد روى اكثر المفسرين هذا القول عن ابن عباس ومجاهـد وأخذناه من نسخة ق .

< وتفسيرها أن قوله تعالى «أولئك الذين يَدْعون» يحتمل وجهين : (أحدهما) يدعون الله تعالى لأنفسهم . (الثاني) يدعون عباد الله إلى طاعته .

وقوله تعالى «يبتغون إلى ربهم الوسيلة» وهى القربة ، وينبنى تأويلها على احتمال الوجهين في الدعاء .

فإن قيل إنه الدعاء لأنفسهم كان معناه يتوسلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى ما سألوا .

وإن قيل دعاء عباد الله إلى طاعته كان معناه أنهم يتوسلون لمن دعوه إلى مغفرته .

«أيُّهم أقْرَبُ» تأويله على الوجه الأول : أيهم أقرب في الإجابة. وتأويله على الوجه الثاني : أيهم أقرب إلى الطاعة .

• (ويَرْجُونَ رحْمَتَهُ ويَخافُون عَذابَهُ) يحتمل وجهين :(أحدهما) أن يكون هذا الرجاء والخوف في الدنيا . (الثاني) أن يكونا في الآخرة .

فإن قيل إنه في الدنيا احتمل وجهين : (أحدهما) أن رجاء الرحمة التوفيق والهداية ، وخوف العذاب شدة البلاء[1].

وإن قيل إن ذلك في الآخرة احتمل وجهين : (أحدهما) أن رجاء الرحمة دوام النعم وخوف عذاب النار . (الثاني) أن رجاء الرحمة العفو ، وخوف العذاب مناقشة الحساب .

ويحتمل هذا الرجاء والخوف وجهين : (أحدهما) أن يكون لأنفسهم إذا قيل إن أصل الدعاء كان لهم . (الثاني) لطاعة الله تعالى إذا قيل إن الدعاء كان لغيرهم . ولا يمتنع أن يكون على عمومه في أنفسهم وفيمن دعوه .

قال سهل بن عبد الله : الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله ، وإن رجح أحدهما بطل الآخر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا» .

---

(١) لم يذكر الوجه الثاني .

٥٩ـ قوله عز وجل : (وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلا تَخْوِيفاً) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها ــ أن الآيات معجزات الرسل جعلها الله تعالى من دلائل الإنذار تخويفا للمكذبين .

الثاني ــ أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي .

الثالث ــ أنها تقلُّبُ الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهل ثم إلى مشيب ، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمْرك ، وهذا قول أحمد بن حنبل رحمه الله > (١) .

٦٠ـ قوله عز وجل : (وإذ قلْنا لكَ إنّ ربّكَ أحاطَ بالناسِ) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها ــ معناه أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته ، قاله مجاهد وابن أبي نجيح .

الثاني ــ أحاط علمه بالناس ، قاله الكلبي .

الثالث ــ أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتّى تبلغ رسالة ربك، قاله الحسن وعروة وقتادة .

* (وما جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أريْناكَ إلاّ فِتْنَةً للناسِ) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها ــ أنها رؤيا عينٍ ليلة الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن أبي نجيح وابن زيد ، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به .

الثاني ــ أنها رؤيا نوم رأى فيها أنه يدخل مكة ، فعجل النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوقت يوم الحديبية ، فرجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا .

(١) من : وتفسيرها ، الى هنا سقط من ق .

الثالث — أنها رؤيا منام رأى فيها قوماً يعلون على منابره ينزون نزو القردة ، فساءه ، وهذا قول سهل بن سعد . وقيل إنه ما استجمع ضاحكا حتى مات صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

• (والشَّجرةَ الملْعونةَ في القرآنِ) فيها أربعة أقاويل :

أحدها — أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير وطاوس وابن زيد . وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وأشياعه : النار تأكل الشجر فكيف تنبتها ؟

الثاني — هي الكشوت التي تلتوى على الشجر ، قاله ابن عباس .

الثالث — أنهم اليهود تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب ، قاله ابن بحر .

الرابع — أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قوما يصعدون المنابر[١] ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى «والشجرة الملعونة في القرآن» قاله سعيد بن المسيب .

والشجرة كناية عن المرأة ، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر.

٦٢— قوله عز وجل : (... لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَتَهُ إلاّ قليلاً) فيه ستة تأويلات : (أحدها) معناه لأستولين عليهم بالغلبة ، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه لأضلنهم بالإغواء . (الثالث) لأستأصلنهم بالإغواء . (الرابع) لأستميلنهم، قاله الأخفش . (الخامس) لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل يجذبها ، وهو افتعال من الحنك إشارة إلى حنك الدابة . (السادس) معناه لأقطعنهم إلى المعاصي ، قال الشاعر :

أشْكُو إليكَ سَنَةً قد أَجْحَفَتْ جهْدا إلى جهدٍ بنا وأضْعَفَتْ
واحْتَنَكَتْ أمْوالَنا واجْتَلَفَتْ[٢]

(١) ذكر القرطبي انه عليه السلام راى بني امية يعلون منبره . انظر تفسيره ٢٨٣/١٠ .
(٢) اجتلفت : اذهبت .

٦٤ـ قوله عز وجل : (واسْتَفْزِزْ مَن اسْتَطَعْتَ مِنْهم بصَوْتِكَ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) واستخفّ ، وهذا قول الكلبي والفراء (الثاني) واستجهلْ. (الثالث) واستذل من استطعت ، قاله مجاهد .

(بصوتك) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه صوت الغنـاء واللهو ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه صوت المزمار ، قاله الضحاك . (الثالث) معناه بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك ، قاله ابن عباس

(وأجْلِبْ عليهم بخَيْلِكَ ورَجِلِكَ) والجلب هو السَّوْق بجلبة من السائق ، وفي المثل : إذا لم تغلب فأجْلِبْ .

وقوله «بخيلك ورَجِلِكَ» أي بكل راكب وماشٍ في معاصي الله تعالى.

• (وشارِكْهُم في الأَمْوال والأَوْلادِ) أما مشاركتهم في الأموال ففيها أربعة أوجه :

أحدها ــ أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها ، قاله مجاهد .

الثاني ــ أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى ، قاله الحسن.

الثالث ــ ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قاله ابن عباس .

الرابع ــ ما كانوا يذبحون لآلهتهم ، قاله الضحاك .

وأما مشاركتهم في الأولاد ففيها أربعة أوجه :

أحدها ــ أنهم أولاد الزنى ، قاله مجاهد .

الثاني ــ أنه قتل الموؤودة من أولادهم ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم ، قاله قتادة .

الرابع ــ أنه تسمية أولادهم عبيد آلهتهم كعبد شمس وعبد العزّى وعبد اللات ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

٦٦ـ قوله عز وجل : (ربُّكُمُ الذى يُزْجِي لكم الفُلْكَ في البَحْرِ) معناه يجريها ويسيرها ، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد ، قال الشاعر :

يا أيها الراكبُ المزْجى مَطيّتَهُ سائلْ بنى أَسَدٍ ما هذه الصوْتُ(١)

٦٧ـ قوله عز وجل : (وإذا مَسّكم الضُّرُّ في البحر ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلاَّ إيّاهُ) فيه وجهان :

أحدهما ـ بطل من تدعون سواه ، كما قال تعالى : «أضلَّ أعمالهم» أى أبطلها .

الثاني ـ معناه غاب من تدعون كما قال تعالى : «أئِذا ضَلَلْنا في الأَرْض» أى غِبْنا .

٦٨ـ قوله عز وجل : (أفَأَمِنْتُمْ أنْ يَخْسِفَ بكم جانِبَ البَرِّ) يحتمل وجهين :

أحدهما ـ يريد بعض البر وهو موضع حلولهم منه ، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانبا .

الثاني ـ أنهم كانوا على ساحل البحر ، وساحله جانب البر ، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر.

• (أو يُرْسِلَ عليكم حاصِباً) فيه وجهان :

أحدهما ـ يعنى حجارة من السماء ، قاله قتادة .

الثاني ـ أن الحاصب الريح العاصف سميت بذلك لأنها تحصب أى ترمى بالحصباء . والقاصف الريح التى تقصف الشجر ، قاله الفراء وابن قتيبة.

وقال غيرهما أن العاصف المهلكة في البر ، والقاصف المغرقة في البحر.

٧٠ـ قوله تعالى : (ولقد كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ...) فيه سبعة أوجه :

أحدها ـ يعنى كرمناهم بإنعامنا عليهم .

الثاني ـ كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولا وتمييزا .

الثالث ـ بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس .

(١) هو رويشد بن كثير الطائي كما في اللسان .

الرابع - بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم ، وغيرهم يتناوله بفمه ، قاله الكلبي ومقاتل .

الخامس - كرمناهم بالأمر والنهي .

السادس - كرمناهم بالكلام والخط .

السابع - كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم .

* (...ورَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) ما أحله الله لهم . (الثاني) ما استطابوا أكله وشربه . (الثالث) أنه كسب العامل إذا نفع ، قاله سهل بن عبد الله .

* (وفضّلْناهم على كثيرٍ ممّن خَلَقْنا تَفْضِيلاً) فيه أربعة أوجه : (أحدها) بالغلبة والاستيلاء . (الثاني) بالثواب والجزاء . (الثالث) بالحفظ والتمييز . (الرابع) بإصابة الفراسة .

٧١- قوله عز وجل : (يَوْمَ نَدْعُو كلَّ أُناسٍ بإمامِهِمْ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) بِنَبِيِّهِمْ ، قاله مجاهد . (الثاني) بكتابهم الذى أنزل عليهم أوامر الله ونواهيه ، قاله ابن زيد . (الثالث) بدينهم ، ويشبه أن يكون قول قتادة. (الرابع) بكتب أعمالهم التى عملوها في الدنيا من خير وشر ، قاله ابن عباس. (الخامس) بمن كانوا يأتمرون به في الدنيا فيتبعونه في خير أو شر ، أو على حق، أو باطل ، وهو معنى قول أبي عبيدة .

٧٢- قوله عز وجل : (ومَن كان في هذه أعْمَى...) يحتمل أربعة أوجه :

أحدها - من كان في الدنيا أعمى عن الطاعة «فهو في الآخرة أعمى» عن الثواب .

الثاني - ومن كان في الدنيا أعمى عن الاعتبار «فهو في الآخرة أعمى» عن الاعتذار .

الثالث - ومن كان في الدنيا أعمى عن الحق «فهو في الآخرة أعمى» عن الجنة .

الرابع ـ ومن كان في تدبير دنياه أعمى فهو في تدبير آخرته أعمى « وأضَلّ سبيلا » .

٧٣ـ قوله تعالى (وإنْ كادوا لَيَفْتِنونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنا إليْكَ لتفْتَرِيَ علينْا غَيرَهْ) فيه قولان :

أحدهما ـ ما روى سعيد بن جُبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتّى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال : ما عليّ أن أُلم بها بعد أن يدَعوني أستلم الحجر والله يعلم أني لها كاره ، فأبى الله تعالى وأنزل عليه هذه الآية ، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني ـ ما روى ابن عباس أن ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أَجِّلْنا سنة حتّى نأخذ ما يُهدي لآلهتنا ، فإذا أخذناه كسرنا آلهتنا وأسْلَمْنا ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطيعهم ، فأنزل الله هذه الآية .

« لِتَفْتَرِي عَليْنا غيرُهُ » يحتمل وجهين : (أحدهما) لتدّعي علينا غير وحينا . (الثاني) لتعتدى في أوامرنا .

• (وإذاً لاتّخَذُوكَ خليلاً) فيه وجهان :

أحدهما ـ صديقا ، مأخوذ من الخُلة بالضم وهى الصداقة لممالأته لهم.

الثاني ـ فقيرا ، مأخوذ من الخَلة بالفتح وهى الفقر لحاجته إليهم .

٧٥ـ قوله عز وجل (إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المماتِ) فيه قولان:

أحدهما ـ لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك .

الثاني ـ لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ، حكاه الطبري .

وفي المراد بالضّعف هاهنا وجهان : (أحدهما) النصيب ، ومنه قوله تعالى : « لكل ضِعفٌ » أى نصيب . (الثاني) مثلان ، وذلك لأن ذنبك أعظم .

وفيه وجه ثالث ـ أن الضعف هو العذاب يسمى ضعفا لتضاعف ألمه، قاله أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر :

لِمقتـل مالكٍ إذ بان منى ... أبيتُ الليـلَ في ضِعْفٍ أليم

قال قتادة : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تَكِلْنِى إلى نَفْسى طَرْفة عَيْنٍ .

٧٦ـ قوله عز وجل : (وإنْ كادوا ليَستَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ ليُخْرِجُوكَ منها) في قوله « ليستفزونك » وجهان : (أحدهما) يقتلونك ، قاله الحسن. (الثاني) يزعجونك باستخفافك، قاله ابن عيسى . قال الشاعر :

يُطِيعُ سفيهَ القوْم إذ يَستفزُّهُ ... ويَعْصى حكيماً شيَّبْتهُ الهَزاهِزَ

وفي قوله « ليخرجوك منها» أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فقالوا : إن أرض الأنبياء هى الشام وأن هذه ليست بأرض الأنبياء ، قاله سليمان التيمى .

الثاني ـ أنهم قريش هموا بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قبل الهجرة ، قاله قتادة .

الثالث ـ أنهم أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة .

الرابع ـ أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها ، قاله الحسن.

* (وإذاً لا يَلْبَثون خِلافَكَ إلاَّ قليلاً) يعنى بعدك ، يقال خَلْفك وخِلافك ، وقد قرئا جميعا بمعنى بعدك ، ومنه قول الشاعر :

عَفَتِ الدِّيـارُ خلافَها فكأنما ... بَسَطَ الشواطبُ بَيْنَهن حصيرا

وقيل خلفك بمعنى مخالفتك ، ذكره ابن الأنبارى .

* (إلا قليلا) فيه وجهان ;

أحدهما ــ أن المدة التى لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر ، وهذا قول من ذكر أنهم قريش .

الثاني ــ ما بين ذلك وقتل بنى قريظة وجلاء بنى النضير ، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود .

٧٨ــ قوله عز وجل : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾

أما دلوك الشمس ففيه تأويلان :

أحدهما ــ أنه غروبها ، وأن الصلاة المأمور بها صلاة المغرب ، ومنه قول ذى الرُّمَّة :

مصابيحُ ليست باللواتي تقودُها نجومٌ ولا بالآفلاتِ الدوالك

قاله ابن مسعود وابن زيد ، ورواه مجاهد عن ابن عباس ، وهو مذهب أبي حنيفة .

الثاني ــ أنه زوالها ، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر ، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه ، وهو قول أبي بردة والحسن وقتادة ومجاهد ، وهو مذهب الشافعي ومالك لرواية أبي بكر بن[1] عمرو بن حزم عن ابن مسعود وعقبة بن عامر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر[2] . وقال الشاعر [3] :

هــذا مُقامُ قَدَمَيْ رَبــاح ذَبَّبَ[4] حتى دَلَكَتْ بَراح

وبراح اسم الشمس ، والباء التى فيه من أصل الكلمة . وذهَبَ بعض أهل العربية إلى أن الباء التى فيها باء الجر ، واسم الشمس راح .

فمن جعل الدلوك اسما لغروبها فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبينها ، ومن جعله اسما لزوالها فلأنه يدلك عينيه براحته لشدة شعاعها . وقيل إن

---

(١) في نسخة ك حرفت (بن) الى (الصديق) وهو خطأ بين

(٢) اخرجه البيهقي من طريق ايوب بن عتبة عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عروة عن ابن مسعود (تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني) .

(٣) انشده قطرب .

(٤) ذبب : في الاصول « عدوه » والتصويت من اللسان وتفسير القرطبي .

أصل الدلوك في اللغة هو الميل ، والشمس تميل عند زوالها وغروبها فلذلك انطلق على كل واحد منهما .

وأما « غسق الليل» ففيه تأويلان :

أحدهما — أنه ظهور ظلامه ، قاله الفراء وابن عيسى ، ومنه قول زهير :

ظَلَّتْ تجودُ يداها وهي لاهيةٌ ۔۔۔ حتى إذا جَنَحَ الإظلامُ والغَسَقُ

الثاني — أنه دنوّ الليل وإقباله ، وهو قول ابن عباس وقتادة. قال الشاعر [1]

إن هذا الليل قد غسقا[2] ۔۔۔ ... ...

وفي الصلاة المأمور بها قولان : (أحدهما) أنها صلاة المغرب ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . (الثاني) هي صلاة العشاء الآخرة ، قاله أبو جعفر الطبري .

* ثم قال (وقرآنَ الفَجْرِ إنّ قرآنَ الفَجْرِ كان مَشْهوداً) في قرآن تأويلان : (أحدهما) أقم القراءة في صلاة الفجر ، وهذا قول أبي جعفر الطبري . (الثاني) معناه صلاة الفجر ، فسماها قرآنا لتأكيد القراءة في الصلاة ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج .

« إن قرآن الفجر كان مشهودا» فيه قولان :

أحدهما — إن من الحكمة أن تشهده بالحضور إليه في المساجد ، قاله ابن بحر .

الثاني — أن المراد به ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[3] وفي هذا دليل على أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار .

٧٩– قوله عز وجل : (ومِنَ الليل فتهجّدْ به نافِلَةً لكَ) أما الهجود فمن أسماء الأضداد ، وينطلق على النوم وعلى السهر . وشاهد انطلاقه على السهر قول الشاعر :

ألا زارتْ وأهْلُ مِنىً هُجودُ ۔۔۔ وليت خيالَها بمنىً يعـــودُ

(١) هو ابن قيس الرُّقَيات .

(٢) الشطر الثاني : واشتكيت الهم والارقا .

(٣) رواه الترمــذي .

وشاهد انطلاقه على النوم قول الشاعر :

ألا طَـرَقَتْنا والرِّفاقُ هُجودُ   فباتَتْ بِعلّاتِ النّوالِ تجـودُ(١)

أما التهجد فهو السهر ، وفيه وجهان : (أحدهما) السهر بالتيقظ لما ينفى النوم ، سواء كان قبل النوم أو بعده . (الثاني) أنه السهر بعد النوم ، قاله الأسود بن علقمة .

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : فتهجد بالقرآن وقيام الليل نافلة أى فضلا وزيادة على الفرض .

وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بأنها نافلة له ثلاثة أوجه :

أحدها — تخصيصا له بالترغيب فيها والسبق إلى حيازة فضلها ، لاختصاصها بكرامته ، قاله على بن عيسى .

الثاني — لأنها فضيلة له ، ولغيره كفارة ، قاله مجاهد .

الثالث — لأنها عليه مكتوبة ولغيره مستحبة ، قاله ابن عباس .

* (عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ ربُّكَ مَقاماً مَحْمودا) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن المقام المحمود الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة ابن اليمان .

الثاني — أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة ، قاله مجاهد .

الثالث — أنه إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة .

ويحتمل قولا رابعا — أن يكون المقام المحمود شهادته على أُمّته بما أجابوه من تصديق أو تكذيب ، كما قال تعالى : « وجِئْنا بِكَ على هؤلاء شهيدًا » .

٨٠— قوله عز وجل : (وقُل رَبِّ أَدخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنى مُخرَجَ صِدق) فيه سبعة أقاويل :

(١) العلات : جمع علة وهي ما يتعلل به .

أحدها – أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها ، قاله قتادة وابن زيد .

الثاني – أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة ؛ قاله الحسن .

الثالث – أدخلني مدخلْ صدق فيما أرسلتني به من النبوة ، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق ، وهذا قول مجاهد .

الرابع – أدخلني في الإسلام مدخل صدق ، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق ، قاله أبو صالح .

الخامس – أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمنا ، قاله الضحاك .

السادس – أدخلني في قبري مدخل صدق ، وأخرجني منه مخرج صدق ، قاله ابن عباس .

السابع – أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق ، وأخرجني مما نهيتني عنه من معاصيك مخرج صدق ، قاله بعض المتأخرين .

والصدق هاهنا عبارة عن الصلاح وحسن العاقبة .

(واجْعَلْ لي مِن لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيرًا) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – يعني مُلكا عزيزا أقهر به العصاة ، قاله قتادة .

الثاني – حجة بينة ، قاله مجاهد .

الثالث – أن السلطة على الكافرين بالسيف ، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن .

ويحتمل رابعا – أن يجمع له بين القلوب بالدين وبين قهر الأبدان بالسيف.

٨١– قوله عز وجل : (وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ) فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها – أن الحق هو القرآن ، والباطل هو الشيطان ، قاله قتادة .

الثاني ـ أن الحق عبادة الله تعالى ، والباطل عبادة الأصنام ، قاله مقاتل ابن سليمان .

الثالث ـ أن الحق الجهاد ، والباطل الشرك ، قاله ابن جريج .

* (إنَّ الباطلَ كان زَهوقاً) أي ذاهبا هالكا ، قال الشاعر :

ولقد شفى نفسي وأبْرَأ سُقْمَها   إقدامُهُ قهْرا له لمْ يزهــق

وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة ورأى فيها التصاوير أمر بثوب فبُلَّ بالماء وجعل يضرب به تلك التصاوير ويمحوها ويقول « جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطل كان زهوقا » .

٨٢ـ قوله عز وجل : (ونُنَزِّلُ مِن القُرْآنِ ما هو شِفاءٌ ورَحْمَةٌ للمؤْمنينَ) يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها ـ شفاء من الضلال ، لما فيه من الهدى .

الثاني ـ شفاء من السقم ، لما فيه من البركة .

الثالث ـ شفاء في الفرائض والأحكام ، لما فيه من البيان .

وتأويل الرحمة هاهنا على الوجوه الأُوَل الثلاثة : (أحدها) أنها الهدى (الثاني) أنها البركة . (الثالث) أنها البيان .

* (ولا يَزِيدُ الظالمينَ إلاَّ خَساراً) يحتمل وجهين : (أحدهما) يزيدهم خسارا لزيادة تكذيبهم . (الثاني) يزيدهم خسارا لزيادة ما يَرِد فيه من عذابهم.

٨٣ـ قوله عز وجل : (وإذا أنْعَمْنا على الإنْسان أعْرَضَ ونَأى بجانبِهِ) يحتمل وجهين :

أحدهما ـ إذا أنعمنا عليه بالصحة والغنى أعرض ونأى وبعد من الخير.

الثاني ـ إذا أنعمنا عليه بالهداية أعرض عن السماع وبعد من القبول.

وفي قوله « ونأى بجانبه » وجهان :

أحدهما ـ أعجب بنفسه ، لأن المعجب نافر من الناس متباعد عنهم.

الثاني ـ تباعد من ربه .

• (وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ كان يَئوسا) يحتمل إياسه من الفرج إذا مسه الشر وجهين : (أحدهما) بجحوده وتكذيبه . (الثاني) بعلمه بمعصيته أنه معاقب على ذنبه .

وفي الشّر هاهنا ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه الفقر ، قاله قتادة . (الثاني) أنه السقم ، قاله الكلبي . (الثالث) السيف ، وهو محتمل .

٨٤– قوله عز وجل : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) على حِدَتِه ، قاله مجاهد . (الثاني) على طبيعته، قاله ابن عباس . (الثالث) على نيته ، قاله قتادة . (الرابع) على دينه ، قاله ابن زيد . (الخامس) على عادته . (السادس) على أخلاقه .

• (فربُّكم أَعْلَمُ بمن هو أَهْدَى سبيلا) فيه وجهان : (أحدهما) أحسن دينا . (الثاني) أسرع قبولا .

٨٥– قوله عز وجل (ويَسْأَلونَكَ عن الرُّوحِ قل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) فيها خمسة أقاويل :

أحدها — أنه جبريل عليه السلام ، قاله ابن عباس . كما قال تعالى: «نزل به الروح الأمين» .

الثاني — ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك ، قاله علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

الثالث — أنه القرآن ، قاله الحسن ، كما قال تعالى :«وكذلك أوحينا إليك رُوحا مِن أمْرِنا» فيكون معناه أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذى أنزل عليّ وليس هو مني .

الرابع — أنه عيسى بن مريم هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله ، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة .

الخامس — أنه روح الحيوان ، وهى مشتقة من الريح . قال قتادة سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيّ فقال الله تعالى : « قل الروح من أمر ربي » فلم يجبهم عنها فاحتمل ذلك ستة أوجه:

أحدها — تحقيقا لشيء إن كان في كتابهم .

الثاني — أنهم قصدوا بذلك الإعنات كما قصدوا اقتراح الآيات .

الثالث — لأنه قد يتوصل إلى معرفته بالعقل دون السمع .

الرابع — لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سؤال ما لا يعني .

الخامس — قاله بعض المتكلمين، أنه لو أجابهم عنها ووصفها بأنها جسم رقيق تقوم معه الحياة، لخرج من شكل كلام النبوة ، وحصل في شكل كلام الفلاسفة ، فقال « من أمر ربي » أى هو القادر عليه .

السادس — أن المقصود من سؤالهم عن الروح أن يتبين لهم أنه محدث أو قديم ، فأجابهم بأنه محدث لأنه قال : مِن أمر ربي ، أى من فعله وخلقه، كما قال تعالى « إنما أمرنا لشيء » .

فعلى هذا الوجه يكون جوابا لما سألوه ، ولا يكون على الوجوه المتقدمة جوابا .

* (وما أُوتيتُمْ مِن العِلْمِ إلاّ قَليلاً) فيه وجهان : (أحدهما) الا قليلا من معلومات الله . (الثاني) إلا قليلا بحسب ما تدعو الحاجة إليه حالا فحالا .

< وفيمن أُريدَ بقوله تعالى « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » قولان : (أحدهما) أنهم اليهود خاصة ، قاله قتادة . (الثاني) النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الخلق > [1] .

٨٦— قوله عز وجل : (ولئن شئْنا لنَذْهبَنَّ بالذى أوْحَيْنا إليْكَ) فيه وجهان :

أحدهما — لأذهبناه من الصدور والكتب حتى لا يقدر عليه .

الثاني — لأذهبناه بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك .

* (ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلا) فيه وجهان :

أحدهما — أى لا تجد من يتوكل في رده إليك ، وهو تأويل من قال بالوجه الأول .

الثاني — لا تجد من يمنعنا منك ، وهو تأويل من قال بالوجه الثاني .

(١) سقط من ق .

٨٧– (إلاّ رحمةً مِن ربك) أى لكن رحمة من ربك أبقاك له وأبقاه عليك.

• (إنّ فَضْلَه كان عَلَيْك كَبيراً) فيه وجهان : (أحدهما) جزيلا لكثرته (الثاني) جليلا لعظيم خطره.

٩٠– قوله عز وجل : (وقالوا لنْ نُؤْمنَ لك حتى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأرضِ يَنْبُوعاً) التفجير تشقيق الأرض لينبع الماء عنها ، ومنه سميَ الفجر لأنه ينشق عن عمود الصبح ، ومنه سمى الفجور لأنه شق الحق بالخروج إلى الفساد.

واليبنوع : العين التى ينبع منها الماء . قال قتادة ومجاهد : طلبوا عيونا ببلدهم .

٩١– (أوْ تَكونَ لَكَ جَنَةٌ مِنْ نَخيلٍ وعِنَبٍ) سألوا ذلك في بلد ليس ذلك فيه .

٩٢– (أو تُسْقِطَ السماءَ كما زَعَمْتَ علينا كِسَفاً) أى قطعا . قرئُ بتسكين السين وفتحها ، فمن قرأ بالتسكين أراد السماء جميعها ، ومن فتح السين جعل المراد به بعض السماء . وفي تأويل ذلك وجهان :

أحدهما – يعنى حيزا ، حكاه ابن الأنبارى ، ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء .

الثاني – يعنى قطعا ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . والعرب تقول: اعطنى كسفة من هذا الثوب أى قطعة منه . ومن هذا الكسوف لانقطاع النور منه ، وعلى الوجه الثاني لتغطيته بما يمنع من رؤيته .

• (أو تأْتِيَ باللهِ والملائكةِ قَبيلاً) فيه أربعة أوجه :

أحدها – يعنى كل قبيلة على حدتّها ، قاله الحسن .

الثاني – يعنى مقابلة،نعاينهم ونراهم ، قاله قتادة وابن جريج .

الثالث – كفيلا ، والقبيل الكفيل ، من قولهم تقبلت كذا أى تكفلت به ، قاله ابن قتيبة .

الرابع – مجتمعين ، مأخوذ من قبائل الرأس لاجتماع بعضه إلى بعض ومنه سميت قبائل العرب لاجتماعها ، قاله ابن بحر .

٩٣– قوله عز وجل : (أو يكونَ لك بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ) فيه وجهان :

أحدهما – أن الزخرف النقوش ، وهذا قول الحسن .

الثاني – أنه الذهب ، وهذا قول ابن عباس وقتادة . قال مجاهد : لم أكن أدرى ما الزخرف حتّى سمعنا في قراءة عبد الله : بيت من ذهب .

وأصله من الزخرفة وهو تحسين الصورة ، ومنه قوله تعالى : « حتّى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازّيّنَتْ»(١) .

والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك نفر من قريش قال ابن عباس : هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والأسـود بن عبد المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أمية والعاص بن وائل وأُمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

٩٤– قوله تعالى: (وما مَنَعَ النّاسَ أنْ يُؤْمِنوا)يعني برسول الله صلى الله عليهوسلم.

* (إذ جاءَهم الهُدى) يحتمل وجهين : (أحدهما) القرآن . (الثاني) الرسول .

* (إلا أنْ قالوا أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولا) وهذا قول كفار قريش أنكروا أن يكون البشر رُسُل الله تعالى ، وأن الملائكة برسالاته أخص كما كانوا رسلا إلى أنبيائه ، فأبطل الله تعالى عليهم ذلك بقوله :

٩٥– (قُلْ لو كان في الأرْضِ مَلائكةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئنّينَ لَنَزّلْنا عليهم مِن السماءِ مَلَكاً رَسولا) يعني أن الرسول إلى كل جنس يأنس بجنسه ، وينفر من غير جنسه ، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته ولما أنسوا به ولداخلهم من الرهب منه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سؤاله ، فلا تعمّ المصلحة. ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا لست ملكا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك ، وعادوا إلى مثل حالهم .

(١) الآية ٢٤ من سورة يونس .

٩٧- قوله عز وجل : (ومَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المهْتَدِي) معناه من يحكم الله تعالى بهدايته فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته .

• (ومَنْ يُضْلِلْ فلن تجِدَ لهمْ أوْلياءَ مِنْ دُونِه) فيه وجهان :

أحدهما — ومن يحكم بضلاله فلن تجد له أولياء من دونه في هدايته.

الثاني — ومن يقضِ الله تعالى بعقوبته لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

• (ونحْشُرهُم يَوْمَ القيامةِ عَلَى وُجوهِهِمْ) فيه وجهان :

أحدهما — أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ، من قول العرب : قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا .

الثاني — أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم كمن يَفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه .

• (عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً) فيه وجهان:

أحدهما — أنهم حشروا في النار عُمْيَ الأبصار بكم الألسن صُمَّ الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم ، ثم أبصروا لقوله تعالى : « ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مُواقِعوها» . وتكلموا لقوله تعالى « دعَوا هنالك ثبورا» . وسمعوا ، لقوله تعالى : « سمعوا لها تغيُّظاً وزفيرا» .

وقال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم : « اخسئوا فيها ولا تُكلِّمُون» صاروا عميا لا يبصرون ، صُمّاً لا يسمعون ، بكما لا يفقهون .

الثاني — أن حواسهم على ما كانت عليه ، ومعناه عمي عما يسرّهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم ، صم عما يمتعهم ، قاله ابن عباس والحسن .

• (مأواهُمْ جَهنّمُ) يعني مستقرهم جهنم .

• (كلّما خَبَتْ زِدْناهم سَعيرًا) فيه وجهان : (أحدهما) كلما طفئت أوقدت ، قاله مجاهد . (الثاني) كلما سكن التهابها زدناهم سعيرا والتهابا ، قاله الضحاك ، قال الشاعر [1] :

---

(١) هو القطامي . وهذا البيت في اللسان (سدع) .

وكُنّا كالحريقِ أصابَ غـاباً فيَخْبُو ساعةً ويَهُبُّ ساعَا

وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف من عذابهم .

١٠٠ـقوله عز وجل : (قُلْ لوْ أنْتُمْ تمْلِكُونَ خزَائنَ رحمةِ ربّى) فيها وجهان : (أحدهما) خزائن الأرض الأرزاق، قاله الكلبي . (الثاني) خزائن النعم ، وهذا أعم .

* (إذاً لأَمْسَكْتُم خَشْيَةَ الإنفاق) فيه وجهان :

أحدهما ـ لأمسكتم خشية الفقر ،والإنفاق الفقر ،قاله قتادة وابن جريج.

الثاني ـ يعنى أنه لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله تعالى لما جاد بها كجود الله تعالى لأمرين : (أحدهما) أنه لابدّ أن يُمْسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته . (الثاني) أنه يخاف الفقر ويخشى العدم ، والله عز وجل يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين .

* (وكان الإنسانُ قَتُوراً) فيه تأويلان : (أحدهما) مقتّرا ، قاله قطرب والأخفش . (الثاني) بخيلا ، قاله ابن عباس وقتادة .

واختلف في هذه الآية على قولين : (أحدهما) أنها نزلت في المشركين خاصة ، قاله الحسن . (الثاني) أنها عامة ، وهو قول الجمهور.

١٠١ـقوله تعالى (ولقد آتيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بيِّنات) فيها أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس ، والأخرى الحجَر ، قاله محمد بن كعب القرظى .

الثالث ـ أنها نحو من ذلك،وزيادة السنين ونقص من الثمرات ، وهو قول الحسن .

الرابع ـ ما روى صفوان بن عسّال عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوما من اليهود سألوه عنها فقال: لا تشركوا بالله شيئاً،ولا تسرقوا،ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق،ولا تسحروا،ولا تأكلوا الربا،ولا تمشوا

ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تفرّوا من الزحف . وأنتم يا يهود خاصة لا تَعْدُوا في السبت . فقبّلوا يده ورجله(١) .

* (فاسْأل بنى إسرائيل...) وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه : (أحدها) ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم . (الثاني) فانظر ما في القرآن من أخبار بنى اسرائيل فهو سؤالهم ، قاله الحسن. (الثالث) إنه خطاب لموسى عليه السلام أن يسأل فرعون في إطلاق بنى إسرائيل قاله ابن عباس .

* وفي قوله : (... إني لأَظُنُّكَ يا موسى مَسْحُوراً) أربعة أوجه: (أحدها) قد سُحِرْتَ لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين. (الثاني) يعنى ساحرا لغرائب أفعالك . (الثالث) مخدوعا . (الرابع) مغلوبا، قاله مقاتل .

١٠٢ــ (... وإني لأَظُنُك يا فرعون مثبورا) فيه خمسة أوجه :

أحدها ــ مغلوبا ، قاله الكلبي ومقاتل . وقال الكميْت :

ورأتْ قضاعةُ في الأيـــا مِنِ رأيَ مَثْبورٍ وثـــابر

الثاني ــ هالك ، وهو قول قتادة .

الثالث ــ مبتلى ، قاله عطية .

الرابع ــ مصروفا عن الحق ، قاله الفراء .

الخامس ــ ملعونا ، قاله أبان بن تغلب وأنشد :

يا قومنا لا ترموا حربنا سَفَهاً إنّ السّفاه وإن البَغْيَ مثبور

١٠٣ــ قوله عز وجل : (فأرادَ أنْ يَسْتَفِزَّهُم مِنَ الأرضِ) فيــه وجهــان : (أحدهما) يزعجهم منها بالنفي عنها ، قاله الكلبي . (الثاني) يهلكهم فيها بالقتل . ويعنى بالأرض أرض مصر وفلسطين(٢) والأردن .

(١) رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي حسن صحيح .
(٢) ســقط مــن ق .

١٠٤ــقوله عز وجل : (... فإذا جاءَ وعْد الآخرة) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها ــ وعد الإقامة وهى الكرة الآخرة ، قاله مقاتل .

الثاني ــ وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام .

الثالث ــ نزول عيسى عليه السلام من السماء ، قاله قتادة .

* (جئنا بكم لَفيفاً) فيه تأويلان : (أحدهما) مختلطين لا تتعارفون ، قاله رزين . (الثاني) جئنا بكم جميعا من جهات شتى ، قاله ابن عباس وقتادة. مأخوذ من لفيف الناس .

١٠٥ــقوله عز وجل : (وبالحقِّ أنْزَلْناهُ وبالحقِّ نَزَلَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن إنزاله حق . (الثاني) أن ما تضمنه من الأوامر والنواهى والوعد والوعيد حق .

« وبالحق نزل» يحتمل وجهين (أحدهما) وبوحينا نزل . (الثاني) على رسولنا نزل .

* (وما أَرْسَلْناك إلاّ مُبَشّرا ونَذيراً) يعنى مبشرا بالجنة لمن أطاع الله تعالى ، ونذيرا بالنار لمن عصى الله تعالى .

١٠٦ــقوله عز وجل : (وقرآنا فَرَقْناه) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ فرقنا فيه بين الحق والباطل ، قاله الحسن.

الثاني ــ فرّقناه بالتشديد وهى قراءة ابن عباس أى نزل مفرّقا آية آية وهى كذلك في مصحف ابن مسعود وأبيّ بن كعب: فرقناه عليك .

الثالث ــ فصّلناه سُوَرا وآيات متميزة ، قاله ابن بحر .

(لتقرأه على الناس على مُكْثٍ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ يعنى على تثبت وترسّل ، وهو قول مجاهد .

الثاني ــ أنه كان ينزل منه شيء، ثم يمكثون بعده ما شاء الله ، ثم ينزل شيء آخر .

الثالث — أن يمكث في قراءته عليهم مفرقا شيئاً بعد شيء، قاله أبو مسلم.

١٠٧—قوله عز وجل : (قلْ آمِنوا به أوْ لا تُؤْمِنوا) يعني القرآن،وهذا من الله تعالى على وجه التبكيت لهم والتهديد ، لا على وجه التخيير .

* (إن الذين أُوتوا العلم مِنْ قَبْلِهِ) فيهم وجهان : (أحدهما) أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله الحسن . (الثاني) أنهم أناس من اليهود، قاله مجاهد .

* (إذا يُتلى عليهم يَخِرُّون للأذْقانِ سُجَّدًا) فيه قولان (أحدهما) كتابهم إيمانا بما فيه من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم . (الثاني) القرآن كان أناس من أهل الكتاب إذا سمعوا ما أُنزل منه قالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله «يخرّون للأذقان» ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الأذقان مجتمع اللحيين . (الثاني) أنها هاهنا الوجوه ، قاله ابن عباس وقتادة . (الثالث) أنها اللحى ، قاله الحسن .

١١٠—قوله عز وجل : (قل ادْعوا اللهَ أو ادْعوا الرحمن أيّا ما تدْعوا فله الأسماءُ الحسنى) في سبب نزولها قولان :

أحدهما — قاله الكلبي ،أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلا وهو في التوراة كثير ، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن ، وأحبّوا أن يكون كثيرا فنزلت .

الثاني — ما قاله ابن عباس أنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون هذا يزعم أن له إلها واحدا وهو يدعو مثنى ، فنزلت الآية .

* (ولا تجْهَرْ بصلاتك ولا تُخافِتْ بها وابْتَغِ بَيْنَ ذلكَ سَبيلاً) فيه قولان :

أحدهما — أنه عني بالصلاة الدعاء ، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك

ولا تخافت به ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها ومكحول. قال ابراهيم: لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أولا ترجع إليهم أبصارهم .

الثاني — أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة ، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقاويل :

أحدها — أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان يجهر بالقراءة جهرا شديدا ، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر، وأنلا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويبتغي بين ذلك سبيلا ، قاله ابن عباس .

الثاني — أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار .

الثالث — أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة ، قاله ابن سيرين .

الرابع — أنه نهى عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته بمكة فتؤذيه قريش ، فخافَتَ بها واستسرّ ، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار ، ويبتغي بين ذلك سبيلا ، قاله عكرمة .

الخامس — يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائيا بها في العلانية ، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة ، قال الحسن : تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها.

وقيل : لا تصلّها رياءً ولا تتركها حياء . والأول أظهر .

روى أن أبا بكر الصديق كان إذا صلى خفض من صوته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم تفعل هذا ؟ قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي ، فقال صلى الله عليه وسلم: أحسنت . وكان عمر بن الخطاب يرفع صوته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم تفعل هذا ؟ فقال أُوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحسنت . فلما نزلت هذه الآية قال لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقال لعمر : اخفض شيئاً(١).

---

(١) اخرجه ابو داود الترمذي وابن حبان والحاكم والطبري .

١١١ـقوله تعالى : (وقلِ الحمْدُ لله الذى لم يتّخِذْ وَلَدَاً) يحتمـل وجهـين : (أحدهما) أمره بالحمد لتنزيه الله تعالى عن الولـد . (الثاني) لبطلان ما قرنه المشركون به من الولد .

• (ولم يكُنْ له شَريكٌ في الملْكِ) لأنه واحد لا شريك له في ملك ولا عبادة .

• (ولم يكن له وليٌّ من الذل) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لم يحالف أحدا. (الثاني) لا يبتغى نصر أحد . (الثالث) لم يكن له وليٌّ من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس ، قاله الكلبي .

• (وكَبِّرْهُ تكْبيرًا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) صِفْه بأنه أكبر من كل شيء . (الثاني) كبّره تكبيرا عن كل ما لا يجوز في صفته . (الثالث) عظمْه تعظيما والله أعلم .

سورة الكهف

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهى قوله تعالى : «واصبر نفسك» .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله عز وجل : (الحمدُ لله الذى أنْزَلَ علىَ عَبْدِهِ الكِتابَ) يعنى على محمد القرآن ، فتمدح بإنزاله لأنه أنعم عليه خصوصا ، وعلى الخلق عموما .

• (ولم يجْعَلْ له عِوَجاً) في « عوجا » ثلاثة تأويلات :

أحدها — يعنى مختلفا ، قاله مقاتل ، ومنه قول الشاعر :

أدُومُ بوُدِّى للصديق تكرُّماً ولا خيرَ فيمن كان في الودّ أعْوجا

الثاني — يعنى مخلوقا ، قاله ابن عباس .

الثالث — أنه العدول عن الحق إلى الباطل ، وعن الاستقامة إلى الفساد، وهو قول على بن عيسى .

والفرق بين العِوَج بالكسر والعَوَج بالفتح أن العِوج بكسر العين ما كان في الدين وفي الطريق وفيما ليس بقائم منتصب ، والعَوج بفتح العين ما كان في القناة والخشبة وفيما كان قائما منتصبا .

٢ — (قَيِّما) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه المستقيم المعتدل ، وهذا قول ابن عباس والضحاك . (الثاني) أنه قيم على سائر كتب الله تعالى يصدقها وينفى الباطل عنها . (الثالث) أنه المعتمد عليه والمرجوع إليه كقيم الدار الذى يرجع إليه في أمرها ، وفيه تقديم وتأخير في قول الجميع وتقديره : أنزل الكتاب على عبده قيما ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيما .

• (لِيُنْذِرَ بأساً شديدا مِن لَدُنْه) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه عذاب الاستئصال في الدنيا . (الثاني) أنه عذاب جهنم في الآخرة .

٦ – قوله عز وجل : (فَلَعَلَّكَ باخعٌ نَفْسَكَ على آثارِهم) فيه وجهان :
أحدهما – قاتل نفسك ، ومنه قول ذى الرُّمَّة :

ألا ايهذا الباخعُ الوجْدُ نفْسَه   بشيءٍ نَحَتْهُ عن يديْه المقَادِرُ

الثاني – أن الباخع المتحسر الأسِف ، قاله ابن بحر .

• (على آثارِهم) فيه وجهان : (أحدهما) على آثار كفرهم . (الثاني) بعد موتهم .

• (إنْ لم يُؤْمِنوا بهذا الحديث أسَفاً) يريد إن لم يؤمن كفار قريش بهذا الحديث يعني القرآن .

« أسَفا » فيه أربعة تأويلات : (أحدها) أى غضبا ، قاله قتادة .(الثاني) جزعا ، قاله مجاهد. (الثالث) أنه غمّا ، قاله السدى. (الرابع) حزنا ، قاله الحسن ، وقد قال الشاعر :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما   يَضُمُّ إلى كشْحَيْه كفاً مُخَضَّبا

٧ – قوله عز وجل : (إنا جَعَلْنا ما على الأرض زينةً لها) فيه خمسة أوجه :
أحدها – أنها الأشجار والأنهار التي زين الله الأرض بها ، قاله مقاتل.
الثاني – أنهم الرجال لأنهم زينة الأرض ، قاله الكلبي .
الثالث – أنهم الأنبياء والعلماء ، قاله القاسم .
الرابع – أن كل ما على الأرض زينة لها ، قاله مجاهد .
الخامس – أن معنى «زينة لها» أى شهوات لأهلها تزين في أعينهم وأنفسهم.

• (لنبلُوَهم أيُّهم أحْسَنُ عملاً) فيه ثلاثة أوجه :
أحدها – أيهم أحسن إعراضا عنها وتركا لها ، قاله ابن عطاء .
الثاني – أيهم أحسن توكلا علينا فيها ، قاله سهل بن عبد الله .
الثالث – أيهم أصفى قلباً وأهدى سمتا .
ويحتمل رابعا – لنختبرهم أيهم أكثر اعتبارا بها .
ويحتمل خامسا – لنختبرهم في تجافي الحرام منها .

٨ – قوله عز وجل : ﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صَعيدا جُرُزًا﴾ في الصعيد ثلاثة أقاويل :

أحدها – الأرض المستوية ، قاله الأخفش ومقاتل .

الثاني – هو وجه الأرض لصعوده ، قاله ابن قتيبة .

الثالث – أنه التّراب ، قاله أبان بن تغلب .

وفي الجُرُز أربعة أوجه (أحدها) بلقعا ، قاله مجاهد . (الثاني) ملساء ، وهو قول مقاتل . (الثالث) محصودة ، وهو قول ابن بحر . (الرابع) أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع قال الراجز :

قد جَرَفَتْهُنَّ السِّنونُ الأَجْرازْ[1]

٩ – قوله عز وجل : ﴿أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحابَ الكهْفِ والرّقيم كانوا مِن آياتنا عَجَباً﴾ أما الكهف فهو غار في الجبل الذى أوى إليه القوم . وأما الرقيم ففيه سبعة أقاويل :

أحدها – أنه اسم القرية التي كانوا منها ، قاله ابن عباس .

الثاني – انه اسم الجبل ، قاله الحسن .

الثالث – انه اسم الوادى ، قاله الضحاك . قال عطية العوفي : هو واد بالشام نحو أيلة . وقد روى أن اسم جبل الكهف بناجلوس ، واسم الكهف ميرم واسم المدينة افسوس ، واسم الملك دقيانوس .

الرابع – انه اسم كلبهم ، قاله سعيد بن جبير ، وقيل هو اسم لكل كهف .

الخامس – أن الرقيم الكتاب الذى كتب فيه شأنهم ، قاله مجاهد ، مأخوذ من الرقم في الثوب . وقيل كان الكتاب لوحا من رصاص على باب الكهف ، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم .

السادس – الرقيم الدواة بالرومية ، قاله أبو صالح .

---

(١) ورد في اللسان هكذا وغير منسوب .

السابع ـ أن الرقيم قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أصحاب الكهف ، قاله سعيد بن جبير .

• (كانوا مِنْ آياتِنا عَجَباً) فيه وجهان :

أحدهما ـ معناه ما حسبت أنهم كانوا من آياتنا عجبا لولا أن أخبرناك وأوحينا إليك .

الثاني ـ معناه أحسبت أنهم أعجب آياتنا وليسوا بأعجب خلقنا ، قاله مجاهد .

١٠ـ قوله عز وجل : (إذْ أوَى الفِتْيَةُ إلى الكَهْفِ) اختلف في سبب إيوائهم إليه على قولين :

أحدهما ـ أنهم قوم هربوا بدينهم إلى الكهف ، قاله الحسن . (فقالوا ربنا آتنا من لدنْك رحمَةً وهيِّئْ لنا مِن أمْرِنا رَشَدًا .)

الثاني ـ أنهم أبناء عظماء وأشراف خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد ، فقال أسَنُّهم : إني أجد في نفسي شيئاً ما أظن أحدا يجده ، إن ربي رب السموات والأرض ، (فقالوا) جميعا (ربُّنا ربُّ السّمواتِ والأرْضِ لن نَدْعُوَ مِن دونِه إلها لقدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً) ثم دخلوا الكهف فلبثوا فيه ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعا ، قاله مجاهد .

قال ابن قتيبة : هم أبنـــاء الروم دخلوا الكهف قبـــل عيسى ، وضرب الله تعالى على آذانهم فيه ، فلما بعث الله عيسى أخبر بخبرهم ، ثم بعثهم الله تعالى بعد عيسى في الفترة التي بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي « شططا » ثلاثة أوجه : (أحدها) كذبا ، قاله قتادة . (الثاني) غلوّا ، قاله الأخفش . (الثالث) جورا ، قاله الضحاك .

١١ـ قوله عز وجل : (فضَرَبْنا على آذانِهم في الكهْفِ سِنينَ عَدَدًا) والضرب على الآذان هو المنع من الاستماع ، فدل بهذا على أنهم لم يموتوا وكانوا نياما. « سنين عددا » فيه وجهان : (أحدهما) إحصاء . (الثاني) سنين كاملة ليس فيها شهور ولا أيام .

وإنما ضرب الله تعالى على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم لئلا يسمعوا ما يوقظهم من نومهم .

١٢ـ قوله عز وجل : (ثم بَعَثْناهم) الآية . يعني بالبعث إيقاظهم من رقدتهم.

* (لِنعلَم) أى لننظر (أى الحِزْبَيْنِ أحصى لما لبثوا أمَداً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) عددا ، قاله مجاهد . (الثاني) أجَلا ، قاله مقاتل . (الثالث) الغاية ، قاله قطرب .

وفي الحزبين أربعة أقاويل :

أحدها ـ أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية ، قاله مجاهـــد .

الثاني ـ أن أحد الحزبين الفتية ، والثاني من حضرهم من أهل ذلك الزمان .

الثالث ـ أن أحد الحزبين مؤمنون ، والآخر كفار .

الرابع ـ أن أحد الحزبين الله تعالى ، والآخر الخلق ، وتقديره : أنتم أعْلَمُ أم الله .

١٤ـ قوله عز وجل : (ورَبَطْنا على قُلوبِهم...) فيه وجهان :

أحدهما ـ ثبتناها .

الثـــاني ـ ألهمناها صبرا ، قاله اليزيدى .

* (... لقد قلنا إذاً شططا) فيه وجهان : (أحدهما) غُلُوّاً . (الثاني) تباعدا .

١٥ـ قوله تعالى (... لولا يأتون عليهم بسلطانٍ بيّنٍ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) بحجة بينة ، قاله مقاتل ، (الثاني) بعذر بيّن ، قاله قتادة . (الثالث) بكتاب بيّن ، قاله الكلبي .

١٦– قوله تعالى (... ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) فيه وجهان : (أحدهما) سعة . (الثاني) معاشا .

ويحتمل ثالثا – يعني خلاصا . ويقرأ « مرفقا » بكسر الميم وفتح الفاء، ومَرفِقا بفتح الميم وكسر الفاء ، والفرق بينهما أنه بكسر الميم وفتح الفاء إذا وصل إليك من غيرك ، وبفتح الميم وكسر الفاء إذا وصل منك إلى غيرك.

١٧– قوله عز وجل : (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فيه وجهان : (أحدهما) تعرض عنه فلا تصيبه . (الثاني) تميل عن كهفهم ذات اليمين .

« وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال» فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – معنى تقرضهم تحاذيهم ، والقرض المحاذاة ، قاله الكسائي والفراء .

الثاني – معناه تقطعهم ذات الشمال أى أنها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك قرضته بالمقراض أى قطعته .

الثالث – معناه تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها ، مأخوذ من قرض الدراهم التى ترد لأنهم كانوا في مكان موحش . وقيل لأنه لم يكن عليهم سقف يظلهم ولو طلعت عليهم لأحرقتهم .

وفي انحرافها عنهم في الطلوع والغروب قولان :

أحدهما – لأن كهفهم كان بإزاء بنات نعش فلذلك كانت الشمس لا تصيبه في وقت الشروق ولا في وقت الغروب ، قاله مقاتل .

الثاني – أن الله تعالى صرف الشمس عنهم لتبقى أجسامهم وتكون عبرة لمن يشاهدهم أو يتصل به خبرهم .

* (وهم في فجوة منه) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) يعني في فضاء منه ، قاله قتادة . (الثاني) داخل منه ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) أنه المكان الموحش. (الرابع) أنه ناحية متسعة ، قاله الأخفش ، ومنه قول الشاعر :

ونحن ملأْنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ رِجالاً وخيْلاً غَيْرَ مِيلٍ [١] ولاعُزْلِ

١٨ــ قوله عز وجل : (وتَحْسَبُهم أيْقاظاً وهم رُقودٌ) الأيقاظ: المتنبهون ، قال الراجز :

قد وجدوا إخوانهم أيقاظا والسيف غيـاظ لهم غيـــاظا

والرقود : النيام . قيل إن أعينهم كانت مفتوحة ويتنفسون ولا يتكلمون.

* (ونُقَلِّبُهم ذاتَ اليمين وذاتَ الشِّمالِ) يعني نقلب النيام لأنهم لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض لطول مكثهم . وقيل إنهم كانوا يقلبون في كل عام مرتين ، ستة أشهر على جنب . وستة أشهر على جنب آخر ، قاله ابن عباس.

قال مجاهد : إنما قلبوا تسع سنين بعد ثلاثمائة سنة لم يقلبوا فيها .

وفيما تحسبهم من أجله أيقاظا وهم رقود قولان : (أحدهما) لانفتاح أعينهم. (الثاني) لتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .

* (وكَلْبُهم باسِطٌ ذِراعيْه بالوَصِيدِ) في كلبهم قولان :

أحدهما ــ أنه كلب من الكلاب كان معهم ، وهو قول الجمهور. وقيل إن اسمه كان حمران .

الثاني ــ أنه إنسان من الناس كان طباخاً لهم تبعهم ، وقيل بل كان راعيا.

وفي الوصيد خمسة تأويلات : (أحدها) أنه العَتَبة . (الثاني) انه الفناء قاله ابن عباس . (الثالث) أنه الحظير ، حكاه اليزيدى . (الرابع) أن الوصيد والصعيد التّراب ، قاله سعيد بن جبير . (الخامس) أنه الباب ، قاله عطية، وقال الشاعر [٢] :

بأرض فضاءٍ لا يُسَدُّ وَصيدها عليَّ ومَعْروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

وحكى جرير بن عبيد أنه كان كلبا ربيبا صغيرا . قال محمد بن إسحاق كان أصفر اللون .

---

(١) الميـل : جمع أميـل وهـو الجبـان .

(٢) هو زهير بن ابي سلمي . يقول نزلت في أرض خالية من البناء تصلني فيها الضيفان والعفاة، ليس فيها بناء له وصيد فيسد علي فتنحجب عني الضيفان كأهل الحضر ، واحساني بها معروف لا ينكر .

• ﴿لو اطَّلَعْتَ عليهم لَوَلَّيْتَ منهم فِرارًا ولَمُلِئْتَ منهم رُعْبا﴾ فيه وجهان : (أحدهما) لطول أظفارهم وشعورهم يأخذه الرعب منهم فزعا. (الثاني) لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة التى ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله .

حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : غزوت مع معاوية رضى الله عنه في بحر الروم فانتهينا إلى الكهف الذى فيه أصحاب الكهف ، فقال معاوية أريد أن أدخل عليهم فانظر إليهم ، فقلت ليس هذا لك فقد منعه الله من هو خير منك ، قال تعالى : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا » الآية . فأرسل جماعة إليهم فلما دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحا أخرجتهم.

وقيل إن هذه المعجزة في قومهم كانت لنبى قيل إنه كان أحدهم وهو الرئيس الذى اتبعوه وآمنوا به .

١٩– قوله عز وجل : ﴿وكذلك بَعَثْناهم﴾ يعنى به إيقاظهم من نومهم .

قال مقاتل : وأنام الله تعالى كلبهم معهم .

• ﴿ليتساءلوا بَيْنَهم قال قائلٌ منهم كم لَبِثْتُم﴾ ليعلموا قدر نومهم.

• ﴿قالوا لبثْنا يوماً أو بَعْضَ يَوْمٍ﴾ كان السائل منهم أحدهم ، والمجيب له غيره ، فقال لبثنا يوما لأنه أطول مدة النوم المعهود ، فلما رأى الشمس لم تغرب قال « أو بعض يوم» لأنهم أنيموا أول النهار ونبهوا آخره .

• ﴿قالوا ربُّكم أعْلَمُ بما لبثم﴾ وفي قائله قولان : (أحدهما) أنه حكاية عن الله تعالى أنه أعلم بمدة لبثهم . (الثاني) أنه قول كبيرهم مكسلمينا حين رأى الفتية مختلفين فيه فقال « ربكم أعلم بما لبثم » فنطق بالصواب ورد الأمر إلى الله عالمه ، وهذا قول ابن عباس .

• ﴿فابْعَثُوا أحَدَكم بوَرِقِكم هذه إلى المدينة﴾ قرىء بكسر الـراء وبتسكينها ، وهو في القراءتين جميعا الدراهم . وأما الورَق بفتح الراء فهى الإبل والغنم ، قال الشاعر :

إيَّاكَ أدْعو فتقبل مَلَقي كَفِّرْ خَطايايَ وثَمِّرْ وَرَقي

يعنى إبله وغنمه .

* (فليَنْظُر أيُّها أزْكى طعاماً) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) أيها أكثر طعاما ، وهذا قول عكرمة . (الثاني) أيها أحل طعاما وهذا قول قتادة . (الثالث) أطيب طعاما ، قاله الكلبي . (الرابع) أرخص طعاما .

* (فلْيأتِكم برزْقٍ مِنْه) فيه وجهان : (أحدهما) بما ترزقون أكله . (الثاني) بما يحل لكم أكله .

* (ولْيتلَطّفْ...) يحتمل وجهين : (أحدهما) وليسترخص. (الثاني) وليتلطف في إخفاء أمركم . وهذا يدل على جواز اشتراك الجماعة في طعامهم وإن كان بعضهم أكثر أكلا وهى المناهدة ، وكانت مستقبحة في الجاهلية فجاء الشرع بإباحتها .

٢٠– قوله عز وجل : (إنهم إنْ يَظْهَروا عليكم يرْجُموكمْ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يرجموكم بأيديهم استنكارا لكم ، قاله الحسن . (الثاني) بألسنتهم غيبة لكم وشتما ، قاله ابن جريج . (الثالث) يقتلوكم . والرجم القتل لأنه أحد أسبابه .

* (أو يُعيدوكم في مِلّتِهِمْ) يعنى في كفرهم.

* (ولن تُفْلِحوا إذاً أبَداً) إن أعادوكم في ملتهم .

٢١– قوله عز وجل : (وكذلك اعْثَرْنا عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) أظهرنا أهل بلدهم عليهم . (الثاني) أطلعنا برحمتنا إليهم .

* (ليَعْلَموا أنّ وعْدَ اللهِ حقٌّ...) يحتمل وجهين :

أحدهما – ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء ، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياءً قادر على إحياء من أماته وأقبره .

الثاني – معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم.

* (إذ يتنازَعُونَ بيْنهم أمْرَهم) ذلك أنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها وطعام، استنكروا شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل إلى الملك وكان صالحا قد آمن ومن معه ، فلما نظر إليه قال : لعل هذا من الفتية الذين خرجوا علي عهد دقيانوس الملك فقد كنتُ أدعو الله

أن يريناهم ، وسأل الفتى فأخبره فانطلق والناس معه إليهم ، فلما دنوا من أهل الكهف وسمع الفتية كلامهم خافوهم ووصى بعضهم بعضا بدينهم فلما دخلوا عليهم أماتهم الله ميتة الحق ، فحينئذٍ كان التنازع الذى ذكره الله تعالى فيهم.

وفي تنازعهم قولان : (أحدهما) أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى. (الثاني) انهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنيانا يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجدا .

وقيل إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب ، فأتاه آت منهم في المنام فقال : أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعنا .

٢٢- قوله عز وجل : (سيقولون ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم ويقولون خمسةٌ سادسهم كلبُهم رجما بالغيب ويقولونَ سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم) فأدخل الواو على انقطاع القصة لأن الخبر قد تم .

(قلْ ربي أعلَمُ بعدّتهم ما يعلَمهم إلاّ قليلٌ) في المختلفين في عددهم قولان : (أحدهما) أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم . (الثاني) أنهم أهل الكتاب بعد طول العهد بهم .

وقوله تعالى « رجما بالغيب » قال قتادة قذفا بالظن ، قال زهير :

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتُمُ   وما هو عنها بالحديث المُرجّم

وقال ابن عباس : أنا من القليل الذى استثنى الله تعالى : كانوا سبعة وثامنهم كلبهم .

وقال ابن جريج ومحمد بن إسحاق : كانوا ثمانية ، وجعلا قوله تعالى: وثامنهم كلبهم» أى صاحب كلبهم .

وكتب قومهم أسماءهم حين غابوا ، فلما بان أمرهم كتبت أسماؤهم على باب الكهف . قال ابن جريج : اسماؤهم مكسلمينا ويمليخا وهو الذى

مضى بالورِق يشتّرى به الطعام ، ومطرونس ، ومحسيميلنينا ، وكشوطوش وبطلنوس ويطونس ويبرونس .

قال مقاتل : وكان الكلب لمكسلمينا وكان أسنهم وكان صاحب غنم.

* (فلا تُـمارِ فيهم إلاّ مِـراءً ظاهرا) فيه خمسة أوجه :

أحدها — إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم ، قاله مجاهد .

الثاني — حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم ، فلاتسألني عن إظهار غيره، قاله قتادة .

الثالث — إلا مِراء ظاهرا يعني بحجة واضحة وخبر صادق ، قاله على ابن عيسى .

الرابع — لا تجادل فيهم أحدا الا أن تحدثهم به حديثا،قاله ابن عباس.

الخامس — هو أن تشهد الناس عليهم .

* (ولا تستَفْتِ فيهم منهم أَحَدًا) فيه وجهان :

أحدهما — ولا تستفت يا محمد فيهم أحدا من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة .

الثاني — أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ونهي لأمته .

٢٣ و٢٤— قوله عز وجل : (ولا تَقولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً) إلاّ أن يشاءَ اللهُ) قال الأخفش : فيه إضمار وتقديره : إلا أن تقول إن شاء الله، وهذا وإن كان أمرا فهو على وجه التأديب والأرشاد أن لا تعزم على أمر إلا أن تقرنه بمشيئة الله تعالى لأمرين(١) :

أحدهما — ان العزم ربما صد عنه بمانع فيصير في وعده مخلفا وفي قوله كاذبا،قال موسى عليه السلام: «ستجدني إن شاء الله صابرا» ولم يصبر ولم يكن كاذبا لوجود الاستثناء في كلامه .

الثاني — إذعانا لقدرة الله تعالى،وإنه مدبر في أفعاله بمعونة الله وقدرته.

الثالث — يختص بيمينه إن حلف وهو سقوط الكفارة عنه إذا حنث .

(١) لكن المؤلف يذكر أمرا ثالثا ، ولعل الصواب : لثلاثة أمور .

(واذْكرْ ربَّك إذا نَسيتَ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – انك إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليذكرك إياه ، فإن فعل فقد أراد منك ما ذكرك ، وإلا فسيدلك على ما هو أرشد لك مما نسيته، قاله بعض المتكلمين .

الثاني – واذكر ربك إذا غضبت ، قاله عكرمة ، ليزول عنك الغضب عند ذكره .

الثالث – واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله في يمينك.

وفي الذكر المأمور به قولان :

أحدهما – أنه ما ذكره في بقية الآية (وقل عسى أن يهديني ربي لأقربَ من هذا رشدا) .

الثاني – انه قول إن شاء الله الذى كان نسيه عند يمينه .

واختلفوا في ثبوت الاستثناء بعد اليمين على خمسة أقاويل :

أحدها – أنه يصح الاستثناء بها إلى سنة ، فيكون كالاستثناء بها مع اليمين في سقوط الكفارة ولا يصح بعد السنة ، قاله ابن عباس .

الثاني – يصح الاستثناء بها في مجلس يمينه ، ولا يصح بعد فراقه ، قاله الحسن وعطاء .

الثالث – يصح الاستثناء بها ما لم يأخذ في كلام غيره .

الرابع – يصح الاستثناء بها مع قرب الزمان ، ولا يصح مع بعده .

الخامس – أنه لا يصح الاستثناء بها إلا متصلا بيمينه وهو الظاهر من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله .

٢٥– قوله عز وجل (ولَبِثوا في كهْفِهم ثلاثَمِائةٍ سِنِينَ وازْدادوا تِسْعاً) في قراءة ابن مسعود : قالوا لبثوا في كهفهم . وفيه قولان :

أحدهما – أن هذا قول اليهود ، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه « قل الله أعلم بما لبثوا » .

والقول الثاني – أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى أن ماتوا فيه .

« وازدادوا تسعا » هو ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية[1] .

٢٦– (قلِ اللهُ أعْلَمُ بما لبثوا) فيه وجهان : (أحدهما) بما لبثوا بعد مدتهم إلى نزول القرآن فيهم . (الثاني) الله أعلم بما لبثوا في الكهف وهى المدة التى ذكرها عن اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصانا .

* قوله عز وجل : (... أبصِر به واسمِعْ) فيه تأويلان :

أحدهما – ان الله أبصر وأسمع ، أى أبصر بما قال وأسمع لما قالوا .

الثاني – معناه أبصرْهم وأسمعْهم ما قال الله فيهم .

* (ما لهم من دونهِ مِن وَلِىّ) فيه وجهان : (أحدهما) من ناصر . (الثاني) من مانع .

* (ولا يُشْرِكُ في حُكْمِهِ أحَدًا) فيه وجهان : (أحدهما) ولا يشرك في علم غيبه أحدا . (الثاني) انه لم يجعل لأحد أن يحكم بغير حكمه فيصير شريكا له في حكمه .

٢٧– قوله تعالى : (... ولن تجد من دونه مُلتحدا) فيه أربعة تأويلات :

أحدها – ملجأ ، قاله مجاهد . قال الشاعر :

لا تخفِنا يا أخانا من مودّتنا فما لنا عنك في الأقوام مُلتحدُ

الثاني – مهربا ، قاله قطرب ، قال الشاعر :

يا لهف نفسى ولهفٌ غيرُ مُغْنِيةٍ عنى وما مِنْ قَضاءِ الله مُلتَحدُ

الثالث – معدلا ، قاله الأخفش .

الرابع – وليا ، قاله قتادة . ومعانيها متقاربة .

(١) الفرق بين السنة الشمسية والقمرية احد عشر يوما فاذا ضرب أحد عشر في ثلاثمائة كان الناتج نحو تسع سنوات فهي ثلاثمائة سنة ميلادية وثلاثمائة وتسع قمرية .

٢٨- قوله عز وجل : (واصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يَدْعُونَ ربَّهم) فيه وجهان : (أحدهما) يريدون تعظيمه . (الثاني) يريدون طاعته . قال قتادة : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما نزلت عليه قال : الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن اصبر معهم .

• (يَدْعُونَ ربَّهم بالغداةِ والعَشِيِّ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يدعونه رغبةً ورهبة . (الثاني) انهم المحافظون على صلاة الجماعة ، قاله الحسن . (الثالث) انها الصلاة المكتوبة ، قاله ابن عباس ومجاهد .

ويحتمل (وجها رابعا) أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق ، ويختموه بالدعاء طلبا للمغفرة .

(يُريدونَ وجْهَهُ) يحتمل وجهين : (أحدهما) بدعائهم . (الثاني) بعمل نهارهم . وخص النهار بذلك دون الليل لأن عمل النهار إذا كان لله تعالى فعمل الليل أولى أن يكون له .

• (ولا تَعْدُ عيناك عَنْهم ...) فيه وجهان :

أحدهما - ولا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلبا لزينتها، حكاه اليزيدي .

الثاني - ما حكاه ابن جريج أن عيينة بن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسى وأصحابه فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعونا فيه ، واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه ، فنزلت.

• (ولا تُطِعْ مَنْ أغفَلْنا قَلْبَه عن ذِكْرِنا واتَّبعَ هواه وكان أمْرُه فرُطاً) قوله أغفلنا قلبه فيه وجهان : (أحدهما) جعلناه غافلا عن ذكرنا . (الثاني) وجدناه غافلا عن ذكرنا .

وفي هذه الغفلة لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها إبطال الوقت بالبطالة ، قاله سهل بن عبد الله . (الثاني) أنها طول الأمل ، (الثالث) انها ما يورث الغفلة .

«واتَّبَعَ هَوَاهُ» فيه وجهان : (أحدهما) في شهواته وأفعاله . (الثاني) في سؤاله وطلبه التمييز عن غيره .

«وكان أمرُه فُرُطاً» فيه خمسة تأويلات : (أحدها) ضيقا ، وهو قول مجاهد . (الثاني) متروكا ، قاله الفراء . (الثالث) ندما ، قاله ابن قتيبة (الرابع) سرفا وإفراطا ، قاله مقاتل . (الخامس) سريعا ، قاله ابن بحر . يقال أفرط إذا أسرف ، وفرّط إذا قصر .

٢٩ـ قوله عز وجل : (وقل الحقُّ مِنْ رَبِّكم فمَنْ شاءَ فليؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) هذا وإن كان خارجا مخرج التخيير فهو على وجه التهديد والوعيد، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم لا ينفعون الله بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم. (الثاني) فمن شاء الجنة فليؤمن ، ومن شاء النار فليكفر ، قاله ابن عباس . (الثالث) فمن شاء فليعرِّض نفسه للجنة بالإيمان ، ومن شاء فليعرِّض نفسه للنار بالكفر .

• (إنا أَعتَدْنا للظالمينَ ناراً أحَاطَ بهم سُرادِقُها) فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها ـ ان سرادقها حائط من النار يطيف بهم ، قاله ابن عباس.

الثاني ـ هو دخانها ولهيبها قبل وصولهم إليها ، وهو الذى قال الله تعالى فيه : «إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شُعب لا ظليل ولا يغني من اللهب»، قاله قتادة .

الثالث ـ أنه البحر المحيط بالدنيا ، روى يعلى بن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البحر هو جهنم ، ثم تلا : «نارا أحاط بهم سُرادقها» ثم قال : والله لا أدخلها أبدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة . والسرادق فارسي معرب ، وأصله سرادر .

• (وإنْ يَسْتَغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ ...)فيه أربعة تأويلات :(أحدها) أنه القيح والدم ، قاله مجاهد . (الثاني) دردي الزيت ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنه كل شيء أذيبَ حتى انماع ، قاله ابن مسعود . (الرابع) هو الذى قد انتهى حره ، قاله سعيد بن جبير ، قال الشاعر :

شاب بالماء منه مهلاً كريها   ثم علّ المتون بعد النهال (1)

(1) سيرة ابن هشام ٣٨٩/١ .

وجعل ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة .

• (... بِئْسَ الشرابُ وساءتْ مُرتَفَقاً) في المرتفق أربعة تأويلات :

أحدها – معناه مجتمعا ، قاله مجاهد ، كأنه ذهب إلى معنى المرافقة .

الثاني – منزلا قاله الكلبي ، مأخوذ من الارتفاق .

الثالث – أنه من الرفق .

الرابع – أنه من المتكأ مضاف إلى المرفق ، ومنه قول أبي ذؤيب :

نام الخليُّ وبتُّ الليلَ مُرتفِقا   كأنَّ عيني فيها الصَّابُ مذبوحُ

٣٠– قوله عز وجل (إنَّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ إنّا لا نُضيعُ أجْرَ من أَحْسَنَ عَمَلاً) روى البراء بن عازب أن أعرابياً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : إني رجل متعلم فأخبرني عن هذه الآية «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات» الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك ، هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف،أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم .

٣١– قوله عز وجل : (... ويَلْبَسُونَ ثيابا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَق) أما السندس ففيه قولان :

أحدهما – أنه ما لطف من الديباج ، قاله الكلبي.

الثاني – ما رَقَّ من الديباج ، واحده سندسة ، قاله ابن قتيبة .

وفي الاستبرق قولان :

أحدهما – أنه ما غلظ من الديباج ، قاله ابن قتيبة ، وهو فارسي معرب أصله استبره وهو الشديد ، وقد قال المرقش:

تراهُنَّ يَلبسْنَ المشاعِرَ مَرة   وإستبْرَقُ الديباجِ طوْراً لباسُها

الثاني – انه الحرير المنسوج بالذهب ، قاله ابن بحر .

• (مُتَّكِئِين فيها على الأرائك) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها الحجال ، قاله الزجاج . (الثاني) أنها الفُرُش في الحجال[1] (الثالث) أنها السرر في الحجال ، وقد قال الشاعر[2] :

(١) الحجال : جمع حجلة (بفتحتين) كالقبة ، موضع يزين بالثياب والستور والاسرة للعروس. وربات الحجال هن النساء .

(٢) هو ذو الرمة .

خلودا جفت في السيْر حتى كأنما يباشرْن بالمعْزاء مَسّ الأرائكِ

٣٢- قوله تعالى : (واضْرِبْ لهم مَثَلاً رَجُلَيْن جَعَلْنا لأحَدِهما جنّتَيْنِ) الجنة : البستان ، فإذا جمع العنب والنخل وكان تحتها زرع فهي أجمل الجنان وأجداها نفعا ، لثمر أعاليها وزرع أسافلها ، وهو معنى قوله (وجعلنا بينهما زرعا) .

٣٣- (كلتا الجنتين آتَتْ أُكُلَها) أي ثمرها وزرعها ، وسماه أُكُلا لأنه مأكول.

• (ولم تظْلمْ منه شيئاً) أي استكمل جميع ثمارها وزرعها .

• (وفَجّرْنا خِلالَهما نَهَراً) يعني أن فيهما أنهارا من الماء ، فيكون ثمرها وزرعها بدوام الماء فيهما أوفى وأروى ، وهذه غاية الصفات فيما يجدى ويغل .

وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان :

أحدهما - ما حكاه مقاتل بن سليمان انه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالا جزيلا ، قال ابن عباس ثمانية آلاف دينار ، فأخذ أحدهما حقه وهو مؤمن فتقرب به إلى الله تعالى ، وأخذ الآخر حقه منه وهو كافر فتملك به ضياعا منها هاتان الجنتان ، ولم يتقرب إلى الله تعالى بشيء منه ، فكان من حاله ما ذكره الله من بعد ، فجعله الله تعالى مثلا لهذه الأمة .

والقول الثاني - أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة ، وليس بخبر عن حال متقدمة ، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، وجعله زجرا وإنذارا.

٣٤- قوله عز وجل : (وكان له ثَمَرٌ) قرأ عاصم بفتح الثاء والميم ، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم ، وقرأ الباقون ثُمُرُ بضم الثاء والميم . وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح قولان :

أحدهما - معناهما واحد ، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه الذهب والفضة ، قاله قتادة ، لأنها أموال مثمرّة . (الثاني) أنه المال الكثير من صنوف الأموال ، قاله ابن عباس ، لأن تثميره أكثر . (الثالث) أنه الأصل الذي له نماء ، قاله ابن زيد ، لأن في النماء تثميراً .

والقول الثاني — أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف ، فعلى هذا في الفرق بينهما أربعة أوجه : (أحدها) أنه بالفتح جمع ثمرة ، وبالضم جمع ثمار . (الثاني) أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة ، وبالضم جميع الأموال ، قاله ابن بحر . (الثالث) انه بالفتح ما كان ثماره من أصله ، وبالضم ما كان ثماره من غيره . (الرابع) أن الثمر بالضم الأصل ، وبالفتح الفرع ، قاله ابن زيد .

وفي هذا الثمر المذكور قولان : (أحدهما) أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما ، وهو قول الجمهور . (الثاني) انه ثمر ملكه من غير جنتيه ،وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثمارا لا يملكون أصولها ، قاله ابن عباس ، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم ملكا .

* (فقال لصاحبه) يعني لأخيه المسلم الذى صرف ماله في القُرَب طلبا للثواب في الآخرة، وصرف هذا الكافر ماله فيما استبقاه للدنيا والمكاثرة.

* (وهو يُحاوِرُه) أى يناظره . وفيما يحاوره فيه وجهان : (أحدهما) في الإيمان والكفر . (الثاني) في طلب الدنيا وطلب الآخرة . فجرى بينهما ما قصه الله تعالى من قولهما .

٤٠— قوله تعالى : (فعسى ربّي أنْ يؤتين خيْراً مِنْ جنّتِكَ) فيه وجهان: (أحدهما) خيرا من جنتك في الدنيا فأساويك فيها . (الثاني) وهو الأشهر خيرا من جنتك في الآخرة ، فأكون أفضل منك فيها .

* (ويُرْسِلَ عليها حُسْباناً من السماءِ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) يعني عذابا ، قاله ابن عباس وقتادة . (الثاني) نارا . (الثالث) جرادا . (الرابع) عذاب حساب بما كسبت يداك ، قاله الزجاج ، لأنه جزاء الآخرة والجزاء من الله تعالى بحساب . (الخامس) أنه المرامى الكثيرة ، قاله الأخفش وأصله الحساب وهى السهام التى يَرمي بها في طلق واحد ، وكان من رَمْي الأساورة [1] .

* (فتُصْبِحَ صَعيداً زَلَقاً) يعني أرضا بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم ، وهى أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض .

---

(١) في بعض كتب التفسير الاكاسرة ولعله الاصح .

٤١ـــ (أو يُصبِحَ ماؤُها غَوْرًا) يعني ويصبح ماؤها غورا ، فأقام أوْ مقام الواو. وغورا : يعني غائرا ذاهبًا فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كان فيها .

* (فلَنْ تستَطيعَ له طَلَبًا) يحتمل وجهين : (أحدهما) فلن تستطيع رد الماء الغائر . (الثاني) فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه وإلى هذا الحد انتهت مناظرة أخيه وإنذاره .

٤٢ـــ قوله عز وجل : (وأُحيط بثَمَرِهِ) أى أهلك ماله ، وهذا أول ما حقق الله به إنذار أخيه .

* (فأصبح يُقلّب كفّيهِ على ما أنْفَق فيها) يحتمل وجهين :

أحدهما ـــ يقلب كفيه ندما على ما أنفق فيها وأسفاً على ما تلف .

الثاني ـــ يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك ، لأن الملك قد يعبر عنه باليد ، من قولهم في يده مال ، أى في ملكه .

* (وهى خاوية على عُروشِها) أى منقلبة على عاليها فجمع عليه بين هلاك الأصل والثمر ، وهذا من أعظم الجوائح مقابلة على بغيه .

٤٣ـــ قوله عز وجل : (ولم تكُنْ له فِئة يَنْصُرونه مِنْ دونِ الله) فيه وجهان: (أحدهما) أن الفئة الجند ، قاله الكلبي . (الثاني) العشيرة ، قاله مجاهد .

* (وما كان مُنْتَصِرا) فيه وجهان : (أحدهما) وما كان ممتنعا ، قاله قتادة . (الثاني) وما كان مستردا بدل ما ذهب منه .

قال ابن عباس : هما الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات حيث يقول : « إني كان لى قرين » إلى قوله « في سواء الجحيم » وهذا مثل قيل إنه ضرب لسلمان وخباب وصهيب مع أشراف قريش من المشركين .

٤٤ـــ قوله تعالى : (هنالكَ الوَلايةُ لله الحقِّ) يعنى في القيامة . وفيه أربعة أوجه :

أحدها ـــ أنهم يتولون الله تعالى في القيامة فلا يبقى مؤمن ولا كافر إلا تولاه ، قاله الكلبي .

الثاني — أن الله تعالى يتولى جزاءهم ، قاله مقاتل .

الثالث — أن الولاية مصدر الولاء فكأنهم جميعا يعترفون بأن الله تعالى هو الوليّ ، قاله الأخفش .

الرابع — أن الولاية النصر ، قاله اليزيدى .

وفي الفرق بين الوَلاية بفتح الواو وبين الوِلاية بكسرها وجهان :

(أحدهما) أنها بفتح الواو للخالق ، وبكسرها للمخلوقين ، قاله أبو عبيدة.
(الثاني) أنها بالفتح في الدين ، وبالكسر في السلطان .

٤٥— قوله عز وجل : (واضْرِبْ لهم مَثَل الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه مِن السماء فاختَلَط به نبَاتُ الأرْضِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن الماء اختلط بالنبات حين استوى . (الثاني) أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء حتى نما .

• (فأصبَح هشيماً تذْرُوهُ الرياحُ) يعني بامتناع الماء عنه ، فحذف ذلك إيجازا لدلالة الكلام عليه . والهشيم ما تفتت بعد اليبس من أوراق الشجر والزرع قال الشاعر :

فأصْبَحَتْ نُيّماً أجسادُهم   يشبِّهها مَن رآها الهشيما

واختلف في المقصود بضرب هذا المثل على قولين :

أحدهما — أن الله تعالى ضربه مثلا للدنيا ليدل به على زوالها بعد حسنها وابتهاجها .

الثاني — أن الله تعالى ضربه مثلا لأحوال أهل الدنيا أن مع كل نعمة نقمة ومع كل فرحة ترحة .

٤٦— قوله عز وجل : (المالُ والبنونَ زينةُ الحياة الدنيا) لأن في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة الدنيا .

• (والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عِنْدَ ربك ثواباً وخيرٌ أمَلاً) فيها أربعة تأويلات :

أحدها — انها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثاني — أنها الأعمال الصالحة ، قاله ابن زيد .

الثالث — هي الكلام الطيب . وهذا مروي عن ابن عباس أيضا ، وقاله عطية العوفي .

الرابع — هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات[١] .

وفي الصالحات وجهان : (أحدهما) أنها بمعنى الصالحين لأن الصالح هو فاعل الصلاح . (الثاني) أنها بمعنى النافعات فعبر عن المنفعة بالصلاح لأن المنفعة مصلحة .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما عُرج بي إلى السماء أريت إبراهيم فقال : مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة . فقلت وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢] .

« خير عند ربك ثوابا » يعني في الآخرة ، « وخير أملا » يعني عند نفسك في الدنيا ، ويكون معنى قوله « وخيرٌ أمَلا » يعني أصدق أملا ، لأن من الأمل كواذب وهذا أمل لا يكذب .

٤٧— قوله عز وجل : (ويومَ نُسَيِّر الجبالَ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — يسيرها من السير حتى تنتقل عن مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظم الاعتبار .

الثاني — يسيرها أي يقللها حتى يصير كثيرها قليلا يسيرا .

---

(١) وقال الحسن : الباقيات الصالحات هي النيات والهمات لان بها تقبل الاعمال وترفع . وقال عبيد بن عمير : هن البنات يدل عليه أوائل الآية : المال والبنون . يعني البنات الصالحات هن عند الله لآبائهن خير ثوابا .

(٢) رواه احمد في المسند ٤١٨/٥ .

الثالث - بأن يجعلها هباء منثورا .

• (وترى الأَرْضَ بارِزَةً) فيه وجهان : (أحدهما) أنه بروز ما في بطنها من الأموات بخروجهم من قبورهم . (الثاني) أنها فضاء لا يسترها جبل ولا نبـات .

• (وحَشَرْناهم فلمْ نُغادِرْ منهم أحَداً) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها - يعني فلم نخلف منهم أحدا ، قاله ابن قتيبة ، قال ومنه سمي الغدير لأنه ما تخلفه السيول .

الثاني - فلم نستخلف منهم أحدا ، قاله الكلبي .

الثالث - معناه فلم نترك منهم أحدا ، حكاه مقاتل .

٤٨- قوله عز وجل : (وعُرِضُوا على ربِّكَ صَفّاً) قيل إنهم يُعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة ، وقيل إنهم يحشرون عراة حفاة غرلا ، فقالت عائشة رضي الله عنها فما يحتشمون يومئذ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» (١) .

٤٩- قوله عز وجل : (ووُضِعَ الكِتابُ) فيه وجهان : (أحدهما) أنها كتب الأعمال في أيدي العباد ، قاله مقاتل. (الثاني) أنه وضع الحساب، قاله الكلبي، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة .

• (فترى المجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مما فيه) لأنه أحصاه الله ونسوه .

• (ويقولون يا ويْلَتَنا ما لهذا الكتابِ لا يُغادِرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إلاّ أَحْصَاها) وفي الصغيرة تأويلان : (أحدهما) أنه الضحك،قاله ابن عباس. (الثاني) انها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها .

وأما الكبيرة ففيها قولان : (أحدهما) ما جاء النص بتحريمه . (الثاني) ما قرن بالوعيد والحد .

ويحتمل (قولا ثالثا) أن الصغيرة الشهوة ، والكبيرة العمل .

---

(١) رواه مسلم في الجنة ، والترمذي في القيامة ، والنسائي في الجنائز وابن ماجه في الزهد ، واحمد في المسند ١/٢٢٠

قال قتادة : اشتكى القوم الإحْصاء وما اشتكى أحد ظلما ، وإياكم والمحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه .

• (ووَجَدوا ما عَمِلوا حاضِرا) يحتمل تأويلين : (أحدهما) ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضرا في الكتاب . (الثاني) ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلا في القيامة .

• (ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا) يعني من طائع في نقصان ثوابه ، أو عاص في زيادة عقابه .

٥٠ــ قوله عز وجل : (وإذ قُلْنا للملائكــةِ اسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلا إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى . ومنع قائل هذا بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين : (أحدهما) أن له ذرية ، والملائكة لا ذرية لهم . (الثاني) أن الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم الكفر ، وإبليس قد كفر ، قال الحسن : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس .

الثاني ــ أنه من الملائكة ، ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى: «كان من الجن» على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ ما قاله قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجن .

الثاني ــ ما قاله ابن عباس،أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزنه الجنة، كما يقال مكي وبصري.

الثالث[1] ــ أن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور ، قاله سعيد بن جبير ، قال الحسن : خلق إبليس من نار وإلى النار يعود .

الثالث[2] ــ أن إبليس لم يكن من الإنس ولا من الجن، ولكن كان من الجان . وقد مضى من ذِكْرِه واشتقاق اسمه ما أغنى [3] .

(١) من اقسام القول الثاني .

(٢) من التقسيم الاول وليس تكرارا .

(٣) انظر ص ٣٦٨ عند الاية ٢٧ ق سورة الحجر

• (فَفَسَقَ عن أَمْرِ رَبِّه....) فيه وجهان: (أحدهما) أن الفسق الاتساع ومعناه اتسع في محارم الله تعالى. (الثاني) أن الفسق الخروج أى خرج من طاعة ربه ، من قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرهـا ، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها قال رؤبة بن العجاج :

يَهْوِين مِن نَجْدٍ وغوْرٍ غائرا　　فواسقا عن قصدها جوائرا

• وفي قوله تعالى (... بئس للظالمين بدلا) وجهان : (أحدهما) بئس ما استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس ، قاله قتـادة . (الثاني) بئس ما استبدلوا بالجنة النار .

٥١- قوله عز وجل : (ما أَشْهَدْتُهم خَلْقَ السموات والأَرْضِ) فيه وجهان: (أحدهما) ما أشهدت إبليس وذريته . (الثاني) ما أشهدت جميع الخلق خلق السموات والأرض .

وفيه وجهان :

أحدهما – ما أشهدتهم إياها استعانة بهم في خلقها .

الثـاني – ما أشهدتهم خلقها فيعلموا من قدرتي ما لا يكفرون معه .

ويحتمل ثالثا – ما أشهدتهم خلقها فيحيطون علما بغيبها لاختصاص الله بعلم الغيب دون خلقه .

• (ولا خَلْقَ أنفسهم) فيه وجهان :

أحدهما – ما استعنت ببعضهم على خلق بعض

الثـاني – ما أشهدت بعضهم خلق بعض .

ويحتمل ثالثا – ما أعلمتهم خلق أنفسهم فكيف يعلمون خلق غيرهم.

• (وما كنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُداً) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعنى أولياء . (الثاني) أعوانا ، ووجدته منقولا عن الكلبي .

وفيما أراد أنه لم يتخذهم فيه أعوانا وجهان : (أحدهما) أعوانا في خلق السموات والأرض . (الثاني) أعوانا لعبدة الأوثان ، قاله الكلبي .

وفي هؤلاء المضلين قولان : (أحدهما) إبليس وذريته . (الثاني) كل مضل من الخلائق كلهم .

قال بعض السلف : إذا كان ذنب المرء من قِبل الشهوة فارْجُه، وإذا كان من قبل الكِبْر فلا تَرْجُه، لأن إبليس كان ذنبه من قبل الكبر فلم تقبل توبته ، وكان ذنب آدم من قبل الشهوة فتاب الله عليه . وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال :

إذا ما الفتى طاح في غَيِّــــه   فَرَجِّ الفتى للتُّقى رَجِّه
فقــد يغلطُ الرَّكْبُ نَهْجَ الطـ   ـريــق ثم يعودُ إلى نَهْجِه

٥٢ــ قوله عز وجل : (... وجَعَلْنا بَيْنَهم مَوْبِقاً) فيه ستة أقاويل : (أحدها) مجلسا ، قاله الربيع . (الثاني) مهلكا، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ، قال الشاعر :

اسْتَغْفِرُ اللهَ أعْمالي التي سَلَفَتْ   مِنْ عثْرةٍ إنْ تُؤَاخِذْني بها أبق

أي أهلك ، ومثله قول زهير :

ومَنْ يشتري حُسْنَ الثناء بمالِه   يَصُنْ عِرضَه من كل شنعاء موبق

قال الفراء : جعــل تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخـــرة . (الثالث) موعدا ، قاله أبو عبيـــدة. (الرابع) عداوة ، قالــه الحسن . (الخامس) أنه واد في جهنم ، قاله أنس بن مالك . (السادس) أنه واد يفصــل بين الجنة والنار ، حكاه بعض المتأخرين .

٥٣ــ قوله عز وجل : (ورَأى المجرِمونَ النّارَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) انهم عاينوا في المحشر . (الثاني) انهم علموا بها عند العرض .

* (فظَنُّوا أنّهم مُواقِعوها) فيه وجهان: (أحدهما) انهم أمّلوا العفو قبل دخولها فلذلك ظنوا أنهم مواقعوها . (الثاني) علموا أنهم مواقعوها لأنهم قد حصلوا في دار اليقين وقد يعبر عن العلم بالظن لأن الظن مقدمة العلم .

* (ولم يَجِدوا عَنْها مَصْرِفاً) فيه وجهان : (أحدهما) ملجأ ، قاله الكلبي . (الثاني) معدلا ينصرفون إليه ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول أبي كبير الهذلي :

أزُهَيْرَ هل عن شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ   أم لا خلودَ لباذلٍ مُتَكَلِّفِ (١)

وفي المراد وجهان : (أحدهما) ولم يجد المشركون عن النار مصرفا . (الثاني) ولم تجد الأصنام مصرفا للنار عن المشركين .

٥٤ـ قوله تعالى : (ولقد صَرَّفْنا في هذا القرآنِ للناسِ مِنْ كلِّ مَثَلٍ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ما ذكره لهم من العبر في القرون الخالية . (الثاني) ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية . فيكون على الوجه الأول جزاء ، وعلى الثاني بيانا .

• (وكان الإنسانُ أكثرَ شيء جَدَلاً) يحتمل وجهين : (أحدهما) عنادا ، وهو مقتضى الوجه الأول . (الثاني) حجاجا وهو مقتضى القول الثاني.

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عليّ وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال : الصلاة ، ألا تصليّان ؟ فقال علي رضى الله عنه : إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلا (٢) .

٥٥ـ قوله عز وجل : (وما مَنَعَ النّاسَ أنْ يُؤْمِنوا إذْ جاءَهم الهُدَى) فيه وجهان : (أحدهما) وما منع الناس أنفسهم أن يؤمنوا . (الثاني) ما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا .

وفي هذا الهدى وجهان : (أحدهما) حجج الله الدالة على وحدانيته ووجوب طاعته . (الثاني) رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث لهداية الخلق.

• (إلاَّ أنْ تَأتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوَّلينَ) أي عادة الأولين في عذاب الاستئصال.

• (أو يَأتِيَهم العَذابُ قُبُلاً) قرأ عاصم وحمزة والكسائي « قُبُلاً » بضم القاف والباء ، وفيه وجهان : (أحدهما) تجاه ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه جمع قبيل ومعناه ضروب العذاب .

ويحتمل(ثالثا)أن يريد: من أمامهم مستقبلا لهم فيشتد عليهم هول مشاهدته.

---

(١) الهمزة للنداء ، وزهير : ترخيم زهيرة اسم امرأة . والاستفهام انكاري أي لا مفر من الشيب ولا ينتفي خلود الكريم الباذل .

(٢) رواه مسلم .

وقرأ الباقون قِبَلا بكسر القاف(١)، وفيه وجهان : (أحدهما) مقابلة. (الثاني) معاينة .

ويحتمل (ثالثا) من قبل الله تعالى بعذاب من السماء، لا من قبل المخلوقين، لأنه يعم ولا يبقى فهو أشد وأعظم .

٥٦ـ قوله عز وجل : (... ليُدْحِضوا به الحقَّ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ليذهبوا به الحق ، ويزيلوه ، قاله الأخفش . (الثاني) ليبطلوا به القرآن ويبدلوه ، قاله الكلبي . (الثالث) ليهلكوا به الحق . والداحض الهالك، مأخوذ من الدحض وهو الموضع المزلق من الأرض الذي لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم ، قال الشاعر(٢) :

رَدِيتَ ونجّى اليشكريَّ حِذارُه وحــادَ كما حادَ البعيرُ عن الدحْضِ

* (واتَّخَذُوا آياتي وما أُنذِروا هُزُواً) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن الآية البرهان ، وما أنذروا القرآن . (الثاني) الآيات القرآن وما أنذروا الناس .

ويحتمل قوله «هزوا» وجهين : (أحدهما) لعبا . (الثاني) باطلا .

٥٨ـ قوله عز وجل : (وربُّكَ الغَفُورُ) يعني للذنوب وهذا يختص به أهل الإيمان دون الكفرة .

* (ذو الرَّحْمَةِ ...) فيها أربعة أوجه : (أحدها) ذو العفو. (الثاني) ذو الثواب ، وهو على هذين الوجهين مختص بأهل الإيمان دون الكفرة . (الثالث) ذو النعمة . (الرابع) ذو الهدى ، وهو على هذين الوجهين يعم أهل الإيمان وأهل الكفر لأنه ينعم في الدنيا على الكافر كإنعامه على المؤمن ، وقد أوضح هداه للكافر كما أوضحه للمؤمن ، وإن اهتدى به المؤمن دون الكافر .

* (... بلْ لهم مَوْعِدٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أجل مقدر يؤخرون إليه . (الثاني) جزاء واجب يحاسبون عليه .

* (لن يَجِدُوا مِنْ دُونه مَوْئِلاً) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) ملجأ ، قاله ابن عباس وابن زيد . (الثاني) محرزا ، قاله مجاهد . (الثالث) وليا

---

(١) بكسر القاف وفتح الباء .

(٢) هو طرفة بن العبد كما في اللسان ــ دحض .

قاله قتادة . (الرابع) منجى ، قاله أبو عبيدة . قال والعرب تقول : لا وألَتْ نفسه . أى لا نَجَتْ ، ومنه قول الشاعر :

لا وَأَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَها   للعامِرِيّين ولم تُكْلَم

٥٩ــ قوله عز وجل : (وتلك القُرَى أَهْلَكْناهم لمّا ظَلَموا) فيه وجهان : (أحدهما) أهلكناهم بالعذاب لما ظلموا بالكفر . (الثاني) أهلكناهم بأن وكلناهم إلى سوء تدبيرهم لما ظلموا بترك الشكر .

• (وَجَعَلْنا لمهْلِكِهِم مَوْعِداً) فيه وجهان : (أحدهما) أجلا يؤخرون إليه ، قاله مجاهد . (الثاني) وقتا يهلكون فيه . وقرىء بضم الميم وفتحها ، فهى بالضم من أُهلِك وبالفتح من هَلَكَ .

٦٠ــ قوله عز وجل : (وإذْ قالَ موسى لِفتاهُ) يعني يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى ، وسمى فتاهُ لملازمته إياه ، قيل في العلم ، وقيل في الخدمة . وهو خليفة موسى على قومه من بعده .

وقال محمد بن إسحاق : إن موسى الذى طلب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف ، وكان نبيا في بنى إسرائيل قبل موسى بن عمران .

والذى عليه جمهور المسلمين انه موسى بن عمران .

• (لا أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البحرَيْنِ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ يعني بحر الروم وبحر فارس ، أحدهما قبل المشرق ، والآخر قبل المغرب وحكى الطبرى أنه ليس في الأرض مكان أكثر ماء منه .

والقول الثاني ــ هو بحر ارمينية مما يلى الأبواب .

الثالث ــ الخضِرُ وإلياس ، وهما بحران في العلم ، حكاه السدى.

• (أو أَمْضِيَ حُقُبًا) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أن الحقب ثمانون سنة ، قاله عبد الله بن عمر . (الثاني) سبعون سنة ، قاله مجاهد . (الثالث) أن الحقب الزمان ، قاله قتادة . (الرابع) أنه الدهر ، قاله ابن عباس ، ومنه قول امرئ القيس :

نحن الملوكُ وأبناءُ الملوك، لنــا   مِلكٌ به عاش هذا الناس أحقابا

(الخامس) أنه سنة بلغة قيس ، قاله الكلبي .

وفي قوله «لا أبْرَحُ» تأويلان : (أحدهما) لا أفارقك ، ومنه قول الشاعر :

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤَدِّي أمانةً   وتَحْمِلُ أُخْرى أفْلَتَتْكَ الودائع

(الثاني) لا أزال ، قاله الفراء ، ومنه قول الشاعر (1) :

وأبرحُ ما أدامَ اللهُ قــــوْمي   بحمد الله مُنْتَطِقاً مجيــــدا

أى لا أزال . وقيل إنه قال «لا أبرح حتّى أبلغ مجمع البحرين» لأنه وعد أن يلقى عنده الخضر عليه السلام .

٦١— (فلما بلغا مَجْمَعَ بَيْنِهما نَسِيا حُوتَهما) قيل إنهما تزودا حوتا مملوحا وتركاه حين جلسا ، وفيه وجهان (أحدهما) أنه ضل عنهما حتّى اتخذ سبيله في البحر سربا ، فسمى ضلاله عنهما نسيانا منهما . (الثاني) أنه من النسيان له والسهو عنه .

ثم فيه وجهان :

أحدهما — ان الناسي له أحدهما وهو يوشع بن نون وحده وإن أضيف النسيان إليهما ، كما يقال نسى القوم زادهم إذا نسيه أحدهم .

الثاني — أن يوشع نسي أن يحمل الحوت ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء ، فصار كل واحد منهما ناسيا لغير ما نسيه الآخر .

* (فاتَّخَذَ سَبِيلَه في البحر سَرَباً) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) مسلكا ، قاله مجاهد وابن زيد . (الثاني) يبسا ، قاله الكلبي . (الثالث) عجبا ، قاله مقاتل .

٦٢— قوله عز وجل : (فلمّا جاوَزا) يعنى مكان الحوت .

* (قال لِفَتاهُ) يعنى موسى قال لفتاه يوشع بن نون .

(1) هو خداش بن زهير يقول : لا ازال اجنب فرسي جوادا . وفي اللسان : «على الاعداء» بدل «بحمد الله» . اللسان — نطق .

• (آتِنا غَدَاءَنا) والغداء الطعام بالغداة كما أن العشاء طعام العشى . والإنسان إلى الغداء أشد حاجة منه إلى العشاء .

• (لقد لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً) فيه وجهان : (أحدهما) أنه التعب : (الثاني) الوهن .

٦٣– (قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إلى الصَّخْرةِ) فيه قولان :

أحدهما – قاله مقاتل ، ان الصخرة بأرض تسمى شره ان على ساحل بحر أيلة ، وعندها عين تسمى عين الحياة .

الثاني – أنها الصخرة التي دون نهر الزيت على الطريق .

• (فإني نَسِيتُ الحُوتَ) فيه وجهان :

أحدهما – فإني نسيت حمل الحوت .

الثاني – فإني نسيت أن أخبرك بأمر الحوت .

• (وما أَنْسَانيهِ إلاّ الشيطانُ أَنْ اذْكُرَه) أى أنسانيه بوسوسته إلىّ وشغله لقلبي .

• (واتَّخَذَ سَبيله في البحرِ عَجَباً) فيه قولان :

أحدهما – أنه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخرا فلما رآه موسى عجب من مصير الماء صخرا .

الثاني – أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجرى فيها فعجب من عود الحوت حيا .

٦٤– (قالَ ذلك ما كُنّا نبغِ) أى نطلب ، وذلك أنه قيل لموسى انك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه متاعك ، فعلم أن الخضر بموضع الحوت .

• (فارْتَدَّا على آثارِهما قَصَصًا) أى خرجا إلى آثارهما يقصان أثر الحوت ويتبعانه .

٦٥ــ (فوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادنا آتَيْناه رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا) فيه أربعة تأويلات: (أحدها) النبوة ، قاله مقاتل . (الثاني) النعمة . (الثالث) الطاعة. (الرابع) طول الحياة .

• (وعلّمناه من لدُنّا عِلْما) قال ابن عباس لما اقتفى موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد وقد سجي عليه ثوبه ، فسلم عليه موسى ، فكشف ثوبه عن وجهه وردّ عليه السلام وقال : من أنت ؟ قال : موسى . قال صاحب بني إسرائيل ؟ قال : نعم . قال : ومالك في بني إسرائيل شغل ؟ قال : أمرت أن آتيك وأصحبك .

واختلفوا في الخضر هل كان مَلَكا أو بشرا على قولين :

أحدهما ــ أنه كان ملكا أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن .

الثاني ــ أنه كان بشرا من الإنس .

واختلف من قال هذا على قولين :

أحدهما ــ كان نبيا لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه،ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي ، قال مقاتل : هو اليسع لأنه وسع علمه ست سموات وست أرضين .

الثاني ــ أنه لم يكن نبيا وإنما كان عبدا صالحا أودعه الله تعالى مِن علْم باطن الأمور ما لم يودع غيره ، لأن النبي هو الداعي ، والخضر كان مطلوبا ولم يكن داعيا طالبا . وقد ذكر أن سبب تسميته بالخضر لأنه كان إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله .

٦٦ــ قوله عز وجل : (قال له موسى هل أتّبِعُكَ على أنْ تُعَلّمَنِي مما عُلّمْتَ رُشْدًا) في الرشد هنا ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أنه العلم، قاله مقاتل . ويكون تقديره على أن تعلمني مما علمت علما .

الثاني – معناه على أن تعلمني مما علمت لإرشاد الله لك .

الثالث – ما يرى في علم الخضر رشدا يفعله وغيا يجتنبه ، فسأله موسى أن يعلمه من الرشد الذى يفعله ، ولم يسأله أن يعلمه الغيّ الذى يجتنبه لأنه عرف الغى الذى يجتنبه ولم يعرف ذلك الرشد .

٦٧– (قال إنك لن تستطيع معيَ صبراً) يحتمل وجهين : (أحدهما) صبرا عن السؤال . (الثاني) صبرا عن الإنكار .

٦٨– (وكيْفَ تَصْبِرُ على ما لم تُحِطْ به خُبْرًا) فيه وجهان : (أحدهما) لم تجد له سببا . (الثاني) لم تعرف له علما ، لأن الخضر علم أن موسى لا يصبر إذا رأى ما ينكر ظاهره .

٦٩– (قال ستجدني إنْ شاء اللهُ صابراً ولا أعصي لك أمْراً) فوعد بالصبر والطاعة ثم استثنى بمشيئة الله تعالى حذرا مما يلي فأطاع ولم يصبر .

وفي قوله «ولا أعصى لك أمـــرا» وجهـــان : (أحدهما) لا ابتدئ بالانكار حتى تبدأ بالإخبار . (الثاني) لا أفشى لك سرا ولا أدل عليك بشرا . فعلى الوجه الأول يكون مخالفا . وعلى الوجه الثاني يكون موافقا .

٧١– قوله عز وجل : (فانْطَلَقَا حتى إذا ركِبا في السفينةِ خرَقَها) لأنه أراد أن يعبر في البحر إلى أرض أخرى فركب في السفينة وفيها ركاب ، فأخذ الخضر فأسا ومنقارا فخرق السفينة حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع منها لوحين فضج ركابها من الغرق .

ﻓ (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) وإن كان في غرقها غرق جميعهم لكنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه لأنها عادة الأنبياء.

• ثم قال بعد تعجبه وإكباره (لقدْ جِئْتَ شيئاً إمْراً) فأكبر ثم أنكر. وفي الإمر ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني منكرا ، قاله مجاهد . (الثاني) عجبا ، قاله مقاتل . (الثالث) أن الإمر الداهية العظيمة ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

قد لقى الأَقْرانُ مِنِيّ نُكْرا داهيةً دهْياء إدّاً إمْرا

وهو مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذى يحتاج إلى الصلاح ، ومنه رجل

إمر إذا كان ضعيف الرأى لأنه يحتاج أن يؤمر حتّى يقوى رأيه ، ومنه أمِر القوْم إذا كثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم .

٧٣– قوله عز وجل : ﴿قال لا تُؤَاخِذْني بما نَسِيتُ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – بما نسيته وغفلت عنه فلم أذكره ، وقد رفعه أُبي بن كعب.

الثاني – بما كأني نسيته ، ولم أنسه في الحقيقة . حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : لم ينس ولكنها معاريض الكلام .

الثالث – بما تركته من عهدك ، قاله ابن عباس ، مأخوذ من النسيان الذى هو الترك لا من النسيان الذى هو من السهو .

* ﴿ولا تُرْهِقْني مِنْ أَمْرِى عُسْراً﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها – لا تعنفنى على ما تركت من وصيتك ، قاله الضحاك .

الثاني – لا يغشني منك العسر ، من قولهم غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه البلوغ ، ومنه حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ارهقوا القبلة أى اغشوها واقربوا منها .

الثالث – لا تكلفنى ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهووالنسيان، وهو معنى قول مقاتل .

الرابع – لا يلحقنى منك طردى عنك .

٧٤– قوله تعالى : ﴿فانْطَلَقا حتى إذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ﴾ يعنى انطلق موسى والخضر فاحتمل أن يكون يوشع تأخر عنهما ، لأن المذكور انطلاق اثنين وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر عن وحي . واحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تابع لموسى ، فاقتصر على ذكر المتبوع دون التابع لقول موسى : ذلك ما كنا نبغى ، فكان ذلك منه إشارة إلى فتاه يوشع.

واختلف في الغلام المقتول هل كان بالغا ، فقال ابن عباس : كان رجلا شابا قد قبض على لحيته لأن غير البالغ لا يجرى عليه القلم بما يستحق به القتل ، وقد يسمى الرجل غلاما ، قالت ليلى الأخيلية في الحجّاج :

شفاها مِن الداءِ العُضالِ الذى بها غُلامٌ إذا هزَّ القَناةَ سقاها

وقال الأكثرون : كان صغيرا غير بالغ وكان يلعب مع الصبيان ، حتى مر به الخضر فقتله .

وفي سبب قتله قولان : (أحدهما) لأنه طبع على الكفر . (الثاني) لأنه أصلح بقتله حال أبويه .

وفي صفة قتله قولان : (أحدهما) أنه أخذه من بين الصبيان فأضجعه وذبحه بالسكين ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أنه أخذ حجرا فقتل به الغلام، قاله مقاتل . فاستعظم موسى ما فعله الخضر من قتل الغلام من غير سبب .

* «قال أقَتَلْتَ نَفْساً زَكيّةً بغير نفْسٍ» فاختلف هل قاله استخبارا أو إنكارا على قولين : (أحدهما) أنه قال ذلك استخبارا عنه لعلمه بأنه لا يتعدى في حقوق الله تعالى . (الثاني) انه قاله إنكارا عليه لأنه قال «لقد جئْتَ شيئاً نُكْراً» .

قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير «زاكية» . وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم والكسائي زكيّة بغير ألف .

واختلف في زاكية وزكية على قولين :

أحدهما — وهو قول الأكثرين أن معناهما واحد ، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على ستة أوجه : (أحدها) أن الزاكية التائبة ، قاله قتادة . (الثاني) أنها الطاهرة ، حكاه ابن عيسى . (الثالث) أنها النامية الزائدة ، قاله كثير من المفسرين ، قال نابغة بني ذبيان :

وما أخّرْتَ مِن دُنْياك نَقْصٌ وإنْ قدّمْتَ عادَ لَكَ الزّكاءُ

يعني الزيادة . (الرابع) الزاكية المسلمة ، قاله ابن عباس لأن عنده أن الغلام المقتول رجل . (الخامس) أن الزاكية التي لم يحل دمها ، قاله أبو عمرو بن العلاء . (السادس) أنها التي لم تعمل الخطايا ، قاله سعيد بن جبير .

والقول الثاني — أن بين الزاكية والزكية فرقا ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الزاكية في البدن ، والزكية في الدين ، وهذا قول أبي عبيدة.

(الثاني) أن الزكية أشد مبالغة من الزاكية ، قاله ثعلب . (الثالث) أن الزاكية التى لم تذنب ، والزكية التى أذنبت ثم تابت فغفر لها، قاله أبو عمرو بن العلاء.

• (لقد جِئْتَ شيئا نُكراً) فيه أربعة أوجه : (أحدها) شيئاً منكرا، قاله الكلبي . (الثاني) أمرا فظيعا قبيحا ، وهذا معنى قول مقاتل . (الثالث) أنه الذى يجب أن ينكر ولا يفعل . (الرابع) أنه أشد من الإمْر ، قاله قتادة .

٧٦ـ قوله عز وجل : (قال إنْ سألتُكَ عن شيءٍ بَعْدَها فلا تُصاحِبْنى) فيه أربعة أوجه : (أحدها) فلا تتابعنى . (الثاني) فلا تتركنى أصحبك،قاله الكسائي . (الثالث) فلا تصحبنى . (الرابع) فلا تساعدني على ما أريد .

• (قد بَلَغْتَ من لَدُنِّى عُذْرًا) قد اعتذرتَ حين انذرت .

٧٧ـ (فانْطَلَقا حتى إذا أتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ استَطْعَما أهْلَهـا) اختلف في هذه القرية على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها انطاكية ، قاله الكلبي . (الثاني) أنها الأبُلّة، قاله قتادة . (الثالث) أنها باجروان بإرمينية ، قاله مقاتل .

• (فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُما) يقال أضفت الرجل إذا نزل عليك فأنت مضيف . وضفت الرجل إذا نزلت عليه فأنت ضيف . وكان الطلب منهما لفاقة عُذِرا فيها . والمنع من أهل القرية لشح أثموا به .

• (فوَجَدا فيها جِدارًا يُريدُ أنْ يَنْقَضَّ) أى كاد أنْ ينقض ، ذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في التالى ، كقول الشاعر [1] :

يريدُ الرمحُ صدْرَ أبي بَراءٍ ويَرْغبُ عن دماءِ بنى عَقيل

ومعنى ينقض يسقط بسرعة ، وينقاض ينشق طولا . وقرأ يحيى بن يعمَر : يريد أن ينقص، بالصاد غير معجمة ، من النقصان .

• (فأقامَهُ) قال سعيد بن جبير : أقام الجدار بيده فاستقام ، وأصل الجدر الظهور ، ومنه الجدرى لظهوره .

(١) هو الراعي النميري .

• وعجب موسى عليه السلام وقد استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فأقام لهم الجدار ف (قال لو شئْتَ لاتّخَذْتَ عليه أجْرًا) قال قتادة شر القُرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه .

٧٨ــ قوله عز وجل : (قال هذا فِراقُ بَيْني وبَيْنِكَ) فيه وجهان : (أحدهما) هذا الذى قلته فراق بيني وبينك . (الثاني) هذا الوقت فراق بيني وبينك.

• (سَأُنَبِّئُكَ بتأويلِ ما لمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا) يحتمل وجهين : (أحدهما) لم تستطع على المشاهدة له صبرا . (الثاني) لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنه صبرا . فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : رحم الله موسى لو صبر لاقتبس منه ألف باب .

٧٩ــ قوله عز وجل : (أمّا السّفينةُ فكانَتْ لمساكِينَ) وفي تسميتهم مساكين أربعة أوجه : (أحدها) لفقرهم وحاجتهم . (الثاني) لشدة ما يعانونه في البحر ، كما يقال لمن عانى شدة قد لقى هذا المسكين جهدا . (الثالث) لزمانة كانت بهم وعلل (الرابع) لقلة حيلتهم وعجزهم عن الدفع عن أنفسهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مسكين رجل لا مرأة له » فسماه مسكينا لقلة حيلته وعجزه عن القيام بنفسه لا لفقره ومسكنته .

وقرأ بعض أئمة القراء . « لمسّاكين » بتشديد السين ، والمساكون هم المسكون ، وفي تأويل ذلك وجهان : (أحدهما) الممسكون لسفينتهم للعمل فيها بأنفسهم . (الثاني) الممسكون لأموالهم شحاً فلا ينفقونها .

• (فأرَدْتُ أنْ أعِيبَها) أى أن أحدث فيها عيبا .

• (وكان وراءهم ملِكٌ) في قوله «وراءهم ملك » وجهان : (أحدهما) انه خلفهم ، وكان رجوعهم عليه ولم يعلموا به، قاله الزجاج . (الثاني) انه كان أمامهم . وكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملِك .

واختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقاويل:

أحدها ــ يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد،

قال الله تعالى : « مِن ورائهم جهنم » أي من أمامهم وقدامهم جهنم قال الشاعر (١) :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني أمامي .

الثاني – أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها .

الثالث – أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ، ولا يجوز في غيره قاله ابن عيسى .

(يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً) قرأ ابن مسعود : يأخذ كل سفينة صالحة غصبا . وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصبا ، فلذلك عابها الخضر لِتَسْلَم من الملك . وقيل إن اسم الملك هُدَد بن بُدَد (٢) ، وقال مقاتل : كان اسمه مندلة بن جلندى بن سعد الأزدي .

٨٠– قوله عز وجل : (وأمّا الغلامُ فكان أبواه مُؤْمنين فخَشينا أنْ يُرْهِقَهما طغياناً وكُفْراً) قال سعيد بن جبير : وجد الخضر غلمانا يلعبون فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه وذبحه ، وقيل كان الغلام سداسيا وقيل انه أراد بالسداسي ابن ست عشرة سنة ، وقيل بل أراد أن طوله ستة أشبار . قاله الكلبي : وكان الغلام لصا يقطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القريتين ويمنعون منه .

قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما . < قيل كان اسم الغلام جيسور . قال مقاتل وكان اسم أبيه كازير ، واسم أمه : سهوى> (٣).

« فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » فيه ثلاثة أوجه :

(١) هو سوار بن المضرب .
(٢) في حواشي الكشاف للزمخشري : اسمه حرد بن برد .
(٣) زيادة من ق .

أحدها ــ علم الخضر أن الغلام يرهق أبويه طغيانا وكفرا لأن الغلام كان كافرا قال قتادة : وفي قراءه أبي : وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين . فعبر عن العلم بالخشية .

الثاني ــ معناه فخاف ربك أن يرهق الغلام أبويه طغيانا وكفرا، فعبر عن الخوف بالخشية . قال مقاتل : في قراءة أبي : فخاف ربك . والخوف هاهنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى .

الثالث ــ وكره الخضر أن يرهق الغلام أبويه بطغيانه وكفره إثما وظلما فصار في الخشية هاهنا ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها العلم . (الثاني) أنها الخوف (الثالث) الكراهة .

وفي «يرهقهما» وجهان : (أحدهما) يكلفهما ، قاله ابن زيد . (الثاني) يحملهما على الرهق وهو الجهد .

٨١ــ (فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهما ربُّهما خيْرًا مِنْهُ زكاةً) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) خيرا منه إسلاما ، قاله ابن جريج . (الثاني) خيرا منه علما ، قاله مقاتل. (الثالث) خيرا منه ولدا .

وكانت أمه حبلى فولدت ، وفي الذى ولدته قولان : (أحدهما) ولدت غلاما صالحا مسلما ، قاله ابن جريج . (الثاني) ولدت جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم .

• (وأَقْرَبَ رُحْما) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ يعني أكثر بِراً بوالديه من المقتول ، قاله قتادة ، وجعل الرحم البر ، ومنه قول الشاعر[1] :

طريدٌ تلافاه يزيدُ برحْمةٍ فلم يُلْفَ من نعْمائه يتَعَذَّرُ

الثاني ــ اعجل نفعا وتعطفا ، قال أبو يونس النحوى وجعل الرحم المنفعة والتعطف ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) هو الاحوص بن محمد الانصاري كما في اللسان ــ عذر ، ومعناه : انعم عليه نعمة لم يحتج الى أن يعتذر منها .

وكيف بظلم جـــارية ومنهـا اللين والرُّحْمُ

الثالث ــ أقرب أن يرحما به ، والرُّحم الرحمة، قاله أبو عَمْر بن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

احنى وأرحمُ مِن أُمٍّ بواحِدها رُحْما وأشْجَعُ مِن ذى لِبْدةٍ ضارى

٨٢ــ قوله تعالى : (وأمّا الجدارُ فكان لغُلامَيْنِ يتيمَيْنِ في المَدينةِ) زعم مقاتل أن اسم الغلامين صرم وصريم ، واسم أبيهما كاشــح ، واسم أمهما دهنـــا ، وأن المدينة قرية تسمى عيدشى .

وحقيقة الجدار ما أحاط بالدار حتى يمنع منها ويحفظ بنيانها ، ويستعمل في غيرها من حيطانها مجازا .

• (وكان تَحْتَه كنزٌ لهما) وفي هذا الكنز ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ صحف علم ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد .

الثاني ــ لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم،قاله الحسن . وروى ابن الكلبي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكان تحته كنز لهما» ، كان الكنز لوحا من ذهب مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجب لمن يوقن بالقدر كيف يحزن ، عجب لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الثالث ــ كنز : مال مذخور من ذهب وفضة ، قاله عكرمة وقتادة.

• (وكان أبوهما صالحا فأراد ربُّكَ أن يَبْلُغا أَشُدَّهما ويستخْرِجا كَنْزَهما) قيل إنهما حفظا لصلاح أبيهما السابع ، قال محمد بن المنكدر: إن الله تعالى يحفظ عبده المؤمن في ولده وولد ولده وفي ذريته وفي الدويرات حوله . وروى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

واختلف أهل العلم في بقاء الخضر عليه السلام إلى اليوم ، فذهب قوم إلى بقائه لأنه شرب من عين الحياة . وذهب آخرون إلى أنه غير باق لأنه

لو كان باقيا لعرف ، ولأنه لا يجوز أن يكون بعد نبينا صلى الله عليه وسلم نبي وهذا قول من زعم أن الخضر نبي .

٨٣ــ قوله عز وجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ) اختلف فيه هل كان نبيا ؟ فذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث فتح الله على يده الأرض وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لم يكن نبيا ولا مَلِكا ، ولكنه كان عبدا صالحا أحب الله وأحبه الله ، وناصح لله فناصحه الله ، وضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرني الثــور .

واختلف في تسميته بذى القرنين على أربعة أقاويل : (أحدها) لقرنين في جانبي رأسه على ما حكى علي بن أبي طالب رضى الله عنه . (الثاني) لأنه كانت له ضفيرتان فسمى بهما ذا القرنين ، قاله الحسن . (الثالث) لأنه بلغ طرفي الأرض من المشرق والمغرب ، فسمى لاستيلائه على قرني الأرض ذا القرنين ، قاله الزهرى . (الرابع) لأنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فسمى ذا القرنين، قاله وهب بن منبه .

وحكى ابن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد، وحكى محمد بن إسحاق أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني من ولــد يونان بن يافث بن نوح . وقال معاذ بن جبل: كان روميا اسمه الاسكندروس . قال ابن هشام : هو الاسكندر ، وهو الذى بنى الاسكندرية.

٨٤ــ قوله عز وجل : ((إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) يحتمل وجهين: (أحدهما) باستيلائه على ملكها . (الثاني) بقيامه بمصالحها .

(وآتيناه مِن كل شيء سببا) فيه وجهان : (أحدهما) من كل شيء علما يتسبب به إلى إرادته ، قاله ابن عباس وقتادة . (الثاني) ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد .

ويحتمل (وجها ثالثا) وجعلنا له من كل أرض وليها سلطانا وهيبة.

٨٥ــ قوله عز وجل (فَأَتْبَعَ سَبَباً) فيه أربعة أوجه : (أحدها) منازل الأرض ومعالمها . (الثاني) يعني طرقا بين المشرق والمغــرب ، قاله مجاهــد وقتادة .

(الثالث) طريقا إلى ما أريد منه. (الرابع) قفا الأثر ، حكاه ابن الأنباري.

٨٦ـ (حتّى إذا بلَغَ مَغْرِب الشّمسِ وجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ) قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص «حمئة» وفيها وجهان : (أحدهما) عين ماء ذات حمأة ، قاله مجاهد وقتادة . (الثاني) يعني طينة سوداء، قاله كعب.

وقرأ ابن الزبير والحسن: في عين حامية ، وهي قراءة الباقين يعني حارة، فصار (قولا ثالثا)، وليس بممتنع أن يكون ذلك صفة للعين أن تكون حمئة سوداء حامية، وقد نقل مأثورا في شعر تُبّع وقد وصف ذا القرنين بما يوافق هذا فقال :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسبابَ أمرٍ مِنْ حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وثاطٍ حَرمد

الخُلُب : الطين . والثأط : الحمأة . والحَرْمَد : الأسود .

ثم فيها وجهان : (أحدهما) أنها تغرب في نفس العين . (الثاني) أنه وجدها تغرب وراء العين حتى كأنها تغيب في نفس العين [1] .

* (ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تُعذّب وإمّا أنْ تتخذ فيهم حُسْناً) فيه وجهان:(أحدهما) أنه خيره في عقابهم أو العفو عنهم. (الثاني) إما أن تعذب بالقتل لمقامهم على الشرك وإما أن تتخذ فيهم حُسْنا بأن تمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العَمَى ، فحكى مقاتل أنه لم يؤمن منهم إلا رجل واحد .

٨٩ـ قوله عز وجل : (ثُمّ أتْبَع سَبَباً) قرىء بقطع الألف ، وقرىء بوصلها وفيها وجهان : (أحدهما) معناهما واحد . (الثاني) مختلف . قال الأصمعي: بالقطع إذا لحق ، وبالوصل إذا كان على الأثر ، وإن لم يلحق .

(١) هذا الراي هو الراجح ونقل القفال عن بعض العلماء قولهم : ليس المراد انه انتهى الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور من غير ان تلتصق بالارض، وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض ، بل هي اكبر من الارض أضعافا مضاعفة، بل المراد انه انتهى الى اخر العمارة من جهة المغرب ، ومن جهة المشرق فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة .

٩٠– (حتى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشمْسِ) قرئ بكسر اللام، وقرئ بفتح اللام، وفي اختلافهما وجهان: (أحدهما) معناهما واحد. (الثاني) معناهما مختلف. وهى بفتح اللام الطلوع، وبكسرها الموضع الذى تطلع منه. والمراد بمطلع الشمس ومغربها ابتداء العمارة وانتهاؤها.

* (وجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لم نجعَلْ لهم مِنْ دُونِها سِتْراً) يعنى من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أو شجر أو لباس. وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم الى أسراب لهم، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش وسمك.

قال ابن الكلبي: وهم تاريس وتأويل ومنسك[1].

وهذه الأسماء والنعوت التى نذكرها ونحكيها عمن سلف إن لم تؤخذ من صحف النبوة السليمة لم يوثق بها، لكن ذكرت فذكرتها.

وقال قتادة. هم الزنج.

٩٣– قوله عز وجل: (حتى إذا بَلَغَ بَيْنَ السدَّيْنِ) بالفتح قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص. وقرأ الباقون بين السُّدين بالضم. واختلف فيهما على قولين: (أحدهما) أنهما لغتان معناهما واحد. (الثاني) أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما ثلاثة[2] أوجه: (أحدها) أن السد بالضم من فعل الله عز وجل « وبالفتح من فعل الآدميين (الثاني) أنه بالضم الاسم، وبالفتح المصدر، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك.

والسدان جبلان، وقيل إنه جعل الروم بينهما. وفي موضعهما قولان: (أحدهما) فيما بين إرمينية وأذربيجان. (الثاني) في منقطع الترك مما يلى المشرق.

* (وَجَدَ مِنْ دُونِهما قوْماً لا يَكادُون يَفْقَهون قَوْلاً) أى من دون السدين. وفي يفقهون قراءتان: احداهما بفتح الياء والقاف يعنى أنهم لا يفهمون كلام غيرهم. والقراءة الثانية بضم الياء وكسر القاف، أى لا يُفهم كلامُهم غيرَهم.

(١) ذكر القرطبي انهم اربع امم هي: ناسك ومنسك وهاويل وتاويل.

(٢) هكذا في الاصل، لكنه ذكر وجهين فقط.

٩٤ــ قوله عز وجل : (قالوا يا ذا القَرْنَيْنِ إنّ يأجُوجَ ومأجوجَ مُفْسِدونَ في الأرضِ) وهما من ولد يافث بن نوح ، واسمهما مأخوذ من أجت النار إذا تأججت ، ومنه قول جرير :

وأيام أتيْن على المطـــــايا كأنّ سمومَهُنّ أجيجُ نارِ

واسمها في الصحف الأولى ياطغ وماطغ . وكان أبو سعيد الخدرى يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يموت الرجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل .

واختلف في تكليفهم على قولين :

أحدهما ــ أنهم مكلفون لتمييزهم .

الثاني ــ أنهم غير مكلفين لأنهم لو كلفوا لما جاز ألاّ تبلغهم دعوة الإسلام.

* (فهل نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً على أن تجْعَلَ بيْننا وبيْنهم سَدّاً) قرأ حمزه والكسائي : «خراجا» وقرأ الباقون «خرْجا» وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الخراج الغلة ، والخرج الأجرة . (الثاني) أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض ، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله أبو عمرو بن العلاء (الثالث) أن الخرج ما يؤخذ دفعة ، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة ، قاله ثعلب .

٩٥ــ قوله عز وجل : (قال ما مَكّنّي فيه ربّي خَيْرٌ) يعني خير من الأجر الذى تبذلونه لى .

* (فأعينُوني بِقُوَّةٍ) فيه وجهان : (أحدهما) بآلة ، قاله الكلبي. (الثاني) برجال ، قاله مقاتل .

* (أجْعَلْ بيْنكم وَبيْنَهم رَدْما) فيه وجهان: (أحدهما) انه الحجاب الشديد . (الثاني) انه السد المتراكب بعضه على بعض فهو أكبر من السد.

٩٦ــ (آتُوني زُبَرَ الحديدِ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها قطع الحديد ،قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) انه فلق الحديد ، قاله قتادة . (الثالث) انه الحديد المجتمع ، ومنه الزّبور لاجتماع حروفه في الكتابة ، قال تبع اليماني :

ولقد صبرت ليعلموه وحولهم زبر الحديد عشية ونهارا

• (حتى إذا ساوى بين الصدفين) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : الصدفان : جبلان ، قال عمرو بن شاس :

كلا الصدفين ينفذه سناها توقد مثل مصباح الظلام

وفيهما وجهان : (أحدهما) أن كل واحد منهما محاذ لصاحبه ، مأخوذ من المصادفة في اللقاء ، قاله الأزهرى . (الثاني) قاله ابن عيسى ، هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه .

ثم فيه وجهان : أحدهما ــ أن الصدفين اسم لرأسى الجبلين . (الثاني) اسم لما بين الجبلين .

ومعنى قوله «ساوى بين الصدفين» أى بما جعل بينهما حتى وارى رؤوسهما وسوى بينهما .

• (قال انفخوا) يعنى في نار الحديد .

• (حتى إذا جعله نارا) يعنى لينا كالنار في الحر واللهب .

• (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن القطر النحاس ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . (الثاني) أنه الرصاص حكاه ابن الأنبارى . (الثالث) أنه الصفر المذاب ، قاله مقاتل ، ومنه قول الحطيئة :

وألقى في مراجل من حديد قدور الصفر ليس من البرام

(الرابع) أنه الحديد المذاب ، قاله أبو عبيدة وأنشد :

حساماً : كلون الملح صار حديده حرارا من أقطار الحديد المثقب

وكان حجارته الحديد وطينه النحاس .

٩٧ــ قوله عز وجل : (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه . (وما استطاعوا له نقبا) يعنى من أسفله ، قاله قتادة ، وقيل إن السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلى مؤخرهما البحر المحيط . وقيل : ارتفاع السد مقدار مائتى ذراع ، وعرضه نحو خمسين ذراعا وأنه من حديد شبه المصمت .

وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت السد. قال انعته . قال هو كالبُرد المحبّر ، طريقة سوداء وطريقة حمراء ، قال : قد رأيتَه .

٩٨– قوله عز وجل : (قال هذا رحمةٌ من ربي) يحتمل وجهين : (أحدهما) ان عمله رحمة من الله تعالى لعباده . (الثاني) أن قدرته على عمله رحمة من الله تعـــالى له .

* (فإذا جاءَ وعدُ ربي جَعَلَه دَكّاءَ) قـــال ابن مسعود : وذلك يكون بعد قتل عيسى عليه السلام الدجال في حديث مرفوع . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : انهم يدأبون في حفرهم نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غدا فنحفر بقيته ، فيعودون من الغد وقد استوى كما كان ، حتى إذا جاء أمر الله قالوا : غدا إن شاء الله ننقب بقيته، فيرجعون إليه فينقبونه بإذن الله تعالى ، فيخرجون منه على الناس في حصونهم ، ثم يرمون نبلا إلى السماء فيرجع إليهم فيها أمثال الدماء ، فيقولون قد ظفرنا على أهل الأرض وقهرنا أهل السماء ، فيرسل الله تعالى عليهم ما يهلكهم .

« فإذا جاءَ وَعْدُ ربّى » فيه قولان : (أحدهما) يوم القيامة ، قاله ابن بحر . (الثاني) هو الأجل الذى يخرجون فيه .

« جعله دَكاءَ» يعني السد ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ارضا، قاله قطرب . (الثاني) قطعا ، قاله الكلبي . (الثالث) هدماً حتى اندك بالأرض فاستوى معها ، قاله الأخفش ، ومنه قول الأغلب :

هل غير غادٍ دك غارا فانهدم .

٩٩– قوله عز وجلَّ : (وتَرَكْنا بعضَهم يَوْمَئـذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض .

الثاني ــ الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض .

الثالث ــ أنهم الإنس والجن عند فتح السد .

وفيه وجهان : (أحدهما) يختلط بعضهم ببعض . (الثاني) يدفع بعضهم بعضا ، مأخوذ من موج البحر .

١٠١ــقوله عز وجل (الَّذينَ كانتْ أَعْيُنُهُم في غِطاءٍ عن ذِكْرى) يحتمل وجهين :

أحدهما ــ أن الضلال كالمغطى لأعينهم عن تذكر الانتقام .

الثاني ــ انهم غفلوا عن الاعتبار بقدرته الموجبة لذكره .

* (وكانوا لا يَسْتطيعونَ سَمْعا) فيه وجهان : (أحدهما) أن المراد بالسمع هاهنا العقل ، ومعناه لا يعقلون . (الثاني) أنه محمول على ظاهره في سمع الآذان .

وفيه وجهان : (أحدهما) لا يستطيعونه استثقالا . (الثاني) مقتا.

١٠٢ــقوله عز وجل: (إنا أَعْتَدْنا جَهنَّمَ للكافِرينَ نُزُلاً) فيه تأويلان :

أحدهما ــ أن النزل الطعام ، فجعل جهنم طعاما لهم ، قاله قتادة .

الثاني ــ أنه المنزل ، قاله الزجاج .

١٠٣ــقوله عز وجل : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرينَ أَعْمالاً) فيهم خمسة أقاويل :

أحدها ــ أنهم القسيسون والرهبان ، قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه .

الثاني ــ أنهم الكتابيون اليهود والنصارى ، قاله سعد بن أبي وقاص.

الثالث ــ هم أهل حروراء من الخوارج، وهذا مروى عن على رضى الله عنه .

الرابع ــ هم أهل الأهواء .

الخامس ــ أنهم من يصطنع المعروف ويمن عليه .

ويحتمل سادسا ـ أنهم المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم .

ويحتمل سابعا ـ أنهم طالبو الدنيا وتاركو الآخرة .

١٠٥ـقوله تعالى : (... فلا نُقيمُ لهم يَوْمَ القيامةِ وَزْناً) فيه أربعة أوجه :

أحدها ـ لهوانهم على الله تعالى بمعاصيهم التى ارتكبوها يصيرون محقورين لا وزن لهم .

الثاني ـ أنهم لخفتهم بالجهل وطيشهم بالسفه صاروا كمن لا وزن لهم.

الثالث ـ أن المعاصى تذهب بوزنهم حتى لا يوازنوا من خفتهم شيئاً.

روى عن كعب أنه قال : يجاء بالرجل يوم القيامة فَيُوزَنُ بالحبّة فلا يَزِنُها ، ويُوزن بجَناحِ البَعوضةِ فلا يزنها ، ثم قرأ : « فلا نقيمَ لهم يوم القيامة وَزنا »[1] .

الرابع ـ أن حسناتهم تُحْبَط بالكفر فتبقى سيئاتهم ، فيكون الوزن عليهم لا لهم .

١٠٧ـقوله عز وجل : (إنّ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ كانَتْ لهم جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً) في الفردوس خمسة أقاويل :

أحدها ـ أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها ، قاله قتادة .

الثاني ـ أنه أعلى الجنة وأحسنها ، رواه ضمرة مرفوعا .

الثالث ـ أنه البستان بالرومية قاله مجاهد .

الرابع ـ أنه البستان الذى جمع محاسن كل بستان ، قاله الزجاج .

الخامس ـ أنه البستان الذى فيه الأعناب ، قاله كعب .

واختلف في لفظه على أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها ، قاله ثعلب .

الثاني ـ أنه بالرومية ، قاله مجاهد .

(١) رواه البخاري في تفسير هذه السورة ، ومسلم في المنافقين والترمذي وابن ماجه في الزهد ، واحمد في المسند ٥/١٥٤ ببعض اختلاف في الالفاظ .

الثالث – أنه بالنبطية فرداسا ، قاله السدى .

الرابع – بالسريانية ، قاله أبو صالح .

١٠٨–قوله عز وجل : (خَالِدِينَ فيها لا يَبْغُون عَنْها حِوَلاً) أى متحوّلا وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بدلا ، قاله الضحاك . (الثاني) تحويلا ، قاله مقاتل . (الثالث) حيلة ، [أى لا] يحتالون منزلا غيرها .

وقيل انه يقول أولهم دخولا إنما أدخلني الله أولهم لأنه ليس أحد أفضل مني ، ويقول آخرهم دخولا إنما أخرني الله لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل ما أعطاني .

١٠٩–قوله عز وجل : (قُلْ لوْ كان البَحْرُ مِداداً لكلماتِ رَبِّي) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها – انه وعد بالثواب لمن أطاعه ، ووعيد بالعقاب لمن عصاه، قاله ابن بحر . ومثله (لَنَفِدَ البَحْرُ قبل أن تنفَدَ كلمات ربي) .

الثاني – انه العلم بالقرآن ، قاله مجاهد .

الثالث – [أن المراد أفعال الله] وهذا إنما قاله الله تعالى تبْعيدا على خلقه أن يُحصوا أفعاله ومعلوماته ، وإن كانت عنده ثابتة محصيّة .

١١٠–قوله عز وجل : (...فَمَنْ كان يَرْجو لِقاءَ ربّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني فمن كان يخاف لقاء ربه ، قاله مقاتل وقطرب . (الثاني) من كان يأمل لقاء ربه . (الثالث) من كان يصدّق بلقاء ربه، قاله الكلبي .

وفي لقاء ربه وجهان : (أحدهما) معناه لقاء ثواب ربه ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) من كان يرجو لقاء ربه إقرارا منه بالبعث إليه والوقوف بين يديه .

« فلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحاً » فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – انه الخالص من الرياء ، قاله ذو النون المصرى .

الثاني – أن يلقى الله به فلايستحي منه ، قاله يحيي بن معاذ .

الثالث – أن يجتنب المعاصى ويعمل بالطاعات .

(ولا يُشْرِكْ بعبادةِ رَبّه أحَداً) فيه وجهان :

أحدهما — أن الشرك بعبادته الكفر ، ومعناه لا يعبد معه غيره ، قاله الحسن.

الثاني — أنه الرياء ، ومعناه ولا يرائي بعمله أحدا ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : أخوف ما أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية ، قيل : أتُشْرِك أُمتُك بَعْدَك؟ قال : لا ، أما أنهم لا يعبدون شَمْساً ولا قمَرا ولا حَجَرا ولا وثَنا ولكنّهم يُراؤون بعملهم ، فقيل : يا رسول الله وذلك شِرْك؟ فقال : نعم ، قيل : وما الشهوة الخفية(٢) قال : يصبح أحدهم صائما فتعرض له الشهوة من شهوات الدنيا فيفطر لها ويترك صومه .

وحكى الكلبي ومقاتل : أن هذه الآية نزلت في جندب بن زهير العامرى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله فيُثنى به علينا فيعجبنا ، واني لأصلى الصلاة فأطَوّلها رجاء أن يثنى بها عليّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن أشركني في عمل يعمله لى احداً من خلقى تركته وذلك الشريك ، ونزلت فيه هذه الآية « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

< وقيل إنها آخر آية نزلت من القرآن >(٤) .

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن شداد بن اوس . ورواه أحمد في المسند ١٢٤/٤ .

(٢) وفسر شداد بن أوس وعبادة بن الصامت الشهوة الخفية انها من قبل النساء . وروى ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب قال سئل رسول الله (ص) عن الشهوة الخفية فقال : هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يجلس اليه .

(٣) اخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس .

(٤) هذه العبارة من ك . وقد جاء في تفسير القرطبي ٧٢/١١ ما يلي : قال عمر بن قيس الكندي: سمعت معاوية تلا هذه الآية على المنبر « فمن كان يرجو لقاء ربه » فقال : انها لآخر آية نزلت من السماء . ومثل هذا لا يقال بالرأي ، لكن المشهور أن اخر آية هي قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) . الا أن يقال ان هذه اخر آية نزلت بمكة لان الكهف كلها مكية باتفاق .

سورة مريم

مكية في قول جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قوله تعالى (كهيعص) فيه ستة أقاويل :

أحدها - أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة .

الثاني - أنه اسم من أسماء الله، قاله علي كرم الله وجهه .

الثالث - أنه استفتاح السورة، قاله زيد بن أسلم .

الرابع - أنه اسم السورة، قاله الحسن .

الخامس - أنه من حروف الجُمَّل تفسير لا إله إلا الله، لأن الكاف عشرون والهاء خمسة والياء عشرة والعين سبعون والصاد تسعون . كذلك عدد حروف لا إله إلاّ الله، حكاه أبان بن تغلب .

السادس - أنها حروف أسماء الله .

فأما الكاف فقد اختلفوا فيها من أى اسم هى على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها من كبير[1] ، قاله ابن عباس. (الثاني) أنها من كافٍ، قاله الضحاك . (الثالث) أنها من كريم، قاله ابن جبير .

وأما الهاء فإنها من هادٍ عند جميعهم .

وأما الياء ففيها أربعة أقاويل : (أحدها) أنها من يمن، قاله ابن عباس. (الثاني) من حكيم قاله ابن جبير . (الثالث) انها من ياسين حكاه سالم . (الرابع) أنها من يا النداء وفيه على هذا وجهان: (أحدهما) يا من يجيب من من دعاه ولا يخيب من رجاه لما تعقبه من دعاء زكريا . (الثاني) يا من يجير ولا يجار عليه قاله الربيع بن أنس .

(١) الذي في تفسير ابن عباس انها من كريم .

وأما العين ففيها ثلاثة أقاويل: (أحدها) أنها من عزيز ،قاله ابن جبير. (الثاني) أنها من عالم قاله ابن عباس . (الثالث) من عدل قاله الضحاك .

وأما الصاد فإنها من صادق في قول جميعهم فهذا بيان للقول السادس .

ويحتمل سابعا – أنها حروف من كلام أغمضت معانيه ونبه على مراده فيه يحتمل أن يكون: كفى وهدى من لا يعصى فتكون الكاف من كفى والهاء من هدى والباقي [1]حروف يعصى ،لأن ترك المعاصي يبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فصار تركها كافيا من العقاب وهاديا إلى الثواب وهذا أوجز وأعجز من كل كلام موجز لأنه قد جمع في حروف كلمة معاني كلام مبسوط وتعليل أحكام وشروط .

ثم ذكر حال من كفاه وهداه فقال :

٢ – (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) فذكر رحمته حين أجابه إلى ما سأله فاحتمل وجهين (أحدهما) انه رحمه بإجابته له . (الثاني) انه أجابه لرحمته له .

٣ – قوله تعالى (... نِداءً خَفِيًّا) [فيه وجهان] [2] .

أحدهما – قاله ابن جريج، سرًّا لا رياء فيه. قال قتادة إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي فأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب إلى الرياء فيه.

الثاني – قاله مقاتل، إنما أخفى لئلا يهزأ الناس به فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد .

ويحتمل ثالثا – أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه : إن الذى تدعونه ليس بأصم .

٤ – قوله تعالى (...إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي) أى ضعف وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان : (أحدهما) أنه لما وهن العظم الذى هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى . (الثاني) انه اشتكى ضعف البطش ، والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم .

(١) الباقي أي الياء والعين والصاد .

(٢) زيادة يقتضيها السياق وقد سقطت من الاصل .

• (واشْتَعَلَ الرأسُ شيْباً) هذا من أحسن الاستعارة لأنه قد ينشر فيه الشيب كما ينشر في الحطب شعاع النار .

• (ولم أكُنْ بدعائك رَبِّ شقيّاً) أى خائبا ، أى كنت لا تخيبنى إذا دعوتك ولا تحرمنى إذا سألتك .

٥ و٦ ــ قوله تعالى (وإني خِفْتُ الموالِيَ...) فيهم أربعة أقاويل :

أحدها ــ العصبة، قاله مجاهد وأبو صالح .

الثاني ــ الكلالة، قاله ابن عباس .

الثالث ــ الأولياء أن يرثوا علمى دون من كان من نسلي قال لبيد :

ومَوْلى قد دفَعتُ الضَّيمَ عنــه وقد أمسى بمنزلةِ المُضيمِ

الرابع ــ بنو العم لأنهم كانوا شرار بنى إسرائيل .

وسموا موالي لأنهم يلونه في النسب لعدم الصلب .

وفيما خافهم عليه قولان (أحدهما) أنه خافهم على الفساد في الأرض. (الثاني) أنه خافهم على نفسه في حياته وعلى أشيائه بعد موته . ويجوز أن يكون خافهم على تبديل الدين وتغييره . روى كثير بن كلثمة أنه سمع على بن الحسين عليهما السلام يقرأ: وإني خفت، بالتشديد يعنى قلت . وقرأ عثمان رضى الله عنه: وإني خفت، بالتشديد بمعنى قلت .

وفي قوله «مِنْ ورائي» وجهان (أحدهما) من قدامى وهو قول الأخفش (الثاني) بعد موتي قاله مقاتل .

• قوله تعالى (...فهَبْ لي من لدُنْك وليّاً يرثُني ويرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ يرثني مالى ويرث من آل يعقوب النبوة، قاله أبو صالح .

الثاني ــ يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة، قاله الحسن .

الثالث ــ يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء .

الرابع ــ يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك، قاله ابن عباس. فأجابه الله إلى وراثة العلم ولم يجبه إلى وراثة الملك . قال الكلبي :وكان آل يعقوب

أخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون ابن عمران أخي موسى . قال مقاتل ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان فروى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته .

* (واجْعَلْهُ ربِّ رَضِيّاً) فيه وجهان : (أحدهما) مرضيا في أخلاقه وأفعاله. (الثاني) راضيا بقضائك وقدرك . ويحتمل (ثالثا) أن يريد نبيا .

٧ ـ قوله تعالى (يا زكريا إنا نُبَشِّرُكَ بغلامٍ اسمُه يحيى) فتضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء (أحدها) إجابة دعائه وهي كرامة.(الثاني)إعطاؤه الولد وهو قوة. (الثالث)أن يفرد بتسميته. فدل ذلك على أمرين أحدهما اختصاصه به . (الثاني) على اصطفائه له . قال مقاتل سماه يحي لأنه حيى بين أب شيخ وأم عجوز .

* (لم نجْعَلْ له مِن قَبْلُ سميّا) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أي لم تلد مثله العواقر ،قاله ابن عباس. فيكون المعنى لم نجعل له مثلا ولا نظيرا .

الثاني ــ أنه لم نجعل لزكريا من قبل يحيىٰ ولدا ،قاله مجاهد .

الثالث ــ أي لم يسم قبله باسمه أحد ،قاله قتادة .

٨ ــ قوله تعالى (... أنّى يكونُ لي غُلامٌ) أى ولد .

(وكانت امْرأتي عاقِراً) أى لا تلد وفي تسميتهـــا عاقرا وجهان : (أحدهما) لأنها تصير إذا لم تلد كأنها تعقر النسل أى تقطعه . (الثاني) لأن في رحمها عقرا يفسد المني . ولم يقل ذلك عن شك بعد الوحي ولكن على وجه الاستخبار: اتعيدنا شابين ؟ أو ترزقنا الولد شيخين ؟

* (وقد بَلَغْتُ من الكِبَر عِتِيّا) فيه ثلاثة أقاويل:أحدها يعني سنا،قاله قتادة . (الثاني) انه تحول العظم ،قاله ابن جريج . (الثالث) انه الذى غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف ،قاله ابن عيسى قال الشاعر :

إنما يُعْـــذر الوليـــد ولا يعـــــــــذر من كان في الزمان عتيّاً

قال قتادة: كان له بضع وسبعون سنة وقال مقاتل خمس وتسعون سنة . وقرأ ابن عباس: عسيا.وهي كذلك في مصحف أبي من قولهم للشيخ إذا كبر: قد عسا وعتا . ومعناهما واحد .

١٠– قوله تعالى (..اجْعَلْ لى آيةً) أى علامة وفيها وجهان :

أحدهما – أنه سأل الله آية تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيطان لأن إبليس أوهمه ذلك، قاله الضحاك .

الثاني – سأله آية تدله على أن امرأته قد حملت .

• (قال آيتُكَ ألاّ تكلِّم الناسَ ثلاثَ ليالٍ سويّاً) فيه وجهان :

أحدهما – أنه اعتقل لسانه ثلاثا من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه، وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل، وكانت هذه الآية، قاله ابن عباس .

الثاني – اعتقل من غير خرس، قاله قتادة والسدى .

«سويا» فيه تأويلان (أحدهما) صحيحا من غير خرس، قاله قتادة . (الثاني) ثلاث ليال متتابعات، قاله عطية ، فيكون السوى على الوجه الأول راجعا إلى لسانه ، وعلى الثاني إلى الليالى .

١١– قوله تعالى (فَخَرَجَ على قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ) قال ابن جريج أشرف على قومه من المحراب. وفي المحراب وجهان: (أحدهما) أنه مصلاه قاله ابن زيد. (الثاني) أنه الشخص المنصوب للتوجه إليه في الصلاة .

وفي تسميته محرابا وجهان (أحدهما) انه للتوجه إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته . (الثاني) أنه مأخوذ من منزل الأشراف الذى يحارب دونه ذبا عن أهله فكأن الملائكة تحارب عن المصلى ذبا عنه ومنعا منه .

• (فأوْحَى إليهمْ أنْ سَبِّحوا بُكْرةً وعَشِيا) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أوصى إليهم، قاله ابن قتيبة . (الثاني) أشار إليهم بيده، قاله الكلبي (الثالث) كتب على الأرض . والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول جرير :

كأن أخا اليهود يَخُطُّ وحْياً ... بكافٍ مِنْ منازلها ولام

« أنْ سبِّحوا بُكرةً وعشيّاً» أى صلوا بكرة وعشيا، قاله الحسن وقتادة وقيل للصلاة تسبيح لما فيها من التسبيح(١).

١٢ـ قوله تعالى (يا يَحْيَى خُذ الكتابَ بقوّة) وفي قائله قولان: (أحدهما) أنه قول زكريا ليحيى حين نشأ . (الثاني) قول الله ليحيى حين بلغ .

وفي هذا الكتاب قولان: (أحدهما) صحف ابراهيم . (الثاني) التوراة.

«بقوة» فيه وجهان: (أحدهما) بجد واجتهاد، قاله مجاهد . (الثاني) العمل بما فيه من أمر والكف عما فيه من نهى، قاله زيد بن أسلم .

• (وآتيْناه الحكْمَ صَبِيّاً) فيه أربعة أوجه: (أحدها) اللب، قاله الحسن. (الثاني) الفهم، قاله مقاتل. (الثالث) الأحكام والمعرفة بها(٢) . الرابع الحكمة.

قال معمر: إن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت، فأنزل الله «وآتيناه الحكم صبيا» . قاله مقاتل وكان ابن ثلاث سنين .

١٣ـ قوله تعالى (وحَناناً من لَدُنّا) فيه ستة تأويلات: (أحدها) رحمة من عندنا، قاله ابن عباس وقتادة، ومنه قول الشاعر (٣) :

أبا منذر أفنيْتَ فاستَبْقِ بَعْضَنَا
حنانَيْكَ بَعْضُ الشرِّ اهْوَنُ مِن بعض

أى رحمتك وإحسانك . (الثاني) تعطفا، قاله مجاهد . (الثالث) محبة، قاله عكرمة. < (الرابع) بركة، قاله ابن جبير . (الخامس) تعظيما . (السادس) يعني آتيناه تحننا على العباد>.

ويحتمل (سابعا) أن يكون معناه رفقا ليستعطف به القلوب وتسرع إليه الإجابة .

(وزكاةً) فيها هنا ثلاثة تأويلات: (أحدها) أنها العمل الصالح الزاكى، قاله ابن جريج . (الثاني) زكيناه بحسن الثناء(٥) كما يزكى الشهود

(١) من باب تسمية الكل باسم البعض .
(٢) بياض بالاصل .
(٣) هو طرفة بن العبد .
(٤) ما بين الزاويتين ساقط من ك .
(٥) الثناء : ساقطة من ك .

إنسانا . (الثالث) يعني صدقة به على والديه قاله ابن قتيبة .

• (وكان تقيّا) (فيه) وجهان: (أحدهما) مطيعا لله، قاله الكلبي. (الثاني) بارا بوالديه، قاله مقاتل .

١٦ــ قوله تعالى (واذْكُرْ في الكِتابِ مَرْيَمَ) يعني في القرآن (إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها) فيه وجهان: (أحدهما) انفردت، قاله قتادة . (الثاني) اتخذت.

• (مكاناً شرقيّا) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) ناحية المشرق، قاله الأخفش ولذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة. (الثاني) مشرقة داره التي تظلها الشمس، قاله عطية . (الثالث) مكانا شاسعا بعيدا، قاله قتادة .

١٧ــ قوله تعالى (فاتّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجاباً) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) حجابا من الجدران، قاله السدّي . (الثاني) حجابا من الشمس جعله الله ساترا، قاله ابن عباس . (الثالث) حجابا من الناس، وهو محتمل، وفيه وجهان: (أحدهما) أنها اتخذت مكانا تنفرد فيه للعبادة . (الثاني) أنها اتخذت مكانا تعتزل فيه أيام حيضها .

• (فأرْسَلْنا إليها رُوحَنا) الآية فيه قولان (أحدهما) يعني الروح التي خلق منها المسيح حتى تمثل لها بشرا سويا . (الثاني) أنه جبريل، قاله الحسن وقتادة والسدى وابن جريج وابن منبه [(١)] .

وفي تسميته له روحا وجهان: (أحدهما) لأنه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح ، وإضافه إليه بهذه الصفة تشريفا له . (الثاني) لأنه تحيا به الأرواح

واختلفوا في سبب حملها على قولين :

أحدهما ــ أن جبريل نفخ في جيب درعها وكمها فحملت ، قاله ابن جريج ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فأهوى لها بالنفخ في جيبِ درْعها   فألْقَتْ سوىّ الخَلْق ليْس بتوأم

الثاني ــ أنه ما كان إلا أن حملت فولدته ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في مدة حملها على أربعة أقاويل: (أحدها) تسعة أشهر، قاله الكلبي (الثاني) ستة أشهر. حكى لى ذلك أبو القاسم[(٢)] الصيمرى. (الثالث) يوما واحدا.

---

(٢) وهذا القول هو الاصح .

(١) أبو القاسم الصيمري هو شيخ المؤلف بالبصرة ، واسمه عبد الواحد بن الحسين توفى بعد سنة ٣٨٦ هـ .

(الرابع) ثمانية أشهر ، وكان هذا آية عيسى فإنه لم يعش مولود لثمانية أشهر سواه.

١٨ــ قوله تعالى : (قالت إني أعوذ بالرحمن منكَ إن كُنْتَ تَقياً) لأن مريم خافت جبريل على نفسها حين دنا منها فقالت إني أعوذ أى أمتنع بالرحمن منك ، فاستغاثت بالله في امتناعها منه .

فإن قيل : فلم قالت إن كنت تقيا والتقي مأمون وإنما يستعاذ من غير التقي؟

ففيه وجهان : (أحدهما) أن معنى كلامها إن كنت تقيا لله فستمتنع من استعاذتي وتنزجر عني من خوفه، قاله أبو وائل[1] . (الثاني) انه كان اسما لرجل فاجر من بني اسرائيل مشهور بالعهر يسمى تقيا فخافت أن يكون الذى جاءها هو ذلك الرجل المسمى تقيا الذى لا يأتي إلا للفاحشة فقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قاله ابن عباس .

٢٣ــ قوله تعالى (فأجاءها المخَاضُ إلى جِذْعِ النخْلة) فيه وجهان (أحدهما) معناه ألجأها، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومنه قول الشاعر[2] :

إذ شَدَدْنا شَدّةً صادقة فأَجَأْناكم إلى سفحِ الجبــــــل

(الثاني) معناه فجأها المخاض كقول زهير :

وجارٍ سارَ معتمدا إلينــــا أجاءته المخافة والرجـــــاء

وفي قراءة ابن مسعود فأواها .

(قالتْ ياليْتني مِتُّ قَبْلَ هذا) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أنها خافت من الناس أن يظنوا بها سوءا قاله السدى . (الثاني) لئلا يأثم الناس بالمعصية في قذفها . (الثالث) لأنها لم تر في قومها رشيدا ذا فراسة ينزهها من السوء قاله جعفر بن محمد[3] رحمهما الله .

• (وكنتُ نَسْياً مَنْسِياً) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) لم أخلق ولم أكن شيئاً، قاله ابن عباس . (الثاني) لا أعرف ولا يدرى من أنـــا ، قاله قتادة . (الثالث) النسي المنسي هو السقط قاله الربيع وأبو العاليـــة . (الرابع)

---

(١) في الاصل ابو اويل وهو تحريف .

(٢) هو حسان بن ثابت يرد على عبدالله بن الزبعري يوم أحد .

(٣) المقصود به : جعفر الصادق بن محمد الباقر .

هو الحيضة الملقاة، قاله عكرمة بمعنى خرق الحيض . (الخامس) معناه وكنت إذا ذكرت لم أطلب حكاه اليزيدى . والنسى عندهم في كلامهم ما أغفل من شيء حقير قال الراجز :

كالنِّسْي مُلْقىً بالجهَاد البَسْبَس[1]

٢٤ــ قوله تعالى : (فناداها مِنْ تحتِها ألاَّ تَحزَني) فيه قولان (أحدهما) أن المنادى لها من تحتها جبريل، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى. (الثاني) انه عيسى ابنها ، قاله الحسن ومجاهد .

وفي قوله من تحتها وجهان (أحدهما) من أسفل منها في الأرض وهى فوقه على رأسه، قاله الكلبى. (الثاني) من بطنها، قاله بعض المتكلمين، بالقبطية.

• (قد جَعَلَ ربُّكِ تحتْكِ سَرِيّا) فيه قولان :

أحدهما ــ أن السرىّ هو ابنها عيسى ، لأن السرى هو الرفيع الشريف مأخوذ من قولهم فلان من سروات قومه اى من اشرافهم ، قاله الحسن . فعلى هذا يكون عيسى هو المنادى من تحتها « قد جعل ربك تحتك سريا » .

الثاني ــ أن السرىّ هو النهر ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والضحاك ، لتكون النخلة لها طعاما والنهر لها شرابا، وعلى هذا يكون جبريل هو المنادى لها « قد جعل ربك تحتك سريا » . الثاني أنه عربي مشتق من السراية فسمى السريّ لأنه يجرى فيه ومنه قول الشاعر :

سهل الخليقة ماجد ذو نائــــل مثل السريّ تمده الأنهـــار

وقيل : إن اسم السرى يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثبا .
وروى أبان بن تغلب في تفسيره القرآن خبرا عن عدد لم يسمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شداد بن ثمامة مصدقا لبنى كعب بن مذحج وكتب له كتابا : «على ما سقته المراسم والجداول والنواهر والدوافع العشر ونصف العشر بقيمة عدل إلا الضوامر واللواقح وما أطل الصور من الجفن ، وفي كل أربعين

(١) قائله دكين الفقيمي كما في اللسان ــ نسي . والشطر الاول هو :
بالدار وحي كاللقي المطرس كالنسي ....
والجهاد : الارض . والبسبس : البر المقفر الواسع .

شاة شاةُ الا العقيل والأكيل والربّى . ومن كل ثلاثين بقرة جذع أو جذعة الا العاقر والناشط والراشح. ومن كل خمس من الإبل المّوبلة مسنة من الغنم. ولا صدقة في الخيل ولا في الإبل العاملة . شهد جرير بن عبد الله بن جابر البجلي وشداد بن ثمامة وكتب المغيرة بن شعبة» . فالمراسم العيون ، والجداول الأنهار الصغار والنواهر الدوالى ، والدوافع الأودية، والضوامر ما لم تحمل من النخل ، واللواقح الفحول ، والجفن الكرم ، وما أطلاه من الزرع عفو ، والعقيل فحل الغنم ، والأكيل الذى يربى للأكل . والرُّبى الّتى تربي ولدها، والعاقر من البقر الّتى لا تحمل ، والناشط الفحل الذى ينشط من أرض إلى أرض والراشح الذى يحرث الأرض .

٢٥ـ قوله تعالى (وهُزِّي إليكَ بِجِذْعِ النّخْلةِ...) الآية. اختلف في النخلة على أربعة أقاويل: (أحدها) كانت برنية. (الثاني) صرفانة،قاله ابو داود. (الثالث) قرينا. (الرابع) عجوة[1] ، قاله مجاهد .

وفي الجنى ثلاثة أقاويل (أحدها) المّرطب البسر،قاله مقاتل . (الثاني) البلح لم يتغير،قاله أبو عمرو بن العلاء (الثالث) أنه الطرى بغباره . وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء فجعله الله آية . قال مقاتل فاخضرت وهى تنظر ثم حملت وهى تنظر ثم نضجت وهى تنظر .

٢٦ـ قوله تعالى (فكُلي) يعنى من الرطب الجنى .

* (واشْرَبي) يعنى من السريّ .

* (وقرّي عَيْناً) يعنى بالولد، وفيه ثلاثة أوجه: (أحدها) جاء يقر عينك سرورا، قاله الأصمعى ، لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة. (الثاني) طيبى نفسا،قاله الكلبى . (الثالث) تسكن عينك ولذلك قيل ما شيء خير للنفساء من الرطب والتمر .

* (فإمّا تَرَيِنَّ مِن البَشَرِ أحَداً) يعنى إما للإنكار عليك وإما للسؤال لك.

* (فقُولى إني نَذَرْتُ للرحمن صَوْماً) فيه تأويلان (أحدهما) يعنى صمتا، وقد قرىء في بعض الحروف: للرحمن صمتا ، وهذا تأويل ابن عباس وأنس بن مالك والضحاك . (الثاني) صوما عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتادة .

---

(١) البرنية والصرفانة والقرين والعجوة كلها أنواع من النخل .

• (فلنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيًّا) فيه وجهان :

أحدهما — أنها امتنعت من الكلام ليتكلم عنها ولدها فيكون فيه براءة ساحتها ، قاله ابن مسعود ووهب بن منبه وابن زيد .

الثاني — أنه كان من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس ، فأذن لها في المقدار من الكلام ، قاله السدى .

٢٧— قوله تعالى (... شيئاً فَرِيّاً) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أنه القبيح من الافتراء ، قاله الكلبي . (الثاني) أنه العمل العجيب ، قاله الأخفش . (الثالث) العظيم من الأمر ، قاله مجاهد وقتادة والسدى . (الرابع) أنه المتصنع مأخوذ من الفرية وهو الكذب ، قاله اليزيدى . (الخامس) انه الباطل .

٢٨— قوله تعالى : (يا أُخْتَ هارُونَ ...) وفي هذا الذى نسبت إليه أربعة أقاويل :

أحدها — أنه كان رجلا صالحا من بنى اسرائيل ينسب إليه من يعرف بالصلاح ، قاله مجاهد وكعب ، والمغيرة بن شعبة يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني — أنه هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا بنى فلان ، قاله السدى .

الثالث — أنه كان أخاها لأبيها وأمها ، قاله الضحاك .

الرابع — أنه كان رجلا فاسقا معلنا بالفسق فنسبت إليه ، قاله ابن جبير.

• (وما كانت أُمُّكِ بَغِيّاً) أى زانية . وسميت الزانية بغيا لأنها تبغى الزنا أى تطلبه .

٢٩— قوله تعالى (فأشارت إليه) فيه قولان (أحدهما) أشارت إلى الله فلم يفهموا إشارتها ، قاله عطاء . (الثاني) أنها أشارت إلى عيسى وهو الأظهر ، إما عن وحي الله إليها ، وإما لثقتها بنفسها في أن الله تعالى سيظهر براءتها ، فأشارت إلى عيسى أن كلموه فاحتمل وجهين : (أحدهما) أنها أحالت الجواب عليه استكفاء. (الثاني) أنها عدلت إليه ليكون كلامه لها برهانا ببراءتها .

• (قالوا كيْفَ نُكَلِّمُ من كان في المهْدِ) وفي كان في هذا الموضع وجهان : (أحدهما) أنها بمعنى يكون تقديره من يكون في المهد صبيا ، قاله

ابن الأنبارى . (الثاني) انها صلة زائدة وتقديره من هو في المهد ،قاله ابن قتيبة.

وفي المهد وجهان (أحدهما) أنه سرير الصبي المعهود لمنامه . (الثاني) انه حجْرها الذى[1] تربيه فيه، قاله قتادة. وقيل إنهم غضبوا وقالوا: لَسخريتها بنا أعظم [علينا] [2] من زناها، قاله السدى . فلما تكلم قالوا إن هذا لأمر عظيم.

٣٠ــ (قال إني عَبْدُ اللهِ) وإنما قدم إقراره بالعبودية ليبطل به قول من ادعى فيه الربوبية وكان الله هو الذى أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوله الغالون فيه.

• (آتانيَ الكِتابَ) أى سيؤتينى الكتاب .

• (وجَعَلَنِي نبياً) فيه وجهان (أحدهما) وسيجعلنى نبيا ، والكلام في المهد من مقدمات نبوته . (الثاني) أنه كان في حال كلامه لهم في المهد نبيا كامل العقل ولذلك كانت له هذه المعجزة، قاله الحسن . وقال الضحاك : تكلم وهو ابن أربعين [يوما] [3] .

٣١ــ قوله تعالى : (وجَعَلَنِي مُباركاً أيْنما كُنْتُ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) نبيا ، قاله مجاهد . (الثاني) آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر . (الثالث) معلما للخير ، قاله سفيان . (الرابع) عارفا بالله وداعيا إليه .

• (وأوْصاني بالصلاة) فيها وجهان (أحدهما) الدعاء والإخلاص. (الثاني) الصلوات ذات الركوع والسجود. ويحتمل (ثالثا) أن الصلاة الاستقامة مأخوذ من صلاة العود إذا قوم اعوجاجه بالنار .

• (والزكاة...) فيها وجهان (أحدهما) زكاة المال. (الثاني) التطهير من الذنوب . ويحتمل (ثالثا) أن الزكاة الاستكثار من الطاعة ،لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة .

٣٢ــ قوله تعالى (وبَرّاً بوالدتي) يحتمل وجهين(أحدهما) بما برأها به من الفاحشة . (الثاني) بما تكفل لها من الخدمة .

• (ولم يَجْعَلْني جبّاراً شَقِيّاً) فيه وجهان : (أحدهما) أن الجبار الجاهل بأحكامه[4] ، والشقي المتكبر عن عبادته . (الثاني) أن الجبار الذى

(١) في الاصل التي وهو خطأ .
(٢) من تفسير القرطبي للايضاح . آية ٢٩ .
(٣) زيادة يتتضيها السياق .
(٤) اي أحكام الله التي شرعها لعباده .

لا ينصح، والشقى الذى لا يقبل النصيحة .

ويحتمل (ثالثا) أن الجبار الظالم للعباد، والشقى الراغب في الدنيا .

٣٣- قوله تعالى (والسلامُ عليَّ ...) الآية . فيه وجهان :

أحدهما - يعنى بالسلام السلامة (يوم ولدت) يعنى في الدنيا . (ويومَ أمُوت) يعنى في القبر، (ويَوْمَ أُبْعث حيا) يعنى في الآخرة ، لأن له أحوالا ثلاثا: في الدنيا حيا، وفي القبر ميتا، وفي الآخرة مبعوثا، فسلم في أحواله كلها . وهو معنى قول الكلبي .

الثاني - يعنى بالسلام «يوم ولدت» سلامته من همزة الشيطان فإنه ليس مولود يولد إلا همزه الشيطان وذلك حين يستهل، غير عيسى فإن الله عصمه منها. وهو معنى قوله تعالى «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» . «ويوْمَ أموت» يعنى سلامته من ضغطة القبر لأنه غير مدفون في الأرض . «ويوم أُبْعَث حيًا» لم أر فيه على هذا الوجه ما يرضى.

ويحتمل أن تأويله على هذه الطريقة سلامته من العرض والحساب لأن الله ما رفعه إلى السماء إلا بعد خلاصه من الذنوب والمعاصى .

قال ابن عباس ثم انقطع كلامه حتى بلغ مبلغ الغلمان .

٣٤- قوله تعالى (ذلك عيسى بن مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أن الحق هو الله تعالى . (الثاني) عيسى وسماه حقا لأنه جاء بالحق . (الثالث) هو القول الذى قاله عيسى من قبل .

• (الذى فيه يَمْتَرون) فيه وجهان (أحدهما) يشكّون ، قاله الكلبي . (الثاني) يختلفون لأنهم اختلفوا في الله وفي عيسى ، فقال قوم هو الله ، وقال آخرون هو ابن الله ، وقال آخرون هو ثالث ثلاثة . وهذه الأقاويل الثلاثة للنصارى .

وقال المسلمون : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .

ونسبته اليهود إلى غير[1] رشدة فهذا معنى قوله « الذى فيه تفترون» بالفاء معجمة من فوق[2] .

قال ابن عباس ففرّ بمريم ابن عمها ومعها ابنها إلى مصر فكانــوا فيها اثنتى عشرة سنة حتى مات الملك الذى كانوا يخافونه .

٣٨ــ قوله تعالى : (أَسْمِعْ بِهِم وأَبْصِرْ) فيه وجهان :

أحدهما ــ يعني لئن كانوا في الدنيا صما عميا عن الحق فما أسمعهم له وأبصرهم به في الآخرة يوم القيامة ، قاله الحسن وقتادة .

الثاني ــ اسمع بهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم القيامة يوم يأتوننا ، قاله أبو العالية .

ويحتمل ثالثا ــ اسمع أمتك بما أخبرناك من حالهم فستبصر يوم القيامة ما يصنع بهم .

٣٩ــ قوله تعالى (وأَنْذِرْهم يَوْمَ الحَسْرةِ إذ قُضِيَ الأَمْرُ) فيه وجهان : (أحدهما) يوم القيامة اذ قضى العذاب عليهم ، قاله الكلبي. (الثاني) يوم الموت إذ قضى الموت انقطاع التوبة واستحقاق الوعيد ، قاله مقاتل .

٤٦ــ قوله تعالى (...لأَرْجُمَنَّكَ) فيه وجهان : (أحدهما) بالحجارة حتى تباعد عني قاله الحسن. (الثاني) لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول ، قاله الضحاك والسدى وابن جريج .

* (واهْجُرْني مَلِيّاً) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ دهرا طويلا ، قاله الحسن ومجاهد وابن جبير والسدى ، ومنه قول مهلهل :

فتصدّعَتْ صُمُّ الجبال لموتــه وبكت عليه المرملات مليــا

الثاني ــ سويا سليما من عقوبتي ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء.

الثالث ــ حينا ، قاله عكرمة .

(١) أي ابن سفاح من يوسف النجار .

(٢) هذه قراءة ابي عبدالرحمن السلمي وغيره .

٤٧ــ قوله تعالى (قال سلامٌ عَلَيْكَ) هذا سلام ابراهيم على أبيه وفيه وجهان : (أحدهما) أنه سلام توديع وهجر لمقامه على الكفر،قاله ابن بحر . (الثاني) وهو أظهر أنه سلام بر واكرام فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكرا لسالف التربية .

* ثم قال (سأستغفر لك ربي) وفيه وجهان : (أحدهما) سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان . (الثاني) معناه سأدعوه لك بالهداية التي تقتضي الغفران.

* (إنه كان بي حَفِيّاً) فيه خمسة أوجه : (أحدها) مقربا . (الثاني) مكرما. (الثالث) رحيما ، قاله مقاتل . (الرابع) عليما ، قاله الكلبي . (الخامس) متعهدا .

٥٠ــ قوله تعالى (... وجَعَلْنا لهم لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّاً) فيه وجهان :

أحدهما ــ جعلنا لهم ذكرا جميلا وثناءً حسنا ، قاله ابن عباس ، وذلك أن جمع الملك بحسن الثناء عليه .

الثاني ــ جعلناهم رسلا لله كراما على الله ، ويكون اللسان بمعنى الرسالة قال الشاعر :

اتتني لسان بني عــــــامر احاديثها بعـــد قول ونكر

ويحتمل قولا [ثالثا] أن يكون الوفاء بالمواعيد والعهود .

٥٢ــ قوله تعالى (وناديناه من جانب الطور الأيمن) والطور جبل بالشام ناداه الله من ناحيته اليمنى . وفيه وجهان : (أحدهما) من يمين موسى . (الثاني) من يمين الجبل ، قاله مقاتل .

* (وقَرَّبْناه نجيا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه قربه من الموضع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه . (الثاني) أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صريف القلم[1] ،قاله ابن عباس،وقال غيره : حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة . (الثالث) أنه قربه تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب اجتذاب وادناء لأنه لا يوصف بالحلول في مكان دون مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب، قاله ابن بحر.

وفي قوله نجيا « ثلاثة » أوجه : (أحدها) أنه مأخوذ من

(١) صريف القلم : صورته ، كصريره ، وزنا ومعنى

النجوى ، والنجوى لا تكون إلا في الخلوة،قاله قطرب . (الثاني) نجاه لصدقه مأخوذ من النجاة . (الثالث) رفعه بعد التقريب مأخوذ من النجوة وهو الارتفاع ، قال الحسن لم يبلِّغ موسى من الكلام الذى ناجاه به شيئا .

٥٤ـ قوله تعالى (واذكرْ في الكتابِ اسماعيلَ إنه كان صادقَ الوعد) وصفه بصدق الوعد لأنه وعد رجلا أنْ ينتظره ، قال ابن عباس: حولا حتى أتاه. وقال يزيد الرقاشي : انتظره اثنين وعشرين يوما . وقال مقاتل : انتظره ثلاثة أيام .

٥٥ـ (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) فيه وجهان (أحدهما) يأمر قومه فسماهم أهله . (الثاني) أنه بدأ بأهله قبل قومه . وفي الصلاة والزكاة ما قدمناه . وهو على قول الجمهور: إسماعيل بن ابراهيم . وزعم بعض المفسرين أنه ليس بإسماعيل بن ابراهيم لأن اسماعيل مات قبل ابراهيم ، وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة رأسه افخيَّره الله تعالى فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته .

٥٧ـ قوله تعالى (... ورفعْناه مكاناً عَلِيّاً) فيه قولان :

أحدهما ــ أن ادريس رفع إلى السماء الرابعة ، وهذا قول أنس بن مالك في حديث مرفوع وأبي سعيد الخدرى وكعب ومجاهد .

الثاني ــ رفعه إلى السماء السادسة ، قاله ابن عباس والضحاك وهو مرفوع في السماء .

واختلفوا في موته فيها على قولين : (أحدهما) أنه ميتٌ فيها ، قاله مقاتل، وقيل انه مات بين السماء الرابعة والخامسة (الثاني) أنه حيّ فيها لم [١]يمت مثل عيسى .

روى ابن اسحق أن ادريس أول من أُعطى النبوة من ولد آدم وأول من خط بالقلم،وهو أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان ابن آنوش[٢] بن شيث بن آدم . وحكى ابن الأزهر عن وهب بن منبه أن إدريس أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبي ، ولبس الثياب وإنما كانوا يلبسون الجلود، وأول من وضع الأوزان والكيول ، وأقام علم النجوم ، والله أعلم .

(١) خرم بنسخة ش أسقط بقية مريم وطه والانبياء .

(٢) هكذا في الاصول ، وفي سيرة ابن هشام ٣/١ يانش ، ومثله في القرطبي ١١٧/١١

٥٨ـ قوله تعالى (...خرّوا سُجّدا وبُكيًّا) أي سُجّدا لله، وبُكيّاً جمع باك، ليكون السجود رغبة والبكاء رهبة. وقد روى في الحديث: فهذا السجود فأين البكاء؟ يعني هذه الرغبة فأين الرهبة؟ لأن الطاعة لا تخلص إلا بالرغبة والرهبة.

٥٩ـ قوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدهم خَلْفٌ...) الآية. في الفرق بين الخلْف بتسكين اللام والخلف بتحريكها وجهان:

أحدهما ـ أنه بالفتح إذا خلفه مَنْ كان مِنْ أهله، وبالتسكين إذا خلفه مَنْ ليس مِن أهله.

الثاني ـ ان الخلْف بالتسكين مستعمل في الذم، وبالفتح مستعمل في المدح قال لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبَقيتُ في خلْف كجلدِ الأجْرب

وفي هذا الخلف قولان: (أحدهما) أنهم اليهود من بعد ما تقدم من الأنبياء، قاله مقاتل. (الثاني) انهم من المسلمين.

فعلى هذا في قوله «من بعدهم» قولان: (أحدهما) من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، من عصر الصحابة وإلى قيام الساعة كما روى الوليد بن قيس حكاه ابراهيم عن عبيدة. (الثاني) انهم من بعد عصر الصحابة. روى الوليد ابن قيس عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بعد ستين سنة (خلف اضاعوا الصلاة). الآية.

وفي إضاعتهم الصلاة قولان: (أحدهما) تأخيرها عن أوقاتها، قاله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز. (الثاني) تركها[1]؛ قاله القرظي.

ويحتمل ثالثا ـ أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها[2].

• (فسوْف يلْقَوْن غيّاً) فيه خمسة أقاويل: (أحدها) أنه واد في جهنم، قالته عائشة وابن مسعود. (الثاني) أنه الخسران، قاله ابن عباس.

(١) تركها أي كفرا وجحداً لها.

(٢) قال الحسن البصري: اضاعة الصلاة تعطيل المساجد والاشتغال بالصناعة والاسباب. اي مع ترك العبادة.

(الثالث) أنه الشر ، قاله ابن زيد. (الرابع) الضلال عن الجنة ، (الخامس) الخيبة ، ومنه قول الشاعر [١] :

فمن يَلْقَ خيرًا يَحْمَدِ الناسُ أمْرَه ومن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما

من يغو : أي من يخب .

٦٢ـ قوله تعالى : (لا يَسْمَعُون فيها لَغْواً) فيه وجهان : (أحدهما) الكلام الفاسد . (الثاني) الحلف ، قاله مقاتل .

* (إلا سلاماً) فيه وجهان : (أحدهما) إلا السلامة . (الثاني) تسليم الملائكة عليهم ؛ قاله مقاتل .

* (ولهم رِزْقُهم فيها بُكْرَةً وعَشِيّاً) فيه وجهان :

أحدهما ـ أن العرب إذا أصابت الغداء والعشاء نعمت، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة غداء وعشاء ، وإن لم يكن في الجنة ليل ولا نهار .

الثاني ـ معناه مقدار البكرة ومقدار العشى من أيام الدنيا؛ قاله ابن جريج. وقيل : انهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب ، ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب .

ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم ، والعشى بعد فراغهم من لذاتهم ، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال .

٦٤ـ قوله تعالى : (وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمْرِ ربِّك) فيه قولان :

أحدهما ـ أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعا من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر .

الثاني ـ انه قول جبريل عليه السلام ، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي صلى الله عليه وسلم باثنتى عشرة ليلة ، فلما جاءه قال : غبت عنى حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت «وما نتنزل إلا بأمر ربك» [٢] .

(١) هذا البيت للمرقش الاصغر وهو ابن اخي المرقش الاكبر . واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد وهو عم طرفة بن العبد واحد عشاق العرب صاحبته فاطمة بنت المنذر .

(٢) قال مجاهدوقتادة وغيرهما : احتبس جبريل عن النبي «ص» حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب السائلين ، ورجا ان يأتيه جبريل بجواب فابطأ عليه اثنتى عشرة ليلة كما قال مجاهد واربعين يوما في قول عكرمة . وقيل ثلاثة أيام .

ويحتمل وجهين (أحدهما) إذا أمرنا نزلنا عليك . (الثاني) إذا أمرك ربك نزّلنا عليك فيكون الأمر على الوجه الأول متوجها إلى النزول ، وعلى الثاني متوجها إلى التنزيل .

• (له ما بَيْنَ أيْدينا وما خَلْفَنا) فيه قولان :

أحدهما – « ما بين أيدينا » من الآخرة ، «وما خلفنا» من الدنيا .

• (وما بَيْنَ ذَلك) يعني ما بين النفختين ؛ قاله قتادة .

والثاني – « ما بين أيدينا» أي ما مضى أمامنا من الدنيا ، « وما خلفنا» : ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . « وما بين ذلك» : ما مضى من قبل وما يكون من بعد ؛ قاله ابن جرير .

ويحتمل ثالثا – « ما بين أيدينا »: السماء ، « وما خلفنا» : الأرض. « وما بين ذلك » : ما بين السماء والأرض .

• (وما كان رَبُّك نَسِيا) فيه وجهان : (أحدهما) أي ما نسيك ربك. (الثاني) وما كان ربك ذا نسيان .

٦٥– قوله عز وجل (... هل تَعْلَمُ له سَمِيّاً) فيه أربعة أوجه :

أحدها – يعني مِثْلا وشبيها ، قاله ابن عباس ومجاهد ، مأخوذ من المساماة .

الثاني – انه لا أحد يتسمى[1] بالله غيره ، قاله قتادة والكلبي

الثالث – أنه لا يستحق أحد أن يسمى إلها غيره .

الرابع – هل تعلم له من ولد ، قاله الضحاك . قال أبو طالب :

أمّا المسمّى فأنْتَ منه مُكْثِرٌ   لكنّه ما للخلودِ سبيــــلُ

٦٨– قوله عز وجل (... حَوْلَ جَهَنّم) فيها قولان : (أحدهما) أن جهنم اسم من أسماء النار . (الثاني) انه اسم لأعمق موضع في النار ، كالفردوس الذى هو اسم لأعلى موضع في الجنة

(١) روى عكرمة عن ابن عباس قال : هل تعلم احداً سمي الرحمن ؟ قال النحاس : وهذا أجل اسناد علمته روي في هذا الامر .

* (جِثِيّا) فيه قولان : أحدهما [جماعات] ، قاله الكلبي والأخفش (الثاني) بروكا على الرُّكَب ، قاله عطية .

٦٩– قوله عز وجل (ثم لننزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعةٍ أيُّهُم) الشيعة الجماعة المتعاونون . قال مجاهد : والمراد بالشيعة الأمة لاجتماعهم وتعاونهم .

وفي « ثم لننزعن » وجهان : (أحدهما) لنُنادِيَنّ ،قاله ابن جريج. (الثاني) لنستخرجن ، قاله مقاتل .

* (عِتِيّا) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أهل الافتراء بلغة بنى تميم، قاله بعض أهل اللغة . (الثاني) جرأة ، قاله الكلبي . (الثالث) كفرا، قاله عطية . (الرابع) تمردا . (الخامس) معصية .

٧٠– قوله عز وجل (... أَوْلى بها صِلِيّاً) فيه وجهان : (أحدها) دخولا، قاله الكلبي . (الثاني) لزوما .

٧١– قوله عز وجل (وإنْ مِنكم إلاّ وارِدُها) فيه قولان :

أحدهما – يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد .

روى ابو هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله : أبشر فإن الله عز وجل يقول : هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار[1]. أى في الآخرة .

الثاني – يعني جهنم . ثم فيه قولان : (أحدهما) يعني بذلك الكافرين يَرِدُونها دون المؤمن ؛ قاله عكرمة ، ويكون قوله : «وان منكم » أى منهم كقوله تعالى : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » ، ثم قال « ان هذا كان لكم جزاء » أى لهم . (الثاني) أنه أراد المؤمن والكافر . روى ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الزالّون والزالاّت يومئذ كثير .

وفي كيفية ورودها قولان :

---

(١) رواه احمد في المسند ٢/٤٤٠ .

أحدهما – الدخول فيها . قال ابن عباس : ليردنها كل بر وفاجر ، لكنها تمس الفاجر دون البر . قال وكان دعاءُ مَنْ مضى : اللهم اخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غانما .

والقول الثاني – أن ورود المسلم عليها الوصول إليها ناظرا لها ومسرورا بالنجاة منها ، قاله ابن مسعود وذلك مثل قوله تعالى : « ولما ورد ماء مدين» أي وصل . وكقول زهير بن أبي سلمى :

ولما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه   وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ

ويحتمل قولا ثالثا – أن يكون المراد بذلك ورود عرصة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر .

• (كان على ربِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً) فيه تأويلان : (أحدهما) قضاء مقضيا ؛ قاله مجاهد . (الثاني) قسما واجبا ، قاله ابن مسعود .

٧٣– قوله عز وجل (... أيُّ الفَرِيقَيْنِ خيرٌ مَقاماً) فيه وجهان : (أحدهما) منزل إقامة في الجنة أو النار . (والثاني) يعني كلام قائم بجدل واحتجاج أي: أمَن فلجت حجته بالطاعة خير أم من دحضت حجته بالمعصية، وشاهده قول لبيد :

ومقام ضيّق فرّجْتهُ   بلساني وحسامي وجدل

• (وأحسنُ نديّاً) فيه وجهان : (أحدهما) أفضل مجلسا . (الثاني) أوسع عيشا .

ويحتمل (ثالثا) أيهما خير مقاما في موقف العرض ، من قضى له بالثواب أو العقاب ؟

« وأحسن نديّا يعني» منزل إقامة في الجنة أو في النار. وقال ثعلب : المقام بضم الميم : الإقامة ، وبفتحها المجلس .

٧٤– قوله تعالى (أثاثا ورِئْيا) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ أن الأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر ، قاله ابن عباس .قال الشاعر [١] :

أشاقتك الظعائن يوم ولوا بذى الرئي الجميل من الأثاث

الثاني ــ أن الأثاث ما كان جديدا من ثياب البيت ، والرئي الارتواء من النعمة .

الثالث ــ الأثاث ما لا يراه الناس . والرئي ما يراه الناس .

الرابع ــ معناه أكثر أموالا وأحسن صورا .

ويحتمل خامسا ــ أن الأثاث ما يعد للاستعمال ، والرئي ما يعد للجمال.

٧٦ــ قوله تعالى : (ويَزِيدُ اللهُ الذينَ اهْتَدوْا هُدًى) فيه وجهان :

أحدهما ــ يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته .

الثاني ــ الإيمان بالناسخ والمنسوخ، قاله الكلبي ومقاتل. فيكون معناه : ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ .

ويحتمل ثالثا ــ ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة .

٧٧ــ قوله عز وجل (أفرأيْتَ الذى كَفَر بآياتنا...) اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على قولين : (أحدهما) في العاص بن وائل السهمى ، قاله جابر وابن عباس ومجاهد . (الثاني) في الوليد بن المغيرة ، قاله الحسن .

• (... مالا وَوَلَداً) قرأ حمزة والكسائي«ووُلْدا» بضم الواو ،وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين (أحدهما) أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال وَلَد ووُلْد ، وعَدَم وعُدْم ، وقال الحارث بن حِلِّزة [٢] :

ولقد رأيتُ معاشرًا قد ثمّروا مالاً ووُلْدا

(والثاني) أن قيسًا تجعل الوُلْد بالضم جميعا ، والولَد بالفتح واحدا .

(١) أنشد هذا البيت ابو عبيدة لمحمد بن نمير الثقفي وروايته يوم بانوا مكان « يوم ولوا » .

(٢) في الاصل جلدة وهو تحريف .

وفي قوله تعالى (لأوتيَنَّ مالاً وولَداً) وجهان : (أحدهما) أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله على طاعته وعبادته ، قاله الكلبي . (الثاني) أنه أراد في الدنيا ، وهو قول الجمهور . وفيه وجهان محتملان : (أحدهما) إنْ أقميت على دين آبائي وعبادة آلهتي لأوتين مالاً وولداً . (الثاني) معناه لو كنت أقمت على باطل لما أوتيت مالا ولا ولدا .

٧٨– (أطّلع الغيبَ) يحتمل وجهين :

(أحدهما) – معناه أعلم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالا وولدا .

(الثاني) أعلم الغيب لما آتاه الله على كفره [1].

• (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) فيه وجهان : (أحدهما) يعني عملا صالحا قدمه ، قاله قتادة . (الثاني) قولا عهد به الله إليه ، حكاه ابن عيسى .

٨٠– قوله عز وجل (ونَرِثُه ما يَقُولُ) فيه وجهان : (أحدهما) أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد . (الثاني) يحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد .

• (ويأتينا فرْداً) فيه وجهان (أحدهما) بلا مال ولا ولد . (الثاني) بلا ولي ولا ناصر .

٨٢– قوله عز وجل : (...سيكْفُرون[2] بعبـادتهم) فيه وجهان : (أحدهما) سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها . (الثاني) سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم .

• (ويكونون عليهم ضِداً) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أعوانا في خصومتهم ، قاله مجاهد (الثاني) قرناء في النار يلعنونهم ، قاله قتادة . (الثالث) يكونون لهم أعداء ، قاله الضحاك . (الرابع) بلاء عليهم ، قاله ابن زيد . (الخامس) انهم يكذبون على ضد ما قدروه فيهم وأمّلوه منهم؛ قاله ابن بحر .

---

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى : اطلع الغيب : اي انظر في اللوح المحفوظ !! وقال مجاهد : اعلم الغيب حتى يعلم اي الجنة هو ام لا !!

(٢) الاية في آلهتهم التي عبـدوها .

٨٣ـ قوله عز وجل (تَؤُزُّهُم أزّاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) تزعجهم إزعاجا حتّى توقعهم في المعاصي ، قاله قتادة . (الثاني) تغويهم إغواء، قاله الضحاك. (الثالث) تغريهم إغراء بالشر : امْضِ امْضِ في هذا الأمر حتّى توقعهم في في النار ، قاله ابن عباس .

٨٤ـ قوله عز وجل (...إنما نَعُدّ[1] لهم عَدّاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) نعدّ أعمالهم عدا ، قاله قطرب . (الثاني) نعد أيام حياتهم ، قاله الكلبي (الثالث) نعد مدة إنظارهم إلى وقت الانتقام منهم بالسيف والجهاد ، قاله مقاتل .

٨٥ـ (... وفدا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ركبانا ، قاله الفراء . (الثاني) جماعة ، قاله الأخفش . (الثالث) زوّارا ، قاله ابن بحر .

٨٦ـ قوله عز وجل : (ونسوقُ المجْرِمينَ إلى جَهَنّمَ ورْدّا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مشاة ، قاله الفراء . (الثاني) عطاشا . (الثالث) أفرادا .

٨٧ـ (إلاّ مَن اتّخَذَ عِندَ الرحْمن عَهْدّا) فيه وجهان : أحدهما[2] ...

٨٩ـ (شيئاً إدّا) فيه وجهان : (أحدهما) منكرا ، قاله ابن عباس . (الثاني) عظيما قاله مجاهد . قال الراجز :

في لهث منه وحَبْك إدّ

٩٦ـ قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجْعَلُ لهم الرحمنُ وُدّاً) فيه وجهان :

أحدهما ـ حُبّ في الدنيا مع الأبرار ، وهيبة عند الفجار.

الثاني ـ يحبهم الله ويحببهم الناس . قال الربيع بن أنس : إذا أحب الله عبدا ألقى له المحبة في قلوب أهل السماء، ثم ألقاها في قلوب أهل الأرض[3].

---

(١) قال ابن عباس : اي نعد انفاسهم في الدنيا . وروي ان ابن السماك وعظ المأمون فقال : اذا كانت الانفاس بالعدد ، ولم يكن لها مدد ، فما أسرع ما تنفد .

(٢) الكلام هنا مقطوع في الاصول . وجاء في تفسير القرطبي : « من اتخذ عند الرحمن عهدا » هم المؤمنون يملكون الشفاعة . وقال ابن عباس : العهد لا اله الا الله .

(٣) هذا المعنى ورد مرفوعا في حديث حسن صحيح رواه الترمذي عن سعد وأبي هريرة ، وخرجه البخاري بمعناه وهو : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فأحبه ـ قال ـ فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الارض . فذلك قوله تعالى : سيجعل لهم الرحمن ودا .

ويحتمل ثالثا — أن يجعل لهم ثناء حسنا . قال كعب : ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر له في أهل السماء . وحكى الضحاك عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه جعل له ودًّا في قلوب المؤمنين .

٩٧— قوله عز وجل (قوماً لُدًّا) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) فجّارا ، قاله مجاهد . (الثاني) أهل إلحاح في الخصومة، مأخوذ من اللدود[1] في الأفواه، فلزومهم الخصومة بأفواههم كحصول اللدود في الأفواه ، قاله ابن بحر. قال الشاعر :

بغوا لَددى حَنقاً عليَّ كأنما تغلي عداوةُ صدْرِهم في مِرْجَلِ

(الثالث) جدالا بالباطل ، قاله قتادة ، مأخوذ من اللدود وهو شديد الخصومة . قال الله تعالى : « هو ألد الخصام » وقال الشاعر :

أبيت نجيا للهموم كأنني أخاصم أقواما ذوى جدل لُدًّا .

٩٨— قوله عز وجل : (رِكْزا) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) صوتا ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك . (الثاني) حِسًّا ، قاله ابن زيد . (الثالث) انه ما لا يفهم من صوت أو حركة ، قاله اليزيدى .

---

(١) اللدود : ما سقي الانسان في أحد شقي الفم (اللسان لدد)

فهرس الجزء الثاني

